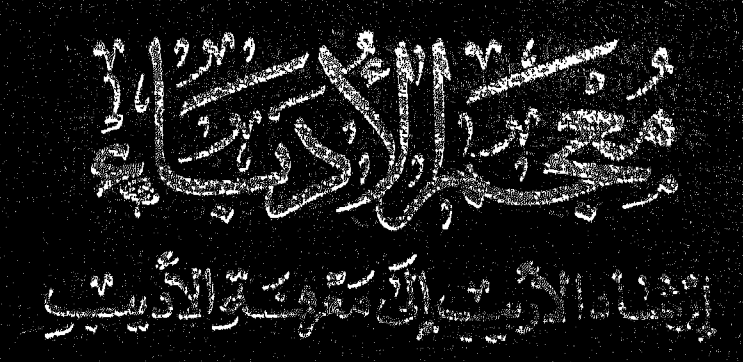


تأليف
ياقوت الحموي الرومي

تحقيق
الدكتور إحسان عباس

الجزء السادس









5



مُعجَم الأُدَبَاء

إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب

تأليف

ياقوت الحموي الرّومي

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الجزء الخامس

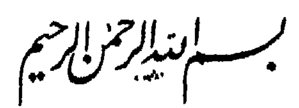


دار الغرب الإسلامي

الطبعة الأولى

1993

دار الغرب الإسلامي
ص.ب : 113/5787
بيروت - لبنان



- 815 -

علي بن محمد بن عمير النحوي الكنانيّ يكنى أبا الحسن : كان أحدَ الفضلاء من أصحاب أبي بكر محمد بن الحسن بن مقسم ، روى عنه « أمالي ثعلب » في سنة ست عشرة وأربعمائة فسمعه منه الحسن بن أحمد بن الثلاج وأبو الفتح ابن المقدر .

- 816 -

علي بن محمد بن عبد الرحيم بن دينار الكاتب أبو الحسين : بصري الأصل واسطي المولد والمنشأ ، قال الحافظ أبو طاهر السلفي : وسألته - يعني أبا الكرم خميس بن علي الحوزي - عن ابن دينار فقال : سمع أبا بكر ابن مقسم ، ولقي المتنبي فسمع منه ديوانه ومدحه بقصيدة هي عندنا موجودةٌ في ديوانه أوّلها :

رُبَّ القَرِيضِ اليكَ الحلّ والرحلُ ضاقت إلى العلم إلا نحوك السبلُ
تضاءل الشعراءُ اليومَ عند فتىً صعابُ كلِّ قريضٍ عنده ذللُ

وكان شاعراً مجيداً شارك المتنبي في أكثر ممدوحيه كسيف الدولة بن حمدان وابن العميد وغيرهما ، وكان حسنَ الخطِّ يقال إنه على طريقة ابن مقلة . مات سنة تسع وأربعمائة ، حمل الناس عنه الأدب فأكثروا بواسط وغيرها ، وكان سهل الخلائق

---

815 - وقعت هذه الترجمة في ك قبل ترجمة الشمشاطي ؛ ولابن عمير النحوي ترجمة في الوافي 22 : 108 (عن ياقوت) وبغية الوعاة 2 : 198 ..

816 - لابن دينار الكاتب ترجمة في الوافي 22 : 63 (باختصار عن ياقوت) وسؤالات السلفي : 23 - 25 .

جميل[1] الطريقة ، سأله الناس بواسط بعد موت أبي محمد عبد الله العلوي أن يجلس لهم صدراً فيقرئهم فامتنع وقال : أنا أتعممُ مُدوّرةً وكمّي ضيق وليست هذه حليةَ أهل القرآن ، أظنني سمعت ذلك من أبي الحسن المغازليّ الشاهد ، هذا آخر ما قاله خميس.

قلت : وقد سمع أبو غالب محمد بن بشران من ابن دينار كثيراً فروى عنه كتبَ الزجاج عن أبي الحسن علي بن الجصاص عن الزجاج ، وروى عنه مصنفاتِ ثعلب عن أبي بكر محمد بن الحسن بن مقسم عنه ، وروى له كتب ابن الأعرابي عن ابن مقسم عن ثعلبْ عنه ، وروى له كتب ابن السكيت جميعها كَـ « الاصلاح » و « الألفاظ » و « النبات » وغير ذلك عن ابن مقسم عن المعبدي عن ابن السكيت وروى له كتب ابن قتيبة: كـ «كتاب غريب الحديث» و«كتاب أدب الكاتب» و«كتاب الأشربة » و «عيون الأخبار» وعدد كتبه كلها عن أبي القاسم الآمدي عن أبي جعفر أحمد ابن قتيبة عن أبيه، وروى له كتب الآمدي جميعها عنه، وروى له كتاب أبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني « الأغاني الكبير » وغيره عنه ، وروى له « كتاب الجمهرة » لابن دريد عن أبي الفتح عبيد الله بن أحمد النحوي جخجخ عن ابن دريد ، وغير ذلك مما يطول شرحه.

وأخذ ابن دينار عن أبي سعيد السيرافي وأبي علي الفارسي . ومولد ابن دينار سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة . وذكر أبو عبد اللّه الحميدي في « ثبته » قال : حدثني أبو غالب ابن بشران النحوي قال : حدثني أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الرحيم بن دينار الكاتب قال : قرأت على أبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني جميع « كتاب الأغاني » .

ـ 817 ـ

علي بن محمد النهاوندي النحوي : روى عن جنادة أبي أسامة وعن أبي يوسف أحمد بن الحسين[2] عن المبرد .

---

817 ـ ترجمته في بغية الوعاة 2: 205 (عن ياقوت) .

....

(1) سؤالات : حميد .

(2) ك : بن الحسن .

ـ 818 ـ

علي بن محمد بن الحسن الهروي: والد أبي سهل محمد بن علي الهروي الذي يكتب « الصحاح » ، وقد ذكر في بابه : وكان أبو الحسن هذا عالماً بالنحو إماماً في الأدب جيد القياس صحيح القريحة حسن العناية بالآداب ، وكان مقيماً بالديار المصرية ، وله تصانيف منها : كتاب الذخائر في النحو نحو أربع مجلدات رأيته بمصر بخطه . وكتاب الأزهية شرح فيه العوامل والحروف[1] ، وهما كتابان جليلان أبان فيهما عن فضله .

ـ 819 ـ

علي بن محمد بن أبي الحسين الأندلسي، أبو الحسن الكاتب: مشهور بالأدب والشعر وله كتاب في التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ، كان في أيام الدولة العامرية وعاش الى أيام الفتنة ، ذكره الحميدي .

ـ 820 ـ

علي بن محمد بن العباس أبو حيان التوحيدي: شيرازي الأصل ، وقيل نيسابوري ، ووجدت بعض الفضلاء يقول له الواسطي ، صوفي السمت والهيئة وكان

818 ـ ترجمته في إنباه الرواة 2 : 311 والوافي 22 : 163 وبغية الوعاة 2 : 205 .

819 ـ جذوة المقتبس: 290 (بغية الملتمس رقم: 1194) والصلة: 392 وزاد ابن بشكوال أنه من أهل قرطبة ، روى عن القاضي أبي أيوب بن عمرون وأحمد بن سيد وأبي سليمان عبد السلام بن السمح الزهراوي وصاعد اللغوي ، وحدث عنه أبو بكر المصحفي .

820 ـ ترجمة التوحيدي في : شدّ الازار : 53 وتهذيب الأسماء واللغات 2 : 223 وابن خلكان 5 : 112 وسير الذهبي 17 : 119 وميزان الاعتدال 4 : 518 وعيون التواريخ 12 : 216 والوافي 22 : 39 (وفيه نقل عن ياقوت) وطبقات السبكي 5 : 286 وطبقات الاسنوي 1 : 301 ولسان الميزان 7 : 38 وبغية الوعاة 2 : 190 وطبقات ابن هداية الله: 114 والبلغة: 162 والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد: 196 (وزاد في نسبه « أحمد » قبل « العباس » وأورد له بيتين من الشعر) واشارة التعيين: 226 وقد كتبت عنه =

(1) طبع كتاب الأزهية بتحقيق الأستاذ عبد المعين الملوحي ، وصدر عن مجمع اللغة العربية بدمشق 1971 .

يتأله والناس يقولون[1] في دينه ، قدم بغداد فأقام بها مدة ، ومضى إلى الريّ وصحب الصاحب أبا القاسم إسماعيل بن عباد وقبله أبا الفضل ابن العميد فلم يحمدهما ، وعمل في مثالبهما كتاباً ، وكان متفنناً في جميع العلوم من النحو واللغة والشعر والأدب والفقه والكلام على رأي المعتزلة ، وكان جاحظياً يسلك في تصانيفه مسلكه ويشتهي أن ينتظم في سلكه ، فهو شيخٌ في الصوفية ، وفيلسوف الأدباء ، وأديب الفلاسفة ، ومحقق الكلام ، ومتكلم المحققين ، وإمام البلغاء ، وعمدة لبني ساسان ، سخيف اللسان، قليل الرضى عند الإساءة إليه والإحسان، الذمُّ شانه والثلبُ دكانه، وهو مع ذلك فردُ الدنيا الذي لا نظير له ذكاءً وفطنةً وفصاحة ومكنة ، كثير التحصيل للعلوم في كلِّ فن حفظه ، واسع الدراية والرواية ، وكان مع ذلك محدوداً محارَفاً يتشكّى صَرْفَ زمانه ، ويبكي في تصانيفه على حرمانه . ولم أر أحداً من أهل العلم ذكره في كتاب ولا دمجه في ضمن خطاب ، وهذا من العجب العجاب ، غير أن أبا حيان ذكر نفسه في « كتاب الصديق والصداقة » وهو كتاب حسن نفيس بما قال فيه[2] : كان سبب إنشاء هذا الكتاب « الرسالة في الصديق والصداقة » أني ذكرت منها شيئاً لزيد بن رفاعة أبي الخير ، فنماه إلى ابن سعدان أبي عبد الله سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة قبل تحمله عبء[3] الدولة وتدبيره أمر الوزارة ، فقال لي ابن سعدان : قال لي عنك زيد كذا وكذا ، قلت : قد كان ذاك ، فقال لي : دوّن هذا الكلام وصله بصلاته مما يصح عندك لمن تقدم ، فإن حديثَ الصديق حلو ، ووصفَ الصاحب المساعد مطرب . فجمعتُ ما في هذه الرسالة وشُغِلَ عن ردِّ القول فيها وبطؤت أنا عن تحريرها إلى أن كان من أمره

كتب وبحوث كثيرة في العصر الحديث بالعربية وغيرها من اللغات ، يضيق المجال هنا عن حصرها ؛ وقد حاول محقق « المقابسات » حصر أسماء كتبه فخلطها بكتب أبي حيان أثير الدين الجياني الأندلسي .

....

(1) هذه هي رواية ك ، وهي تتفق مع ما روّجه عنه ابن الجوزي والذهبي وغيرهما حتى إن الذهبي افتتح ترجمته في سير أعلام النبلاء بقوله « الضالّ الملحد » ؛ وفي م والوافي : والناس على ثقة من دينه ، والله أعلم بحقيقة حاله .

(2) الصداقة والصديق : 8 .

(3) ك : أعباء .

ما كان ، فلما كان هذا الوقت وهو رجب سنة أربعمائة عثرت على المسودة وبيضتها (وهذا دليل على بقائه إلى بعد الأربعمائة) .

وفي « كتاب الهفوات » لابن الصابىء[1] : وحكى أبو حيان قال : حضرتُ مائدة الصاحب ابن عباد فَقُدِّمَتْ مضيرةٌ فأمعنت فيها ، فقال لي : يا أبا حيان إنها تضرُّ بالمشايخ ، فقلت : إن رأى الصاحبُ أن يدعَ التطببَ على طعامه فعل ، فكأني ألقمته حجراً وخجل واستحيا ولم ينطقْ إلى أن فرغنا .

ولأبي حيان تصانيف كثيرة منها : كتاب رسالة الصديق والصداقة . كتاب الردّ على ابن جني في شعر المتنبي . كتاب الامتاع والمؤانسة جزءان . كتاب الاشارات الآلهية جزءان . كتاب الزلفة جزء . كتاب المقابسة . كتاب رياض العارفين . كتاب تقريظ الجاحظ . كتاب ذم الوزيرين . كتاب الحج العقلي إذا ضاق الفضاء عن الحج الشرعي . كتاب الرسالة في صلات الفقهاء في المناظرة . كتاب الرسالة البغدادية . كتاب الرسالة في أخبار الصوفية . كتاب الرسالة الصوفية أيضاً . كتاب الرسالة في الحنين إلى الأوطان . كتاب البصائر وهو عشر مجلدات كلّ مجلد له فاتحة وخاتمة . كتاب المحاضرات والمناظرات[2] .

قال أبو حيان في « كتاب المحاضرات » : كنت بحضرة أبي سعيد السيرافي فوجدت بخطه على ظهر « كتاب اللمع في شواذ التفسير » وكان بين يديه فأخذته ونظرتُ قال : ذم أعرابي رجلاً فقال : ليس له أولٌ يحملُ عليه ولا آخر يرجع إليه ولا عقلٌ يزكو به عاقل لديه ، وأنشد :

حسبتُكَ إنساناً على غير خبرةٍ	فكشَّفْتَ عن كلبٍ أكبَّ على عظمِ

لحا الله رأياً قاد نحوك همتي	فأعقبني طول المقام على الذمِ

---

(1) الهفوات : 342 .

(2) قد نشر من كتبه : الامتاع والمؤانسة (3 أجزاء) وما وجد من البصائر (وهو بتحقيق الدكتورة وداد القاضي تسعة أجزاء) وما وجد من الاشارات الالهية (جزء وبعض الثاني) والمقابسات والهوامل والشوامل وأخلاق الوزيرين الذي يسمّى أحياناً مثالب الوزيرين أو ذم الوزيرين وبعض رسائله مثل رسالة السقيفة ورسالة الحياة ورسالة في الكتابة ورسالة في تصنيف العلوم . . . .

فقال لي : يا أبا حيان ما الذي كنت تكتب ؟ قلت : الحكاية التي على ظهر هذا الكتاب ، فأخذها وتأملها وقال : تأبى إلا الاشتغالَ بالقدح والذم وثلب الناس ، فقلت : أدام الله الامتاع به شُغْلُ كلِّ إنسان بما هو مبتلًى به مدفوع إليه .

قال أبو حيان: وقصدت مع أبي زيد المروزي دار أبي الفتح ذي الكفايتين فمنعنا من الدخول عليه أشدَّ منع ، وذكر حاجبه أنه يأكل الخبز ، فرجعنا بعد أن قال أبو زيد للحاجب : أجلسنا في الدهليز إلى أن يفرغ من الأكل ، فلم يفعل ، فلما انصرفنا خزايا أنشأ يقول متمثلاً[1] :

على خبزِ إسماعيل واقيةُ البخلِ فقد حلَّ في دارِ الأمانِ من الأكلِ
وما خبزه إلاّ كآوى يُرَى ابنُهُ ولم يُرَ آوى في الحزونِ ولا السهلِ
وما خبزُهُ إلا كعنقاءَ مُغْربٍ تُصَوَّرُ في بُسْطِ الملوكِ وفي المثلِ
يُحَدِّثُ عنها الناسُ من غير رؤيةٍ سوى صورةٍ ما إن تُمرُّ ولا تُحلي

قال أبو حيان وأنشدنا أبو بكر القومسي الفيلسوف ، وكان بحراً عجاجاً وسراجاً وهاجاً ، وكان من الضرّ والفاقة ومقاساة الشدة والاضاقة بمنزلة عظيمة ، عظيمَ القدر عند ذوي الأخطار منحوسَ الحظّ منهم ، متهماً في دينه عند العوام مقصوداً من جهتهم ، فقال لي يوماً : ما ظننتُ أن الدنيا ونكدها تبلغ من إنسان ما بلغ مني ، إن قصدتُ دجلة لأغتسلَ منها نضب ماؤها ، وإن خرجت إلى القفار لأتيمم بالصعيد عاد صلداً أملس ، وكأنّ العطويّ ما أراد بقصيدته غيري وما عني بها سواي . ثم أنشدنا للعطوي :

من رماه الإله بالإقتارِ وطلابِ الغنى من الأسفارِ
هو في حيرةٍ وضنك وإفلا سٍ وبؤسٍ ومحنةٍ[2] وَصَغارِ
يا أبا القاسم الذي أوضح الجو دُ إليه مقاصدَ الأحرارِ
خذ حديثي فانّ وجهي مذ بار ز[3] هذا الأنامَ في ثوب قارِ

(1) الشعر لأبي نواس ، انظر ديوانه : 683 (تحقيق بهجت عبد الغفور الحديثي) والمهجو هو إسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت .

(2) ك : ومهنة .

(3) بارز : فوقها في ك علامة خطأ .

وهـو للسـامعين أطيبُ مـن نفـ ـحِ نسيم الـرياضِ غبَّ القـطارِ
هجم البـردُ مسرعـاً ويـدي صِفْـ ـرٌ وجـسمـي عـارٍ بغيـرِ دثـارِ
فتستـرتُ منـه طـولَ التشـاريـ ـنِ إلـى أن تهـتكـت أستـاري
ونسجتُ الأطمـار بـالخيط والابـ ـرةِ حتى عـريتُ من أطمـاري
وسعى القمـلُ في دروز قميصي من صغـار مـا بينـهم وكبـارِ
يتسـاعـون مـن ثيـابـي إلى رأ سي قـطاراً يجـول بعـد قـطارِ
ثم وافى كـانـونُ واسـودَّ وجهي وأتـاني مـا كـان منـه حـذاري
لـو تـأملتَ صـورتي ورجـوعي حين أُمسي إلـى ربـوعٍ قفـارِ
أنـا وحدي فيـه وهل فيـه فضـلٌ لـجـلوسِ الأنـيسِ والـزوّارِ
والخـلا لا يـراد فيـه فمـا لي أبـداً حـاجـةٌ إلـى حـفّـارِ
بـل يـراد الخـلا لمنحـدر النجـ ـو ومـا ذقتُ لقمـةً في الـدارِ
وإذا لم تَـدُرْ على المـطعم الأفـ ـواهُ سُـدَّتْ مشـاعبُ الأجحـارِ

وقلت له يوماً : لو قصدتَ ابن العميد وابن عباد عسى تكون من جملة من يُنْفَقُ عليهما ويحظى لديهما ، فأجابني بكلام منه : معاناةُ الضرِّ والبؤس أولى من مقاساة الجهال والتيوس ، والصبر على الوخم الوبيل أولى من النظر إلى محيا كل ثقيل ، ثم أنشأ يقول :

بيني وبين لئـام النـاسِ مَعتبـةٌ ما تنقضي وكرامُ النـاسِ إخواني
إذا لقيـتُ لئيـمَ القـومِ عـنَّفـني وإن لقيـتُ كـريمَ القـوم حيـاني

وقلت له : هل تعرف في معنى قصيدة العطوي أخرى ؟ قـال : نعم قصيدة الحرّاني صاحب المأمون ، فقلت : لو تفضلتَ بانشادها ، فقال : خذ في حديث من أقبلتْ عليه دنياه وتمكنَ فيها من مناه ، ودع حديثَ الحُرْفِ والعسر والشؤم والخُسْرِ تطيراً إن لم ترفضه تأدباً ، فقلت له : ما أعرفُ لكَ شريكاً فيما أنت عليه وتتقلّب فيه وتقاسيه سواي ، ولقد استولى عليَّ الحرفُ وتمكن مني نَكَدُ الزمان إلى الحدِّ الذي لا أسترزق مع صحة نقلي وتقييد خطي وتزويق نسخي وسلامته من التصحيف والتحريف

بمثل ما يسترزق البليد الذي يمسخُ النسخَ ويفسخُ الأصل والفرع . وقصدت ابنَ عبادٍ بأملٍ فسيحٍ وصدر رحيب ، فقدَّم إليَّ رسائله في ثلاثين مجلدة على أن أنسخها له ، فقلت : نسخُ مثله يأتي على العمر والبصر ، والوراقةُ كانت موجودةً ببغداد ، فأخذ في نفسه عليَّ من ذلك ، وما فزتُ بطائل من جهته . فقال : بلغني ذلك ، فقلت له : ولو كان شيئاً يرتفع من اليد بمدةٍ قريبة لكنتُ لا أتعطَّلُ وأتوفر عليه ، ولو قرَّر معي أجرةَ مثله لكنتُ أصبر عليه ، فليس لمن وقع في شرِّ الشباك وعين الهلاك إلا الصبر .

قال أبو حيان : ودخلت على الدلجي بشيراز وكنت قد تأخرت عنه أياماً ، وهذا الكتاب يعني « كتاب المحاضرات » جمعته له بعد ذلك ولأجله أتعبتُ نفسي ، فقال لي : يا أبا حيان من أين ؟ فقلت :

إذا شئت أن تُقْلَى فـزرْ متـواتـراً وان شئتَ أن تزداد حبًّا فـزر غبا

وهذا الملالِ ظهر لي منه وقليلِ إعراضٍ ، أعرض عني في يوم ، فقال لي : ما هذا البيتُ إلا بيت جيد يعرفه الخاص والعام ، وهو موافق لما يذكر أن النبي ﷺ قال : زر غباً تـزدد حباً ، فلو كان لهذا البيت أخوات كان أحسنَ من أن يكون فرداً ، قلت : فله أخوات ، قال : فأنشدني ، قلت : لا أحفظها ، قال : فأخرجها ، قلت : لا أهتدي إليها ، قال : فمن أين عرفتها ؟ قلت : مَرَّتْ بي في جملة تعليقات ، قال : فاطلبها لأقدّم رسمك ، قلت : فقدمه الآن على شريطة أنه إذا جاء الوقت المعتاد إطلاقه فيه كـلَّ سنة أَطلقتَهُ أيضاً ، قـال : أفعل ، قلت : فخـذهـا الآن : سمعت العروضي أبا محمد يقول : دخل بعضُ الشعراء على عيسى بن موسى الرافقي وبين يديه جارية يقال لها خلوب ، فقال لها : اقترحي عليه ، فقالت :

إذا شئتَ أن تُقْـلَى فـزر متـواتـراً وإن شئتَ أن تـزداد حبًّـا فـزر غبـا

أجزه بأبيات تليق به فأنشد :

بـقـيتُ بـلا قـلـب فـإنّيَ هـائـمٌ فهـل من معيرٍ يـا خلوبُ لكم قلبـا
حلفتُ بـربِّ البيت أنّـك منيتـي فكـوني لعيني ما نـظرتُ بهـا نصبـا
عسى اللّه يوماً أن يـرينيك خـالياً فيـزدادَ لحظي من محـاسنكم عجبا
إذا شئت أن تُقْـلَى فـزر متـواتـراً وإن شئتَ أن تـزداد حبـاً فـزر غبـا

فأنجز لي ما وعد ، ووفى بما شرط ، وكان يَنْفُقُ عليه سوق العلم ، مع جنونٍ كان يعتريه ويتخبط في أكثر أوقاته فيه ، وليتَ مع هذه الحالة خلَّف لنفسه شكلاً أو نرى له في وقتنا هذا مثلاً ، بارت البضائع ، وثارت[1] البدائع ، وكسد سوق العلم ، وخمد ذكر الكرم ، وصار الناس عبيدَ الدرهم بعد الدرهم .

وكان أبو حيان قد أحرق كتبه في آخر عمره لقلة جدواها وضناً بها على من لا يعرفُ قدرها بعد موته ، فكتب إليه القاضي أبو سهل علي بن محمد يعذله على صنيعه ، ويعرِّفه قُبْحَ ما اعتمد من الفعل وشنيعه ، فكتب إليه أبو حيان يعتذر من ذلك :

« حرسك الله أيها الشيخ من سوء ظني بمودتك وطول جفائك ، وأعاذني من مكافأتك على ذلك ، وأجارنا جميعاً مما يسود وجهَ عهدٍ إن رعيناه كنا مستأنسين به ، وإن أهملناه كنا مستوحشين من أجله ، فأدام الله نعمته عندك وجعلني على الحالات كلها فداك . وافاني كتابك غير محتسب ولا متوقَّع ، على ظمإٍ بَرْحٍ مني إليه ، وشكرتُ اللّه تعالى على النعمة به عليَّ ، وسألته المزيدَ من أمثاله الذي وصفت فيه بعد ذكر الشوق إليّ والصبابة نحوي وما نال قلبك والتهب في صدرك من الخبر الذي نمي إليك فيما كان مني من إحراق كتبي النفيسة بالنار وغسلها بالماء ، فعجبتُ من انزواء وجهِ العذرِ عنك في ذلك ، كأنك لم تسمع قارئاً يقرأ قوله جلّ وعز : ﴿ كُلُّ شيْءٍ هَالِكٌ إلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجعُون ﴾ (القصص: 88) وكأنك لم تأبه لقوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ (الرحمن: 26) وكأنك لم تعلم أنه لا ثباتَ لشيء من الدنيا وإن كان شريفَ الجوهر كريم العنصر ما دام مقلَّباً بيد الليل والنهار ، معروضاً على أحداث الدهر وتعاور الأيام ، ثم إني أقول : إن كان ـ أيدك الله ـ قد نَقَبَ خفَّك ما سمعتَ فقد أُدمي أظلّي ما فعلتُ ، فليهنْ عليك ذلك فما انبريتُ له ولا اجترأتُ عليه حتى استخرتُ اللّه عز وجل فيه أياماً وليالي ، وحتى أوحى إليَّ في المنام بما بعث راقدَ العزم ، وأجدَّ فاتر النية ، وأحيا ميتَ الرأي ، وحثَّ على تنفيذ ما وقع في الرُّوع وتريَّع في الخاطر ، وأنا أجودُ عليك الآن بالحجة في ذلك إن طالبتَ ، أو بالعذر إن استوضحت ، لتثق بي فيما كان مني ، وتعرفَ صنع الله تعالى في ثنيه لي » .

---

(1) لعلّ الصواب «وغارت» .

«إن العلمَ حاطك الله يراد للعمل، كما أن العملَ يراد للنجاة، فإذا كان العملُ قاصراً عن العلم كان العلم كلاًّ على العالم، وأنا أعوذُ بالله من علم عاد كلاًّ وأورث ذلاًّ وصار في رقبة صاحبه غلاًّ ، وهذا ضربٌ من الاحتجاج المخلوط بالاعتذار . ثم اعلم ـ علمك الله الخير ـ أن هذه الكتب حوت من أصناف العلم سرَّه وعلانيته ، فأما ما كان سرًّا فلم أجدْ له من يتحلَّى بحقيقته راغباً ، وأما ما كان علانية فلم أُصِبْ من يحرصُ عليه طالباً، على أني جمعتُ أكثرها للناس ولطلب المثالة[1] منهم، ولعقد الرياسة بينهم ولمدِّ الجاه عندهم ، فحرمت ذلك كله ، ولا شكَّ في حسن ما اختاره الله لي وناطه بناصيتي وربطه بأمري ، وكرهتُ مع هذا وغيره أن تكون حجةً عليَّ لا لي . ومما شحذ العزم على ذلك ورفع الحجاب عنه أني فقدت ولداً نجيباً ، وصديقاً حبيباً ، وصاحباً قريباً ، وتابعاً أديباً ، ورئيساً مثيباً ، فشق عليَّ أن أدعها لقوم يتلاعبون بها ويدنّسون عرضي إذا نظروا فيها ، ويشمتون بسهوي وغلطي إذا تصفحوها ، ويتراءون نقصي وعيبي من أجلها ، فإن قلت : ولم تَسِمُهُمْ بسوءِ الظن وتقرِّعُ جماعتهم بهذا العيب ؟ فجوابي لك أن عياني منهم في الحياة هو الذي يُحقق ظنّي بهم بعد الممات ، وكيف أتركها لأناسٍ جاورتهم عشرين سنة فما صحَّ لي من أحدهم ودادٌ ولا ظهر لي من إنسان منهم حفاظ ، ولقد اضطررتُ بينهم بعد الشهرةِ والمعرفة في أوقاتٍ كثيرة إلى أكل الخضراوات في الصحراءِ ، وإلى التكففِ الفاضح عند الخاصة والعامة ، وإلى بيع الدين والمروءة ، وإلى تعاطي الرياء بالنفاق والسمعة ، وإلى ما لا يحسنُ بالحرِّ أن يرسمه بالقلم ، ويطرح في قلب صاحبه الألم ، وأحوال الزمان باديةٌ لعينك ، بارزةٌ بين مسائك وصباحك ، وليس ما قلتُهُ بخافٍ عليك مع معرفتك وفطنتك وشدة تتبعك وتفرغك . وما كان يجب أن ترتاب في صواب ما فعلته وأتيته ، بما قدَّمته ووصفته وبما أمسكت عنه وطويته ، إما هرباً من التطويل وإما خوفاً من القال والقيل . وبعدُ فقد أصبحتُ هامةَ اليوم أو غد ، فإني في عشر التسعين ، وهل لي بعد الكبرةِ والعجز أملٌ في حياة لذيذة أو رجاء لحال جديدة ، ألستُ من زمرة من قال القائل فيهم :

نروح ونغدو كلَّ يوم وليلة   وعما قليلٍ لا نروحُ ولا نغدو

(1) المثالة : حسن الحال .

وكما قال الآخر :

تفـوَّقتُ درَّاتِ الصبا في ظـلالـه إلى أن أتـاني بـالفـطامِ مشيبُ

وهذا البيت للورد الجعدي[1] ، وتمامه يضيق عنه هذا المكان » .

« والله يا سيدي لو لم أتعظ إلا بمن فقدتُهُ من الاخوان والأخـدان ، في هذا الصقع ، من الغرباء والأدباء والأحبّاء لكفى ، فكيف بمن كانت العينُ تَقَرُّ بهم والنفسُ تستنير بقربهم ، فقدتهم بالعراق والحجاز والجبل والريّ وما والى هذه المـواضع ، وتواتر إليّ نعيهم واشتدَّت الواعيةُ بهم ، فهل أنا إلا من عنصرهم ؟ وهل لي محيدٌ عن مصيرهم ؟ أسألُ الله تعالى ربَّ الأولين أن يجعلَ اعترافي بما أعرفه موصولاً بنزوعي عما أقترفه ، إنه قريب مجيب » .

« وبعد فلي في إحراقِ هذه الكتب أسوة بأئمة يُقْتَدَى بهم ويؤخَذُ بهديهم وَيُعْشَى إلى نارهم ، منهم أبو عمرو بن العلاء ، وكان من كبار العلماء مع زهدٍ ظاهر وورع معروف ، دفن كتبه في بطن الأرض فلم يوجدْ لها أثر . وهذا داود الطائي ، وكان من خيار عباد الله زهداً وفقهاً وعبادة ، ويقال له تاجُ الأمة ، طرح كتبه في البحر وقـال يناجيها : نعم الدليلُ كنتِ ، والوقوفُ مع الدليل بعد الـوصولِ عنـاءٌ وذهول وبـلاءٌ وخمول . وهذا يوسف بن أسباط ، حمل كتبه إلى غارٍ في جبل وطرحها فيه وسدَّ بابه ، فلما عوتب على ذلك قال : دلَّنا العلمُ في الأول ثم كاد يُضلّنا في الثاني ، فهجرناه لوجه من وصلناه ، وكرهناه من أجل من أردناه . وهذا أبو سليمان الداراني جمع كتبه في تنور وسجرها بالنار ثم قال : والله ما أحرقتك حتى كدتُ أحترقُ بك . وهذا سفيان الثوري مزَّق ألفَ جزءٍ وطيَّرها في الريح وقال : ليت يدي قُطعَتْ من هاهنا بل من هاهنا ولم أكتب حرفاً . وهذا شيخنا أبو سعيد السيرافي سيد العلماء قال لولده محمد : قد تركتُ لك هذه الكتب تكتسبُ بها خيرَ الآجل ، فإذا رأيتها تخونك فاجعلها طعمةً للنار » .

« وماذا أقول بعد هذا ، وبماذا تقابلني بعـد ذلك ، سـوى أني أقول وسـامعي يصدق : إن زماناً أحوج مثلي إلى ما بلغك لزمانٌ تدمعُ له العينُ حزناً وأسى ، ويتقطّعُ عليه القلبُ غيظاً وجوى وضنى وشجى ، وما نصنع بما كان وحدث وبان ، إن احتجت

(1) مرَّ له ذكر في الحماسة البصرية 2 : 184 وله في « الزهرة » أبيات على وزن هذا البيت ورويّه .

إلى العلم في خاصة نفسي فالقليل والله تعالى شافٍ كاف ، وإن احتجتُ إليه للناس ففي الصدر منه ما يملأ القرطاس بعد القرطاس إلى أن تفنى الأنفاسُ بعد الأنفاس ، وذلك من فضل الله تعالى علـيَّ ﴿ ولٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الجاثية: 26) فلم تُعَنَّى عيني ـ أيدك اللّه ـ بعد هذا بالحبر والورق والجلد والقراءة والمقابلة والتصحيح ، وبالسواد والبياض ؟ وهل أدرك السلفُ الصالحُ في الدين الدرجاتِ العلى إلا بالعمل الصالح والاخلاص المعتقد والزهد الغالب في كلٍّ ما راق من الدنيا وخدع بالزبرج وهوى بصاحبه إلى الهبوط ؟ وهل وصل الحكماءُ القدمـاءُ إلى السعادة العـظمى إلا بالاقتصاد في السعي وإلا بالرضى بالميسور وإلا ببذل ما فضل عن الحاجة للسائـل والمحروم ؟ فأين يُذْهَبُ بنا وعلي أيِّ باب نحطُّ رحالنا ؟ وهل جامعُ الكتب إلا كجامع الفضة والذهب ، وهل المنهومُ بها إلا كالحريص الجشع عليهما؟وهل المغرم بحبها إلا كمكاثرهما ؟ هيهات !! الرحيلُ والله قريبٌ والثواءُ قليل ، والمضجع مُقِضٌ والمقام مُمِضٌ ، والطريقُ مَخوفٌ والمعينُ ضعيف ، والاغترارُ غالب ، والله من وراء هذا كلّه طالب ، نسأل الله تعالى رحمةً يظلنا جناحها ، ويسهل علينا في هذه العاجلة غدوها ورواحها، فالويل كل الويل لمن بعد عن رحمته بعد أن حصل تحت قدره، فهذا هذا».

« ثم إني ـ أيدك الله ـ ما أردتُ أن أجيبك عن كتابك لطول جفائك وشدة التوائك عمن لم يزلْ على رأيك ، مجتهـداً في محبتك على قربك ونأيك ، مع ما أجده من انكسار النشاط ، وانطواء الانبساط ، لتعاور العلل عليّ ، وتخاذل الأعضاء مني ؛ فقد كلَّ البصرُ وانعقد اللسان ، وجمد الخاطرُ وذهب البيان ، وملك الـوسواسُ ، وغلب اليأسُ من جميع الناس ، ولكني حَرَسْتُ منكَ ما أضعتَه مني ، ووفيتُ لك بما لم تفِ به لي ، ويعزُّ عليَّ أن يكون لي الفضل عليك أو أحرزَ المزيةَ دونك ، وما حداني على مكاتبتك إلا ما أتمثله من تشوقك إليَّ وتحرقك عليَّ ، وأنَّ الحديثَ الذي بلغك قد بدَّد فكرك ، وأعظم تعجبك ، وحشد عليكَ جزعك ، والأول يقول :

وقـد يجزعُ المـرءُ الجليدُ وتبتلي ... عـزيمةَ رأي المـرءِ نائبـةُ الدهـر
تَعـاوَرُهُ الأيـامُ فيـمـا ينـوبُـهُ ... فيقوى على أمرٍ ويضعفُ عن أمرِ

على أنك لو علمتَ في أيِّ حالٍ غلب عليَّ ما فعلته ، وعند أي مرض ، وعلى أية عسرة وفاقة ، لعرفتَ من عذري أضعافَ ما أبديته ، واحتججتَ لي بأكثر ما نشرته

وطويته . وإذا أنعمت النظر تيقنتَ أن للّه جلّ وعزّ في خلقه أحكاماً لا يعازّ عليها ، ولا يغالب فيها ، لأنه لا يُبْلَغ كُنهها ، ولا يُنالُ غيبها ، ولا يُعْرَفُ قابها ولا يُقْرَعُ بابها ، وهو تعالى أمْلَكُ لنواصينا ، وأطلعُ على أدانينا واقاصينا ، له الخلقُ والأمر ، وبيده الكسرُ والجبر ، وعلينا الصمتُ والصبر ، إلى أن يوارينا اللحدُ والقبر ، والسلام».

« إن سرّك ـ جعلني الله فداك ـ أن تواصلني بخبرك ، وتعرفني مقرَّ خطابي هذا من نفسك فافعل ، فإني لا أدع جوابك إلى أن يقضي الله تعالى تلاقياً يسرُّ النفس ، ويذكّر حديثنا بالأمس ، أو بفراق نصيرُ به إلى الرمس ، ونفقد معه رؤية هذه الشمس ، والسلامُ عليك خاصاً بحقِّ الصفاءِ الذي بيني وبينك ، وعلى جميع إخوانك عامّاً بحقِّ الوفاءِ الذي يجب عليّ وعليك والسلام ».

وكتب هذا الكتاب في شهر رمضان سنة أربعمائة .

قال أبو حيان في « كتاب أخلاق الوزيرين »[1] من تصنيفه : طلع ابن عباد عليّ يوماً في داره وأنا قاعد في كسر إيوان أكتبُ شيئاً قد كان كأدني به ، فلما أبصرته قمتُ قائماً ، فصاح بحلقٍ مشقوق ، اقعدْ فالوراقون أخسُّ من أن يقوموا لنا ، فهممت بكلام ، فقال لي الزعفراني الشاعر[2] : اسكت فالرجل رقيع ، فغلب عليَّ الضحكُ واستحال الغيظ تعجباً من خفته وسخفه ، لأنه كان قد قال هذا وقد لوى شِدْقَه وشنّج أنفه وأمال عنقه ، واعترض في انتصابه ، وانتصب في اعتراضه ، وخرج في تفكك[3] مجنون قد أفلت من دير حَنون ، والوصفُ لا يأتي على كنه هذه الحال لأن حقائقها لا تدرك إلا باللحظ ولا يؤتى عليها باللفظ ، فهذا كلّه من شمائل الرؤساء وكلام الكبراء ، وسيرة أهل العقل والرزانة ؟! ، لا واللّه وترباً لمن يقول غير هذا .

وحدّث أبو حيان قال[4] قال الصاحب يوماً : فَعْلٌ وأفعالٌ قليل ، وزعم النحويون أنه ما جاء إلا زند وأزناد ، وفرخ وأفراخ ، وفرد وأفراد ، فقلت له : أنا أحفظ ثلاثين حرفاً كلها فَعْلٌ وأفعال ، فقال : هات يا مدعي ، فسردتُ الحروفَ ودللت على

(1) أخلاق الوزيرين : 141 .

(2) هو عمر بن ابراهيم شاعر عراقي له ترجمة في اليتيمة 3 : 311 .

(3) أخلاق : مَسْك .

(4) أخلاق الوزيرين : 222 .

مواضعها من الكتب ثم قلت : ليس للنحوي أن يلزم مثل هذا الحكم إلا بعد التبحر والسماع الواسع ، وليس للتقليد وجه إذا كانت الرواية شائعة والقياس مطرداً ، وهذا كقولهم فعيل على عشرة أوجه ، وقد وجدته أنا يزيد على أكثر من عشرين وجهاً وما انتهيتُ في التتبع إلى أقصاه ، فقال : خروجك من دعواك في فَعْل يدلنا على قيامك في فعيل ، ولكن لا نأذنُ لك في اقتصاصك ، ولا نهبُ آذاننا لكلامك ، ولم يفِ ما أتيتَ به بجرأتك في مجلسنا وتبسطك في حضرتنا ، فهذا كما ترى.

قال أبو حيان[1] : وأما حديثي معه - يعني مع ابن عباد - فإنني حين وصلت اليه قال لي : أبو من ؟ قلت : أبو حيان ، فقال : بلغني أنك تتأدب ، فقلت : تأدب أهل الزمان ، فقال : أبو حيان ينصرف أو لا ينصرف ؟ قلت : إن قبله مولانا لا ينصرف ، فلما سمع هذا تنمر وكأنه لم يعجبه ، وأقبل على واحد الى جانبه وقال له بالفارسية سفهاً على ما قيل لي ، ثم قال : الزم دارنا وانسخ هذا الكتاب ، فقلت : أنا سامعٌ مطيع . ثم إني قلت لبعض الناس في الدار مسترسلاً : إنما توجهتُ من العراق إلى هذا الباب ، وزاحمتُ منتجعي هذا الربع لأتخلّص من حرفة الشؤم ، فإن الوراقة لم تكن ببغداد كاسدة ، فنمي اليه هذا أو بعضه أو على غير وجهه فزاده تنكراً.

قال أبو حيان[2] : وقال لي ابن عباد يوماً يا أبا حيان من كنّاك بأبي حيان ؟ قلت : أجلّ الناس في زمانه وأكرمهم في وقته ، قال : ومن هو ويلك ؟ قلت : أنت ، قال : ومتى كان ذلك ؟ قلت : حين قلت يا أبا حيان من كناك أبا حيان ، فاضرب عن هذا الحديث وأخذ في غيره على كراهة ظهرت عليه.

قال وقال لي يوماً آخر[3] ، وهو قائم في صحن داره والجماعة قيام منهم الزعفراني ، وكان شيخاً كثير الفضل جيد الشعر ممتع الحديث ، والتميمي المعروف بسطل[4] وكان من مصر ، والأقطع وصالح الوراق وابن ثابت وغيرهم من الكتاب والندماء : يا أبا حيان هل تعرف فيمن تقدم من يكنى بهذه الكنية ؟ قلت : نعم من أقرب ذلك أبو حيان الدارميّ ، حدثنا أبو بكر محمد بن محمد القاضي الدقاق ، قال

---

(1) أخلاق الوزيرين : 305 .
(2) أخلاق الوزيرين : 307 .
(3) أخلاق الوزيرين : 307 .
(4) أخلاق : بسبطل .

حدثنا ابن الأنباريّ ، قال حدثنا أبي ، قال حدثنا ابن ناصح قال : دخل أبو الهذيل العلاف على الواثق فقال له الواثق : لمن تعرف هذا الشعر ؟

سبـاك من هـاشـمٍ سليـلُ ليس إلى وصـلِهِ سبيـلُ
من يتعـاطَ الصفـاتِ فيـه فـالقـولُ في وصفـه فضـولُ
للحسـن في وجهـه هـلالٌ لأعـيـنِ الـخلقِ لا يـزولُ
وطـرَّةٌ مـا يـزالُ فـيـهـا لنـورِ بـدرِ الـدجى مقيـلُ
ما اختال في صحن قصرِ أوسٍ الا تسجى[1] لـه قتيـلُ
فإن يقف فـالعيـونُ نَصْبٌ وإن تـولّـى فـهـن حـولُ

فقال أبو الهذيل : يا أمير المؤمنين هذا لرجلٍ من أهل البصرة يعرف بأبي حيان الدارميّ وكان يقول بإمامة المفضول ، وله من كلمة يقول فيها :

افضِّلُهُ واللّه قـدَّمـه عـلى صحـابته بعـد النبيِّ المكـرمِ
بـلا بغضـةٍ واللّه مني لغيـره ولـكنـه أولاهـمُ بـالتـقـدمِ

وجماعةٌ من أصحابنا قالوا : أنشد أبو قلابة عبد اللّه[2] بن محمد الرقاشي لأبي حيان البصريّ[3] :

يـا صاحبيَّ دعـا الملام وأقصـرا تـركُ الهوى يـا صـاحبيَّ خَسَارَهْ
كم لمتُ قلبي كي يفيقَ فقال لي لَـجَّتْ يـمـيـنٌ مـا لهـا كـفـاره
ألاَّ أفـيـقَ ولا أفـتّـر لـحـظةً إن أنت لم تعشقْ فـأنت حجـاره
الحبُّ أولُ مـا يـكـونُ بنـظرةٍ وكـذا الحـريق بـداؤه بشـراره
يـا من أحبُّ ولا أسمّي باسمهـا ايـاك اعني فـاسمعي يـا جـاره

فلما وفيتُ الشعر ورويتُ الاسناد وريقي بليل ، ولساني طلق ، ووجهي متهلل ، وقد تكلفت هذا وأنا في بقية من غرب الشباب وبعض ريعانه ، وملأت الدارَ صياحاً بالرواية والقافية ، فحين انتهيتُ أنكرتُ طرفه وعلمت سوء موقع ما رويت عنده قال :

---

(1) م : ليسجى ، ك : ليشجى . (2) أخلاق : عبد الملك . (3) نسبها الصفدي للتوحيدي .

ومن تعرف أيضاً ؟ قلت : ابن الجعابي الحافظ[1] يكنى بأبي حيان ، رجلُ صدقٍ وهو يروي عن التابعين . قال : ومن تعرف أيضاً ؟ قلت : روى الصوليّ فيما حدَّثنا عنه المرزباني أن معاوية لما احتضر أنشد يزيد عند رأسه متمثلاً :

لو أن حياً نجا لفاتَ أبو حيان لا عاجزٌ ولا وَكِلُ
الحوَّل القلْبُ الأريبُ وهل يدفعُ صَرْفَ المنية الحيلُ

قال الصوليّ : وهذا كان من المعمرين المعقلين[2] ، وانتهى الحديث من غير هشاشة ولا هزة ولا أريحية ، بل على اكفهرار وجهٍ ونبوّ طرف وقلة تقبل ، وجرت أشياءُ أخر كان عقباها أني فارقتُ بابه سنة سبعين وثلاثمائة راجعاً الى مدينة السلام بغير زادٍ ولا راحلة ، ولم يعطني في مدة ثلاث سنين درهماً واحداً ولا ما قيمته درهم واحد ، احملْ هذا على ما أردت . ولما نال مني هذا الحرمان الذي قصدني به ، وأحفظني عليه ، وجعلني من جميع غاشيته[3] فرداً أخذت أتلافى[4] ذلك بصدق القول عنه وسوء الثناء عليه ، والبادىء أظلم ، وللأمور أسباب ، وللأسباب أسرار ، والغيب لا مُطَّلَعَ عليه ولا قارعَ لبابه .

قال أبو حيان[5] قال لي الصاحب يوماً وهو يحدّث عن رجل أعطاه شيئاً فتلكأ في قبوله :

ولا بدَّ من شيء يعين على الدهر

ثم قال : سألت جماعة عن صدر هذا البيت فما كان عندهم ذلك ، فقلت : أنا أحفظ ذاك ، فنظر بغضب ، فقال : ما هو ؟ قلت : نسيت ، فقال : ما أسرعَ ذكرك من نسيانك، قلت: ذكرته والحالُ سليمة فلما استحالت عن السلامة نسيت، قال: وما حيلولتها ؟ قلت : نظر الصاحبُ بغضب ، فوجب في حسن الأدب ألا يقال ما يثير الغضب ، قال : ومن تكونُ حتى نغضبَ عليك ؟ دع هذا وهات ، قلت قول الشاعر :

---

(1) حاشية ك بخط الأصل: هذا لا أدري ما هو فإن القاضي الجعابي واسمه محمد بن عمر ، يكنى [أبا بكر] لا يختلف فيه فيما علمت أحد ، فإن كان أحد آبائه يكنى بهذا وكان في . . . ساقطاً فالله أعلم به

(2) م : المغفلين .

(3) ك : حاشيته .

(4) كذا في ك وأخلاق الوزيرين ؛ م : أملأ في .

(5) أخلاق الوزيرين : 463 .

أُلامُ على أخذِ القليلِ وإنما أصادفُ أقواماً أقلَّ من الذرِّ
فإن أنا لم آخذْ قليلاً حُرِمْتُهُ ولا بدَّ من شيءٍ يعين على الدهر

فسكت .

قال أبو حيان عند قربه من فراغ كتابه في ثلب الوزيرين ، وقد حكى عن ابن عباد حكايات وأسندها إلى من أخبره بها عنه، ثم قال[1]: فما ذنبي أكرمك الله إذا سألتُ عنه مشايخ الوقت وأعلامَ العصر فوصفوه بما جمعتُ لك في هذا المكان ؟ على أني قد سترتُ شيئاً كثيراً من مخازيه إما هرباً من الاطالة ، أو صيانةً للقلم عن رسم الفواحش وبث الفضائح وذكر ما يسمج مسموعُهُ وَيُكْرَهُ التحدثُ به ، هذا سوى ما فاتني من حديثه فإني فارقته سنة سبعين وثلاثمائة . وما ذنبي إن ذكرتُ عنه ما جرَّعنيه من مرارة الخيبة بعد الأمل ، وحملني عليه من الاخفاق بعد الطمع ، مع الخدمة الطويلة ، والوعد المتصل ، والظنِّ الحسن ، حتى كأني خُصِصْتُ بخساسته وحدي أو وجب أن أعامَلَ به دون غيري . قدَّم إليَّ نجاح الخادم ، وكان ينظر في خزانة كتبه ، ثلاثين مجلدة من رسائله وقال : يقولُ لك مولانا : انسخ هذا فإنه قد طُلِبَ منه بخراسان ، فقلت بعد ارتياع : هذا طويل ، ولكن لو أُذِنَ لي لخرجت منه فقراً كالغرر ، وشذوراً كالدرر ، تدور في المجالس كالشمامات والدستنبويات ، لو رُقي بها مجنونٌ لأفاق أو نُفِثَ على ذي عاهة لبرأ ، لا تُمَلُّ ولا تستغَثُّ ولا تعاب ولا تسترك ، فَرُفِعَ ذلك إليه وأنا لا أعلم فقال : طعن في رسائلي وعابها ، ورغب عن نسخها وأزرى بها ؟! والله لينكرنَّ مني ما عرف ، وليعرفنَّ حظه إذا انصرف ، حتى كأني طعنتُ في القرآن ، أو رميتُ الكعبة بخرق الحيض ، أو عقرتُ ناقةَ صالح ، أو سلحتُ في بئر زمزم ، أو قلتُ كان النظام مأبوناً[2] ، أو مات أبو هاشم في بيت خمار ، أو كان عباد معلم صبيان . وما ذنبي يا قومُ إذا لم أستطع أن أنسخ ثلاثين مجلدة من هذا الذي يستحسن هذا التكليف[3] حتى أعذره في لومي على الامتناع ؟ أينسخ إنسانٌ هذا القدر وهو يرجو بعدها أن يمتّعه الله ببصره أو ينفعه ببدنه ؟ ثم ما ذنبي إذا قال لي : من أين لك هذا الكلام المفوَّف المَشُوفُ الذي تكتب به إليّ في الوقت بعد الوقت ، فقلت : وكيف لا

(1) أخلاق الوزيرين : 492 .
(2) أخلاق : مانوياً .
(3) م : الكلب .

يكون كما وصف وأنا أقطف ثمار رسائله ، وأستقي من قَليب علمه ، وأشيمُ بارقة أدبه ، وأَرِدُ ساحل بحره ، وأستوكف قطر مزنه ، فيقول : كذبتَ وفجرتَ لا أمَّ لك ، ومن أين في كلامي الكدية والشحذ والتضرع والاسترحام ؟! كلامي في السماء وكلامك في السماد . هذا أيدك الله وإن كان دليلاً على سوء جدي فإنه دليلٌ أيضاً على انخلاعه وَخُرْقه وتسرّعه ولؤمه ، وانظر كيف يستحيلُ معي عن مذهبه الذي كان هو عرقَه النابضَ وسوسَه الثابتَ وديدنَهُ المألوف . وهلاّ أجراني مجرى التاجر المصري والشاذباشي[1] وفلان وفلان؟ بل ما ذنبي إذا قال لي: هل وصلت إلى ابن العميد أبي الفتح ؟ فأقول : نعم رأيته وحضرت مجلسه وشاهدت ما جرى له ، وكان من حديثه فيما مدح به كذا وكذا ، وفيما تقدم منه كذا وكذا ، وفيما تكلّفه من تقديم أهل العلم واختصاص أرباب الأدب كذا وكذا ، ووصل أبا سعيد السيرافي بكذا وكذا ، ووهب لأبي سليمان المنطقي كذا وكذا ، فيزوي وجهه وينكر حديثه وينجذب[2] إلى شيء آخر ليس مما شرع فيه ولا مما حرك له ، ثم يقول : أعلم أنك إنما انتجعته من العراق ، فاقرأ عليَّ رسالتك التي توسَّلْتَ إليه بها وأسهبتَ مقرظاً له فيها فأتمانع ، فيأمر ويشدّد ، فأقرأها فيتغير[3] ويذهل ، وأنا أكتبها لك ليكون زيادة في الفائدة :

بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم هيّء لي من أمري رشداً ، ووفقني لمرضاتك أبداً ، ولا تجعل الحرمانَ عليَّ رصداً ، أقول وخير القول ما انعقد بالصواب ، وخيرُ الصواب ما تضمَّن الصدق ، وخير الصدق ما جلب النفع ، وخير النفع ما تعلّق بالمزيد ، وخير المزيد ما بدأ عن الشكر ، وخير الشكر ما بدأ عن إخلاص ، وخير الإخلاص ما نشأ عن إيقان ، وخير الايقان[4] ما صدر عن توفيق : لما رأيتُ شبابي هرماً بالفقر ، وفقري غنىً بالقناعة ، وقناعتي عجزاً عند أهل التحصيل ، عدلتُ إلى الزمان أطلبُ إليه مكاني فيه وموضعي منه ، فرأيت طرفه عني نابياً ، وعنانه عن رضاي منثنياً، وجانبه في مرادي[5] خشناً، وارتفاقي[6] في أسبابه نائياً، والشامت بي على

(1) لم ترد النسبة عند السمعاني وأقرب الصور إليها : الشاذباذي .

(2) ك : وينحذف .

(3) أخلاق : فيتقد .

(4) م : اتفاق . . . الاتفاق .

(5) ك : الأرض .

(6) أخلاق : وانفاقي ، وكذلك هي صورة الكلمة في ك

الحدثان متمادياً ، طمعت في السكوت تجلداً ، وانتحلتُ القناعةَ رياضة ، وتألفتُ شاردَ حرصي متوقفاً ، وطويتُ منشورَ أملي متنزهاً ، وجمعتُ شتيتَ رجائي سالياً ، وادَّرعت الصبر مستمراً ، ولبست العفاف محموداً[1] ، واتخذت الانقباض صناعة ، وقمت بالعلاء مجتهداً ، هذا بعد أن تصفحتُ الناسَ فوجدتهم أحدَ رجلين : رجلاً إن نطق نطق عن غيظ ودمنةٍ ، وإن سكتَ سكتَ عن ضغنٍ وإحنة ، ورجلاً إن بذل كدَّر بامتنانه بذله ، وإن منع حسَّن باحتياله بخله ، فلم يطلْ دهري في اثنائه متبرماً[2] بطول الغربة ، وشظف العيش ، وكلب الزمان ، وعجف المال ، وجفاءِ الأهل ، وسوءِ الحال ، وعادية العدوّ ، وكسوف البال ، منحرفاً[3] من الحنق على لئيم لا أجدُ مَصْرَفاً عنه ، منقطعاً من الشوق إلى كريم لا أجدُ سبيلاً إليه ، حتى لاحتْ لي غرةُ الأستاذِ فقلت : حلَّ بي الويلُ ، وسال بي السيل ، أين أنا عن ملك الدنيا ، والفلك الدائر بالنعمى ، أين أنا من مشرق الخير ومغرب الجميل ؟ أين أنا عن بدر البدور وسعد السعود ؟ أين أنا عمن يرى البخل كفراً صريحاً والافضالَ ديناً صحيحاً ؟ أين أنا عن سماء لا تفتر عن الهطلان ، وعن بحر لا يقذف إلا باللؤلؤ والمرجان ؟ أين أنا عن فضاءٍ لا يُشقّ غباره ، وعن حرمٍ لا يضام جاره ؟ أين أنا عن منهل لا صَدَرَ لفراطه ولا مَنْعَ لوراده ؟ أين أنا عن ذَوْبٍ لا شَوْبَ فيه ، وعن صددٍ لا حَذَدَ دونه ؟ بل أين أنا عمن أتى بنبوّة الكرم ، وإمامة الافضال ، وشريعة الجود ، وخلافة البذل ، وسياسة المجد بشيمةٍ مَشيمةِ البوارق ، ونفسٍ نفيسةِ الخلائق ؟ أين أنا عن الباع الطويل ، والأنف الأشم ، والمشرب العذب ، والطريق الأمم ؟ لم لا أقصدُ بلاده ؟ لم لا أقتدح زناده ؟ لم لا أنتجعُ جنابه وارعى مُراده ؟ لم لا أسكنُ ربعه ؟ لم لا أستدعي نفعه ؟ لم لا أخطبُ جوده واعتصر عنقوده[4] ؟ لم لا استمطر سحابه ؟ لم لا أستسقي ربابه ؟ لم لا أستميح نيله وأستسحبُ ذيله ؟ ولا أحجّ كعبته وأستلم ركنه ؟ لم لا أصلي إلى مقامه مؤتماً بامامه ؟ لم لا أسبح بثنائه[5] متقدساً ، لم لا أُحَكِّم في حال :

فتىً صيغ من ماءِ البشاشة[6] وجهُهُ ... فألفاظه جودٌ وأنفاسُهُ مجد

---

(1) م : صبا .
(2) ك : أبنائه ؛ م : متبرحاً .
(3) أخلاق : متضرماً .
(4) أخلاق : عوده .
(5) م : ببنانه .
(6) م : الشبيبة .

لم لا أقصدُ :

فتى النـاسِ للجـود فـي كفّـه من البحـر عينـان نضـاختـان

لم لا أمتري معروفَ :

فتى لا يبـالي أن يكـونَ بجسمـه إذا نـال خـلاتِ الكـرامِ شحـوبُ

لم لا أمدح :

فتىً يشتري حُسْنَ المقالِ[1] بروحه ويعلم أعقـابَ الأحـاديثِ في غـدِ

نعم ، لم لا أنتهي في تقريظ فتىً لو كان من الملائكة لكان من المقربين ، ولو كان من الأنبياء لكان من المرسلين ، ولو كان من الخلفاءِ لكان نعته : اللائذ بالله أو المنصف في الله أو المقتصد[2] بالله أو المنتصب لله أو الغاضب لله أو الغالب بالله أو المرضيّ لله أو الكافي بالله أو الطالب بحق الله أو المحيي لدين الله . أيها المنتجع قرن كـلأهِ ، المختبط ورق نعمته ، ارعَ عريضَ البطان متفيئاً بظله ، ناعم البال متعوذاً بعزه ، وعش رخي البال[3] معتصماً بحبله ، ولذ بذراه آمن السِّرب ، وامحضْ وده بانية القلب ، وَقِ نفسك من سطوته بحسنِ الحفاظ ، وتخير له ألطفَ المدح تفزْ منه بأيمن قِدْح ، ولا تحرمْ نفسك بقولـك إني غريبُ المثـوى نازح الـدار بعيد النسب منسيُّ المكان ، فإنك قريبُ الدار بالأمل ، داني النجح بالقصد ، رحيبُ الساحة بالمنى ، ملحوظُ الحال بالحسد ، مشهورُ الحديث بالدرك . واعلم علماً يلتحم باليقين ويدرأ من الشك أنه معروفُ الفخر بالمفاخر ، مأثورُ الأثر بالمآثر ، قد أصبح واحدَ الأنام ، تاريخ الأيامِ ، أسد الغياض يوم الوغى ، نورَ الرياض يوم الرضى ، ان حُرِّكَ عند مكرمة حرك غصناً تحت بارح ، وان دُعِيَ إلى اللقاء دعي ليثاً فوق سابح ، وقل إذا أتيته بلسان التحكم : أصلح أديمي فقد حلم ، وجدِّد شبابي فقد هرم ، وأنطق لساني بمدحك فقد حَصِر ، وافتح بصري بنعمتك فقد سَدِر ، واتلُ سورة الاخـلاص في اصطنـاعي فقد سردت صحائفَ النُّجحِ عند انتجاعي ، وَرِشْ عظمي فقد براه الزمان ، واكسُ جلدي فقد عرَّاه الحدثان ، وإياك أن تقول يا ملك الدنيا جُدْ لي ببعض الدنيا فإنه يحرمك ، ولكن قلْ يا ملك الدنيا هَبْ لي الـدنيا . اللهم فـأحي به بـلادك ، وانعش برحمتـه

(1) أخلاق : الثناء .

(2) أخلاق : المعتضد .

(3) أخلاق . اللب .

عبادك ، وبلّغه مرضاتك ، وأسكنه فردوسك ، وأدم له العزَّ النامي ، والكعبَ العالي ، والمجد التليد ، والجدَّ السعيد ، والحقَّ الموروث ، والخير المبثوث ، والولي المنصور ، والشانىء المبتور ، والدعوة الشاملة ، والسجيةَ الفاضلة ، والسربَ المحروس ، والربعَ المأنوس ، والجنابَ الخصيب ، والعدوّ الحريب ، والمنهلَ القريب ، واجعل أولياءه باذلين لطاعته ، ناصرين لأعزته ، ذابّين عن حرمه . [أيها الشمس المضيئة بالكرم] والقمر المنير بالجمال ، والنجم الثاقب بالعلم ، والكوكبُ الوقّاد بالجود ، والبحرُ الفياضُ بالمواهب ، سقط العشاءُ بعبدك على سرحك ، فاقره من نعمتك بما يضاهي قَدْرك وقدرتك ، وزوِّج هيئته تربها من الغنى فطالما خطب كُفْأها من المنى .

ثم يقال لي من بعد : جنيت على نفسك حين ذكرتَ عدوّه عنده بخير ، وبينت عنه، وجعلته سيد الناس، فأقول: كرهتُ أن يراني متدرئاً[1] على عرض رجل عظيم الخطر غير مكترث بالوقيعة فيه والانحاء عليه ، وقد كان يجوز أن أشعّثَ من ذلك شيئاً ، وأبري من أثلته جانباً ، وأطيّر إلى جنبه شرارة ، فيقال أيضاً : جنيتَ على نفسك ، وتركت الاحتياط في أمرك ، فإنه مقتك وعافك ، ورأى أنك في قولك عدوت طورك ، وجهلت قدرك ، ونسيت وزرك[2] وليس مثلك من هجم على ثلب من بلغ رتبةَ ذلك الرجل ، وأنك متى جسرت على هذا دربت[3] به وجعلت غيره في قَرَنه ، فإذا كانت هذه الحالات ملتبسة ، وهذه العواقب مجهولة ، فهل يدور العملُ بعدها إلا على الاحسان الذي هو علةُ المحبة ، والمحبة التي هي علة الحمد ، والاساءة التي هي علةُ البغض ، والبغض الذي هو علة الذم ، فهذا هذا .

قال[4] : وكان ابن عباد شديد الحسد لمن أحسن القول وأجاد اللفظ ، وكان الصوابُ غالباً عليه ، وله رفقٌ في سرد حديثٍ وَنيقَةٌ في رواية ، وله شمائلُ مخلوطةٌ بالدماثة بين الاشارة والعبارة ، وهذا شيء عام في البغداديين وكالخاصّ في غيرهم . حدَّثتُ ليلةً بحديث فلم يملك نفسه حتى ضحك واستعاده ، ثم قيل لي بعده إنه كان

---

(1) أخلاق : مندرياً ؛ م : متذرباً .

(2) أخلاق : وزنك .

(3) م : وزنت .

(4) أخلاق الوزيرين : 505 .

يقول : قاتل اللّه أبا حيان فانه نكد وإنه وإنه ، وأكره أن أرويَ ذمّي بقلمي ، وكان ذلك كلّه حسداً [محضاً] وغيظاً بحتاً ، وأنا أروي لك الحديثَ فانه في نهاية الطيب ، وفيه فكاهةٌ ظاهرة وعيٌّ عجيب في معرض بلاغة ظريفة في ملبس فهاهة . حدثني القاضي أبو الحسن الجرّاحيّ قال : لحقتني مرةً علةٌ صعبة ، فمن ظريف ما مرَّ على رأسي [أنه] دخل في جملة من عادني شيخ الشونيزية[1] ودوارة الحمار والتوثة وفقيهها أبو الجعد الأنباري ، وكان من كبار أصحاب البربهاري[2] ، فقال أول ما قعد : يقع لي فيما لا يقع إلا لغيري أو لمثلي فيمن كان كأنه مني أو كأنه كان على سني أو كان معروفاً بما لا يعرف به إلاي أني أرى أنك لا تحتمي إلا حمية فوق ما يجب ودون ما لا يجب . وبين فوق ما لا يجب ، وبين دون ما لا يجب فرق ، اللّه يعلم أنه لا يعلم أحد ممن يعلم أو لا يعلم الطب كله أن تحتمي حمية بين حميتين ، حمية كلا حمية ولا حمية كحمية ، وهذا هو الاعتدال والتعديل والتعادل والمعادلة ، قال الله تعالى : ﴿ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَاماً ﴾ (الفرقان: 67) وقال النبي ﷺ : خير الأمور أوسطها وشرها أطرافها . والعلةُ في الجملة والتفصيل إذا أدبرت لم تقبل ، وإذا أقبلت لم تدبر ، وأنت من إقبالها في خوف من إدبارها في التعجب ، وما يصنعُ هذا كله ؟ لا تنظر إلى اضطراب الحمية عليك ، ولكن انظر إلى جهل هؤلاء الأطباء الألباء الذين يشقون الشّعر شقاً ، ويدقون البعرَ دقاً ، ويقولون ما يدرون وما لا يدرونَ زرقاً وحمقاً ، وإلى قلة نصحهم مع جهلهم ، ولو لم يجهلوا إذا لم ينصحوا كان أحسنَ عند الله والملائكة ، ولو نصحوا إذا جهلوا كان أولى عند الناس وأشباه الناس ، والله المستعان ، وأنت في عافية ، ولكن عدوك ينظر إليك بعين الاست فيقول : وجهه وجه من قد رجع من القبر بعد غد ، وعلى كلِّ حال فالرجوعُ من القبر خير من الرجوع إلى القبر ، لعن اللّه القبر : لا خبّاز ولا بزاز ولا رزاز[3] ولا كواز ، إنا للّه وإنا إليه راجعون عن قريب إن شاء اللّه ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ (لقمان: 34) ﴿ ولا

---

(1) الشونيزية : مقبرة كانت بالجانب الغربي من بغداد .
(2) م : الزنهاري .
(3) أخلاق : دراز .

يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ (فاطر: 43) ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴾ (الشورى: 29) ﴿ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ ﴾ (فاطر: 27) تأمر بشيء ؟ السنة في العيادة ـ خاصة عيادة الكبار والسادة ـ التخفيف والتطفيف ، وأنا إن شاء الله عندك بالعشيّ . والحقّ والحق أقوام مما[1] يجب على مثلك لمثلي ، كأن ليس لك مثل ولا مثلي أيضاً مثل ، هكذا إلى باب الشام وإلى قنطرة الشوك وإلى المندفة[2] ، أقول لك المستوي[3] لا أنا ولا أنت اليوم ، كمثل كمثراتين إذا عتقتا[4] على رأس شجرة ، وكدلوين إذا خلقا على رأس بئر ، ودع ذا القارورة ، اليوم لا إله إلا الله ، وأمس كان سبحان الله ، وغداً يكون شيئاً آخر ، وبعد غدٍ ترى من ربك العجب ، والموتُ والحياة بعون اللّه ، ليس هذا مما يباع في السوق أو يوجد مطروحاً في الطريق ، وذاك أن الانسان ـ ولا قوة إلا بالله ـ طريف أعمى كأنه ما صحَّ له منام قط ، ولا خرج من السمّارية إلى الشط ، وكأنه ما رأى قدرةَ اللّه في البط ، إذا لفظ كيف يقول قط قط[5] ، والكلام في الانسان وعمى قلبه وسُخْنَةِ عينه كثير ؛ قل غفر له[6] ولا يسلم في هذه الدار إلا من عصر نفسه عصرةً ينشقّ منها فيموت كأنه شهيد ، وهذا صعبٌ لا يكون إلا بتوفيق الله وبعض خذلانه الغريب ، على اللّه توكلنا وإليه التفتنا ورضينا ، به استجرنا إن شاء أُخذ لنا[7] وإن شاء أطعمنا . قال القاضي : فكدتُ أموت من الضحك على ضعفي ، وما زال كلامه بهذا إلى أن خرجتُ على الناس وكان مع هذا لا يعيا ولا يكل ولا يقف ، وكان من عجائب الزمان . وختم أبو حيان كتابه « في أخلاق الوزيرين » بعد أن اعتذر عن فعله ثم قال[8] : اني لأحسد الذي يقول :

---

(1) اخلاق : وانوم بما .
(2) أخلاق : المبرزة .
(3) أخلاق : المثوى .
(4) أخلاق : عفنتا .
(5) أخلاق : إذا لفظ كيف يتقطقط .
(6) أخلاق : كثير لا يحمل تل عقرقوف .
(7) أخلاق : خزّانا .
(8) أخلاق الوزيرين . 549 .

أعـدّ خمسين حـولاً مـا عليَّ يـدٌ لأجنبيّ ولا فضـلٌ لـذي رحـمِ
الحمـدُ للّه شكـراً قـد قنعتُ فـلا أشكـو لئيماً ولا أطـري أخا كـرمِ

لأني كنتُ أتمنى أن أكونه ، ولكن العجز غالبٌ لأنه مبذور في الطينة ، ولقد أحسن الآخر حين قال :

ضَيَّقَ العـذرَ في الضـراعـةِ أنـا لـو قنعنـا بقسمنـا لكفـانـا
مـا لنـا نعبـد العبـاد إذا كـا ن إلـى اللّه فـقـرنـا وغـنـانـا

وأدعـو هـا هنا بما دعا به بعض النساك[1] : اللهم صُنْ وجوهنا باليسار ، ولا تبذلها بالاقتار ،فنسترزقَ أهل رزقك، ونسأل شر خلقك، ونبتلَى بحمد من أعطى وذم من منع ، وأنت من دونهم وليُّ الاعطاء ، وبيدك خزائن الأرض والسماء ، يا ذا الجلال والاكرام[2] .

ومن « كتاب المحاضرات » لأبي حيان قال : قصدت أنا والنصيبيّ رجلاً من أبناء النعم والموصوفين بالكرم ، لا يردّ سائليه ولا يخيّب آمليه ، والألسنُ متفقةٌ على جوده وتطوّله ، والعيونُ شاخصةٌ إلى عطاياه وفضله ، له في السنة مبارّ كثيرةٌ على أهل العلم وأهل البيوتات ومن قعد به الزمان وجفاه الاخوان ، فلم نصادفه في منزله ، وقصدناه ثانياً فمنعنا من الدخول إليه ، وقصدناه ثالثاً فذكر أنه ركب ، وقصدناه رابعاً فقيل هو في الحمام ، وقصدناه خامساً فقيل هو نائم ، وقصدناه سادساً فقيل عنده صاحب البريد وهو مشغولٌ معه بمهم ، وقصدناه سابعاً فذكر أنه رَسَمَ أن لا يؤذن لأحد ، وقصدناه ثامناً فذكر أنه يأكلُ ولا يجوز الدخول إليه بوجهٍ ولا سبب ، وقصدناه تاسعاً فذكر أن أحد أولاده سقط من الدرجة وهو مشغولٌ به عند رأسه ما يفارقه ، وقصدناه العاشر فذكر أنه مستعد لشرب الدواء ، وقصدناه الحادي عشر فذكر أنه تناول الدواء من يومين وما عمل

(1) ورد هذا الدعاء نفسه في خاتمة رسالة أبي حيان في العلوم .
(2) حاشية في ك ، بخط قريب من الأصل : هذا دعاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ونسخته : صن وجهي باليسار ولا تبذل جاهي بالاقتار ، فأسترزقَ طالبي رزقك ، وأستعطفَ شرار خلقك ، وأبتلي بحمد من أعطاني ، وأفتتن بذم من منعني ، وأنت من وراء ذلك كله وليّ الاعطاء والمنع ، إنك على كل شيء قدير ، روى ذلك السيد الرضي رضي اللّه عنه في نهج البلاغة .[ص 348 ـ 349 رقم: 225].

عملاً وقد قوّاه اليوم بما يحرك الطبيعة ، وقصدناه الثاني عشر فقيل إلى الآن كان جالساً ونهض في هذه الساعة ودخل إلى الحجرة ، وقصدناه الثالث عشر فقيل دعي إلى الدار لمهم ، وقصدناه الرابع عشر فألفيناه في الطريق يمضي إلى دار الامارة ، وقصدناه الخامس عشر فسهُل لنا الاذن ودخلنا في غمار الناس ، وإذا الناس على طبقاتهم جلوس ، وجماعةٌ قيام يرتبون الناسَ ويخدمونهم ، وقد اتفق له عزاء وَشُغْلٌ بغيرنا ، وبقينا في صورة من احتقان البول والجوع والعطش ، وما أُقمنا في جملةٍ من يقام ، فقال لي النصيبي : هذا اليوم الذي قد ظفرنا به وتمكنّا من دخول داره صار عظيم المصيبة علينا ليس لنا إلاّ مهاجرةُ بابه والاعراضُ عنه وقمعُ النفس الدنية بالطمع في غيره ، فقلت له : قد تعبنا وتبذلنا على بابه ، والأسبابُ التي اتفقت فمنعت من رؤيته كان عذراً واضحاً ، ويتفق مثل هذا ، فإذا انقضت أيام التعزية قصدناه ، وربما نلنا من جهته ما نأمله ، فقصدناه بعد ذلك أكثر من عشرين مرة وقلّما اتفق فيها رؤيته وخطابه ، حتى ملَّ النصيبي فقال : لو علمت أن داره الفردوس ، والحصول عنده الخلود فيها ، وكلامه رضى الله تعالى وفوز الأبد ، لما قصدته بعد ذلك ، وأنشأ يقول :

طلَبُ الكريم ندى يدِ المنكودِ ... كالغيث يُسْتَسْقَى من الجلمودِ
فافزع إلى عزِّ الفراغ ولُذْ به ... إن السؤالَ يريد وجه حديدِ

فأجبته أنا وعيناي بالدموع تترقرق ، لما بان لي من حُرْفتي ونبوِّ الدهر بي وضياع سعيي وخيبة أملي في كل من أرتجيه لملمّ أو مهم أو حادثة أو نائبة :

دنيا دنتْ من عاجزٍ وتباعدت ... عن كلِّ ذي لبٍّ له جِجْرُ
سلختْ على أربابها حتى إذا ... وصلت إليَّ أصابها الحصرُ

قال أبو حيان في « كتاب الوزيرين »[1] : جرى بيني وبين أبي علي مسكويه شيء ، قال لي مرة : أما ترى إلى خطأ صاحبنا - وهو يعني ابن العميد - في إعطائه فلاناً الف دينار ضربةً واحدة ؟ لقد أضاع هذا المال الخطير في من لا يستحق . فقلت بعد ما أطال الحديث وتقطع بالأسف : أيها الشيخ أسألك عن شيء واحد فاصدق فإنه

---

(1) أخلاق الوزيرين ٤١

لا مَدَبّ للكذب بيني وبينك[1] لو غلط صاحبك فيك بهذا العطاء وبأضعافه وأضعافِ أضعافه أكنتَ تتخيله في نفسك مخطئاً ومبذراً ومفسداً أو جاهلاً بحقّ المال ؟ أو كنت تقول ما أحسن ما فعل وليته أربى عليه ؟ فإن كان الذي تسمعُ على حقيقته فاعلم أن الذي يَرِدُ بالك ويردُّ مقالك[2] إنما هو الحسد أو شيء آخر من جنسه ، وأنت تدعي الحكمة وتتكلفُ في الأخلاق وتزيّفُ الزائفَ وتختار منها المختار ، فافطن لأمرك ، واطلع على سرك وشرك[3] .

ـ 821 ـ

علي بن محمد بن نصر أبو الحسن الكاتب صاحب الرسائل : كان كاتب ديوان الرسائل في أيام جلال الدولة أبي طاهر بن بهاء الدولة بن عضد الدولة ، ويتردد في الرسائل بينه وبين الملوك ، وقرأ النحو على جماعة من أعيان أهل العلم كأبي الحسن الربعي وأبي الحسن الزعفراني البصري ، ولقي جماعة من وجوه الشعراء كأبي الفرج الببغاء وأبي نصر ابن نباتة وأبي الحسن السلامي وأبي طاهر علي بن الحسن الحمامي . وكان ذكياً فطناً محبباً إلى الناس للطافة فهمه وسجاحة خلقه وحسن مداراته ، وكان أبوه قاضياً على بعض الأرباع ببغداد والحكم من غير تسمية بالقضاء . مات سنة سبع وثلاثين وأربعمائة .

ذكر في كتابه الذي صنفه وسماه « كتاب المفاوضة » حاكياً عن نفسه :

---

821 ـ هو أخو القاضي عبد الوهاب ، انظر في ترجمته ابن خلكان 3 : 222 والديباج المذهب 2 : 29 والشذرات 3 : 225 ومرّ ذكره في ترجمة أخيه في سير أعلام النبلاء 17 : 432 ؛ (وهذه الترجمة من نسخة ك ، وقد سقطت من المطبوعة ، وهذا غريب لأن مرغوليوث اعتمد أيضاً على نسخة ك) وأما كتابه « المفاوضة » فإنه من المصادر المعتمدة لدى ياقوت وابن العديم والقفطي ، وانظر شذرات من كتب مفقودة : 287 ـ 324 .

(1) زاد في أخلاق الوزيرين : ولا هبوب لريح التمويه علينا .

(2) م : يرد ورد مقالك ؛ أخلاق : بدد مالك وردد مقالك .

(3) كتب عند نهاية الفقرة في ك : انقطع في الأصل .

ولقد قرأت في كتاب لأبي القاسم هبة الله بن عيسى كاتب مهذب الدولة[1] ـ يعني صاحب البطيحة ـ وكان رجلاً جمَّ العلم دقيق الفهم ، وكان يكتب الكتبَ الطوال في الفتوح وغيرها ، قرأتُ في فصلٍ له إلى أبي الخطاب المنجم المستولي على دولة بهاء الدولة بن عضد الدولة : « وكنتُ واعداً نفسي إنجازَ ما سبق من شريف مواعيد الحضرة البهية ، لوفور حظِّي من ملاحظةِ كرم الاهتمام » فقال لي الوزير أبو العباس عيسى بن ماسرجيس ، وكنت أكتب له حينئذ ، أنَّى يُفْهَمُ هذا الكلامُ اليوم ؟! قلت : نجتهد ، فتأمَّلناه فوجدناه صحيحاً ، إلا أن طريقه كان وعراً .

قال : وكتب إليَّ أبو عبد الله ابن ضبر القاضي صديقنا رحمه الله في كتاب ، وقد اتصلتْ أسفاري بين البصرة وواسط والأهواز ، متردداً عن السلطان في رسائل :

أصبو إليك مَعَ البعادِ صبابةً		أُصْلَى بها كلهيبِ حَرِّ النارِ

وإذا تباعدتِ الديارُ فإنني		أرضى وأقنعُ منك بالأخبارِ

وإذا الديارُ دَنَتْ بعدتَ فكيف لي		بدنوِّ قلبٍ مع دنوِّ الدارِ

وحدث ابن نصر في كتابه حاكياً عن نفسه قال : حدثني الأستاذ أبو عبد الله محمد بن شاذان بالبصرة ، وهو إذ [ذاك] يكتب لظهير الدين ، وقد خرجتُ إليه في رسالة ، فلما أزمعتُ الانصرافَ حمل إليَّ كسوةً ونفقة إلى دار أبي عبد الله ، وحضر أصحابه يتنجزون رسوماً جَرَتِ العادةُ بها ، وكثروا علي ، فقال أبو عبد الله : حالنا هذه تشبه حال أبي أحمد النهرجوري ، فإنه مدح أبا الفرج منصور بن سهل المجوسي عاملَ البصرة ، فأعطاه صلةً حاضرة هنية ، والتفَّ به الحواشي فطالبوه ، فكتب رقعةً ودفعها إلى بعض الداخلين إليه وقال له : سلِّم هذه إلى الأستاذ ، وفيها :

---

(1) مهذب الدولة هو أبو الحسن علي بن نصر ولي أمر البطيحة بعد خاله المظفر بن علي الحاجب الذي استقل بأمر البطيحة ، وكانت وفاة المظفر سنة 376 ، وقد نشر مهذب الدولة الخير والاحسان فصارت البطيحة في أيامه معقلاً لمن قصدها ، واتخذها الأكابر وطناً وبنوا فيها الدور الحسنة ، وتزوج مهذب الدولة ابنة بهاء الدولة البويهي وكانت وفاته سنة 408 ؛ أما كاتبه هبة الله بن عيسى فكان ـ فيما يقول ابن الأثير ـ من الكتاب المفلقين ومكاتباته مشهورة وكان ممدحاً ، وممن مدحه ابن الحجاج وتوفي سنة 405 (انظر صفحات متفرقة من الجزء التاسع من تاريخ ابن الأثير) .

أجــازني الأستــاذُ عن مــدحتي جــائــزةً كــانــت لأصحــابِــه
ولم يكن حــظِّيَ منهــا ســوى جَهْبَــذتــي يــومــاً على بــابــه

قال : فلما وصلت الرقعة خرج في الحال مَنْ صَرَفَ الحواشي عنه ، وصار معه حتى دخل منزله .

وحدث ابن نصر قال : رأيتُ في المنام كأني أكتبُ إلى بعض أصدقائي ، وقد وقع لي أنه سرق شيئاً من كلامي : عمدتَ إلى شتاتِ ألفاظي وبدائـد كلامي فغصبتنيها ، فيا للصوص الكتابة ، ويا لحزني عليه والكآبة ، واستيقظت فعلَّقتُ ذلك .

وحدث في كتابه قال : قال لي الشيخ أبو الحسن الربعي ، وقد سألته عن « لعمرك » و « لعمري » والقسم بذلك ، وأعلمته أني رأيتُ بخطّ بعضِ الناس فيه واواً ، وقلت له : إن الواو لا مدخل لها هَا هنا فإنها دخلت على « عمرو » للفرق بينه وبين عمر ، وهذا قسم ، ولذلك دخلت اللام فيه ، فقال : أخطأ وأصبت ، وتكلم في اللام الداخلة على « عمري » وقال : إنَّ اللام في قولهم : لزيدٌ قائم تفيد أمرين : أحدهما التأكيد والآخر تقديرُ استقبالِ القسم ، وهي من قولهم « لعمري » لا تفيد سوى التأكيد ، لأن عمري قسم، والقسم لا يدخل على قسم ، وتكلم في ذلك بما طال ثم قال لي : أعدْ ، فأعدتْ ما قال بعينه ، ونحن إذ ذاك في دار أبي غالب ابن الثلاج ، وهو يقرأ عليه ، فقال له : يا أبا غالب ، هذا هو الذكاءُ الكبريتي ، قال : وكيف يا سيدي ؟ قال : هكذا ذكاءُ العراقيين ، وحدثنا قال : كان يقرأ على أبي علي الفارسي فتىً من أهلِ نسا ، وكان بعيداً بليداً ، وهو يُقْبِلُ عليه ويصرف همته إليه ، وأهل المدرسة يحيطون بدرسه دونه ، وأبو علي يغتاظ من الترديد الذي يقصد به إفهامه ، ويفهم غيره ، فقال لنا يوماً : الذكاءُ على أربع طبقات : فأولها الذكاءُ الكبريتي ، وهو ذكاءُ العراقيين ، فإنهم يفهمون سريعاً وينسون ذريعاً ، وثانيها طبقات أهل العلم ، وهم يفهمون على بطءٍ ما ولا يكادون ينسون سريعاً ، وثالثها طبقات أهل [. . . .] . وهم الذين يفهمون سريعاً ولا ينسون ، ورابعها طبقة هذا الفتى ، وهو الذي لا يكاد يفهم إلا بعيداً وينسى قريباً ، فاستحيى الفتى ولم يره في مجلسه بعدها .

قال ابن نصر : ورأيت كاتباً جالساً إلى جانبي وقد كتب كتاباً افتتحه بأن قال :

« لم أقْرَ لمولدي كتاباً منذ كذا » ، فلما فرغ من الكتاب كلّه تأمله ثم طواه ولم يغير شيئاً ، فقلت له : لا يجوز « لم أقْرَ » فإن هذه همزة ، والهمزةُ حرفٌ صحيح يجري بوجوه الاعراب ، وعلامةُ الجزم فيه حذف حركته ، فأعرض عني وأعطى الكتاب لغلامه وقال له : ألصق هذا وأنفذه ، فأمسكت حينئذ .

وأذكر وقد حضرتُ مجلساً في الحداثة ، فوُصِفَ رجلٌ بالطرش ، فقلت : هو أصلح ـ وصحّفت ـ وكان إلى جانبي أبو عبد الله الحسين الشاعر المعروف بالخالع فقال لي : صحَّفْتَ ، هو أصلخ ـ بالخاء المعجمة ـ فقلت : جزى الله الشيخ خيراً وأفاده وأثابه ، فجذبني إليه وقبلني وقال : هذا هو الفلاح .

قال ابن نصر : وحدثني أبو نصر العلاء بن الفيرزان الوزير ـ وكان هشَّ المحادثة طيبَ المحاضرة كثير المزح ، لولا شرٌّ كان كامناً فيه ـ وسمعته يقول : حفظتُ « كتاب بغداد » لابن أبي طاهر وقرأته عشرين دفعةً من أوله إلى آخره ، وقرأت « التاريخ » لأبي جعفر بالفارسية والعربية ؛ واتفق أن اشتكت عيني فتأخرتُ عنه ، وعلم بذاك فأنفذ إليّ غلاماً ومعه صُرّةٌ فيها خمسمائة درهم ، فتركها بين يديّ ، ومعها من البياض قطعة مثل الزيق في طوله وعرضه ، وانصرف ولم يخاطبني بلفظة ، فلما فتحتُ عيني تأملت الكاغد وإذا فيه :

وخذ القليل من اللئيم وَذُمَّهُ إن القليلَ من اللئيم كثيرُ

وحملتُ إليه في ليلة نوروز ديناراً رومياً ودرهماً خسروانياً وجزءاً فيه أخبارٌ منثورةٌ من كل نوع ، وكتبت إليه رقعةً نسختها : أُخّرني عن حضرة سيدنا السيد الأجل ـ [أطال] الله بقاءه ـ عذرٌ يَسْقُطُ معه العتب ، وَيُغْفَرُ لأجله الذنب ، ومن المعاذر ما تعزفُ النفسُ عن ذكره ، وتَشَوَّفُ إلى طيّه وستره ، لا سيما عن الأقلام التي تُحْفَظُ أسطارُهَا ، وتبقى على الدهر آثارُها ، وقد أقمتُ سُنَّةَ الخدمة بجزء يصلح لخلوة الأُنس ، ويجمع أوطار النفس ، ليس بجسيم يُسْتَجْفَى ، ولا ضئيل يحتقر ويزدرى ، قد يحتوي من الاعتدال بين اللاطيء والعال . . . . . . وتضل الأفهام في حُروشته ، اللفظة الواحدة من مضمونه ، [تحوى] فقر الفضل وعيونه . ودينارٌ ودرهمٌ من ضَرْب كسرى وقيصر ، فمن مثلي في ظَرْفِ هديتي ، ومن يساجلني إذا جمَّلني بقبولها وشرَّفني ـ لا أخلاه الله من نعم

يفيضها عليه ، ولا أعدمه تابعاً يزدلفُ بالطرف إليه ، بمنّه وطَوْله ، وجوده وفضله ، إنه على كل شيء قدير ؛ قال : فأنفذ إليَّ جزءاً بخطِّ أبي الحسن ابن هلال وديناراً مصنوعاً فيه عشرون مثقالاً ودرهماً مثله ، وكتب إليّ : ما رأيت مثل سيدنا ـ أطال الله بقاءه وجعلني فداءه ـ (وهكذا كانت عادته في مكاتبتي) يُحْسِنُ ويعتذر فإنه قد أوجب بتأخره مِنَّةً ، وكفاني ببعده مؤونة ، وقد أنفذتُ جزءاً لا أصفه ، وديناراً ودرهماً لا أنعته ، وإذا تأمّل ما حملتُهُ إليه وحمله إليَّ وجد قدر التفاوت بينهما قدر التفاوت بيني وبينه ، والسلام .

قال : وكان مزّاحاً مِطْراباً مؤثراً لهذا الفن ، غير أنه كان يغلب عليه الشر ، وكان تاب أن لا يضربَ أحداً في يوم جمعة ، ورأيته في وقت الصلاة يومَ جمعة من الجمعات وقد أمر بضرب أبي الطيب ملول بن فضلان الصيرفي الجهبذ ، فسألته وذكّرته العهدَ ، فقال : إنما تبتُ أن أضربَ بالمقارع ، فقلت : هذا تأوّلٌ طريفٌ في اليمين .

وحدث ابن نصر قال : حمل إليّ الوزير أبو نصر العلاء بن الفيرزان ـ وهو إذ ذاك عامل البصرة ـ ثياباً في بعض الفضول ، ولم تجرِ العادةُ بها ، وآثر أن يكتمها عن القاسم أبي الصالح كيوس أمير البصرة حينئذ خصوصاً ، وعن الكافة عموماً ، وكان في جملتها دُرّاعةُ سقلاطون ، وكتبَ يعتذرُ ويذكر أنه لم يجد ثوباً يشبهها ، ووصفها وأطال ، وكان أصلحَ ما وصفها به قولُهُ : لم تبتذلها العيونُ في المجالس ، ولا افترع جَيْبَها جيدُ لابس ، فأنفذتَهَا بخاتم ربِّها إلى مستحقها وَتِرْبها ؛ وفي هذا بعض العهدة ، ومن ينتقده من أهل الصنعة يعرفه . فكتبت إليه ، واعتمدتُ كَسْرَهُ بذمّها : وصلتْ تحفةُ سيدنا الأجلّ وقبلتها على تجعدي[1] من مثلها ، ووجدته قد خَصَّ الدراعة منها بصفته ، وأظهر فيها مكنون بلاغته ، ولو أفرج لي عن ذلك لكان أحسن ، وتركني وإياه لكان أشبهَ به وأزين ، وبعدُ فلكلّ موصوفٍ عائب ، ولكلّ ممدوحٍ ثالب ، وأظنّه نسي أو تناسى أنه حكّم فيها شبا الحديد ، فبضّعها من القدم الى الوريد ، حتى إذا جزّأها أجزاء ، وجعلها مبدَّدة أشلاء ، عاد يُصْلِحُ ما أفسد من حالها ، ويجمعُ ما فرق من أوصالها ، فكم من صورةٍ مستحسنة قَدَحَها وعابها ، ودائرةٍ مستقيمة قطعها

(1) التجعد : التقبض .

فشانها ، فأصبحت بعد الجسم الممسَّد ، والاسم الرائق المفرد ، ذاتَ البنائق والأركان ، وصاحبةَ الدّخارصِ والجربّان ؛ هذا وكيف تكون بختامها وعنده من كبدها فلذة ، وفي خزائنه من أعضائها فَضْلَةٌ ، وعلى ذلك فالشكر عنها مبذول ، وَحَبْلُ الثناءِ بها موصول ، والسلام.

قال : فلما كان من الغد التقينا في دار القسيم فقال: لعنك الله فإنك كافرٌ للنعمة ، ولعنني حيثُ تعرضتُ بك في الكتابة ، وقد أنفذتُ إليك فضلةَ الثوب ، لا بارك الله لكَ فيه ولا فيها.

قال ابن نصر : وهذا الخبر عكسُ ما لحقني مع أبي عمرو سعيد بن سهل العارض ، فإنه دخل يوماً إلى دار الوزارة بالبصرة وجلس ينتظر الاذن ، فقلت لغلامي : امضِ إلى أبي العباس الكوفي البزاز وَخُذْ منه الثوبَ السقلاطون المعمَّد الذي عزلتُهُ للدراعة ، وأْذَنْ لأبي عمرو ، فدخل وما ظننته تسمَّع عليّ ، ومضى الغلام فلم يصادف البزاز ، وانصرفتُ آخر النهار إلى داري وإذا فيها دراعة سقلاطون معمدة في نهاية الحسن ، فسألت عنها فقيل : جاء رجل وقال أنا صاحب أبي عمرو العارض ، خذوا هذه الدراعة ، قلت : وكان معها رقعة ؟ قيل : لا . فكتبتُ إليه من الغد : للفواضل - أطال اللّه بقاء الأستاذ الرئيس - فضائلُ تتميز بها وتستطيل بمكانها على أضرابها منها : أن ترِدَ بكراً لم يفترعها السّؤال ، وتُقْطَع عرضاً لم تحتسبها الآمال ، فتلك الشربة العذبةُ للظامي ، وإصابةُ الشاكلةِ عند الرامي ، كتحفته التي جاءتْ مُسَيَّرةً كالجداول ، مُذَهَّبةً كالأصائل ، معدَّلة بحسن التقدير والتوفيق ، منزَّهةً عن فُحْشِ السَّعةِ والضيق ، محلولةَ الجيب والجيوبُ مزرورة ، مكشوفةَ الفرج والفروجُ مستورة ، فهي من بدائع صُوَرِها ، ووشائع حِبَرِهَا ، كالرياضِ الرائعة ، والبروقِ اللامعة ، سلكها دقيق ، ومنظرها أنيق ، كأنما عُدِّلَتْ بمعيار ، أو دُبّر ذيلها على بركار ، لابسُهَا مختال ، ومانحها مفضال ، قد سيَّرها بفضله المكتوم ، وشهَّرها بِعَرْفِهِ النموم ، فطويتُها طيَّ المكرم الضنين ، ونشرتُ الشكرَ عنها نَشْرَ الخاطبِ المبين ، وأفردتها عن أشكالها وإن عزَّ المشاكل ، وجعلتها زينةً للمواكب والمحافل ، واللّه تعالى يزيدُهُ كرماً وفضلاً ، ويجعله لادّخارِ كلِّ مَنْقَبَةٍ أهلاً ، إنه على كل شيءٍ قدير .

قال أبو الحسن علي بن محمد بن نصر حدثني أبو القاسم عبد الواحد بن محمد

المطرز الشاعر[1] أن صديقاً له كتب رقعةً مذ خمسين سنة مشتملةً على غرض له بألفاظ ليس فيها حرف ينقط ، وأنه استصعب ذاك ، واقترح أن أكتب إليه رقعةً على هذه الطريقة ليجيبَ عنها بشعر ، قال : وكنت أُسمّيه « الشيخ العالم » مزاحاً ، وكان المطرّز يغضب من هذا اللقب :

العالم الأوحد ـ أطال الله عمره وأدام سعده ـ محلُّ العصمةِ ودارها ، ومعرَّسُ الحكمةِ ومدارها ، وراحةُ كلِّ صدر ، وعدة كلِّ حرّ ، ومحطّ الرحال ، ورأسُ مالِ الآمال ، كلّ دهرٍ أحال عَهْدَهُ مُرّ ، وكلّ صحوٍ لا أراه معه سُكْر ، حَرَسَ اللّه آلاءه ، ولا أعدمه الطَّوْلَ وإسداءه ، معلومٌ ما حاوله رعاه اللّه ملاحاة ، وسأله معاداةً أو مصاداة ، لأحسر لسؤاله ، ولأسمو لدرك محاله ، ولعمر اللّه وعمره كلّ كلام اطرح معه العادة المعلومة ، وهدر له الحال المعهودة ، وعزّ مسلكه ، وعسرٌ مطلعه ، وصار لمادةِ السداد هادماً أساسَه ، ومحللاً مِرَرَهُ وأمراسَهُ ، لا محلّه محلّ المكرم ، ولا رصُّه رصُّ المحكم ، وهو سداد لعدم . ولو سواه حرسه الله سام ما سامه ، ورام ما رامه ، لما أدرك مرماه ولا أُحْمِدَ مسعاه ، ولا سمع دعاؤه طول الدهر ، ولا ساعده ساعدٌ ولو مُدَّ له العمر ، والسلام

قال : وغدا مهيار علينا فأنشدنا لنفسه في هذا المعنى[2] :

وعد لرملة كدَّ الصدرَ ممطولُ ... دمُ الكرى معه ما سال مطلولُ

وصلٌ هو الصدُّ محمودٌ مواردُهُ ... حلُّ المحلا وصرم وهو محمولُ

أما صحا أو سلا إلا أعاد له ... عهد الأولى طللٌ كالسطرِ ممحولُ

محاه كلّ ولود الرعد حامله ... مدار ما حار هادٍ وهو مدلولُ

راحوا وحلَّ وِكاءَ الدمعِ عاصمُهُ ... وطاح ما طاح دمعٌ وهو محلولُ

ساروا وكم أملٍ سارٍ وراءهمُ ... وكلُّ ما وعد الأملاءُ مأمولُ

وطاول الدهر عمراً لا ملالَ له ... مع السرور وطولُ العمرِ مملولُ

وتأخر وعدُ المطرز بالشعر فكتب إليه الرئيس أبو الحسن ابن نصر في المعنى :

(1) هو عبد الواحد بن محمد بن يحيى بن أيوب عرف بالمطرز ، وكانت وفاته سنة 439 .
(2) لم أجدها في ديوان مهيار .

لِمَ وَعَدَ أسعده الله المساعدةَ وَعَدَل ، وسهَّـلَ الحملَ و ما حمل ، وكلامُهُ رَوْحُ الصدورِ وسرُّها ، وراح الأسماع وعطرها ، ولمَ أهملَ عادةَ إسعاده ، وهدرَ معهودَ سماحه ؟ ألأمرٍ عراه أم حادٍ حداه ، وَلِمَ مَطَلَ وعده وصرح ردّه ، وما عراه مراد ، ولا حُطّ له والحمد لله عماد ، والسلام .

وعرف هذه الجملة والمفاوضة أبو الحسن ابن الحسين الغضائري، فكتب رقعةً مشتملة على نظم ونثر في هذا المعنى منها : أمـرك ـ حرسك الله وأطال عمـرك ـ المطاعُ ، ومرسومُكَ لا مَرَادَ له ولا مُراع ، ولمرادِكَ ما أسلك السماوة ولا عَلَم ، وأوْرَدَ الآلَ المحالَ ولا مَكْرَع ، وأروع الآلة الوادعة والأداة الصالحة لأمـر لا مَرْعَاهُ مُمْرِعُ ولا مَوْرِدُهُ مُطْمِع ، ولا مَسْرَحُهُ ممطور ، ولا مَرَاحُهُ معمور ، والكلام ـ أدام الله علاك ـ مسؤول ، ومع الالحاح مملول، ومع الادامة صلد الصمم ، مُمَرّ المرر ، طَوْرُهُ أطوار ، وحاله أحوال ، حلاّلٌ رحّال ، صرّامٌ وَصّال ، وما أطاعك إلا عصاك ، ولا والاك إلا عاداك ، ما رام أحدٌ سهله إلا وَعُر ، ولا أراد حُلْوَهُ إلا مَرّرَ ، كم سامَهُ الكاملُ وعاد مطروداً ، وداسه العالم وآلَ مردودا ، والعلمُ الكالّ عاملٌ ما حُدَّ له ، وساع لما رُسِمَ له ، أصار اللّه سماءَ العلاءِ دارك ، وسهمُ السعادةِ مطلعك ، وأدام سموك ، وأهلك عدوك ، والسلامُ للرسولِ وأهله .

ومن النظم :

اسعـدْ ودام لـك الإمهـالُ والعمـرُ ... هـل رملُ رامـةَ محمودٌ لـه المـطرُ

وهــل أراك وأمــواهٌ لــعــاريـهِ ... كالعهد لا الوردُ أعداه ولا الصـدرُ

وهــل أرود ودارُ الــوصــلِ آهلةٌ ... داراً كـدارك لـولا روحهــا العـطرُ

لــلّه صــدرٌ وراه كــلّ ســاحــرة ... كحلاءَ مرهـاءَ ممدوحٌ لهـا الحورُ

واهــاً لعلوةَ لا وصـلٌ كـواصلها ... ولا عــطاؤك مــسـمـولٌ ولا أمـرُ

صــدّ ومــطلٌ وإدلالٌ ومحــرمــةٌ ... كمـا أعـاد رسـولَ الآكـل السمـرُ

لـولا محمـد لم أُعْطِ الســلامَ ولا ... أمـال سـالمَ أمــرِ اللمـة الصـورُ

دعــا وطــاوع ودّاً لا مــراءَ لــه ... مســارعُ الأمــرِ لا لاوٍ ولا صَعِـرُ

كل هذا ولم يرد من المطرّز المتحدى في هذا المعنى شيء ، فكتب إليه الرئيس

علي بن نصر يستبطئه ويقتضيه ويحثّه على المهادنة : ما سلك العالم الأوحد ـ حرس معهوده ـ العادة ، ولا عَمِلَ عَمَلَ السادة ، رام أمراً ما حصَّله ، وحكم حكماً ما عَدَّله ، ووعد وعداً لواه ، وحدَّ حداً عداه ، وسدَّى وما ألحم ، وأورد وما أصدر ، وسار مهملاً أمره ، وطار مُسْلِماً وكره ، لا الكلامُ أسعده ، ولا الكلالُ أمهله ، هاله الأمر وراعه ، وعصاه المرامُ وما أطاعه ، محادّةً له علم معها مآلَ الصورة ، وعمل لها عملَ الصرورة ، هاكَ الساعةَ الموادعة حَصِّلْها ، وأحلّها صدرك واحرسها ، وَصُرَّها دهرك وآعكُمْها ، ودع المراماةَ وراءك ، وَسَرِّحَ المصالحةِ أمامك ، وهلُم السَّلْمَ ، والسلام .

قال ابن نصر : كتب إليّ أبو طاهر علي بن الحسين عزّ الأستاذين من بعض أسفاره : من علامات المؤانسة ، ودلالات المجالسة ، التكاتبُ في السفر ، والتزاور في الحضر ، وأنت بهما حريّ ، ومنهما عَمْرَ اللّهِ بريّ :

ولو كنتُ أدري أن ذا البين كائنٌ لعاصيتُ عذالي وخالفتُ نُصَّاحي
وما كنت أعطي البينَ صفقةَ بائعٍ ولو أن إدراكَ المنى بعضُ أرباحي
قضاءٌ من الرحمن ما اسطعتُ ردَّه وليس لأمرٍ خَطَّه اللّه من ماحِ

قال أبو الحسن : كنت أكاثر أبا الفرج عبد الواحد بن نصر الببغا وأزوره دائماً مع القاضي أبي محمد أخي رحمه الله ، فتأخرنا عنه لشغلٍ عرض لنا ، وكتب إلينا :

ذخرتُ أبي نصراً لحظٍّ أنالُهُ فبلغني أقصى المنى ببني نصرِ
وجدتهم الذخر القديمَ ولم أكنْ علمتُ بأن الذخر يُعْزَى إلى الدهرِ

واستمر بنا الابطاء عنه فكتب إلينا رقعة أولها :

بني علي بن نصرٍ دعاةَ باسطِ عُذْرِ
أسرفتمُ في وصالي وليس يَحْسُنُ هجري

إن رأيتما ـ جعلت فداءكما ـ أن تبرئا رَمَدَ طرفي بالنظر إليكما فعلتما ، فحضرناه ، وقلت له : يا سيدي ، ذكرتني لعمرك هذه أبياتَ أبي فراس التي كتب بها من الأسر إلى ولدي سيف الدولة[1] :

(1) هما أبو المكارم وأبو المعالي ابنا سيف الدولة ، وانظر ديوانه 2 : 370 .

يـا سيـديَّ أراكمـا لا تـذكرانِ أخـاكما

أوجـدتمـا بـدلاً بـه يبني سماءَ علاكما

فقال لي : أحسنت ، والله لقد كتبتُ الرقعةَ والأبياتُ في ذكري .

ـ 822 ـ

علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري يكنى أبا الحسن ويلقب أقضى القضاه لقب به في سنة تسع وعشرين وأربعمائة ، وجرى من الفقهـاء كأبي الـطيب الطبري والصيمري إنكار لهذه التسمية وقالوا : لا يجوز أن يُسَمَّى به أحد ، هذا بعد أن كتبوا خطوطَهم بجواز تلقيب جلال الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بملك الملوك الأعظم ، فلم يلتفت إليهم واستمر له هذا[1] اللقب إلى أن مات ، ثم تلقب به القضاةُ إلى أيامنا هذه ، وشرطُ الملقب بهذا اللقب أن يكون دون منـزلة من تلقب بقـاضي القضاة على سبيل الاصطلاح، وإلا فالأولى أن يكون أقضى القضاة أعلى منزلة . ومات الماوردي[2] في سنة خمسين وأربعمائة، وكان عالماً بارعاً متفنناً شافعيّاً في الفـروع ومعتزلياً في الأصول على ما بلغني والله أعلم . وكـان ذا منزلـة من ملوك بني بويـه يرسلونه في التوسطات بينهم وبين من يناوئهم ، ويرتضـون بوسـاطته ، ويقنعـون[3]

---

822 ـ ترجمة الماوردي في : طبقات الشيرازي : 131 وتاريخ بغداد 12 : 102 والمنتظم 8 : 199 والأنساب واللباب (الماوردي) وابن خلكان 3 : 282 وسير الذهبي 18 : 64 وعبر الـذهبي 3 : 223 وميزان الاعتدال 3 : 155 ومرآة الجنان 3 : 72 وطبقات السبكي 5 : 267 وطبقات الأسنوي 2 : 387 والبداية والنهاية 12 : 80 ولسان الميزان 4 : 260 والنجوم الزاهرة 5 : 64 وطبقات المفسرين للسيوطي : 25 وطبقات الداودي 1 : 423 وطبقات ابن هداية الله : 151 والشذرات 3 : 285؛ (وقد وقعت ترجمة الماوردي في ك بعد عدة تراجم تالية) . وكتابه «الأحكام السلطانية»، طبع مرّات . وكذلك كتاب قوانين الوزارة آخرها بتحقيق العالم الصديق الدكتور رضوان السيد ، بيروت 1979 ، وأدب الدنيـا والدين بعناية أستاذنا مصطفى السقا رحمه الله ط/4 : 1978 .

(1) هذا : سقطت من ك .

(2) الماوردي : سقطت من ك .

(3) م : ويقفون .

بتقريراته . قرأت في « كتاب سرّ السرور » لمحمود النيسابوري هذين البيتين منسوبين إلى الماوردي هذا :

وفي الجهل قبل الموتِ موتٌ لأهله ... فأجسادُهُمْ دونَ القبورِ قبورُ
وإنّ امرءاً لم يحيَ بالعلم صَدْرُهُ ... فليس له حتى النشورِ نشور

حدث محمد بن عبد الملك الهمذاني ، حدثني أبي قال : سمعت الماوردي يقول : بسطتُ الفقه في أربعة آلاف ورقة ، واختصرته في أربعين ، يريد بالمبسوط « كتاب الحاوي » وبالمختصر « كتاب الاقناع » قال : وعلّق عليه ، أي الحاوي[1] ودرس مكانه خمس سنين . قال : ولم أر أوقر منه ، لم أسمع منه مضحكة قط ، ولا رأيتُ ذراعه منذ صحبته إلى أن فارق الدنيا .

قلت : وله تصانيف حسان في كلّ فن منها : كتاب تفسير القرآن . وكتاب الأحكام السلطانية . وكتاب في النحو رأيته في حجم الايضاح أو أكبر . وكتاب قوانين الوزارة . وكتاب تعجيل النصر[2] وتسهيل الظفر .

قرأت في مجموع لبعض أهل البصرة : تقدم القادر بالله إلى أربعة من أئمة المسلمين في أيامه في المذاهب الأربعة أن يصنّف له كلُّ واحد منهم مختصراً على مذهبه فصنف له الماوردي « كتاب الاقناع » ، وصنف له أبو الحسين القدوري مختصره المعروف على مذهب أبي حنيفة ، وصنف له القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن محمد بن نصر المالكي مختصراً آخر ، ولا أدري من صنّف له على مذهب أحمد ، وعرضت عليه فخرج الخادم إلى أقضى القضاة الماوردي وقال له : أمير المؤمنين يقول لك[3] حفظ الله عليك دينك كما حفظتَ علينا ديننا .

ومن هذا المجموع : كان أقضى القضاةِ رحمه الله قد سلك طريقةً في ذوي الأرحام يورث القريب والبعيد بالسوية ، وهو مذهب بعض المتقدمين ، فجاءه يوماً

(1) قال . . الحاوي : سقطت من م .
(2) في ك : تحصيل النصر ؛ ونشر الكتاب باسم « تعجيل النظر وتسهيل الظفر » مرتين ، احداهما بتحقيق د . رضوان السيد ، بيروت 1987 .
(3) م : وقال له قال لك أمير المؤمنين .

السينيزي في أصحاب القماقم فصعد إليه المسجد وصلّى ركعتين والتفت إليه فقال له : أيها الشيخ اتبعْ ولا تبتدع ، فقال : بل أجتهد ولا أقلد ، فلبس نعله وانصرف .

ـ 823 ـ

علي بن محمد بن محمد بن الحسن بن دينار الديناري النحوي ، أبو الحسن : من ولد دينار بن عبد الله ، قال ابن طاهر المقدسي : مات سنة ثلاث وستين وأربعمائة وأبوه أبو الفتح محمد من أهل العلم والحديث .

ـ 824 ـ

علي بن محمد أبو الحسن الأهوازي النحوي الأديب : رأيت له كتاباً في علل العروض نحو عشر كراريس ضيقة الخط جيداً في بابه غاية ، ولا أعرف من حاله غير هذا .

ـ 825 ـ

علي بن محمد الوزان النحوي الحلبي أبو الحسن : سمع منه أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي ، وأظنه كان في أيام سيف الدولة بن حمدان ، وله كتاب في العروض .

ـ 826 ـ

علي بن محمد بن السيد النحوي البطليوسي أبو الحسن ، ويعرف بالخيطال ، وهو أخو أبي محمد عبد الله بن السيد النحوي ، روى عن أبي بكر ابن

823 ـ ترجمة الديناري في الأنساب 5 : 453 والوافي 22 : 132 وجعل وفاته : 473 وبغية الوعاة 2 : 198 .

824 ـ الوافي 22 : 164 (عن ياقوت) وبغية الوعاة 2 : 203 .

825 ـ الوافي 22 : 166 (عن ياقوت) وبغية الوعاة 2 : 205 .

826 ـ الصلة : 400 والوافي 22 : 164 عن ياقوت دون تصريح بذلك وإنباه الرواة 2 : 307 وبغية الوعاة 2 : 189 .

الغراب وأبي عبد الله محمد بن يونس وغيرهما . أخذ عنه أخوه أبو محمد كثيراً من كتب الآداب وغيرها ، وكان مقدماً في علم اللغة وحفظها وضبطها ، ومات بقلعة رباح معتقلاً من قبل ابن عكاشة قائدها سنة ثمان وثمانين وأربعمائة .

ـ 827 ـ

علي بن محمد الأخفش النحوي: لم أجد ذكره إلا على «كتاب الفصيح» بخط علي بن عبد الله بن أخي الشبيه العلوي ما صورته : حذق عليّ هذا الكتاب وهو كتاب الفصيح أبو القاسم سليمان بن المبارك الخاصة الشرفي ـ أدام الله أيامه ـ من أوله إلى آخره قراءة فهم وتصحيح ، وقرأت أنا على عليّ بن عميرة ، رحمه الله ، في محلة باب البصرة ببغداد عند المسجد الجامع الكبير ، وقرأ هو على أبي بكر ابن مقسم النحوي عن أبي العباس ثعلب رحمه الله ، وكتب علي بن محمد الأخفش النحوي سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة عربية[1] .

ـ 828 ـ

علي بن محمد بن ابراهيم بن عبد الله القهندزي أبو الحسن الضرير النحوي الأديب النيسابوري : من أصحاب أبي عبد الله ، شيخ فاضلٌ من الأدباء ، سمع الحديث من أبي العباس المناسكي المحاملي وغيره ، وسمع منه الناس ، وقرأ عليه الأئمة وتخرجوا به ، قال ذلك عبد الغافر في « السياق » قرأ عليه أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي وعدّه في أعيان مشايخه ، وقال الواحدي : وكان من أبرع أهل زمانه .

---

827 ـ الخريدة (قسم مصر) 1 : 238 والوافي 22 : 165 (عن ياقوت) وبغية الوعاة 2 : 202 .
828 ـ بغية الوعاة 2 : 186 والوافي (خ) ونكت الهميان : 215 ولم يرد في المنتخب من السياق .

(1) عربية : سقطت من م

ـ 829 ـ

علي بن محمد السعيدي البياري الأستاذ الأديب أبو الحسن : رجل فاضل من أهل بيت الفضل والأدب ، وأما سماع الحديث فقلما يخلو عنه أهل الفضل ، قاله عبد الغافر .

ـ 830 ـ

علي بن محمد بن علي بن منصور الحوزي[1] أبو الحسن الأديب بن الأديب السقاء : رجل فاضل شاعر كاتب ، وسمع الحديث من متأخري الطبقة الثانية ثم من مشايخنا ، ومات كهلاً في الثاني من شهر ربيع الأول سنة سبع وتسعين وأربعمائة ، قال ذلك عبد الغافر .

ـ 831 ـ

علي بن محمد بن أرسلان بن محمد الكاتب أبو الحسن بن أبي علي المنتجب ، من أهل مرو ، كاتبٌ مليح الخط فصيحُ العبارة ، وله شعر وترسل وبلاغة في غاية الحسن . سافر إلى العراق وجال في بلاده ، ولعله ما رأى مثل نفسه في فنه ، سمع بمرو أبا علي إسماعيل بن أحمد بن الحسين البيهقي وغيره . قال أبو سعد : اجتمعت معه ببغداد بالمقتدية وكتب لي شيئاً من شعره ، وكان حُفَظَةً يسمع أربعين بيتاً فيحفظها ، اجتمعت فيه أسباب المنادمة والكتابة وصحبة الملوك ، له هذا البيت الفرد :

وأما الحشا منّي فاني امتحنتها ... وأدنيتُ منها الجمرَ فاحترق الجمرُ

---

829 ـ لم يرد في المنتخب من السياق .

830 ـ ترجمة الحوزي في المنتخب من السياق 70أ ، 115ب والوافي 22 : 85 (عن ياقوت).

831 ـ تأخرت هذه الترجمة عن موضعها في ك فجاءت تالية لترجمة الفصيحي (رقم : 834) .

(1) ك : الحوزي السقاء .

ولـه :

إذا المـرءُ لم تغنِ العفـاةَ صِـلاتُـهُ ولم يـرغم القـومَ العـدى سـطواتُـهُ
ولم يرضَ في الدنيا صديقاً ولم يكنْ شفيعاً لـه في الحشـر منه نجـاتـه
فـإن شـاء فليهلكْ وإن شـاء فليعشْ فسيّـانِ عنـدي مـوتُـهُ وحيـاتـه

قتل في الوقعة الخوارزمشاهية بمرو في ربيع الأول سنة ست وثلاثين وخمسمائة وله كتاب « تعلة المشتاق إلى ساكني العراق » .

وكان أبوه[1] محمد بن أرسلان أيضاً من الفضلاء النبلاء، وله شعر ورسائل، ومدحه الزمخشري ورثاه ، وكان يلقب منتجب الملك ، فلا أدري أهذا تلقب بلقب أبيه أم يعرف بابن المنتجب . وذكر في « تاريخ خوارزم » أن منتجب الملك محمـد بن أرسلان مات في سنة أربع وثلاثين وخمسمائة أو قريباً منها ، وذكر الزمخشري في[2] شرح مقاماته[3] أنشدني الكبير المنتجب أبو علي محمد بن أرسلان لنفسه بيتاً لو وقع في شعر المتقدمين لسيرته الرواة وخلدته الأئمة في كتبهم ، وكم من أخوات له ضُيِّعَتْ بضياع الأدب وقلة النَّقَلَةِ واتضاع الهمم وتراجع الأمور على أعقابهـا :

وَبُـرْداهُ مسجـورانِ مثـلُ هجيـرِهِ كـأنْ ليس فيـه بُكْـرَةٌ وأَصيـلُ

قال وما أظن البردين وقعا مثل هذا الموقع منذ نطق بهما واضع العربية . ومن شعر منتجب الملك محمد بن أرسلان :

قـل للمليحةِ في الخمـار الأحمر لا تجهـري بـدمـائنـا وتستـري
مُكِّنْتِ من حَبِّ القـلوبِ ولايـةً فـملكتِهـا بتعسـفٍ وتـجبـرِ
إن تنصفي فـلك القـلوبُ رعيـةٌ أو تمنعي حقـاً فمن ذا يجتري
سَخَّـرتني وَسَحَـرْتني بنـوافـثٍ فتـرفُقي بمسخَّـر ومسحَّـرِ

---

(1) قوله : وكان أبوه . . . حتى آخر الترجمة : سقط كله من ك .

(2) م : ان .

(3) انظر شرح المقامات (مصر 1312) ص : 175 .

- 832 -

علي بن محمد بن علي بن أحمد بن هارون[1] العمراني الخوارزمي ، أبو الحسن الأديب ابن الأديب[2] : يلقب حجة الأفاضل وفخر المشايخ مات فيما يقارب سنة ستين وخمسمائة، ذكره أبو محمد ابن أرسلان في «تاريخ خوارزم» ومن خطه نقلت فقال : العمراني حجة الأفاضل ، سيد الأدباء ، قدوة مشايخ الفضلاء ، المحيط بأسرار الأدب ، والمطلع على غوامض كلام العرب ، قرأ الأدب على فخر خوارزم محمود بن عمر الزمخشري ، فصار أكبر أصحابه ، وأوفرهم حظاً من غرائب آدابه ، لا يُشَقّ غباره في حسن الخط واللفظ ، ولا يُمْسَحُ عذاره في كثرة السماع والحفظ ، سمع الحديث من فخر خوارزم والامام عمر الترجماني[3] ولد الامام أبي الحسن علي بن أحمد المخي[4] والامام الحسن بن سليمان الخجندي والقاضي عبد الواحد الباقرحي وغيرهم . وكان ولوعاً بالسماع كتوباً ، وجعل في آخر عمره أيامه مقصورة وأوقاته موقوفة على نشر العلم وإفادته لطالبيه وإفاضته على الراغبين فيه ، فحولُ العلماء يرجعون إليه ويقرأون عليه ، ويفزعون في حلِّ المشكلات وشرح المعضلات إليه ، وهو مع العلم الغزير والفضل الكثير علم في الدين والصلاح المتين ، وإنه في الزهادة والسداد وحسن الاعتقاد أطهرُ أقرانه ذيلاً من العيوب ، وأنقاهم جيباً عن اقتراف الذنوب ، وكان يذهب مذهبَ الرأي والعدل ، وله شعر حسن ، فمن قوله في صباه في مدح رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين يعارض قصيدة كعب بن زهير :

---

832 - ترجمة العمراني في الأنساب 9 : 53 واللباب 2 : 357 ومعجم الألقاب 3 : 257 والجواهر المضية 1 : 378 والوافي 22 : 94 وبغية الوعاة 2 : 195 وطبقات الداودي 1 : 430 .

(1) م : مروان .

(2) س الأديب : سقطت من م .

(3) ك : الترجاني .

(4) ك : المحي .

* بانت سعاد فقلبي اليوم متبول *

قال : كتبتها من خطه[1]

أضاء برقٌ وسجفُ الليلِ مسدولُ ... كما يُهَزُّ اليماني وهو مصقولُ

فهاج وجدي بِسُعْدَى وهي نائيةٌ ... عنّي وقلبيَ بالأشواقِ متبولُ

لم يبقَ لي مذ تولى الظعنُ باكرةً ... صبرٌ ولم يبقَ لي قلبٌ ومعقولُ

مهما تذكرتها فاضَ الجمانُ على ... خدّيَ حتى نجادُ السيفِ مبلولُ

ما أنس لا أنسَ إذ تجلو عوارضَها ... والجفنُ بالاثمد الهنديّ مكحولُ

ظمأى الموشحِ ريانٌ مخلخلها ... عبلٌ مؤزّرها والمتنُ مجدولُ

كأنما هي إذ ترخي ذوائبها ... بدرٌ عليها رواقُ الليلِ مسدولُ

كأنما ثغرها درٌّ إذا ابتسمتْ ... وريقها سَحَراً بالراح معلولُ

يا حبذا زمنٌ فيه نُسَرّ بها ... والشعبُ ملتئمٌ والحبلُ موصولُ

ومنها في مدح النبي ﷺ :

هَدَى إلى دين إبراهيمَ أمّتَهُ ... وكلهم بِعقالِ الشركِ معقولُ[2]

وكلّ أصحابه أهوى وأمنحُهُمْ ... ودّي ومبغضهُم في الدين مدخولُ

وصاحبُ المصطفى في الغار يتبعه[3] ... وهو الذي مالُهُ في الله مبذولُ

وتلوه عمرُ الفاروقُ أزهرُ إن ... رآه إبليسُ ولّى وهو مخذولُ

وأقتدي بابنِ عفّانَ الذي فُرِيَتْ ... أوداجُهُ وهو بالقرآن مشغولُ

وبالوصيِّ ابن عم المصطفى فله ... مناقبٌ جمةٌ في شرحها طولُ

وإنْ أَقْضَاهمُ قد كان أفضلَهم ... فانظرْ فذا عن رسولِ الله منقولُ

محبتي لهمُ ديني ومعتقدي ... فإنْ أزِغْ عنهمُ غالتنيَ الغولُ

---

(1) قال . . . خطه : لم ترد في م .

(2) بعد هذا البيت في ك : منها .

(3) ك : أتبعه .

ولهذا الامام أشعار من هذا النمط ، ترك الكاغد أبيضَ خير من تسويده بها .

وله تصانيف حسان منها : كتاب المواضع والبلدان . وكتاب في تفسير القرآن . وكتاب اشتقاق الأسماء .

ومن شعره الذي أورده لنفسه في « كتاب البلدان » :

رأيتُـكَ تـدّعي علمَ العـروضِ   كـأنك لستَ منهـا في عـروضِ
فـكم تُـزْري بشعـرٍ مستـقيم   صحيـحٍ في مـوازين العـروضِ
كـأنـك لم تُحِطْ مـذ كنتَ علماً   بمخبونِ الضروبِ ولا العروضِ

ـ 833 ـ

علي بن محمد أبو الحسن السخاوي : وسخا قرية من قرى مصر ، كان مبدأه الاشتغال بالفقه على مذهب مالك بمصر ثم انتقل إلى مذهب الشافعي ، وسكن بمسجد بالقرافة يؤمّ فيه مدة طويلة ، فلما وصل الشيخ أبو القاسم الشاطبي إلى تلك الديار واشتهر أمره لازمه مدة ، وقرأ عليه القرآن بالروايات ، وتلقف منه قصيدته المشهورة في القراءات ، وكان يعلّم أولاد الأمير ابن موسك ، وانتقل معه إلى دمشق ، واشتهر بها بعلم القرآن ، وعاود قراءة القرآن على تاج الدين أبي اليمن الكندي ولازمه ، وقرأ عليه جملة وافرة من سماعاته في الأدب وغيره ، وصار له حلقة بالجامع بدمشق ، وتردّد إليه الناس للتأدّب ، وشرع في التصنيف فله : كتاب الوحيد في شرح القصيد ، يريد قصيدة الشاطبي ، وبسط القول وطوّل[1] في مجلدتين . كتاب شرح المفصل . كتاب في تفسير القرآن . وكتبت هذه الترجمة في سنة تسع عشرة وستمائة وهو بدمشق كهلٌ يحيـا .

833 ـ ترجمته في معجم البلدان (ش) وانباه الرواة 2 : 311 والبداية والنهاية 13 : 170 وطبقات السبكي 8 : 297 وتذكرة الحفاظ : 1432 وحسن المحاضرة 1 : 412 ومرآة الزمان 8 : 758 وابن خلكان 3 : 27 (وفي حاشية طبقات السبكي ذكر لمصادر أخرى) .

(1) وطول : سقطت من ك .

- 834 -

علي بن محمد بن علي الفصيحي أبو الحسن من أهل استراباذ ، وهي مدينة من طبرستان ورأس قصبتها ، قرأ النحو على عبد القاهرَ الجرجاني ، وأخذ عنه أبو نزار النحوي والحيص بيص الشاعر ، ومات فيما ذكره السلفي الحافظ يوم الأربعاء ثالث عشر ذي الحجة سنة ست عشرة وخمسمائة ، وقدم بغداد واستوطنها إلى حين وفاته ، ودرّس النحو بالنظامية بعد الشيخ أبي زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي ، ثم اتهم بالتشيع فقيل له في ذلك فقال : لا أجحد ، أنا متشيع من الفرق إلى القدم ، فأخرج من النظامية وَرُتِّبَ مكانه الشيخ أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي ، فكان المتعلمون يقصدون داره التي انتقل إليها للقراءة عليه ، فقال لهم يوماً : داري بكرىً وخبزي بشرىً ، وقد جئتم تدحرجون إليّ ، اذهبوا إلى من عزلنا به .

وسمي بالفصيحي لكثرة دراسته « كتاب الفصيح » لثعلب وصار له به أنس حتى انه دخل يوماً على مريض يعوده فقال « شفاه » وسبق على لسانه : « وأرخيت الستر » لاعتياده كثرة إعادته[1] .

وقد روى الفصيحي عن أبي الحسن الخطيب الأقطع إنشاداً ، سمعه منه ابن سلفة الاصفهاني الحافظ ببغداد وقال : جالسته وسألته عن أحرف من العربية ، وروى عنه في مشيخة بغداد ، وهو الذي عرفنا أن اسم أبيه[2] محمد وإلا فلا يعرف إلا بعلي بن أبي زيد الفصيحي فقط .

834 - ترجمة الفصيحي في نزهة الألباء : 274 وإنباه الرواة 2 : 306 وابن خلكان 3 : 337 والوافي 22 : 85 (وفيه اطلاع على معجم الأدباء ونقل عنه) وعيون التواريخ 12 : 153 والبلغة : 163 وبغية الوعاة 2 : 197 والشذرات 5 : 70 وإشارة التعيين : 227 .

(1) في الفصيح بعد الدعاء بالشفاء ترد عبارة « وأرخيت عليه الستر » فلطول ترداده للفصيح مزج بين العبارتين .

(2) ك : أن اسمه .

قرأت في « كتاب سرعة الجواب ومداعبة الأحباب » تصنيف الحسن بن جعفر بن عبد الصمد بن المتوكل بخطّه ، أنشدني الشيخ الامام أبو الحسن علي بن أبي زيد الفصيحي وقد عاتبته على الوحدة فقال :

اللّهَ أحمدُ شاكراً فبلاؤُهُ حَسَنٌ جميلُ
أصبحتُ مستوراً مُعَا فىً بين أنعمه أجولُ
خلواً من الأحزان خـ ـفَّ الظهر يقنعني القليلُ
حراً فلا منٌّ لمخـ ـلوقٍ عليَّ ولا سبيلُ
لم يشقني حرصٌ على الـ ـدنيا ولا أملٌ طويلُ
سيان عندي ذو الغنى الـ ـمتلافُ والرجلُ البخيلُ
ونفيتُ باليأس المنى عني فطاب[1] ليَ المقيلُ
والناسُ كلهمُ لمن خَفَّتْ مؤونته خليلُ

ومن كتابه أنشدنا الامام أبو الحسن علي بن أبي زيد في « المذاكرة » وقد رقي إليه كلام قبيح عن بعض أصدقائه ، فقال مستشهداً :

إني إذا ما الخليل أحدث لي صرماً وملَّ الصفاء أو قطعا
لا أحتسي ماءه على رَنَقٍ ولا يراني لبينه جزعا
أهجرهُ ثم تنقضي غير الـ ـهجران عنا ولم أقلْ قذعا
احذرْ وصالَ اللئيم إنّ له عَضْهاً إذا حبلُ ودّه انقطعا

وقرأت بخط الشيخ أبي محمد ابن الخشاب ، قال الشيخ أبو منصور موهوب بن أحمد ، وقد جرى ذكر الشيخ أبي الحسن بن أبي زيد الاستراباذي المعروف بالفصيحي صاحب عبد القاهر الجرجاني رحمهم الله ، قال لي الشيخ أبو زكريا يحيى بن علي بن الخطيب التبريزي رحمه الله إنه حضر معه ـ أعني الفصيحي ـ

---

(1) ك : وطاب .

حلقة تباع فيها الكتب، فنودي[1] على كتاب فيه شيء من مصنفات أبي طالب المفضل بن سلمة بن عاصم ورّاق الفراء وعليه اسم المفضل منسوباً إلى النحو فقيل النحوي، فأخذه الفصيحي وناولنيه (يقوله أبو زكريا) وقال لي كالمستهزىء النحوي، أي قد نسبته[2] إلى النحو وهو عنده مقصر أي لا يستحق هذا الوصف قال فقلت: تكون أنت نحوياً ولا يكون المفضل منسوباً إلى النحو[3]؟ قال الشيخ أبو محمد: لا شبهة في أن الذي حمل الفصيحيَّ على الغضّ بهذا القول من المفضل أنه قد وقف على شيءٍ من كلامه في بعض مصنفاته مما يتسمَّح به أهلُ الكوفة مما يراه أهل البصرة خطأ أو كالخطأ، وذاك مما لا يحتمله الفصيحي ولا شيخه عبد القاهر ولا شيخه ابن عبد الوارث أبو الحسين فَيُغْضُوا عليه، لأن طريقتهم التي يسلكونها في الصناعة منحرفةٌ عن طريقة المفضل ومن جرى في أسلوبه كلَّ الانحراف.

قال الشيخ أبو محمد ابن الخشاب: وعلى أنني قرأت بخط المفضّل في كتابه الذي سماه «البارع» في الرد على كتاب العين في اللغة أشياءَ تدل على قصوره في الصناعة وضعفه[4] في قياسها، منها أنه ذكر الحروف التي جاءت لمعانٍ بعد أن ذكر أبنية الكلام فقال: والحدُّ الثالث من الكلام الأدوات[5]، وهي التي يسميها أهل البصرة حروف المعاني، فمنها ما هو على ثلاثة أحرف نحو إنّ وليت وكيف وأين، فعدَّ كما ترى كيف وأين في حروف المعاني، وذا سهل عندهم. ثم قال: ومنها ما هو على أربعة أحرف نحو حاشا ولولا، ومنها ما هو على خمسة أحرف نحو ما خلا وما عدا، وَجَعْلُهُ الحرفين مع ما واحداً وعدُّه لهما فيما بُنِيَ من أصولِ الكلم على خمسة أحرف من أفحش الخطأ وأنزله، ولو وفق لذكر « لاكنَّ » ومثَّلَ بها فليس في حروف المعاني ما هو على خمسة أحرف سوى لاكنَّ. ومرت بي فيما قرأته بخطه أشياء غير هذا تجري في التسمح مجراه.

قرأت بخط الشيخ أبي محمد ابن الخشاب: كان أبو الحسن علي بن أبي زيد

---

(1) ك: ونودي.

(2) ك: نسب.

(3) ك: المفضل نحوياً.

(4) ك: قصور ... وضعف.

(5) م: الأحداث.

الاستراباذي المعروف بالفصيحي رحمه الله يقول في الشجة التي تعرف عندهم بالمنقلة ، وهي التي تنقل منها العظام ، إنها المنقلة بكسر القاف ، ويرى كونها على صيغة الفاعل لا المفعول هو الوجه لا يجيز غيره ، ويقول الشجاج كلّها إنما جاءت على صيغة الفاعل كالحارصة والدامية والدامعة والدامغة والباضعة والمتلاحمة والموضحة والمفرشة وأشباههن ، قال وكذا ينبغي أن تكون المنقلة بكسر القاف ، وكأنها عنده رواية عضدها قياس . قال : وكان شيخنا موهوب بن أحمد رضي الله عنه ينكر[1] ذلك عليه ويعده تصحيفاً ، ويضبط اللفظة بفتح القاف على أنها صيغة مفعول ويكتب فوق القاف ما هذه صورته (فتح) ويقول : أيّ قياس مع الرواية ؟ هذا وهي تنقل منها العظام فيتعلق أيضاً بالتفسير ، ولعمري إن الأشهر فيها الفتح ، وهكذا ذكره أبو عبيد وابن السكيت عن الأصمعي قال : ثم المنقلة وهي التي يخرج منها العظام[2] ؛ وكان شيخنا موهوب رحمه الله يرى الكسر في قاف المنقلة تصحيفاً محضاً لا وجه له ، على أن أبا محمد ابن درستويه قد حكى عنه الكسر كما قال الفصيحي . قال : وقرأت بخط العبدري وأخبرني به في كتابه قال : سمعت محمد بن العالي اللغوي يقول : رُويتْ بالوجهين جميعاً . وحكى العبدريّ الكسر عن ابن درستويه أيضاً ، ولست أدري هل تعلق الفصيحي فيما ذهب إليه بقول ابن درستويه أو غيره ممن لعله حكى الكسر أم لا ، وهل رغب شيخنا موهوب عن الكسر بعد أن علم أنه قد حكي ولم يعتدّ بمكانة من حكاه أم لا ، والأشبه أنه لا يكون بلغه فإنه قلّما كان يدفع قولاً لمتقدم ولو ضعف . وأنا أقول إن النزاع في هذه اللفظة وشبهها المرجع فيه إلى مَحْض الرواية عنهم ، والمعوَّلُ في ذلك على ما يضبطه الأثبات فيها ، وقد قدمتُ من المشهور فيها الفتح كما قال شيخنا موهوب ، ولا حجة له في أنهم فسروها بأنها تخرج منها العظام وتُنقل فإنا لو خُلّينا وهذا الحجاج ووكلنا في إثبات لغة الفتح إليه لكان للخصم أن يقول إن الشجة وهي الضربة التي أدت إلى نقل العظام فهي المنقلة لأنها حملت على النقل ، ولا حجة لشيخنا الفصيحي أيضاً مع اشتهار الفتح فيها في حمله

---

(1) م : ينهى .

(2) فيتعلق أيضاً . . العظام : سقط من ك .

إياها على الفاعل من نظائرها لأنهم قالوا في الآمة المأمومة ، كما قال يصف ضربة[1] :

يحجّ مأمومةً في قعرها لَجَفٌ ... فأستُ الطبيب قذاها كالمغاريدِ[2]

على أنه يمكن أن يتأول المأمومة على معنى يحجّ هامةً مأمومة ، وقد قالوا في المشجوج نفسه مأموم وأميم ، والظاهر أنه أراد الشجة ، وقد جاء في الشجاج ما ليس على صيغة فاعل ولا مفعول كالسمحاق ، فهل هذه إلا محضُ رواية في التسمية ، وإن كان منقولاً فاعرف ما قال شيخانا رحمهما الله وقلناه ومن الله عز وجل نستمد التوفيق .

ومن خط ابن المتوكل : حدثني الشيخ الامام الفصيحي قال : رأيت بعض الموسومين في المارستان[3] وفي إبهامه أثرُ الحناءِ دون أصابعه فقلتُ له : ما معنى الحناء في الابهام دون سائر الأصابع ؟ فأنشدني :

وخاضبةٍ إبهامَها دونَ غيره ... رأتني وقد أعيا عليَّ تصبري

فقلتُ لها الابهامُ ما اسمُ خضابِهِ ... فقالت يسمى عَضَّةَ المتفكر

ـ 835 ـ

علي بن محمد بن محمد بن علي بن السكون الحلي أبو الحسن : من حلة بني مزيد بأرض بابل ، كان عارفاً بالنحو واللغة حسن الفهم جيد النقل حريصاً على تصحيح الكتب ، لم يضع قط في طرسه إلا ما وعاه قلبه وفهمه لبه ، وكان يجيد قول الشعر . وحكى لي عنه الفصيح بن علي الشاعر أنه كان نصيرياً قال لي : ومات في حدود سنة ستمائة ، وله تصانيف .

---

835 ـ الجامع المختصر 9 : 306 والوافي 22 : 132 (وكنيته أبو الحسين) وبغية الوعاة 2 : 199 .

---

(1) البيت في الكامل 1 : 110 ، 2 : 79 واللسان (حجج : غرد) وقد نسبه إلى عذار بن دارة الطائي ؛ (وفي أنواع الشجاج انظر الكامل 2 : 78 وما بعدها ؛ وتحديدها في كتب الفقه) .

(2) حجُّ الشجة : سبرها بالميل ليعالجها ، ومأمومة : بلغت أم الرأس ، في قعرها لجف : اي تَقَلُّع ،يعني انها بعيدة القعر ، فالطبيب يجزع من هولها ، فالقذى يتساقط من استه كالمغاريد ، والمغاريد جمع مغرود وهو نوع من الصمغ . وقال المبرد : المغاريد الصغار من الكمأة .

(3) ك : البيمارستان .

- 836 -

علي بن محمد بن يوسف بن خروف[1] الأندلسي الرندي النحوي : مشهور في بلاده مذكور بالعلم والفهم . مات فيما أخبرني به الفقيه شمس الدين أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف الغماري، قبيلة، في سنة ست وستمائة باشبيلية عن خمس وثمانين سنة وكان قد تغير عقله بأخرة[2] حتى مشى في الأسواق مكشوف الرأس[3] والعورة. وأخذ النحو عن الأستاذ أبي بكر ابن طاهر[4] المعروف بالخدبّ صاحب الحواشي على كتاب سيبويه بمدينة فاس[5] . وكان ابن خروف خياطاً إذا اكتسب منها شيئاً قسم ما يحصل له نصفين بينه وبين أستاذه ، وكان في خلقه زعارة وسوء عشرة ، ولم يتزوج قط ، وكان يسكن الخانات. قال : وحدثني ببدء اشتغاله أبو القاسم عبد الرحمن بن يخلف السلاوي (مدينة بالعدوة من المغرب) قال إنه أول يوم دخل على ابن طاهر شكا إليه الفقر وقال إنك لتأخذ مني أكثر مما تأخذ من الأعيان فقال : شرّك أعظم من شرّهم عليَّ في المجلس ، وكان يأمرني بنقل الماء إلي المسجد إذا احتاج الى استعماله فأقول له في ذلك فيقول : لا أحب أن تجلس بغير شغل ، ولم يتخذ بلداً موطناً بل كان ينتقل

836 ـ إنباه الرواة 4 : 186 والتكملة رقم : 1884 وبرنامج شيوخ الرعيني : 81 وابن خلكان 3 : 335 والذيل والتكملة 5 : 319 (وفيه وفي برنامج الرعيني تفصيلات دقيقة) وصلة الصلة : 122 والبدر السافر : 28 ب وتذكرة الحفاظ : 1390 ومرآة الجنان 4 : 21 والبداية والنهاية 13 : 53 والبلغة: 164 ولسان الميزان 4 : 257 ووفيات ابن قنفذ : 304 وحاشية على شرح بانت سعاد 1 : 629 ؛ قلت : وقد خلطت بعض المصادر بين ابن خروف النحوي وابن خروف الشاعر الذي هاجر من الأندلس وسكن حلب واسم الشاعر علي بن محمد بن يوسف وعلى هذا يقتضي تغيير ما أورده ياقوت في نسب ابن خروف النحوي، فهو علي بن محمد بن علي بن محمد بن خروف الحضرمي، إلا أن مادة الترجمة التي أوردها ياقوت سليمة لا خلط فيها (ومن المصادر التي خلطت بينهما الفوات والوافي وبغية الوعاة وابن الساعي) وقد نبهت على ذلك في حاشية الفوات 3 : 84 ، وكذلك في حاشية الذيل والتكملة ، وانظر أيضاً حاشية الوافي 22 : 89) .

(1) ك م : خروفة (وصححه في هامش ك : خروف) .

(2) بأخرة : زيادة من ك .

(3) كشف الرأس عند الأندلسيين ليس مستهجناً .

(4) في الأصل: أبي الحسن ابن طاهر ، والتصويب عن ابن عبد الملك .

(5) م : فارس .

في البلاد في طلب التجارة . وله تصانيف منها كتاب شرح سيبويه[1] ، حمله إلى صاحب المغرب فأعطاه ألف دينار[2] ، وله كتاب شرح الجمل في مجلد[3] واحد .

ـ 837 ـ

علي بن معقل أبو الحسن : ذكره الحبال في « كتاب الوفيات » فقال أبو الحسن ابن معقل الأديب الكاتب صاحب أبي علي الفارسي ، ولم يذكر اسمه ، فكتبته أنا كما ترى بالوهم إلى أن يصحَّ ، قال : مات في ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة .

ـ 838 ـ

علي بن المغيرة الأثرم أبو الحسن : كان صاحب كتب مصححة قد لقي بها العلماء وضبط ما ضمنها ، ولم يكن له حفظ ، لقي أبا عبيدة والأصمعي وأخذ عنهما . مات سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وهي السنة التي مات فيها الواثق .

وله من الكتب : كتاب النوادر . كتاب غريب الحديث .

وحدث أبو مسحل عبد الوهاب قال : كان إسماعيل بن صبيح الكاتب قد أقدم أبا عبيدة من البصرة في أيام الرشيد إلى بغداد وأحضر الأثرم ، وهو يومئذ وراق ، وجعله في دار من دوره ، وأغلق عليه الباب ودفع اليه كتب أبي عبيدة وأمره بنسخها ، فكنت

---

837 ـ من الصعب العثور على ترجمة له ، لأنّ اسمه محض تقدير من المؤلف .

838 ـ ترجمة الأثرم في مراتب النحويين : 94 ونور القبس : 215 والفهرست : 62 وتاريخ بغداد 12 : 107 والأنساب 1 : 114 (واللباب 1 : 28) ونزهة الألباء : 126 وإنباه الرواة 2 : 319 والوافي 22 : 214 والنجوم الزاهرة 2 : 263 وبغية الوعاة 2 : 206 .

. . . .

(1) سماه : تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب .

(2) حمله إلى الناصر من بني عبد المؤمن (نسخة في أربع مجلدات) فأثابه عليه بأربعة الاف درهم من دراهمهم .

(3) م : جلد .

أنا وجماعة من أصحابنا نصير الى الأثرم فيدفع إلينا الكتابَ والورقَ الأبيضَ من عنده ويسألنا نسْخَهُ وتعجيله ، ويوافقنا على الوقت الذي نردّه إليه ، فكنا نفعل ذلك ، وكان الأثرم يقرأ على أبي عبيدة، وكان أبو عبيدة من أضنّ الناس بكتبه ولو علم ما فعله الأثرم لمنعه من ذلك .

وكان الأثرم يقول الشعر فمن قوله :

كبرتُ وجاء الشيبُ والضعفُ والبلى ... وكل امرىءٍ يبلى إذا عاش ما عشتُ
أقولُ وقد جاوزتُ تسعين حجةً ... كأن لم أكن فيها وليداً وقد كنتُ
وانكرت لما أن مضى جُلُّ قوتي ... وتزدادُ ضعفاً قوّتي كلما زدتُ
كأني إذا أسرعتُ في المشي واقفٌ ... لقرب خطىً ما مسُّها قِصَراً وقتُ
وصرتُ أخاف الشيءَ كان يخافني ... أُعَدُّ من الموتى لضعفي وما متُّ
وأسهرُ من بَرْد الفراش ولينه ... وإن كنتُ بين القوم في مجلسٍ نمتُ

ـ 839 ـ

علي بن منجب بن سليمان الصيرفي أبو القاسم : أحد فضلاء المصريين وبلغائهم، مُسلّم ذلك له غير منازع فيه، وكان أبوه صيرفياً، واشتهى هو الكتابة فمهر فيها. مات في أيام الصالح بن رزيك بعد خمس وخمسمائة، وقد اشتهر ذكره وعلا شأنه في البلاغة والشعر والخط ، فإنه كتب خطاً مليحاً وسلك فيه طريقةً غريبة ، واشتغل بكتابة الجيش والخراج مدة ، ثم استخدمه الأفضل بن أمير الجيوش وزير المصريين في ديوان المكاتبات ورفع من قدره وشهره ، ثم إنه أراد أن يعزل الشيخ ابن أبي أسامة عن ديوان الانشاء ويفرد ابن الصيرفي به ، واستشار في ذلك بعض خواصه ومن يأنس به فقال له : إن قدرت أن تفدي ابن أبي أسامة من الموت يوماً واحداً بنصف مملكتك فافعل ذلك ولا تُخْل الدولة منه فإنه جمالها ، فأضرب عن ابن الصيرفي ، ومات

---

839 ـ ترجمة ابن منجب الصيرفي في أخبار مصر : 87 والمغرب (قسم القاهرة) : 252 والوافي 22 : 228 وصبح الأعشى 1 : 96 واتعاظ الحنفا 3 : 185 .

الأفضل وخدم الحافظ المسمى بالخلافة بمصر.

ولابن الصيرفي من التصانيف : كتاب الإشارة فيمن نال رتبة الوزارة[1] . كتاب عمدة المحادثة . كتاب عقائل الفضائل . كتاب استنزال الرحمة . كتاب منائح القرائح . كتاب رد المظالم . كتاب لمح الملح . كتاب في السكر[2] وله غير ذلك من التصانيف وله اختيارات كثيرة لدواوين الشعراء كديوان ابن السراج وأبي العلاء المعري وغيرهما[3] .

ومن شعره قوله :

لما غدوتَ مليكَ الأرضِ أفضلَ مَنْ ... جَلَّتْ مفاخرُهُ عن كلِّ إطراءِ
تغايرت أدواتُ النطقِ فيكَ على ... ما يصنعُ الناسُ من نظم وإنشاء

وله :

لا يبلغُ الغايةَ القصوى بهمته ... إلا أخو الحربِ والجردِ السلاهيب
يطوي حشاه إذا ما الليلُ عانقه ... على وشيجٍ من الخطيِّ مخضوب

وله :

هذي مناقبُ قد أغناه أيسرها ... عن الذي شرعتْ آباؤُهُ الأولُ
قد جاوزت مطلعَ الجوزاءِ وارتفعت ... بحيث ينحطُّ عنها الحوتُ والحملُ

ولابن الصيرفي رسائل أنشأها عن ملوك مصر تزيد على أربع مجلدات .

---

(1) طبع بتحقيق عبد الله مخلص (1924) بعنوان : الإشارة إلى من نال الوزارة .

(2) الوافي : الشكر .

(3) نشر له الأستاذ هلال ناجي « المختار من شعر شعراء الأندلس » (مطبعة فضالة ، المحمدية ، المغرب) ورسالة في العفو ، ثم ظهرت هذه الرسالة مع مجموعة أخرى من رسائله بعنوان الأفضليات (تحقيق د. وليد قصاب ود. عبد العزيز المانع ، دمشق 1982) .

ـ 840 ـ

علي بن منصور بن عبيد الله الخطيبي المعروف بالأجل اللغوي ، يكنى أبا علي ، الأصبهاني الأصل بغدادي المولد والمنشأ : عالم فاضل لغوي فقيه كاتب مقيم بالنظامية ، قرأ على ابن العصار وأبي البركات الأنباري وغيرهما ، وتفقه على مذهب الشافعي بالنظامية ، ولا أعلم له في زمانه نظيراً في علم اللغة ، فإنه حدثني أنه كان في صباه يكتب كل يوم نصف جزء خمس قوائم من « كتاب مجمل اللغة » لابن فارس ويحفظه ويقرأه على علي بن عبد الرحيم السلمي المعروف بابن العصار ، حتى أنهى الكتاب حفظاً وكتابة ، وحفظ « إصلاح المنطق » في أيسر مدة ، وحفظ غير ذلك من كتب اللغة والفقه والنحو ، وطالع أكثر كتب الأدب ، وهو حفظة لكثير من الأشعار والأخبار ممتع المحاضرة ، إلا أنه لا يتصدّى للاقراء ، ولقد سألته في ذلك وخضعتُ إليه بكلِّ وجه فلم ينقدْ لذلك ، ولا يكاد أحدٌ يراه جالساً ، إنما هو في جميع أوقاته قائم على رجليه في النظامية ، ولو جلس للاقراء لأحيا علومَ الأدب وَلَضُرِبَتْ إليه آباطُ الإبل في الطلب . بلغني أن مولده سنة سبع وأربعين وخمسمائة . أنشدني أبو الحسن علي بن الحسين بن علي السنجاري يعرف بابن ذنابة ، قال أنشدني الأجل علي بن منصور اللغوي لنفسه :

فؤاد معنّىً بالعيون الفواترِ ... وصبوةُ بادٍ مغرمٍ بالحواضرِ
سهيران ذادا عن جفونٍ متيّمٍ ... كراها وباتا عنده شرُّ سامرِ

وأنشدني قال أنشدني لنفسه :

لمن غزالٌ بأعلى رامةٍ سنحا ... فعاود القلبَ سكرٌ كان منه صحا
مقسّمٌ بين أضداد فطُرّتُهُ ... جنحٌ وَغُرّته في الجنح ضوءُ ضحى

---

840 ـ ترجمة الخطيبي في إنباه الرواة 2 . 321 وطبقات الأسنوي 2 : 369 والوافي 22 : 235 (وينقل عن ياقوت) وبغية الوعاة 2 ٬ 207 وكانت وفاة الخطيبي سنة اثنتين وعشرين وستمائة .

- 841 -

علي بن منصور بن طالب الحلبي الملقب دوخلة يعرف بابن القارح[1]:

يكنى أبا الحسن، قال ابن عبد الرحيم: هو شيخ من أهل الأدب شاهدناه ببغداد راوية للأخبار وحافظاً لقطعة كبيرة من اللغة والأشعار قؤوماً بالنحو، وكان ممن خدم أبا عليّ الفارسي في داره وهو صبي، ثم لازمه وقرأ عليه - على زعمه - جميع كتبه وسماعاته، وكانت معيشته من التعليم بالشام ومصر، وكان يحكي أنه كان مؤدباً لأبي القاسم المغربي الذي وزر ببغداد لقاه الله سيّء أفعاله كذا قال، وله فيه هجو كثير، وكان يذمّه ويعدّد معايبه. وشعره يجري مجرى شعر المعلمين قليلَ الحلاوة خالياً من الطلاوة، وكان آخر عهدي به بتكريت في سنة إحدى وعشرين وأربعمائة[2] فإنا كنا مقيمين بها واجتاز بنا وأقام عندنا مدة، ثم توجه إلى الموصل وبلغتني وفاته من بعد، وكان يذكر أن مولده بحلب سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة ولم يتزوج ولا أعقب، وجميع ما أورده من شعره مما أنشدنيه لنفسه، فمنه في الشمعة:

لقد أشبهتني شمعةٌ في صبابتي ... وفي طولِ ما ألقى وما أتوقّعُ

نحولٌ وحرقٌ في فَناء ووحدةٌ ... وتسهيدُ عينٍ واصفرارٌ وأدمعُ

ومنه في هجو المغربي:

لقبت بالكامل ستراً على ... نقصك كالباني على الخصِّ

فصرتَ كالكنف إذا شيدت ... بُيِّضَ أعلاهُنَّ بالجص

يا عُرَّةَ الدنيا بلا غُرَّةٍ ... ويا طويسَ الشؤمِ والحرصِ

قتلتَ أهليك وأنهبت بيـ ... ـتَ الله بالموصلِ تستعصي

---

841 - ترجمة ابن القارح في الوافي 22: 233 وبغية الوعاة 2: 207 ورسالته الى أبي العلاء التي أثارت «رسالة الغفران» منشورة قبل هذه الثانية (تحقيق الدكتورة بنت الشاطىء /1950) ص 17 - 64، وانظر بغية الطلب لابن العديم 5: 18 - 19، 9: 139.

(1) بعدها في م: وهو الذي كتب إلى أبي العلاء .... برسالة الغفران، وقد حذفتها من هنا، لأن موضعها في ك جاء في آخر الترجمة.

(2) ورد في م: 461 وتصويبه من ك.

وله في المداعبة :

أين من كان يوضع الأير إجلا لا على الرأسِ عنده ويباسُ
أين من كان عارفاً بمقاديـــر الأيورِ الكبارِ مات الناسُ

وله :

يا رُمْحَها العسّالَ بل يا سيفها الـــقصّال نارُكَ ليس تخبو
يا عاقد المنن الرغا بِ على الرقاب لهن سحب
كفروك ما أوليتهم والربُّ يشكرُ ما تَرُبّ

وسئل أن يجيز قول الشاعر :

لعلَّ الذي تخشاه يوماً به تنجو ويأتيك ما ترجوه من حيثُ لا ترجو

فقال :

فثِقْ بحكيمٍ لا مردَّ لحكمه فما لك في المقدورِ دَخْلٌ ولا خَرْجُ

وكان بينه وبين الكسروي مهاترة ومهاجاة ومماظة فمن قوله فيه :

إذا الكسروي بدا مقبلاً وفي يده ذيلُ دراعتِهْ
وقد لبس العُجْبَ مستنوكاً يتيهُ ويختالُ في مشيتهْ
فلا يمنعنَّك بأواؤه ضراطاً يقعقعُ في لحيته

وله :

الصيمريُّ دقيق الفكرِ في اللقم يقولُ كم عندكم لونٌ وكم وكمِ
يسعى إلى من يرى إكثاره وكذا يراه ذاك وما هذاك من عدم
يلقى الوعيد بما يلقى الحشوش به وذاك واللّه بخلٌ ليس بالأمم

قال وحدثني قال : كنت أؤدب ولدي الحسين بن جوهر القائد بمصر وكانا مختصين بالحاكم وأنسين به ، فعملت قصيدة وسألت المسمّى منهما جعفراً وكان من أحسن الناس وجهاً ، ويقال إن الحاكم كان يميل إليه ، أن يوصلها ففعل وعرضها عليه ، فقال : من هذا ؟ فقال : مؤدبي ، قال : يعطى الف دينار ، واتفق أن المعروف بابن مقشر الطبيب كان حاضراً ، فقال لا تثقلوا على خزائن أمير المؤمنين يكفيه

النصف ، فأعطيت خمسمائة دينار ، وحدثني ابن جوهر بالحديث ، وكانت القصيدة على وزن منهوكة أبي نواس أقول فيها :

إن الزمانَ قد نصر بالحاكم الملك الأغَرّ
في كفّه عضب ذكر فقد غدا على القصر
من غرة على غرر[1] يمضي كما يمضي القدر
في سرعةِ الطرف نظر أو السحاب المنهمر
بادر إنفاق البِدَر بدرٌ إذا لاح بهر

وهي طويلة ، واتفق أن الطبيب المذكور لحقته بعد هذا بأيام شقفة ، وهي التي تسمى التراقي ، ويقال لها قملة النسر أيضاً ، فمات منها وكان نصرانياً فقلت :

لما غدا يستخفُّ رضوى تيهاً وكبراً لجحدِ ربّهْ
أصماه صرفُ الردى بسهمٍ عاجله قبل وقتِ نحبهْ
بشقفةٍ بين منكبيه رِشاؤُها في قليبِ قلبهْ

قال عبد الله الفقير اليه مؤلف الكتاب : وعلي بن منصور هذا يعرف بابن القارح ، وهو الذي كتب إلى أبي العلاء المعري الرسالة المعروفة برسالة ابن القارح ، فأجابه أبو العلاء برسالة الغفران ، وذكر اسمه فيها .

ـ 842 ـ

علي بن مهدي بن علي بن مهدي الكسروي أبو الحسن الأصفهاني معلم ولد أبي الحسن علي بن يحيى بن المنجم : أحد الرواة العلماء النحويين الشعراء ، مات في أيام بدر المعتضدي على أصبهان. قال حمزة: علي بن مهدي الكسروي وهو ابن

842 ـ ترجمة الكسروي في معجم الشعراء : 149 ونور القبس : 338 والفهرست: 167 والوافي 22: 244 وبغية الوعاة 2: 208 .

(1) م : الغرر .

أخت علي بن عاصم بن الحريش ، وكان متصلاً ببدر المعتضدي ، وفي أيامه مات ، يعني أيامه على أصبهان ، وكان قد ولي أصبهان سنة ثلاث وثمانين ومائتين أيام المعتضد إلى أن ولي ابنه المكتفي سنة تسع وثمانين ومائتين.

قال ابن أبي طاهر : وكان الكسروي أديباً ظريفاً حافظاً راوية شاعراً عالماً بـ « كتاب العين » خاصة ، وكان يؤدب هارون بن علي بن يحيى النديم واتصل بأبي النجم المعتضدي مولى المعتضد وتوفي في خلافته.

وذكره المرزباني فقال : حدثني علي بن هارون عن أبيه وعمه قالا : كان أبو الحسن علي بن يحيى بن المنجم جالساً يوماً وبحضرته من لا يخلو مجلسه منه من الشعراء كأحمد بن أبي طاهر وأحمد بن أبي فنن وأبي علي البصير وأبي هفان المهزمي والهدادي - وهو ابن عمه أي أبي هفان - وابن العلاف وأبي الطريف وأحمد بن أبي كامل خال ولد أبي الحسن وعلي بن مهدي الكسروي ، وكان معلم ولده ، فأنشد الجماعة بيتاً ذكر أنه مر به مفرداً فاستحسنه وأحبَّ أن يضاف إليه بيت آخر يصل معناه ويزيد في الامتاع به وهو :

ليهنك أني لم أجدْ لك عائباً ... سوى حاسدٍ والحاسدونَ كثيرُ

فبدره علي بن مهدي من بين الجماعة وقال :

وأنك مثلُ الغيثِ أما وقوعه ... فخصبٌ وأما ماؤه فطهورُ

فاستحسنه أبو الحسن وضمّه إلى البيت الأول ، وكان أبو العنبس[1] ابن حمدون حاضراً فقال له : الصنعة فيهما عليك فطلب عوداً وانفرد فصنع فيه رَمَلَهُ المشهور.

وحدث عن الصولي قال : كتب عبد الله بن المعتز إلى علي بن مهدي الأصبهاني :

وما نازحٌ بالصينِ أدنى محلّه ... يقصّر عنه كلُّ ماشٍ وطائرِ
محا اليأسُ منه كلَّ ذكرٍ فلم تكدْ ... تصوِّرُهُ للقلب أيدي الخواطرِ
بأبعد عندي من أناسٍ وإن دنوا ... وما البعدُ إلا مثل طولِ التهاجرِ
ويشغل عني القصفُ والراحُ بعضَهم ... مباكرَها أو ممسياً كمباكرِ

(1) ك م : أبو العبيس.

إذا طار بين العود والناي طيرةً ... فليس لإخوانِ الصفاءِ بذاكرِ

قال فأجابه علي بن مهدي :

أيا سيدي عفواً وحسنَ إقالةٍ ... فلم يحوِ أقطارُ العلا مثلَ غافرِ
لعمري لو آنّ الصين أدنى محلّتي ... لما كنتُ إلا غائباً مثلَ حاضرِ
ثنائي لكم عمري ومحضُ مودتي ... تؤثر آثارَ الغيوثِ البواكرِ
ووالله ما استبهجتُ بعدك مجلساً ... ولا بقيتْ لذاته في ضمائري
ولستُ كمن يثنيه أهل صفائه ... سماعُ الحسان واصطخابُ المزاهرِ
وكيف تناسي سيدٍ لي ثناؤه ... منوطٌ بأحشائي وسمعي وناظري

وحدث عن عبد الله بن يحيى العسكري عن أحمد بن سعيد الدمشقي قال : كتب عبد الله بن المعتز إلى علي بن مهدي الكسروي[1] :

يا باخلاً بكتابه ورسوله ... أأردتَ تجعلُ في الفراق فراقا
إن العهودَ تموتُ إن لم تحيها ... والنأيُ يُحْدِثُ للفتى إخلاقا

قال فكتب إليه علي بن مهدي :

لا والذي أنت أسنى مَنْ أُمَجِّدُهُ ... عندي وأوفاهمُ عهداً وميثاقا
ما حلتُ عن خيرٍ ما قد كنتَ تعهدُهُ ... ولا تبدلْتُ بعدَ النأي أخلاقا
لكن عجزيَ عن نعماك أفحمني ... فانقدت للعجز مغلوباً ومشتاقا[2]

وحدث عن علي عن عبد الله بن المعتز قال : كتب إليّ علي بن مهدي الكسروي في يوم مهرجان :

نعمتَ بما تهوى ونلتَ الذي ترضَى ... وَلُقِّيتَ ما ترجو وَوُقِّيتَ ما تخشى
ولستُ بما ألقى من الخير كلّه ... أسرَّ وأحظَى سيدي بالذي تلقى
ويعلمُ علاّمُ الخفيّاتِ أنني ... أعدّك ذخراً للمماتِ وللمحيا
وأنيّ لو أُهدي على قدرِ نيتي ... لكان الذي أهديه حظي من الدنيا

وحدث عن العسكري عن ابن سعيد[3] الدمشقي قال : كتب عبد اللّه بن المعتز

---

(1) ما كتبه ابن المعتز وجوابه وردا في نور القبس : 338 ـ 339 .

(2) سقط هذا البيت من ك . (3) ك : عن أبي سعيد .

إلى علي بن مهدي[1] :

أبا حسنٍ أنت ابنُ مهديٍّ فارسٍ فرفقاً بنا لستَ ابنَ مهديٍّ هاشمِ
وأنت أخٌ في يومِ لهوٍ ولذةٍ ولست أخاً عند الأمورِ العظائمِ

فأجابه عليٌّ :

أيا سيدي إنّ ابنَ مهديٍّ فارس فداءٌ ومن يهوى لمهديٍّ هاشمِ
بلوتَ أخاً في كلِّ أمرٍ تحبّه ولم تبله عند الأمورِ العظائمِ
وانك لو نبَّهته لملمةٍ لأنساك صولاتِ الأسودِ الضراغمِ

قال ، وقال محمد بن داود : كان علي بن مهدي يؤدِّب ، وهو أحد الرواة للأخبارِ ، وهو القائل[2] :

ولما أبى أن يستقيم وصلتُهُ على حالتيه مكرهاً غيرَ طائعِ
حذاراً عليه أن يميل بودّه فأبلى بقلب لستُ عنه بنازع
فأصبحَ كالظمآنِ يهريق ماءه كضوءِ سرابٍ في المهامه لامع
فلا الماءَ أبقى للحياةِ ولا أتى على منهلٍ يجدي عليه بنافع

وله :

ومودّعٍ يومَ الفراقِ بلحظهِ شرقٍ من العبراتِ ما يتكلّمُ
متقلّب نحو الحبيب بطرفه لا يستطيعُ إشارةً فيسلّمُ
نطق الضميرُ بما أرادا عنهما وكلاهما مما يعاينُ مفحمُ

وقال علي بن مهدي يصف العود[3] :

تجري أناملها على ذي منطقٍ أعمى بصيرِ
خَرِسٍ أصمٌ ونحن من نجواهُ في دهرٍ قصيرِ
فَدْمٌ صموتٌ ليس يعـــرفُ ما القبيلُ من الدبيرِ

(1) انظر معجم الشعراء : 150 والوافي : 245 .
(2) الوافي (نفسه) .
(3) بعضها في الوافي : 246 .

مَـيْـتٌ ولـكـنَّ الأكـــــفَّ تذيقه طعمَ النشور

وكـأنه في حجـرهـا[1] طفـلٌ تمهَّد حجـرَ ظير

تـومي إليـه بنـانهـا فتريك ترجمةَ الضمير

فترى النفـوسَ معلقـا تِ منـه في بَمّ وزيـر

فـإذا لـوتْ آذانـه جـاز الأنينَ إلى الزفير

قـالت لـه قُـلْ مطربـاً « وعظتك واعظة القتير»

فأجابهـا من حجـرهـا «وعلتـك أبهـة الكبير»

وذكـره محمد بن اسحـاق النديم فقـال : كان مؤدب ولـد هـارون بن علي بن يحيى بن المنجم ، واتصل بعد ذلك بأبي النجم بدر المعتضدي ، وكان عالماً بكتاب العين خاصة[2].

وله من الكتب : كتاب الخصال ، وهو مجموع يشتمل على أخبار وحكم وأمثال وأشعار . كتاب مناقضات[3] من زعم أنه لا ينبغي أن يقتدي[4] القضاة في مطاعمهم بالأئمة الخلفاء ، وقد عزي هذا الكتاب إلى الكسروي الكاتب والله أعلم[5] كتاب الأعياد والنواريز . كتاب مراسلات الاخوان ومحاورات الخلان .

وقال الكسروي في ضرطة وهب بن سليمان[6] :

إن وهـبَ بـنَ سليمـــــانَ بن وهب بن سعيـد

حمـل الضرطَ الى الـر يِّ على ظهْـر البـريـد

فـي مـهـمّـاتِ أمـورٍ منه بالركض الشديد

استـه تنـطقُ يومَ الحـــفـل بـالأمر الرشيـد

لم يُجِدْ في القولِ فاحتا ج إلـى دُبْـرٍ مُـجـيـد

---

(1) م ك : حجره .

(2) وذكره . . . خاصة : سقط من م لأنه مكرر .

(3) ك : مسارعات

(4) ك م : يقتضي .

(5) والله أعلم : زيادة من ك .

(6) وردت ما عدا الثالث في ثمار القلوب : 208 ـ 209 دون نسبة ، وانظر الوافي 246.

ومن « كتاب أصبهان » :

قال هرون بن علي بن يحيى : اجتمعنا مع أبي الفضل أحمد بن أبي طاهر عند علي بن مهدي فلما أردنا الانصراف أنشأ أبو الفضل يقول[1] :

لـولا عليُّ بن مهـديٍّ وَخُلَّتُـهُ   لمـا اهتدينـا إلى ظَرْفٍ ولا أَدَب

إذا سقى مُتْرَعَ الكاسـاتِ أوهمنا   بـأن غلماننـا خيرٌ من العـرب[2]

ـ 843 ـ

علي بن نصر الجهضمي أبو عمرو النحوي اللغوي أحد أصحاب الخليل ، ذكره الزبيدي فقال ، قال ابراهيم بن السري ، يعني الزجاج ، قال نصر بن علي بن نصر الجهضمي : لما أراد سيبويه أن يؤلف كتابه قال لأبي : تعالَ نحي علم الخليل،

843 ـ ترجمة علي بن نصر الجهضمي في تاريخ خليفة : 493 وطبقات الزبيدي : 75 ومراتب النحويين : 67 وأخبار النحويين البصريين : 49 ونور القبس : 72 والوافي 22 : 271 وتهذيب التهذيب 7 : 390 وبغية الوعاة 2 : 211 والشذرات 1 : 316 وله ترجمة في إنباه الرواة باسم « نصر بن علي » وقد ترجم الذهبي في السير 12 : 136 لنصر بن علي الجهضمي الكبير وهو الذي روى عن النضر بن شميل وعبد الله بن غالب الحدّاني ، وروى عنه ابنه علي وهذا الثاني توفي سنة 187 أما الذي توفي سنة 250 فهو علي بن نصر بن علي بن نصر (انظر سير الذهبي 138 ـ 140 وفي حواشيه تخريج كثير) .

وفي هذا الذي قاله الذهبي نظر ، ذلك لأن النضر بن شميل توفي سنة 203 فلا يمكن أن يروي عنه الجهضمي الكبير ، والأقرب أن يكون الراوي عنه هو الابن علي المتوفى سنة 187 (أي أنهما متعاصران) وخير من ذلك أن يكون الراوي عنه هو الذي توفي سنة 250 فذلك أقرب إلى علاقة التلميذ بالأستاذ من الناحية الزمنية . ومع ذلك فالاضطراب قائم في المصادر ، وليس القطع فيه سهلاً .

(1) أوجز الخبر في لـ كما يلي : ومن كتاب أصبهان قال : وأحمد بن أبي طاهر هو القائل في علي بن مهدي .

(2) في لـ بعد هذه الترجمة : أبو نصر بن علي بن نصر الجهضمي ؛ وعلق في الحاشية الصحيح أن يكتب : علي من نصر الجهضمي أبو النصر ؛ وتحته : ينقل إلى بابه ـ باب النون . قلت : ولم ترد ترجمة « نصر بن علي الجهضمي » في حرف النون . والصواب أنه « علي بن نصر الجهضمي » ـ ما دام من أصحاب الخليل ـ ولكن هذا الاضطراب قديم ، إذ ترجم له القفطي في « نصر بن علي الجهضمي » وخالفه في ذلك غيره .

ومات [. . .] .

قال نصر : وسمعت الأخفش يقول : نفذ من أصحاب الخليل أربعة : سيبويه والنضر بن شميل وعلي بن نصر الجهضمي ومؤرج السدوسي .

قال السمعاني : الجهضمي منسوب إلى الجهاضمة ، وهي محلة بالبصرة ، والمشهور منها أبو عمرو نصر بن علي[1] ، روى عن النضر بن شميل [و] الحداني البصري .

قال المؤلف : والحداني منسوب إلى حدان بن شمس بن عمرو بن غنم بن غالب بن عثمان بن نصر بن الأزد .

عدنا إلى قول السمعاني : قاضي البصرة ، من العلماء المتقنين يروي عن ابن عيينة والمعتمر بن سليمان وحاتم بن وردان ونوح بن قيس ويحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي ويزيد بن زريع والأصمعي . روى عنه محمد بن إسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج بن مسلم وأبو عيسى الترمذي وأبو داود السجستاني[2] ، وذكر غير هؤلاء ، ثم قال : وكان ثقة ثبتاً حجة ، وكان المستعين بالله بعث إلى علي بن نصر[3] يشخصه للقضاء ، فدعاه عبد الملك أمير البصرة لذلك ، فقال : أرجعُ فأَسْتَخيرُ اللّه ، فرجع إلي بيته نصف النهار فصلّى ركعتين وقال : اللهم إن كان لي عندك خير فاقبضني إليك ، فنام فأنبهوه فإذا هو ميت ، وذلك في جمادى الآخرة سنة خمسين ومائتين .

ووجدت في بعض الكتب أن نصر بن علي الجهضمي[4] قال كان لي جار طفيلي[5] .

---

(1) من هنا ـ فيما يبدو ـ نشأ الاضطراب .

(2) هؤلاء رووا عن الجهضمي الذي توفي سنة 250 وهو في الأرجح علي بن نصر بن علي بن نصر

(3) ك : بعث إلى نصر إلى علي بن نصر .

(4) هكذا ورد .

(5) في هامش ك : انقطعت [الترجمة] .

ـ 844 ـ

علي بن نصر النصراني يعرف بابن الطبيب أبو الحسن الكاتب : ذكره محمد بن إسحاق النديم وقال : كان أديباً مصنفاً مات في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة وله عدة كتب . قال : وكان يذاكرني بها وأحسبه لم يتمم أكثرها فمن كتبه : كتاب البراعة . كتاب صحبة السلطان ، أكثر من ألف ورقة . كتاب إصلاح الأخلاق نحو من ألف وخمسمائة ورقة يشتمل على حكم وأمثال .

ـ 845 ـ

علي بن نصر بن سليمان البرنيقي[1] اللغوي أبو الحسن ، أحد الأدباء : رأيت بخطه كتباً أدبية لغوية ونحوية فوجدته حسن الخط متقن الضبط ، وكان مقامه بمصر ولعله من أهلها ، قرىء عليه كتاب الهمز لأبي زيد الأنصاري بجامع مصر في سنة أربع وثمانين وثلاثمائة .

ـ 846 ـ

علي بن نصر بن سعد بن محمد الكاتب أبو تراب: وُلد بعكبرا ونشأ بها، ثم انحدر بعد أن بلغ إلى بغداد وقرأ الأدب والنحو على ابن برهان النحويّ ، ثم انحدر إلى البصرة وصار كاتباً لنقيب الطالبيين بها وأقام هناك مدة ، ثم رجع إلى بغداد في سنة تسعين وأربعمائة وأقام بالكرخ وولي الكتابة لنقيب الطالبيين إلى أن مات . وكان من أهل الأدب والفضل مولده في محرم سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ، وتوفي في جمادى

844 ـ ترجمة ابن الطبيب في الفهرست : 145 والوافي 22 : 270 (عن ياقوت دون تصريح) .

845 ـ ترجمة البرنيقي في معجم البلدان 1 : 404 وإنباه الرواة 2 : 323 والوافي 22 : 270 (عن ياقوت) وبغية الوعاة 2 : 211 .

846 ـ ترجمة أبي تراب الكاتب في الخريدة (قسم العراق) 4 : 26 والوافي 22 : 269 .

(1) م : الزنبقي ؛ وما أثبته في ك .

الآخرة سنة ثمان عشرة وخمسمائة . وابنه علي بن علي بن نصر بن سعد أبو الحسن بن أبي تراب كان كاتب نقيب الطالبيين أيضاً وكان شاعراً ولد بالبصرة سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة .

ومن شعر أبي تراب هذا :

حالي بحمد الله حالٍ جيدُهُ لكنه من كلِّ خيرٍ عاطلُ
ما قلتُ للأيام قولَ معاتبٍ والرزقُ يدفع راحتي ويماطلُ
إلا وقالت لي مقالةَ واعظٍ الرزقُ مقسومٌ وحرصك باطلُ

ـ 847 ـ

علي بن نصر بن محمد بن عبد الصمد الفندورجيّ[1] أبو الحسن الاسفرائني ، وفندورج[2] قرية بنواحي نيسابور ، سكن اسفرائين ، وكان يرجع إلى فضل وافر ومعرفة تامة باللغة والأدب وخط وبلاغة ، وله شعر مليح رائق ويد باسطة في الكتابة والرسائل . ورد بغداد سنة ثمان وعشرين وخمسمائة وأقام بها مدة واقتبس من فضلائها ورجع إلى خراسان وصار ينشىء الكتب عن ديوان الوزارة ، عن طاهر بن نظام الملك والسلطان سنجر باللسانين العربي والفارسي[3] . وسئل عن مولده فقال ولدت سنة تسع وثمانين وأربعمائة بنيسابور . قال السمعانيّ : ومات في حدود سنة خمسين وخمسمائة ، ومن شعره :

تحيةَ مزنٍ يتحفُ الروضَ سُحْرَةً بصوبِ الحيا في كلِّ يومٍ عليكمُ

---

847 ـ للفندورجي ترجمة في الأنساب 9: 335 واللباب 2: 442 والتحبير 1: 595 والوافي 22: 269 (عن ياقوت . وفي لـ : علي بن منصور) .

....

(1) في التحبير : الفندروجي ، بتقديم الراء على الواو .

(2) لـ : وفندور ؛ التحبير : وفندروجه (وفي الأصل : وفندور) ، وضبط السمعاني لها يدلّ على أن ما ورد في ياقوت هو الصحيح (أعني بتقديم الواو على الراء ، واضطرب ما ورد في التحبير) .

(3) عن طاهر . . . والفارسي : لم يرد في م ؛ قلت : وفي التحبير : طاهر بن فخر الملك [بن نظام الملك] .

فجسمي معي لكنَّ قلبيَ أكرموا بلطفكمُ مثواهُ فهو لديكمُ

قال السمعاني أنشدني الفندورجي لنفسه :

سقى اللّٰه في أرض آسفرائين عصْبَتي فما تنتهي العلياءُ إلّا اليهمُ
وجربتُ كلَّ الناسِ بعد فراقهم فما زدتُ إلّا فَرْطَ ضنٍّ عليهم[1]

قال السمعاني وأنشدني لنفسه ببلخ إملاء ونقلته من خطه :

قد قصَّ أجنحةَ الوفاءِ وطار من وَكْرِ الودادِ المحضِ والإخلاصِ
والحرُّ في شَبَكِ الجفاءِ وماله من أَسْرِ حادثةٍ رجاءُ خلاصِ

كان في آخر جزء بخطّ السمعاني ما صورته : لكاتبه أبي الحسن الفندورجي :

حُمَّ الحبيبُ وآذاه السَّقامُ ولم أمتْ كما شاءَ سلطانُ الهوى حَزَنا
بأيِّ عينٍ إذا ما الوصلُ يجمعنا بالطالع السعد أُلقى وجهه الحسنا
والجفنُ منيَ دامٍ لا يصافحُ إذ ناغى الكرى في الدجى جَفْنَ الورى الوسنا
وكاد عن بدني ينسلُّ روحيَ إذ مسَّ الأذى منه تلك الروحَ والبدنا

وله أيضاً في المعنى نقلته من خطه[2] :

حُمَّ الحبيبُ وما حُمَّ انفصاليَ عن روحٍ وعن بدنٍ يحيا بذكراهُ
بأيِّ وجهٍ إذا ما الوصلُ يجمعنا ومقلةٍ أتلقاهُ وألقاهُ

وُقرأت بخط أبي سعد ، سمعت علي بن نصر النيسابوري مذاكرةً بمرو يقول : كنت ببغداد فرأيت أهلها تستحسن هذه الأبيات التي لأبي إسماعيل المنشىء[3] :

ذكرتُكمُ عندَ الزلالِ على الظما فلم أنتفعْ من بردهِ ببلالِ

فانشأت قصيدة في نقيب النقباء أبي القاسم علي بن طراد الزينبي على هذا الروي أولها :

---

(1) قال السمعاني . . . عليهم : سقط من ك .

(2) ك : وله من خطه .

(3) أبو إسماعيل المنشىء هو الطغرائي ، انظر ديوانه : 317 .

خليليَّ زُمَّتْ[1] للرحيلِ جمالي فقد ضاق في أرضِ العراق مجالي
وقودا عتاقاً كالأهلة إنما ديارُ الندى والمكرماتِ خوالي
وما أوجبتْ بغدادُ حقي وغادرت بلابلَ بعد الظاعنين ببالي

ـ 848 ـ

علي بن وصيف الملقب بخشكنانجه الكاتب : من أهل بغداد ، وكان أكثر مقامة بالرقة ثم انتقل إلى الموصل ، وكان من البلغاء ، وألف عدة كتب ونحلها عبدان صاحب الاسماعيلية . قال محمد بن اسحاق النديم : وكان لي صديقاً وأنيساً ، ومات بالموصل ، وله من الكتب كتاب الافصاح والتثقيف في الخراج ورسومه .

ـ 849 ـ

علي بن هبة الله بن ماكولا: هو علي بن هبة الله بن جعفر بن علّكان بن محمد بن دلف بن أبي دلف القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل بن عمرو بن شيخ بن معاوية بن خزاعي بن عبد العزيز بن دلف بن جشم بن قيس بن سعد بن عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، أبو نصر المعروف بابن ماكولا ، وهو ابن الوزير أبي القاسم هبة الله بن ماكولا وزير جلال الدولة بن بويه ،

848 ـ ترجمته في الفهرست : 154 وابن الأثير 7 : 87 والوافي 22 : 298 (عن ياقوت دون تصريح) .
849 ـ ترجمة ابن ماكولا في المنتظم 9 : 5 ، 79 ومصورة ابن عساكر 12 : 558 وابن الأثير 8 : 132 ، 169 وابن خلكان 3 : 305 وتذكرة الحفاظ : 1201 وسير الذهبي 18 : 569 وعبر الذهبي 3 : 317 والفوات 3 : 110 والوافي 22 : 280 ومرآة الجنان 3 : 143 والبداية والنهاية 12 : 123 وعقود الجمان للزركشي : 234 والنجوم الزاهرة 5 : 115 والشذرات 3 : 381 والمستفاد : 201 ومقدمة محقق الاكمال .

(1) كذا في م ك ، وصوابه « زمّا » لقوله في البيت الثاني « وقودا » .

وكان عمه أبو عبد الله الحسن بن جعفر قاضي القضاة ببغداد ؛ الحافظ أصله من جرباذقان ـ بلدة بين همذان وأصفهان ـ يلقب بالأمير ، من بيت الوزارة والقضاء والرئاسة القديمة ، كان لبيباً عالماً عارفاً ، ترشح للحفظ حتى كان يقال له الخطيب الثاني .

قال ابن الجوزي : سمعت شيخنا عبد الوهاب يقدحُ في دينه ويقول : العلم يحتاج إلى دين .

وصنف « كتاب المختلف والمؤتلف » جمع فيه بين كتب الدارقطني وعبد الغني والخطيب ، وزاد عليهم زيادات كثيرة ، وكان نحوياً مجوداً وشاعراً مبرزاً جزل الشعر فصيح الكلام صحيح النقل ، ما كان في البغداديين في زمانه مثله ، سمع أبا طالب ابن غيلان وأبا بكر ابن بشران وأبا القاسم ابن شاهين وأبا الطيب الطبري ، وسافر إلى الشام والسواحل وديار مصر والجزيرة والثغور والجبال ودخل بلاد خراسان وما وراء النهر وطاف في الدنيا وجوَّل[1] في الآفاق .

قال محمد بن طاهر المقدسي : سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن سعيد الحبال المصري يمدح ابن ماكولا ويثني عليه ويقول : دخل مصر في زي الكتبة فلم نرفع به رأساً ، فلما عرفناه كان من العلماء بهذا الشأن ، ورجع إلى بغداد فأقام بها ثم خرج إلى خوزستان فقتل هناك ، كان في صحبته جماعة من مماليكه الأتراك فغدروا به .

قال ابن ناصر : قتل أبو نصر ابن ماكولا بالأهواز من نواحي خوزستان إما في سنة ست أو سبع وقال ابن الجوزي في سنة خمس وثمانين وأربعمائة ومولده بعكبرا في شعبان من سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة .

ومن مستحسن شعره في التجنيس[2] :

ولما تفرقنا تباكتْ قلوبنا ... فممسكُ دمعٍ عند ذاك كساكبِهْ

فيا نفسيَ الحرّى البسي ثوبَ حسرةٍ ... فراقُ الذي تهوينه قد كساكِ بِهْ

---

(1) ك : وجال .

(2) البيتان في ابن عساكر : 559 والفوات .

ومنه :

تـرى زَمَني يُدْني سُلَيمى فنلتقي ... ونرجعُ بالشكوى الحديثَ المناهَبَا

وهيهاتِ ما بعد الذي قد طلبته ... ومن غابرِ الأيـام كان المنى هَبَا

ومنه[1] :

فـؤادٌ مـا يفـيقُ مـن التـصـابي ... أطـاع غـرامَـهُ وعصَى النـواهي

وقـالـوا لـو تَصَبَّـرَ كـان يسلو ... وهـل صبرٌ يسـاعـدُ والنَّوى هي

ومنه[2] :

ألـيس وقـوفُنَـا بـديـارِ هـنـدٍ ... وقـد رحل القـطينُ من الـدواهي

وهـنـدٌ قـد غَـدَتْ داءً لقلبي ... إذا صـدت ولـكـن الـدوا هـي

ومنه :

وهيَّـجَ أشـواقي ومـا كنتُ ساليـاً ... بيبـرينَ برقٌ من ذُرَى الغـورِ أومضـا

ذكـرتُ بـه عيشَ التصـابي وطيبَهُ ... ولستُ بنـاسيـه وإن عـاد أو مضى

ومن شعره[3] :

علَّمتني بهجـرهـا الصبـرَ عنهـا ... فهي مشكـورةٌ على التـقبيـحِ

وأرادت بذاك قُبْـحَ صـنيـعٍ ... فعلتـه فكـان عينَ المليـحِ[4]

أنشدني أبو عبد الله محمد بن سعيد بن الدبيثي قال أنشدنا عمر بن طبرزد قال أنشدني أبو الحسن علي بن هبة الله بن عبد السلام قال أنشدنا الأمير أبو نصر علي بن هبة الله لنفسه :

قـوِّضْ خيـامـك عن أرضٍ تُهـانُ بهـا ... وجـانـبِ الـذلَّ إن الـذل يجتنـب[5]

وارحـل إذا كـانت الأوطـانُ منقصـةً ... فـالمندلُ الرطبُ في أوطانـه حطب[6]

---

(1) البيتان في الفوات .

(2) ومنه : سقطت من ك ؛ والبيتان التاليان في ابن عساكر : 560 .

(3) البيتان في الفوات .

(4) سقط البيت في ك .

(5) م : مجتنب .

(6) م : الحطب .

قرأت بخط أبي سعد أخبرنا[1] أبو نصر يحيى بن خلف الخلقاني أخبرنا[1] أبو ثابت بنجير بن علي أنبأنا[2] أبو نصر ابن ماكولا الحافظ أنشدنا أبو الفرج هبة الله بن الحسن بن محمد العسقلاني بها أنشدنا أبو علي الحسن بن أحمد بن أبي الناس العسقلاني في صورتين كانتا على كنيسة تعرف بكنيسة ابن مريم على شرقي محملها ، والكنيسة عند باب الصوارف بعسقلان :

طوباكما من دميتين تعانقا　　من غير علم منهما بعناقِ[2]

لو ذقتما طعمَ العناقِ لغافصتْ　　شخصيكما الدنيا بوشكِ فراقِ

لم تغفل الأيام حالكما بها　　عمداً لترفيهِ ولا إشفاقِ

بل للأمورِ نهايةٌ عَلِقَتْ بها　　حُجِزَتْ أوامرها عن الطرّاقِ

فإذا انقضت أيامها عادت لها　　تلك الوقاحةُ أضيقَ الأطواقِ

وكأنني والدهرُ قد أجراكما　　كبنيه تفريقاً بغير تلاقي

قال فما مضى لهذا الشعر إلا سنةٌ أو نحوها حتى أمر الحاكم بهدم الكنائس فَهُدِمَتْ ، وهدمت هذه الكنيسة وأزيل الشخصان ، فأنشدني لنفسه أبياتاً في ذلك يرثيهما بها :

طوباكما من دميتين تعانقا　　وتفرّقا من بعدِ طولِ عناقِ[3]

طال اعتناقهما فما نَعِمَا به　　وكذاك ما ألما لوشكِ فراقِ

أجرتهما الدنيا بها إذ مثلت　　بمشابهة الأولادِ في الاشفاقِ

صانتهما عن كلِّ طارقِ حادثٍ　　عند الغروبِ ومبتدا الإشراقِ

حتى إذا بلغا نهايةَ موعدٍ　　فكَّتْ عناقهما من الأعناقِ

ومحتْ رسومَهما كأن لم تمثلا　　للناظرين مرامي الأحداقِ

حسبي من الأيام معرفتي بها　　وتصرّف الحدثانِ في الآفاقِ

---

(1) م : أنبأنا .

(2) ك : أخبرنا .

(3) هذا البيت لم يرد في م .

قال شجاع بن فارس الذهلي أنشدني[1] الأمير أبـو نصر علي بن هبـة الله بن ماكولا الحافظ لنفسه :

ظـالمـا طـالمـا تجنى بحبي عـادَ عـادٍ عـن فنّـه عـن فيـهِ
قـال قـالٍ فـاتـرك فـأبـركُ هجـرٍ هجـرُ حِبٍّ خَـبٍّ نبيـه بتيـه
صـاد صادا على عـلا مـا احـلا مـا خـلا من بليـةٍ مَنْ يليـه

قال وأنشدني الأمير لنفسه في الشمعة :

أقـولُ ومـالي مسعـدٌ غيـرُ شمعـةٍ على طـولِ ليلي مـا تـريـدُ نـزوعـا
كـلانـا نحيـلٌ ذو اصفـرارٍ معـذَّبٌ بنـارٍ أسـالت من حشـاه نجيعـا
ألا سـاعـديني طـولَ ليلك إننـا سنفنى إذا جـاء الصبـاحُ جميعـا

قال أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي : ما راجعت أبا بكر الخطيب في شيء إلا وأحالني على الكتاب وقال حتى أبصره ، وما راجعت الأمير أبا نصر علي بن هبة الله بن ماكولا في شيء إلا وأجابني حفظاً كأنه يقرأ من كتاب .

قال : وبلغ أبا بكر الخطيب أن ابن ماكولا أخذ عليه في كتابه « المؤتنف » ، وصنّف في ذلك تصنيفاً ، وحضر عنده ابن ماكولا وسأله الخطيب عن ذلك فأنكره ولم يقرَّ به وقال : ينسبني الناس إلى ما لست أحسنه من الصنعة ، واجتهد الشيخ أبو بكر أن يعترف بذلك ، وحكى له ما كان من عبد الغني بن سعيد في تتبعه أوهام الحاكم أبي عبد الله في « كتاب المدخل » وحكايات عدة من هذا المعنى وقال : أرني إياه فإن يكن صواباً استفدته منك ولا أذكره إلا عنك ، فأصرَّ على الانكار وقال : لم يخطرْ هذا ببالي قط ، ولم أبلغْ هذه الدرجة أو كما قال ، فلما مات الخطيب أظهر كتابه وهو الذي سماه « كتاب تهذيب مستمر الأوهام على ذوي التمني والأحلام أبي الحسن الدارقطني وأبي بكر أحمد بن علي الخطيب » وهو في عشرة أجزاء لطاف . وله من التصانيف سوى ما ذكرنا كتاب الوزراء . كتاب الإكمال في المؤتلف والمختلف .

---

(1) ك : أنشدنا .

ـ 850 ـ

علي بن هارون بن نصر القرميسيني النحوي أبو الحسن : أخذ عن علي بن سليمان الأخفش ، وأخذ عنه عبد السلام البصري ومات في سنة احدى وسبعين وثلاثمائة في خلافة الطائع ومولده في سنة تسعين ومائتين .

ـ 851 ـ

علي بن هارون بن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم أبو الحسن: قد ذكرنا أباه هارون وأجداده في مواضعهم من الكتاب ، قال محمد بن إسحاق النديم : رأيناه وسمعنا منه ، وكان راوية شاعراً أديباً ظريفاً متكلماً خيّراً نادم جماعة من الخلفاء ، وقال لي مولدي سنة سبع وسبعين ومائتين ، وقال ثابت: مولده في صفر سنة ست وسبعين . ومات سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة عن ست وسبعين سنة ، وله من الكتب : كتاب النوروز والمهرجان . كتاب الرد على الخليل في العروض . كتاب الرسالة في الفرق بين إبراهيم بن المهدي وإسحاق بن الموصلي في الغناء . كتاب ابتدأ فيه بنسب أهله عمله للمهلبي الوزير ولم يتم . كتاب اللفظ المحيط بنقض ما لفظ به اللقيط ، عارض به كتاب أبي الفرج الأصبهاني « في الفرق والمعيار بين الأوغاد والأحرار » . كتاب القوافي عمله لعضد الدولة .

وحدث أبو القاسم إسماعيل بن عباد في « كتاب الروزنامجه » قال فيه[1] : استدعاني الأستاذ أبو محمد المهلبي وابنا المنجم في مجلسه وقد أعدا[2] قصيدتين في مدحه ، فمنعهما من النشيد لأحضره ، فأنشدا وجودا بعد تشبيب كثير

---

850 ـ تاريخ بغداد 12 : 120 ونزهة الألباء: 229 وإنباه الرواة 2: 324 والوافي 22: 276 وبغية الوعاة 2 : 211 .

851 ـ الفهرست : 161 ومعجم الشعراء: 156 ويتيمة الدهر 3: 114 وتاريخ بغداد 12 : 119 وابن خلكان 3 : 275 والوافي 22: 276 ومرآة الجنان 2: 350 .

(1) الروزنامجة : 15 ـ 18 (عن معجم الأدباء) . (2) م : وقد أعدوا .

وحديث طويل[1]. كان لأبي الحسن رسم، أخشى تكذيب سيدنا إن شرحته، وعتابَهُ إن طويته، ولأن أحصلَ عنده في صورةٍ متزيّد أحبُّ إليّ من أن أحصلَ عنده في رتبة مقصر - يبتدىء فيقول ببحة عجيبة بعد إرسال دموعه وتردد الزفرات في حلقه ، واستدعائه من جواذ[2] غلامه منديل عبراته : والله والله وإلا فأيمان البيعة تلزمه بحلّها وحرامها وطلاقها وعتاقها، وما ينقلب إليه حرام، وعبيده أحرار لوجه الله تعالى إن كان هذا الشعر في استطاعة أحد مثله أو اتفق من عهد أبي دواد الايادي إلى زمان ابن الرومي لأحد شكله ، بل عيبه أن محاسنه تتابعت وبدائعه ترادفت ، وقد كان في الحق أن يكون كلّ بيت منه في ديوان يحمله ويسود به شاعره ، ثم ينشد ، فإذا بلغ بيتاً يعجب به ويتعجب منه قال: أيها الوزير من يستطيع هذا إلا عبدك علي بن هارون بن علي بن يحيى بن أبي منصور بن المنجم جليس الخلفاء وأنيس الوزراء ، ثم ينشد الابن ، والأب يعوّذه ويهتزّ له ويقول : أبو عبد الله أستودعه الله ولي عهدي وخليفتي بعدي ، ولو اشتجر اثنان من مصر وخراسان لما رضيتُ بفصل ما بينهما سواه ، أمتعنا الله به ورعاه ، وحديثه عجيب وإن استوفيته ضاع الغرض الذي قصدته ، على أنه أيد الله مولانا من سعة النفس والخلق ووفور الأدب والفضل وتمام المروة والظرف بحال أعجزُ عن وصفها وأدلّ عن جملتها : إنه مع كثرة عياله واختلال أحواله طلب سيفُ الدولة جاريتَهُ المغنيةَ بعشرين ألف درهم أحضرها صاحبه ، فامتنع من بيعها وأعتقها وتزوجها.

ومن شعر علي بن هارون وكتب بها إلى أبي الحسن علي بن خلف بن طياب[3] .

بيني وبين الدهرِ فيكَ عتابُ ... سيطولُ إنْ لم يَمْحُهُ الإعتابُ

يا غائباً بوصالِهِ وكتابه ... هل يُرْتَجى من غيبتِكَ إيابُ

لولا التعللُ بالرجاءِ تقطَّعَتْ ... نَفْسٌ عليك شعارها الأوصابُ

---

(1) بعد هذه اللفظة في م : قال المؤلف أراه المهلبي (ولا يتسق مع السياق) وهو غير وارد في ك .

(2) م : خود .

(3) الشعر في يتيمة الدهر والنشوار 3 : 203 وفيه ابن طناب ؛ وهو من رجال الدولة العباسية تولى الموصل سنة 323 وعلى ديار مضر سنة 330 (انظر صفحات من ابن الأثير جـ : 8) .

لا يـأسَ من رَوْحِ الإلـه فـربمـا يصـلُ القَـطوعُ ويحضـرُ الغيـابُ
وإذا دنـوتَ مواصـلاً فهـو المنى سَعِـدَ المحبُّ وساعـدَ الأحبـابُ
وإذا نـأيـت فليس لـي مُتَـعَـلَّلٌ إلا رسـولٌ بـالـرضى وكتـابُ

وحدث أبو علي المحسن بن علي التنوخي القاضي في « نشوار المحاضرة »[1] قال حدثني أبو الفتح أحمد بن علي بن هارون بن المنجم قال حدثني أبي قال : كنت وأنا صبيٌّ لا أُقيم الراءَ في كلامي وأجعلها غيناً ، وكانت سنّي إذ ذاك أربعَ سنين أقل أو أكثر ، فدخل أبو طالب المفضل بن سلمة أو أبو بكر الدمشقي ـ شك أبو الفتح ـ إلى أبي وأنا بحضرته ، فتكلمتُ بشيء فيه راء فلثغت فيها ، فقال له الرجل : يا سيدي لم تَدَعُ أبا الحسن يتكلم هكذا ؟ فقال له : ما أصنع وهو ألثغ ، فقال له ، وأنا أسمع وأحصّل ما جرى وأضبطه : إن اللثغة لا تصحّ مع سلامة الجارحة ، وإنما هي عادة سوءٍ تسبقُ إلى الصبيّ أولَ ما يتكلم لجهله بتحقيق الألفاظ وسماعه شيئاً يحتذيه ، فإن تُرِكَ على ما يستصحبه من ذلك مَرَنَ عليه فصار له طبعاً لا يمكنُهُ التحولُ عنه ، وإن أُخذ بتركه في أولِ نشوه استقام لسانُهُ وزال عنه ، وأنا أزيل هذا عن أبي الحسن ولا أرضى فيه بتركك له عليه ، ثم قال لي : أخرج لسانك ، فأخرجته فتأمله وقال : الجـارحة صحيحة ، قل يا بني را واجعل لسانك في سقف حلقك ، ففعلتُ ذلك فلم يستوِ لي ، فما زال يرفقُ بي مرةً ويخشنُ بي أخرى وينقلُ لساني من موضع إلى موضع من فمي ويامرني أن أقول الراءَ فيه فإذا لم يستو لي نَقَلَ لساني إلى موضع آخر دفعاتٍ كثيرة في زمان طويل حتى قلتُ راء صحيحة في بعض تلك المواضع ، وطالبني وأوصى معلمي بالزامي ذلك حتى مرن لساني عليه وذهبت عنه اللثغة .

ومن « كتاب الروزنامجه »[2] : قـال الصاحب : وتـوفرت على عِشْـرَةِ فضلاء البلد ، فأولُ من كاثرني أولادُ المنجم لفضلِ أبي الحسن علي بن هـارون وغزارتـه واستكثارٍ من روايته وطيب سماعه ولذيذ عشرته ، فسمعتُ منه أخباراً عجيبة وحكايات غريبة ، ومن ستارته أصواتاً نادرةً مشنّفة مقرطقة ، يقـول في كلٍّ منهـا الشعر لفـلان

---

(1) نشوار المحاضرة 6 : 261 (عن معجم الأدباء) .
(2) الروزنامجة : 20 ـ 21 (عن معجم الأدباء) .

والصنعةُ لفلان ، أَخَذْتُهُ هذه عن فلان أو فلانة حتى يتصل النسب باسحاق أو غيره من أبناء جنسه ، وكان أكثر ما يعجب به مولاها أبيات له أولها :

ضلَّ الفراقُ ولا اهْتَدَى ونأتْ فلا دَنَتِ النوى
وهوى فلا وجد القرا رَ معنِّفُ أهلَ الهوى

فاتفق أنْ سألتُ أولَ ما سمعتُ اللحنَ فيه عن قائله ، فغضب واستشاط وتنكر واستوفز ونفر وتنمر وقال : تقول لمن هذا ؟ أما يدلُّ على قائله ؟ أما يعربُ عن جوهره ؟ أما ترى أثر بني المنجم على صفحته ؟ أما :

تحميه لألاؤهُ أو لوذعيته من أن يذال بمن أو ممن الرجلُ

وذكره المرزباني في المعجم فقال وهو القائل[1] :

وإني لأثني النفسَ عما يَريبها وأنزلُ من دارِ الهوانِ بمعزلِ
بهمَّةِ نبلٍ لا يُرَامُ مكانُها تحلُّ من العلياء أشرفَ منزلِ
ولي منطقٌ إن لجلج القول صائبٌ بتكشيفِ إلباسٍ وتطبيقِ مفصلِ

وله يمدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام[2] :

وهل خصلةٌ من سؤددٍ لم يكنْ لها أبو حسن من بينهم ناهضاً قدما
فما فاتهم منها به سلّموا له وما شاركوه كان أوفرهم قسما

وفي كتاب أبي علي التنوخي[3] : كان أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي الكاتب خصيصاً بالوزير أبي علي ابن مقلة ، وكان يعشق مغنيةً وكان ينفق عليها جميعَ ما يتحصلُ له ، وله معها أخبار ، وكانت هذه الجارية صفراء واسمها لهجة[4] ، فشرب معها ليلة وأصبح مخموراً ، فآثر الجلوسَ معها وأراد الاعتذار إلى الوزير ابن مقلة من التأخر عن الخدمة وأن يخفي خبره عنه ، فكتب رقعةً يعتذر فيها

---

(1) معجم الشعراء : 156 .

(2) وردا في معجم الشعراء أيضاً .

(3) نشوار المحاضرة 8 : 263 وبإيجاز في 2 : 70 .

(4) النشوار : بهجة .

ويقول : إن الصفراء تحركتْ عليَّ فتأخرت ، فوقع على ظهر الرقعة بخطه : أنت تحركت على الصفراء ليس الصفراء تحركت عليك . قال : وهذا التوقيع يشبه ما أنشدنا علي بن هارون المنجم لنفسه في جاريته صفراء وقد شكا إلى الطبيب مِرَّةً صفراء ، ولا أدري أيهما أخذ من صاحبه[1] :

جسَّ الطبيب يدي وقال مخبّراً هذا الفتى أودت به الصفراء[2]

فعجبتُ منه إذ أصاب وما درى قولاً وظاهرُ ما أراد خطاء

قلت أنا : وقريب من هذا قول الوزير المهلبي :

وقالوا للطبيب أشِرْ فانا نعدُّك للعظيم من الأمورِ

فقال شفاؤه الرمَّان مما تَضَمَّنَهُ حشاهُ من السعيرِ

فقلتُ لهم أصابَ بغير قصدٍ ولكن ذاك رمانُ الصدورِ

وكان لعلي بن هارون ولد يقال له أبو الفتح أحمد بن علي بن هارون المنجم كان أديباً فاضلاً إلا أني لم أقف له على تصنيف فلم أفرده بترجمة[3] والمقصود ذكره ، وقد ذكر ها هنا ، روى عنه أبو علي التنوخي في « نشواره » فأكثر[4] وقال : أنشدني أبو الفتح أحمد بن علي بن هارون لنفسه[5] :

ما أنسَ منها لا أنسَ موقفها وقلبها للفراق ينصدعُ

وقولها إذ بدا الصباحُ لها قولَ فزوعٍ أظلَّه الجزعُ

ما أطولَ الليلَ عند فرقتنا وأقصرَ الليلَ حين نجتمعُ

قال التنوخي وأنشدني أبو الفتح لنفسه ، وكتب بها إلى أبي الفرج محمد بن

---

(1) ينسبان للوزير المغربي في بغية الطلب 9 : 253 والأفضليات : 178 .

(2) بهامش ك ويروى : قد أتلفت هذا الفتى الصفراء .

(3) هذا غريب حقاً ، فقد مرّت ترجمته في الأحمدين رقم : 116 (بحسب هذه الطبعة) .

(4) من أمثلة النقل عنه . انظر النشوار 3 : 204 ، 284 ، 285 ؛ 4 : 145 .

(5) نشوار المحاضرة 4 : 65 (نقلاً عن معجم الأدباء) .

العباس [بن] فسانجس في وزارته وقد عمل على الانحدار إلى الأهواز[1] :

قل للوزيرِ سليلِ المجدِ والكرمِ ومن له قامتِ الدنيا على قَدَمِ[2]

ـ 852 ـ

علي بن هلال الكاتب المعروف بابن البواب أبو الحسن، صاحب الخط المليح والاذهاب الفائق : وجدت بخط ابن الشبيه العلوي الكاتب صاحب الخط الفائق في آخر ديوان أبي الطمحان القيني بخطه ما صورته : وكتب في صفر سنة عشرين وأربعمائة من خط أبي الحسن علي بن هلال[3] الستري[4] مولى معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب الأموي وهذا قد كان بغير شك معاصره .

بلغني أنه كان في أول أمره مزوقاً يصور الدور ثم صور الكتب ثم تعانى الكتابة ففاق فيها المتقدمين[5] وأعجز المتأخرين ، وكان يعظ بجامع المنصور ، ولما ورد فخر الملك أبو غالب محمد بن خلف الوزير والياً على العراق من قبل بهاء الدولة أبي نصر ابن عضد الدولة جعله من ندمائه ، وفي الجملة انه لم يكن له في عصره ذاك النَّفاق الذي له بعد وفاته ، وذاك أنني وجدت رقعة بخطه قد كتبها إلى بعض الأعيان يسأله فيها مساعدةَ صاحبه ابن منصور وانجاز وعدٍ وعده به لا يساوي دينارين ، وقد بسط القولَ في ذلك ، استطلتها فانها كانت نحو السبعين سطراً فألغيت اثباتها ، وقد بيعت بسبعة

852 ـ ترجمة ابن البواب في المنتظم 8: 10 وابن خلكان 3: 342 وتذكرة الحفاظ : 1056 وسير الذهبي 17: 315 وعبر الذهبي 3: 113 والبداية والنهاية 12: 14 والوافي 22 : 290 وصبح الأعشى 3: 13 والنجوم الزاهرة 4: 257 وتاريخ مختصر الدول : 180 ومعجم الألقاب 4: 734 والشذرات 3: 199 .

(1) ك : وقد يحمل على الاعذار إلى الاهدار ؛ وفي م : وقد عمل على الاغذاذ . . . . وقد ورد في الترجمة رقم (114) .

(2) هذا البيت من أبيات سبعة وردت في ترجمة أبي الفتح ابن المنجم (رقم: 116) .

(3) ك م : هليل (وفي الوافي أن خطه ثلاث طبقات ، وأن اسمه في الطبقة الوسطى علي بن هليل) .

(4) كان والد ابن البواب يعرف بابن الستري .

(5) ك : المقدمين .

عشر ديناراً إمامية ، وبلغني أنها بيعت مرة أخرى بخمسة وعشرين ديناراً . مات فيما ذكره هلال بن المحسن بن الصابىء في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة ودفن في جوار قبر أحمد بن حنبل ، وذلك في خلافة القادر بالله ، ورثاه المرتضى بشعر أذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وحدث في « كتاب المفاوضة » قال[1] : حدثني أبو الحسن علي بن هلال المعروف بابن البواب الكاتب قال : كنت أتصرف في خزانة الكتب لبهاء الدولة بن عضد الدولة بشيراز على اختياري وأراعيها له وأمرها مردودٌ إليّ ، فرأيت يوماً في جملة أجزاء منبوذة جزءاً مجلداً بأسود قد السكري ، ففتحته وإذا هو جزء من ثلاثين جزءاً من القرآن بخط أبي علي ابن مقلة فأعجبني وأفردته وجعلت وكدي التفتيش عن مثله[2] ، فلم أزل أظفر بجزءٍ بعد جزءٍ مختلط في جملة الكتب إلى أن اجتمع تسعة وعشرون جزءاً ، وبقي جزء واحد استغرقت تفتيش الخزانة في مدة طويلة فلم أظفر به ، فعلمت أن المصحفّ ناقص فأفردته ، ودخلت إلى بهاء الدولة وقلت : يا مولانا ها هنا رجل يسأل حاجة قريبة لا كلفة فيها وهي مخاطبة أبي علي الموفق الوزير على معونته في منازعة بينه وبين خصم له ومعه هدية ظريفةٌ تصلح لمولانا ، قال : أي شيء هي ؟ قلت : مصحف بخط أبي علي ابن مقلة ، فقال : هاته وأنا أتقدم بما يريد ، فأحضرتُ الأجزاء ، فأخذ منها واحداً وقال أذكر وكان في الخزانة ما يشبه هذا وقد ذهب عني . قلت : هذا مصحفك ، وقصصتُ عليه القصةَ في طلبتي له حتى جمعته ، وقلت : هكذا يطرح مصحف بخط أبي علي إلا أنه ينقص جزءاً ، فقال لي : فتممه لي ، قلت : السمع والطاعة ، ولكن على شريطة أنك إذا أبصرت الجزءَ الناقصَ منها ولا تعرفه أن تعطيني خلعةً ومائة دينار ، قال : أفعل ؛ وأخذت المصحف من بين يديه وانصرفت إلى داري ودخلت الخزانة أقلب الكاغد العتيق وما يشابه كاغد المصحف ، وكان فيها من أنواع الكاغد السمرقندي والصيني والعتيق كلّ ظريف عجيب ، فأخذت من الكاغد ما وافقني ، وكتبت الجزء وذهّبته وعتّقتُ ذهبه وقلعت جلداً من جزءٍ من

---

(1) لخص الذهبي هذا الخبر في سير أعلام النبلاء 17 : 315 وانظر شذرات من كتب مفقودة : 313 (رقم: 28) .

(2) وجعلت . . . مثله : من ك وحدها .

الأجزاء فجلدته به ، وجلَّدتُ الذي قلعت منه الجلد وعتقته ، ونسي بهاء الدولة المصحف ، ومضى على ذلك نحو السنة ، فلما كان ذات يوم جرى ذكر أبي علي ابن مقلة فقال لي : ما كتبت ذلك ؟ قلت بلى ، قال : فأعطنيه ، فأحضرت المصحف كاملاً فلم يزل يقلّبه جزءًا جزءًا وهو لا يقف على الجزءِ الذي بخطي ثم قال لي : أيّما هو الجزء الذي بخطك ؟ قلت له : لما لا تعرفه فيفتر في عينك ، هذا مصحفٌ كامل بخط أبي علي ابن مقلة ونكتم سرنا ؟ قال : أفعل ، وتركه في ربعة عند رأسه ولم يعده إلى الخزانة ، وأقمت مطالباً بالخلعة والدنانير وهو يمطلني ويعدني ، فلما كان يوماً قلت : يا مولانا في الخزانة بياض صيني وعتيق مقطوع وصحيح فتعطيني المقطوعَ منه كله دون الصحيح بالخلعة والدنانير ؟ قال : مرَّ خذه ، فمضيتُ وأخذت جميع ما كان فيها من ذلك النوع فكتبت فيه سنين .

ووجدت في تاريخ أبي الفرج ابن الجوزي قال[1] : اجتاز أبو الحسن البتي الكاتب وكان مزاحاً ـ وله في هذا الكتاب باب ـ وعلي بن هلال جالسٌ على باب الوزير فخر الملك أبي غالب محمد بن خلف ينتظر الاذن ، فقال له البتي : جلوسُ الأستاذ على العتب رعاية للنسب ، فغضب ابن البواب وقال : لو أنّ إليَّ أمراً[2] ما مكنتك من دخولِ هذه الدار ، فقال البتي : لا يتركُ الأستاذ صنعةَ الوالد[3] بحال .

ولبعضهم يهجو ابن البواب :

من ذا رأيتم من النسّاخ متخذاً ... سبالَ لصٍّ على عثنونِ محتالِ

هذا وأنت ابنُ بوابٍ وذو عدم ... فكيف لو كنتَ ربُّ الدارِ والمالِ

وكان ابن البواب يقول شعراً ليناً منه ـ ونقلته من خط الجويني أيضاً قال ونقلت من خطه أيضاً في ضمن رسالة ـ :

ولو أني أهديتُ ما هو فرضٌ ... للرئيس الأجلِّ من أمثالي

لنظمتُ النجومَ عقداً إذا رَصَّـ ... ـعَ غيري جواهراً بلآلي

---

(1) المنتظم 8 : 10 .

(2) المنتظم : لو أن لي من أمر الدنيا شيئاً .

(3) المنتظم : صنعة الشيخ .

ثم أهديتها إليه وأقررتُ بعجزي في القول والأفعالِ
غير أني رأيتُ قدرك يعلو عن نظيرٍ ومشبهٍ ومثالِ
فتفاءلتُ في الهدية بالأقلام علماً مني بصدقِ الفال
فاعتقدها مفاتحَ الشرقِ والغرب سريعاً والسهلِ والأجبال
فهي تستنُّ إنْ جرَيْن على القرطاسِ بين الأرزاق والآجال
فاختبرها موقعاً برسوم البرِّ والمكرماتِ والإفضال
واحظَ بالمهرجانِ وابلِ جديدَ الدهر في نعمةٍ بغير زوال
وابق للمجد صاعدَ الجدِّ عزًّا والرئيسَ الأجلَّ نجمَ المعالي
في سرورٍ وغبطةٍ تَذَعُ الحاسدَ منها مُقَطَّعَ الأوصالِ
عَضَدَتْها السعودُ واستوطن الإقبالُ فيها وسالمتها الليالي
أيها الماجد الكريم الذي يبدأ بالعارفاتِ قبل السؤالِ
إن الاءك الجزيلة عندي شَرَعَتْ لي طريقةً في المقالِ
امتنني لديك من هُجْنة السردُ وفرطِ الإضجارِ والإملالِ
وحقوقُ العبيد فرْضٌ على السادةِ في كلِّ موسم للمعالي
وحياةُ الثناء تبقى على الدهر إذا ما انقضتْ حياةُ المالِ

وكان تحت هذا الشعر بخط الجويني ما صورته : هذا شعر ابن البواب وهو عورةٌ سترها ذلك الخط ، ولولا أنَّ الإجماعَ واقعٌ في أنّ الرجل يُفْتَنُ بشعره وولده لكان صاحبُ تلك الفضيلة يرتفعُ عن هذه النقيصة . وكتب تلميذه حسن بن علي الجويني .

ولقد عجبتُ ممن يُزْري على ذلك الشعر ، وهو القائل ونقلته من خطه فقال : كتبت إلى المولى القاضي الأجل شرف الدين السديد عبد الله بن عليّ أمتع الله الدنيا وأهلها ببقائه ، وقد أبللتُ من مرضة صعبة :

عبد الاله السديدَ حقاً بغيرِ زورٍ وغيرِ مَيْنِ
يا شرفَ الدين يا فريداً شرُفَ بالفضلِ دولتين
يا تاجَ فخري وكنزَ فقري ويا معيني ونورَ عيني

قد كدتُ أقضي نحبي وأمضي وكـدتَ تبقى بـلا جـويني

وكتب حسن بن علي الجويني في ذي القعدة سنة ست وستين وخمسمائة بالديار المصرية عمرها الله تعالى بدوام العز .

وقال المعري وضرب علي بن هلال مثلاً[1] :

طـربن[2] لضوءِ البـارقِ المتعـالي ببغـدادَ وهنـا مـا لهنّ ومـا لي

فيـا برقُ ليس الكـرخُ داري وإنما رمى بي إليـه الـدهـرُ منـذ ليـالي

فهـل فيـكَ من مـاءِ المعـرةِ نغبةٌ تغيثُ بهـا ظمـآنَ ليس بسـالي

ولاح هـلالٌ مثـل نـونٍ أجـادهـا بماءِ[3] النضار الكـاتبُ ابنُ هلالِ

منها[4] :

إذا لاح إيمـاض سترتُ وجـوهَها كـأنيَ عمـروٌ والمـطيُّ سعـالي

هذا بيت مشكل التفسير بعيد المرمى وذاك أن عمرو بن تميم بن مرّ بن أد بن طابخة ولد العنبر والهجيم ومازن ، تقول العرب إن هؤلاء الاخوة الثلاثة أمهم السعلاة ، وهي الغولة ، وأن عمرو بن تميم تزوجها فولدت له هؤلاء الثلاثة ، ويقولون إن السعلاةَ إذا رأت البرق طلبته ، وكان عمرو يحفظها من البرق إذا لاح فيغطّي وجهها ، فغفل عنها مرةً فلاح البرق فطلبته وقالت : يا عمرو أوصيك بولدك خيراً ، ومضت ولم تعدْ إليه ، فهذا معنى بيت المعري .

وقد ضربه بعض المتأخرين أيضاً مثلاً فقال يمدح رجلاً يعرف بابن بدر بجودة الخط فقال :

يا ابنَ بدرٍ علوتَ في الخطِّ قـدراً حين مـا قـايسـوك بـابن هـلال

ذاك يحكي أبـاه في النقصِ لمـا جئتَ تحكي أبـاكَ عنـد الكمـالِ

---

(1) شروح سقط الزند : 1162 ، 1195 ، 1197 .

(2) ك م : طربت (والحديث عن الابل اللواتي طربن) .

(3) سقط الزند : بجاري .

(4) شروح السقط : 1167 (وفيه شرح البيت بقريب مما ورد هنا) .

قرأت بخط سلامة بن غيض : رأيت بالري بخط علي بن هلال « كتاب من نسب من الشعراء إلى أمه » لأبي عبد الله ابن الأعرابي وهم خمسون شاعراً وعلى ظهره « كتبه علي بن هلال في شهر ربيع الأول سنة تسعين وثلاثمائة » وبعد البسملة « يرويه ابن عرفة عن ثعلب عن ابن الأعرابي » وفي آخره بخطه «نقلته من نسخة وجدت عليها بخط شيخنا أبي الفتح عثمان بن جني النحوي أيده الله : بلغ عثمان بن جني نسخاً من أوله وعرضاً » .

وكان لابن البواب يد باسطة في الكتابة ، أعني الانشاء ، وفصاحة وبراعة ، ومن ذلك رسالة أنشأها في الكتابة ، وكتبها إلى بعض الرؤساء ، ونقلتها من خط الحسن بن علي الجويني الكاتب أولها : قد افتتحتُ خدمةَ سيدنا الأستاذ الجليل ، أطال الله بقاءه وأدام تمكينه وقدرته وتمهيده ، وكبت عدوه ، المثال المقترن بهذه الرقعة افتتاحاً يصحبه العذرُ إلى جليل حضرته من ظهور التقصير فيه والخلل البادي لمتأمليه ، وقد كان من حقوق مجلسه الشريف أن يخدمَ بالغايات المرضية من كلّ صناعة تأدياً لسؤدده وعلائه ، وتصدياً للفوز[1] بجميل رائه ، ولم يعدني عن هذه[2] القضية جهلٌ بها وقصورٌ عن علمها ، لكني هاجرٌ لهذه الصناعة منذ زمن طويل هجرةً قد أورثتْ يدي حُبْسةً ووقفةً حائلتين بينها وبين التصرف والافتنان ، والوفاء بشرط الاجادة والاحسان ، ولا خفاءَ عليه ـ أدام اللّه تأييده ـ بفضل الحاجة ممن تعاطى هذه الصناعة إلى فرط التوفر عليها ، والانصراف بجملة العناية إليها ، والكلف الشديد بها ، والولوع الدائم بمزاولتها ، فإنها شديدة النفار بطيئة الاستقرار ، مطمعة الخداع وشيكة النزاع ، عزيزة الوفاء، سريعة الغدر والجفاء، نَوَارٌ قَيْدُهَا الإعمال، شَمُوسٌ مهرها الوصال، لا تسمحُ ببعضها إلا لمن آثرها بجملته وأقبل عليها بكليته ، ووقف على تألفها سائر زمنه ، واعتاضها عن خِلِّه وَسَكَنه ، لا يؤيسه حيادها[3] ولا يغرّه انقيادها ، يقارعها بالشهوة والنشاط ويوادعها عند الكلال والملال ، حتى يبلغَ منها الغايةَ القصيّة ويدركَ المنزلةَ العلية ، وتنقاد الأناملُ لتفتيح أزهارها وجلاء أنوارها ، وتظهر الحروفُ موصولةً

---

(1) ك : للوفور .
(2) هذه : سقطت من ك .
(3) لعل الصواب : عنادها .

ومفصولة ومعمّاة ومفتّحة في أحسن صيغها وأبهج خِلَقها[1] ، منخرطة المحاسن في سلك نظامها ، متساوية الأجزاء في تجاورها والتيامها ، لينة المعاطف والأرداف ، متناسبة الأوساط والأطراف ، ظاهرها وقور ساكن ، ومفتّشها رهج فاتن ، كأنما كاتبها وقد أرسل يَدَهُ وحث بها قلمه ، رجّع فيها فكره ورويّته ، ووقف على تهذيبها قدرته وهمته ، القلب بها في حجر ناظره ، والمعنى بها مظلوم بلفظه ، وما ذهبت في هذه القضية[2] مذهب المطرف المغرب بها ولا المعوّل على شوافعها ، لكن نهجتُ بها سبيلاً لأمثالها إقامةً لرسم الخدمة المفروضة للسادة المنعمين على خدمهم وصنائعهم ، فإن سعدت بنفاقها عليه وارتضائها لديه وإلا سلمتُ من وَصْمَةِ التضجيع والإهمال وهجنة التقصير في شكر الإنعام والإفضال ، ولسيدنا الأستاذ الجليل ـ أطال الله بقاءه ـ علوُّ الرأي في الأمر بتسليم ما خدمتُ به وتصريفه بين عالي أمره ونهيه ، إن شاء الله تعالى .

وحدث غرس النعمة محمد بن هلال[3] بن المحسن بن ابراهيم بن هلال الصابىء في « كتاب الهفوات » قال[4] : كان في الديوان كاتب يعرف بأبي نصر ابن مسعود فلقي يوماً أبا الحسن علي بن هلال البواب الكاتب ذا الخط المليح في بعض الممرات فسلّم عليه وقبّل يده فقال له ابن البواب : اللّه اللّه يا سيدي ما أنا وهذا ؟ فقال : لو قبلتُ الأرض بين يديك لكان قليلاً ، قال : ولم ذاك يا سيدي وما الذي أوجبه واقتضاه ؟ قال : لأنك تفردت بأشياء ما في بغداد كلها[5] من يشاركك فيها ، منها الخط الحسن وأنّه لم أرَ عمري كاتباً من طرف عمامته إلى طرف لحيته ذراعان ونصف غيرك ، فضحك أبو الحسن منه وجزّاه خيراً وقال له : أسألك أن تكتم هذه الفضيلةَ عليّ ولا تكرمني لأجلها، قال له: ولم تكتم فضائلك ومناقبك؟ فقال له: أنا أسألك هذا ، فبعد جهد ما أمسك ، وكانت لحية ابن البواب طويلة جداً .

---

(1) م : خلقتها .
(2) ك : الخدمة .
(3) ك : هليل .
(4) الهفوات النادرة : 310 ونقلها الصفدي : 294 .
(5) ك : ليس في البغداد كله ؛ الهفوات : البغداديين كلهم (وما في ك ورد في بعض أصول الهفوات) .

قال المؤلف : وأما الشعر الذي رثاه به المرتضى فهو[1] :

رَدِيتَ يا ابنَ هلالٍ والردى عَرَضٌ   لم يُحْمَ منه على سُخْطٍ له البشرُ
ما ضرَّ فقدُكَ والأيامُ شاهدةٌ   بأنَّ فضلك فيه الأنجمُ الزهرُ
أغنيتَ في الأرض والأقوام كلّهم   من المحاسنِ ما لم يُغْنِهِ المطرُ
فللقلوب التي أبهجتها حَزَنٌ   وللعيونِ التي أقررتها سهرُ
وما لعيشٍ إذا ودعته أرجٌ   ولا لليلٍ إذا فارقته سحرُ
وما لنا بعد أن أضحتْ مطالعنا   مسلوبةً منك أوضاحٌ ولا غررُ

- 853 -

علي بن الهيثم الكاتب[2] المعروف بجونقا : كان من الكتاب المستخدمين في ديوان المأمون وغيره من الخلفاء ، وكان فاضلاً أديباً كثير الاستعمال للتقعير والقصد لعويص اللغة حتى قال المأمون فيما حدَّث به الفضل بن محمد اليزيدي عن أبيه قال : قال المأمون أنا أتكلم مع الناس أجمعين على سجيّتي إلا علي بن الهيثم فإني أتحفظ إذا كلمته لأنه يُغْرِقُ في الإعراب .

ونقلت من خط الصولي في « أخبار شعراء مصر » قال : وممن دخل مصر خالد بن أبان الكاتب الأنباري أخو عبد الملك بن أبان ، حدثني الحسين بن علي الباقطائي أنه شَخَصَ إلى مصر فبلغه اتساعُ حالِ علي بن الهيثم ، وكانت بينهما حرمةٌ وكيدة ، فكتب إليه من مصر بشعرٍ طويل منه وكتب بماء الذهب :

على الخالق الباري توكلتُ إنه   يدوم إذا الدنيا أبادتْ قرونَها

---

853 - ترجمة جونقا في إعتاب الكتاب : 212 وكتاب بغداد : 22 والوافي 22 : 295 وبغية الوعاة 2 : 212 .

(1) ديوان المرتضى 2 : 18 .
(2) الكاتب : سقطت من ك .

فـداؤك نفسي يـا عليّ بن هيثم إذا أكلتْ عجفُ السنين سمينـهـا
رميتُـكَ من مصرٍ بـأمٍّ قلائـدي تُـزَفّ وقـد أقسمتُ ألا تهينـهـا
بـأبيـاتِ شعـرٍ خُطَّ بـالتبـر وشيهـا إليـك وقدمـاً حـال حـولان دونهـا

ويذكر فيه خبره مع غرمائه والقاضي ، فبعث إليه بسفتجة بألف دينار ، وكتب إلى عامل مصر في استعماله فحسنت حاله .

وقال الجهشياري[1] : كان لخالد بن أبان الكاتب الأنباري الشاعر حرمة بعلي بن الهيثم وبأبيه أيام مقامهم بالأنبار ، ثم شخص خالد بن أبان إلى مصر وتزوج بها وولد له ، وأضاق واختلت حاله فاستدان من التجار ما أنفقه ، فكثر غرماؤه وقدّموه إلى القاضي فحبسه ثم فلّسه وأطلقه[2] ، وأقام بمصر وساءت حاله ، وبلغه أن علياً قد عظم قدره وتقلّد ديوانَ الخراج للفضل بن الربيع لما استوزره الرشيد بعد البرامكة ، وارتفع مع المأمون بعد ذلك ، فكتب إليه قصيدة نحواً من سبعين[3] بيتاً في رقّ بالذهب وبعث بها إليه أولها : « على الخالق الباري » الأبيات المذكورة فوجه إليه بألف دينار .

قال أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان حدثنا أبو علي الحسن بن بشر حدثني أبي قال : دخل علي بن الهيثم إلى سوق الدواب فلقيه نخّاسٌ فقال له : هل من حاجة ؟ قال : نعم الحاجةُ أناختنا بعقوتك ، أردتُ فرساً قد انتهى صدره ، وتقلقلتْ عروقه ، يشير بأذنيه ، ويتعاهدني بطرف عينيه ، ويتشوّف برأسه ، ويعقد عنقه ، ويخطر بذنبه ، ويناقل برجليه ، حسن القميص جيد الفصوص ، وثيق القصب ، تام العصب ، كأنه موج لجة أو سيل حدور ، فقال له النخاس : هكذا كان ﷺ .

وقال المرزباني في « المعجم »[4] : علي بن الهيثم التغلبي كاتب الفضل بن الربيع : كان لسناً فصيحاً شاعراً ، عاتبه الفضل يوماً على تأخره عنه وزاد عليه فقال :

وجـدني الفضلُ رخيصـاً جدًا فـعقـنـي وازورّ عـنـي صـدًا

(1) نقله الأستاذ ميخائيل عواد في نصوص ضائعة : 50 (عن معجم الأدباء) .
(2) ك : من التجار فقدموه إلى الحاكم وحبسه وفلسه الحاكم وأخرجه .
(3) ك : نحو اثنتين وسبعين .
(4) لم أجد ترجمة لعلي بن الهيثم في المطبوع من معجم الشعراء .

وظنَّ والـظنـونُ قـد تعـدَّى　　أنـيَ لا أصـيـبُ مـنـه بـدًّا
أعـدُّ مـنـه ألـف بـدّ عـدًّا

وانصرف فلم يعملْ للسلطانِ عملاً .

حدثنا محمد اليزيدي قال : شهدتُ المأمون وهو جالسٌ على دكة الشماسية وعنده أحمد بن الجنيد الاسكافي وجماعة من الخاصة إذ دخل عليه علي بن الهيثم المعروف بجونقا فلما قرب منه قال : يا عدوَّ الله يا فاسقُ يا لصُّ يا خبيثُ ، سرقتَ الأموال وانتهبتها ، والله لأفرقنّ بين لحمك وعظمك ولأفعلن ولأفعلن ، ثم سكن غضبه قليلاً فقال أحمد بن الجنيد : نعم والله يا أمير المؤمنين إنه وإنه ، ولم يدع شيئاً من المكروه إلا قاله فيه ، فقال له المأمون وقد هدأ غضبه : يا أحمد ومتى اجترأتَ عليَّ هذه الجرأة ؟ رأيتني وقد غضبت فأردت أن تزيد في غضبي ؟! أما إني سأؤدبك وأؤدب بك غيرك ، يا علي بن الهيثم قد صفحت عنك ووهبت لك كلَّ ما كنتُ أقدر أن أطالبك به ، ثم رفع رأسه إلى الحاجب وقال : لا يبرح ابنُ الجنيد الدارَ حتى يحملَ إلى علي بن الهيثم مائة ألف درهم ليكون له بذلك عقل ، فلم يبرح حتى حملها .

الجهشياري[1] : أمر المأمون أن يؤذن للناس إذناً عاماً وأن يجلسوا على مراتبهم كانت قديماً إلى أن تعرض عليه فيأمر فيها بأمره ، ففعلوا ذلك ، ودخل علي بن الهيثم فجلس في مجلس العرب وتغامز الكتاب عليه ، وأقبل عبيد الله بن الحسن العلوي فقال إبراهيم بن إسماعيل بن داود الكاتب للكتاب : أطيعوني وقوموا معي ، فمضوا بأجمعهم مستقبلين لعبيد الله بن الحسن ، فسلموا عليه فردَّ عليهم فقالوا : لنا حاجة ، فقال : مقضيّة ، قالوا : تجلس في مجلسنا فقال : سبحان الله ينكر ذلك أمير المؤمنين ، قالوا : هي حاجةٌ تقضيها لنا ونحتمل ما ينالك فيها ، قال : أفعلُ لعلمي بموقع الكتاب من قلوب السلاطين وقدرتهم على إصلاح قلوبهم إذا فسدت وإفسادها إذا صلحت ، ومال إلى ناحيتهم فجلس معهم ، وكتب صاحب المراتب إلى المأمون ، فلما وقف على الموضع الذي جلس فيه عبيد الله أنكره وبعث اليه : ما هذا المجلسُ الذي جلست فيه ؟ فقال إبراهيم بن إسماعيل للرسول : تبلّغ أمير المؤمنين عنا السلام

---

(1) في نصوص ضائعة : 51 (عن معجم الأدباء) .

وتقول له خَدَمُكَ وعبيدك الكتاب يقولون : العدلُ والانصاف موجودان عندك وعند أهلك ، أخذتم منا رجلاً من وجوه النبط فأخذنا مكانه وجهاً من وجوه أهلك ، ذلك علي بن الهيثم جالسٌ مع العرب ، فردُّوا علينا رجلنا وخذوا رجلكم ، فضحك جميع من في داره وتشوّر علي بن الهيثم ، وضحك المأمون وقال : لقد مني علي بن الهيثم من إبراهيم بن إسماعيل ببلاء عظيم .

وكان أبو يعقوب إسحاق بن حسان الخريمي قد أغري بهجاء علي بن الهيثم الأنباري الكاتب ، وكان السبب في ذلك أنه وقع لأبي يعقوب عنده ميراثٌ فدافعه فهجاه ، وكان علي بن الهيثم متشدقاً متفيهقاً يدعي العربية ويقول إنه تغلبي ، وكان من قرية يقال لها أنقوريا ، ففي ذلك يقول الخريمي[1] :

أنقوريا قريةٌ مباركةٌ   تقلبُ فخّارها إلى الذهب

محمد بن علي العباسي عن أبيه : قال شهدت علي بن الهيثم جونقا وقد حضره منارة صاحب الرشيد فقال له : يا منارة استلبتَ لَوْطي ، فقال : أصلحك الله ما ظننتك تتلقّاني بمثل هذا ، شيخٌ مثلي يلعبُ بالصبيان ، فضحك جميع من في المجلس (اللَّوْطُ الازار ، كأنه أراد أنك لم تحسن عشرتي وأنك أخذت ثيابي) .

وذكر حماد بن إسحاق عن بشر المريسي قال : حضرت المأمون أنا وثمامة ومحمد بن أبي العباس الطوسي وعلي بن الهيثم فتناظروا في التشيع ، فنصر محمد بن أبي العباس مذهب الامامية ، ونصر علي بن الهيثم مذهب الزيدية ، وشرق[2] الأمر بينهما إلى أن قال محمد بن أبي العباس لعلي بن الهيثم : يا نبطي ما أنت والكلام ؟! فقال المأمون ، وكان متكئاً فجلس : الشتم عيّ والبذاء لؤم ، وقد أبحنا الكلامَ وأظهرنا المقالات فمن قال بالحقّ حمدناه ، ومن جهل وقفناه ، ومن ذهب عن الأمر حكمنا فيه بما يجب ، فاجعلا بينكما أصلاً فإن الكلام الذي أنتم فيه من الفروع ، فإذا افترعتما شيئاً رجعتما إلى الأصول . ثم عادا إلى المناظرة فأعاد محمد بن أبي العباس لعلي بن الهيثم مثل مقالته الأولى فقال له عليّ : والله لولا جلالةُ المجلس وما وهب الله من

(1) لم يرد في ديوان الخريمي .

(2) شرق : اختلط ولعله « وترقى » .

رأفة أمير المؤمنين وأنه قد نهانا لأعرقتُ جبينك ، وحسبنا من جهلك غسلك المنبر بالمدينة ، فاستشاط المأمونُ غضباً على محمد ، وأمر باخراجه فعاذ بطاهر حتى شفع فيه فرضي عنه .

ميمون بن هارون بن مخلد بن أبان : حدثني أبي قال أدخلني أبي مخلد بن أبان مع القاسم بن أحمد بن الجنيد ، وكان مخلد وأحمد متواخيين في شراءِ غـلّاتِ السواد ، فأشرفنا على ربح عشرة آلاف ألف درهم ، ثم اتضع السعر فحصل علينا وضيعة ستة آلاف ألف درهم ، فطولبنا بها أشدَّ مطالبة ، واشتد كتابُ المأمون علينا فيها، وكان المأمون يستاك في كل يوم ساعتين كاملتين ، فدعاني المأمون يوماً وهو يستاك وكلّمني بشيءٍ ثم قال لي ما معنى قول الخريمي في علي بن الهيثم .

فَدَبْنَقا لِذا الحديث دَبْنَقا[1]

فقلت له : أنا أتكلم بالنبطية ولا أعلم ما معنى هذا ، وأحمد بن الجنيد أرطنُ بها مني ، فأومأ إليَّ بمسواكه أن أنصرف ، فانصرفت فما بلغت الستر حتى لقيني أحمد بن الجنيد داخلاً ، وكان إذا خرج من الدار قبلي انتظرني وإذا خرجت قبله انتظرته ، فوقفت منتظراً له فإذا به قد خرج فقلت له : ما كان خبرك ؟ فأخرج إليَّ توقيع المأمون بخطه بترك ما كنا نطالب به من الستة الآلاف ألف عن ابني وابنه وقال : قال لي ما معنى قول الخريمي : فدبنقا لذا الحديث دبنقا . فقلت : ضرطاً لذا الحديث ضرطاً فضحك وقال لي : إني سألت مخلداً عنها فلم يعرفها فاسأل حاجة فقلت : ابتاع ابني وابن مخلد غلات السواد وقدرنا الربح فخسرنا ستة آلاف ألف درهم ولا حيلة لنا فيها ، وضيعتي بجلولا تساوي ثلاثة آلاف ألف درهم ، فيأمر أمير المؤمنين بأخذها عن ابن مخلد وتسبيب ما على ابني على الاحالة أو الاقالة فقال : ويحك تبذل نفسك وضيعتك عن ابن مخلد ، فقلت : نعم أنا غررته وأمَّلْتُ الربح ومنعته أن يعقده على التجار ويتعجّل فضله ، وقد كانوا بذلوا لنا فيه ربحاً كبيراً فقال ، لي : أيّ نبطي أنت ؟! هاتِ الدواةَ فقدَّمتها إليه ، فوقع بابرائنا جميعاً من المال وترك ضيعتي عليّ .

(1) ديوانه : 48 عن الأغاني .

وقال المأمون يوماً : ببابي رجلان أحدهما أريد أن أضعه وهو يرفع نفسه ، وهو عليّ بن الهيثم ، والآخر أريد أن أرفعه وهو يضع نفسه ، وهو الفضل بن جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك .

ـ 854 ـ

علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم، أبو الحسن : كان أبوه يحيى أولّ من خدم من آل المنجم الخلفاء وإليه ينسبون ، وهو المنجم ، وأول من خدم المأمون ، وقد ذكر في بابه ، ونادم ابنه علي هذا المتوكلّ وكان من خواصه وندمائه والمتقدمين عنده ، وخُصَّ به وبمن بعده من الخلفاء الى أيام المعتمد على الله ، وكان شاعراً راوية علامة أخبارياً . مات سنة خمس وسبعين ومائتين ودفن بسرّ من رأى في آخر أيام المعتمد . وأخذ أبو الحسن هذا عن جماعة من العلماء منهم إسحاق بن إبراهيم وشاهده ، وكان يجلس بين يدي الخلفاء ويأمنونه على أسرارهم ، وكان حسنَ المروءة ممدَّحاً ، واتصل بمحمد بن اسحاق بن إبراهيم المصعبي ثم اتصل بالفتح بن خاقان وعمل له خزانة كتب حكمة نقل إليها من كتبه مما استكتبه للفتح بن خاقان أكثر ما اشتملت عليه خزانة حكمة قط . وله تصانيف منها : كتاب الشعراء القدماء والاسلاميين . وكتاب أخبار إسحاق بن إبراهيم . وكتاب الطبيخ .

قال عبيد الله بن أبي طاهر : كان أبو الحسن علي بن يحيى مشتهراً[1] بالأدب كله مائلاً إلى أهله معتنياً بأمورهم ، وكان منزله مألفاً لهم ، وكان يوصل كثيراً منهم إلى الخلفاء والأمراء ويستخرج لهم الصلات ، وإن جرى على أحدٍ منهم حرمان وصله من ماله ، وكان يبلغُ من عنايته بهم ورغبته في نفعهم أنه كان ربما أهدى الى الخلفاء والأمراء عنهم الهدايا الظريفة المليحة ليستخرجّ لهم بذلك ما يحبون .

قال : حدثني أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى قال : قدم على أبي إدريسُ بن

854 ـ تاريخ الطبري 3 : 1637 ومعجم الشعراء : 141 ومروج الذهب 5 : 53 ـ 54 والفهرست : 160 وتاريخ بغداد 12 : 121 وسمط اللآلي : 525 وسير الذهبي 13 : 282 وعيون الأنباء 1 : 205 وابن خلكان 3 : 373 والوافي 22 : 303 والنجوم الزاهرة 3 : 73 .

(1) ك : مستهتراً .

أبي حفصة في أيام المتوكل وتوسل إليه فأوصل شعره إليه وكلّمه فيه ، فاستخرج له منه عشرة آلاف درهم ، فقال إدريس بن أبي حفصة[1] :

أضحى علي بن يحيى وهو مشتهرٌ بالصدق في الوعدِ والتصديقِ في الأملِ
لو زيد بالجودِ في رزقٍ وفي أجلٍ لزاد جودُكَ في رزقي وفي أجلي

ثم وصله من ماله لما عزم ادريس على الانصراف الى بلده بجملة جليلة[2] ، ولم يزل إدريس مقيماً عنده في ضيافته إلى وقت ارتحاله ، فقال إدريس عند وداعه إياه :

ما مَنْ دعوتُ فلبّاني بنائله كمن دعوتُ فلم يسمعْ ولم يجبِ
إني وجدتُ عليّاً إذ نزلتُ به خيراً من الفضة البيضاءِ والذهبِ

وحدث علي بن هارون بن يحيى بن المنجم في « كتاب الأمالي » له قال : حدثني عمي أبو أحمد يحيى بن علي حدثني أبي علي بن يحيى قال : وفد إليَّ[3] عافية بن شبيب بن خاقان بن الأهتم السعدي من البصرة فأنزلته عليّ وأحسنت ضيافته ورعيت له حرمةَ الأدب الذي توسل به ، فأقام معي مدةً في كفاية وكرامة وحسن ضيافة وحملته على فرس ، واستوصلت له جماعة من إخواني فأخذت له منهم ما تأثث به حاله وأصلح به شأنه ، ثم ذكرته للمتوكل رحمة الله عليه ووصفتُ له أدبه وأنَّ معه ظرفاً يصلحُ به لمجالسته ، فأمرني باحضاره ، ودخل إليه فوصله وأجرى عليه رزقاً وجالسه ، فمكث مدة على ذلك ، ثم انفرجت الحال بيني وبينه ، وكفر ما كان من إحساني إليه وبسط لسانه يذكرني بما لم أستحقّه منه ، وكان المتوكل يغريه بي لما رأى منه فيضحك المتوكل مما يجري ويجيئني بذلك فيه وهو لا يدري . قال أبو الحسن : فأهدى في يوم من أيام النواريز إلى المتوكل فرساً ، فنظر إليه المتوكل فاستحسنه ، ثم أقبل على الفتح بن خاقان فقال : أما ترى إلى هذا الفرس الذي أهداه عافية ما أحسنه وأعتقه ، هذا خلاف ما يصفه به علي بن يحيى من صغر الهمة وضيق النفس والخساسة ؛ من تبلغ همته إلى أن يهدي مثل هذا الفرس لا يوصف بالخساسة ولا بضيق النفس ، وهو

---

(1) ك : درهم ، فمدحه ادريس ثم وصله من ماله (وسقط البيتان) .

(2) ك : كثيرة . (3) م : علي .

في ذلك كله كان ينظر إليَّ ويقصدني بالكلام ويريد العبث بي ، فتركته حتى أطنب في هذا المعنى وبلغ منه ما أراد ثم قلت له : يا أمير المؤمنين أليس من أهدى مثل هذا الفرس عندك ذا همةٍ وقدر؟ قال : بلى ، قال قلت : فأبعد همةً وأرفعُ قدراً من حمله عليه . قال : ومن حمله عليه؟ قال قلت : أنا حملته عليه . قال فقال : يا عافية ما يقول عليّ؟ قال فقال : صدق يا أمير المؤمنين هو حملني عليه ، قال : فانكسر عني ثم أقبل على الفتح خجلاً ، وسربت الحال بيني وبين عافية حتى هجاه من كان يطيف به من الشعراء ، فقال فيه أبو عبد الله أحمد بن أبي فنن ، وكنت أدخلته على المتوكل وجالسه وشكر لي ذلك إذ كفره عافية :

ستعلمُ أنّ لؤمَ بني تميمٍ ... سيظهرُ منه للناس الخفيُّ
وما إن ذاك أنك من تميمٍ ... ولكنْ ربما جَرَّ الدعيُّ

وقال فيه أبو هفان :

لو كنت عافيةً لكنت محبباً ... في العالمين كما تُحَبُّ العافيه

وقال فيه أبو الحسن البلاذري :

من رآه فقد رأى ... عربياً مدلَّسا
ليس يدري جليسُهُ ... أفسا أم تنفَّسا

وقال فيه أبو العنبس الصيمري :

أبا حسن بمنصبك الصميم ... أتأذنُ في السُّلاح على التميمي
فوالرحمن لولا ألفُ سوطٍ ... لفارق روحُهُ رَوْحَ النسيم

وهجاه أبو الحسن علي بن يحيى المنجم فقال :

أأهجو تميماً أن تعرَّض مُلْصَقٌ ... إليها دعيٌّ قد نَفَتْهُ قرومُها
فآخذها طرّاً بذنبِ دعيِّها ... فأين نُهَى قومي وأين حلومُها
وما في دعيِّ القوم ثأرٌ لثائرٍ ... ولم يقترفْ ذنباً فَيُهْجَى صميمُها
أعافيَ إنَّ اللؤمَ منك سجيةٌ ... وشرُّ خلالِ الأدعياءِ قديمُها

قال أبو الحسن : وترقى به الأمر في منابذتي إلى أن ادَّعى في يومٍ من الأيام بحضرة المتوكل أنه أحسنُ مروءةً مني ، فقال الفتح : فمحنة هذا سهلة ، يوجِّه أمير

لمؤمنين إلى منزلهما من يحضر مما يجده من الطعام حاضراً ، فدعا المتوكل بقائدٍ من نواده وقال : امض إلى منزل علي بن يحيى فانظر ما تجد فيه من الطعام حاضراً فأحضره ، وامنعهم من أن يشتروا شيئاً أو يعملوه ، وافعل مثل ذلك بمنزل عافية ، فصار إلى منزل علي بن يحيى فوجد فيه طعاماً عتيداً ، فحمل جونةً حسنة ، وصار إلى منزل عافية فلم يجد فيه غير سفرةٍ خَلِقَةٍ معلّقة في مجلسه ، فأمر فأنزلت فوجد فيها كسراً من خبز خشكار وملحاً من ملح السوق وقطعةَ جبنٍ يابس وقطعةً من سمك مالح وقصعة مكسورة فيها ذلك المالح وخرقة وسخة[1] منقطعة ، فحمل السفرةَ بحالها وصار إلى المتوكل فعرض عليه الجونة فاستحسنها وقال للفتح : أما ترى ما أنظفَ هذا الطعام وأحسنه ؟! وأحضر السفرةَ فقال : ما هذا ؟ قال : هذا هو الذي وجدته في منزل عافية ، قال : افتحوها ففتحت ، فاستقذر ما رأى فيها وعجب منه وقال : يا فتح أظننتَ أن رجلاً يجالسني وقد وصلتُهُ بعدةِ صلات فيكون هذا مقدار مروءته ؟ فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ما له عذر ، فدعا بخادم من خدمه وقال : امض إلى عبيد الله بن يحيى فقل له : أخرج إليَّ ما وصل إلى عافية من مالي من رزق وصلة منذ خدمني إلى هذا الوقت ، فمضى الخادم فلم يكنْ بأسرعَ من أن وافى برقعةٍ من عبيد الله وفيها مبلغ ما صار إلى عافية فإذا هو ثلاثمائة ألف درهم ، فقال المتوكل : يا فتح أما كان يجب أن يتبين أثر النعمة على من وصل إليه هذا المال ؟ ما في هذا خيرٌ ولا يصلح مثله لمجالستي ، فأخرجه من المجالسة وأمر بنفيه إلى البصرة ، وهي بلده ، فلما حضر خروجه طالبته صاحبةُ المنزل بأجرته فدفع إليها ببقية ما لها عليه حُبّاً كان في الدار خَلَقاً ، واتصل الخبرُ بابن المنجم قال : فصرتُ إلى المتوكل فعرّفته ذلك فعجب منه ، وأمر باحضار المرأة ومساءلتها عن الخبر فأخبرت به ، فأمر لها بصلةٍ ، وتقدّم إلى عبيد الله في أخذ الحب وإنفاذه مع رسول قاصد خلف عافية يلحقه بالبصرة ، وأمره أن يكتبَ إلى صاحب المعونة وصاحب الصدقة والخراج والقاضي وصاحب البريد بحضور الجامع والتقدم إلى وجوه أهل البصرة في الحضور وإحضار عافية وتسليم الحبِّ إليه بحضرتهم وإشهادهم عليه وتعريفهم ما كان من خبره مع المرأة صاحبة داره ، ففعل

---

(1) وسخة : سقطت من ك .

ذلك وصار به عافية شهرةً في بلده .

وحدث هارون عن عمه عن أبيه علي بن يحيى قال كنتُ أنادمُ المتوكلَ في ليلة من الليالي فغلب عليَّ النبيذ ، فأطرقتُ كالمهموم وأنا منتصبٌ ، قال : فدعا المتوكل بنصر [بن] سلهب وقال: امض الى منزل علي بن يحيى فانظر ما تجدُ فيه من الطعام فاحمله إليّ وأعجلهم غايةَ الاعجال ولا تدعهم يهيئون شيئاً ، قال : فمضى نصرٌ فامتثل أمره وحمل جونةً مملوءة من ضروب الطعام وجاء بها إلى المتوكل ، ففتحت بين يديه ففاحت برائحة شوّقته إلى الطعام واستحسن ما رأى فيها فأكل منها والفتح معه ثم قال له : أما ترى ما أحسن هذا الطعام وأطيبه وأنظفه ، ولو كان عليٌّ أعدَّ هذا لمثل ما كان منا(1) ما زاد على حُسْنِ هذه الجونة وطيبِ ما فيها ، قال فقال له الفتح : هذا يا أمير المؤمنين يدلُّ على مروءته وإنه ليجب أن يعانَ عليها ، قال : فصاح بي يا علي ، فقمتُ قائماً وقلت : لبيك يا أمير المؤمنين ، قال : تعال ، فقربت منه فقال : انظر إلى هذه الجونة وما فيها ، قال : فنظرتُ إليها فقال : كيف تراه ؟ قلت أرى طعاماً حسناً ، قال : فتدري من أين هو ؟ فقال قلت : لا يعلم الغيبَ إلا اللّه ، قال : فإنها من منزلك وإني فعلت كذا وكذا وقصَّ عليّ القصة وقال : قد والله سرَّني ما رأيتُ من مروءتك وَسَرْوِكَ ، وكذا فليكن مَنْ خدم الملوك ، ثم قال لي : ما تحبُّ أن أهبَ لك ؟ قال قلت : مائة ألف دينار ، قال : أنت والله تستحقها وما هو أكثر منها ، وما يمنعني من دفعها إليك إلا كراهة الشنعة وأن يقال وصل جليساً من جلسائه في ليلة بمائة ألف دينار ، ولكني أوصلها إليك متفرقةً وأضمَّنُ فتحاً إذكاري بذلك حتى تستوفيها ، وقد وصلتك بمائة ألف درهم على غير صرف فانصرف بها معك ، قال : وأمر باحضارها فأحضرتْ عشر بدر وَحُمِلَتْ معي إلى منزلي ، ثم لم يزلْ يتابعُ لي الصلات حتى وفّاني مائة ألف دينار . قال علي بن يحيى : وأحصيت ما وصل إليَّ من أمير المؤمنين المتوكل من رزق وصلة فكان مبلغه ثلاثمائة ألف دينار .

قال : ولما مات علي بن يحيى قال ابن بسام يرثيه :

قـد زرتُ قبرَكَ يـا عليُّ مسلِّماً ولـك الزيـارةُ من أقـلِّ الـواجبِ

(1) ك : منها .

ولـو استطعتُ حملتُ عنـك ترابـه فـلطالمـا عَـنّي حـملتَ نـوائبي

وفي « كتاب النورين » للحصري : وقال علي بن المنجم (فلا أدري أهو هذا أم علي بن هارون بن علي بن يحيى بن المنجم) :

ومن طـاعتي إيـاه أمـطر نـاظـري إذا هـو أبدى من ثنـايـاه لي بـرقـا
كأنَّ جفوني تبصرُ الوصـلَ هارباً فمن أجل ذا تجري لتـدركه سبقـا

ولعلي هذا ابن يكنى أبا عيسى واسمه أحمد كان أديباً وهومذكور في بابه . وقال علي بن يحيى يرثي المأمون ويمدح المعتصم :

من ذا على الدهر يُعْـديني فقد كثـرتْ عنـدي جنـايتُـهُ يـا معشـرَ النـاسِ
أنحى على المـلك المـأمـونِ كـلكلَهُ فـصـار رهـنـاً لأحــجـارٍ وأرمــاسِ
قـد كـاد ينهـدّ ركنُ الـدين حين ثـوى ويتـركُ النـاسَ كـالفـوضى بـلا راسِ
حـتـى تـداركـهـم بـالـلّه مـعـتـصـمٌ خيـرُ الخـلائـفِ من أولاد عـبـاسِ

ودخل أبو علي البصير على علي بن يحيى وقد أصيب ببعض أهله ، وكان قد بعث إليه ببرّ قبل ذلك ، فقال له : بلغني مصابك ووصل إليّ ثوابك فأحسن الله جزاءك وعزاءك .

قال المرزباني وهو القائل في نفسه[1] :

عليُّ بن يحيى جـامـعٌ لمحـاسنٍ من العلم مشغوفٌ بكسبِ المحامـدِ
فلو قيـل هـاتـوا فيكم اليـومَ مثله لعـزَّ عليكم أن تـجيئـوا بـواحـدِ

وله[2] :

سيعـلم دهـري إذ تـنـكّـر أنـني صبـورٌ على نكـرائـه غيـر جـازعِ
وأني أسوسُ النفسَ في حال عسرها سيـاسـةَ راضٍ بـالمعيشة قـانـع
كما كنتُ في حال اليسـار أسوسهـا سيـاسـةَ عفٍّ في الغنى متـواضـع
وأمنعهـا الـوردَ الـذي لا يليقُ بي وإن كنت ظمـآناً بعيـد الشرائـع[3]

(1) معجم الشعراء : 142 .
(2) المصدر نفسه .
(3) ك : المشارع .

وله[1] :

بـأبـي والله مـن طـرقـا | كـابتسام الصبـح إذ خفقـا
زادنـي شـوقـاً بـرؤيتـه | وحشـا قلبي بـه حُـرَقـا
مـن لقـلبٍ هـائـمٍ كـلف | كـلمـا سكّـنـتـه قـلقـا
زارني طيفُ الحبيـب فمـا | زاد أن أغـرى بـيَ الأرقـا

ولما مات علي بن يحيى قال علي بن سليمان أحد شعراء العسكر يرثيه[2] :

قـد زرتُ قبـرك يـا عليّ مسلمـاً | ولـك الزيـارةُ من أقلّ الـواجب
ولـو استـطعتُ حملتُ عنك ترابـه | فلطالمـا عني حـملت نـوائبي[3]
ودمـي فـلو أنـي عـلمـتُ بـأنـه | يـروي ثراك سقـاه صـوب الصـائب
لسفكتـه أسـفـاً عليـك وحسـرةً | وجعلتُ ذاك مكـان دمعٍ سـاكب
فلئن ذهـبتَ بـمـلءِ قبـرك سؤدداً | لجميـلُ مـا أبقيتَ لـيس بـذاهب

وحدث أبو علي التنوخي في « نشواره »[4] : حدثني أبو الحسن بن أبي بكر الأزرق قال حدثني أبي قال : كان بكركر من نواحي القفص ضيعة نفيسة لعلي بن يحيى بن المنجم وقصرٌ جليل فيه خزانة كتب عظيمة يسميها خزانة الحكمة يقصدها الناس من كلِّ بلد فيقيمون فيها ويتعلمون منها صنوف العلم ، والكتب مبذولةٌ في ذلك لهم ، والصيانةُ مشتملة عليهم ، والنفقة في ذلك من مال علي بن يحيى ، فقدم أبو معشر المنجم من خراسان يريد الحج وهو إذ ذاك لا يحسن كبيرَ شيءٍ من النجوم ، فوصفت له الخزانة فمضى ورآها فهاله أمرها ، فأقام بها وأضرب عن الحج وتعلّم فيها علمَ النجوم وأَغْرَقَ فيه حتى الحد ، وكان ذلك آخرَ عهده بالحج وبالدين والاسلام أيضاً.

وذكر جحظة في « أماليه » : حدثنا ابن حميد قال ، قال المتوكل لعلي بن يحيى

---

(1) معجم المرزباني أيضاً .
(2) هو ابن الطريف السليمي اليمامي ، انظر ترجمته وأبياته في معجم الشعراء: 147 .
(3) البيتان الأولان مرّا منسوبين للبسامي .
(4) النشوار 4 : 66 (نقلاً عن معجم الأدباء) .

المنجم : اهجُ مروان بن أبي الجنوب ، فقال يا أمير المؤمنين : ومن مروان حتى أهجوه ؟! قال : مروان مولى بني أمية ومولى القوم منهم ، وبعد فإنهم بنو عمي وأتت العداوة بيننا، فأنت من أنت؟ قال : أنا مولاك يا أمير المؤمنين ، قال : دعنا من هذا البرد ، اهجُ الرجل وإلا أمرته أن يهجوك ، فوقف ساعةً متفكراً فاندفع مروان يقول :

ألا إن يحيى لا يقاس الى أبي ... وعرضُ عليٍّ لا يقاسُ إلى عرضي
أناسٌ من الأنباط أكثرُ فخرهم ... إذا فَخَرَ الأشرافُ بعضٌ على بعضِ
تنحّلَ أصلاً في المجوسِ ودعوةً ... إليهم نفاها من بحكمهم يَقضي
أبى ذاك آذرباذ فيكم فأنتمُ ... من السُّفَلِ الأرذالِ والنبطِ المحضِ
حديثكمُ غثٌّ وقربكمُ أذىً ... وآدابكم ممزوجةُ المقتِ بالبغضِ
تسوّقتمُ عند الامام بحبّه ... وسوقكمُ عند الروافض بالرفضِ
متى ما تعاطى المجدَ والفخرَ أهلُهُ ... فلستم من الإبرام فيه ولا النقضِ
إخالُ علياً من تكامُلِ مقته ... يطا حُرٌّ وجهي وهو يمشي على الأرضِ

قال أحمد بن أبي طاهر : كنت يوماً عند أبي الحسن علي بن يحيى المنجم في أيام المعتمد فدخل عليه ابنه هارون فقال له : يا أبت رأيت في النوم أمير المؤمنين المعتمد وهو في داره على سريره ، إذ بصر بي فقال : أقبل علي يا هارون ، يزعم أبوك أنك تقول الشعر ، فأنْشِدْني طريدَ هذا البيت :

أسالت على الخدّين دمعاً لو آنه ... من الدرِّ عقدٌ كان ذخراً من الذخرِ

فلم أردَّ عليه شيئاً وانتبهت ؛ قال : فزحف إليه علي بن يحيى غضباً وقال ويحك فلم لم تقل :

فلما دنا وقتُ الفراقِ وفي الحشا ... لفرقتها لذعٌ أحرُّ من الجمرِ
أسالت على الخدّين دمعاً لو آنه ... من الدرِّ عقدٌ كان ذخراً من الذخر

قال ابن أبي طاهر : فانصرفنا متعجبين من حفظ هارون لما هجس في خاطره في النوم ، ولمبادرة علي بن يحيى وسرعته في القول :

قال جحظة في « أماليه » : حدثت عن يزيد بن محمد المهلبي قال : كنت أرى

علي بن يحيى بن علي المنجم فأرى صورته وصغر خلقته ودقة وجهه وصغر عينيه وأسمع بمحله من الواثق والمتوكل فأعجب من ذلك وأقول ، بأيّ سببٍ يستظرفه الخليفة ؟ وبماذا حظي عنده ، والقردُ أملحُ منه قباحة ؟! فلما جالستُ المتوكل رأيت علي بن يحيى قد دخل على المتوكل في غداةٍ[1] من الغدوات التي قد سهر في ليلتها بالشرب وهو مخمورٌ يفورُ حرارةً مستثقلٌ لكلِّ أمر يخفّ دون ما يثقل ، فوقف بين يديه وقال : يا مولاي أما ترى إقبالَ هذ اليوم وحسنه وإطباقَ الغيم على شمسه وخضرةَ هذا البستان ورونقه ، وهو يومٌ تعظّمه الفرسُ وتشرب فيه لأنه هرمزروز ، وتعظّمه غلمانك وأكرتك مثلي من الدهاقين ، ووافق ذلك يا سيدي أن القمرَ مع الزهرة ، فهو يومُ شربٍ وسرور وتخلّ بالفرح ، فهشَّ اليه وقال : ويلك يا عليّ ما أقدر أن أفتح عينيَّ خماراً ، فقال : إن دعا سيدي بالسواكِ فاستعمله وغسل بماءِ الورد وجهه وشرب شربةً من ربِّ الحصرم أو من مِبَنَّةٍ مطيبة مبرّداً ذلك بالثلج انحلَّ كلُّ ما يجد ، فأمر باحضار كل ما أشار به ، فقال عليّ : يا سيدي وإلى أن تفعل ذاك تحضر عجلانيتان بين يديك مما يلائم الخمار ويفتق الشهوة ويعين على تخفيفه فقال : أحضروا علياً كل ما يريد ، فأحضرت العجلانيتان بين يديه وفراريج كسكر قد صففت على أطباق الخلاف وطبخ حماضية وحصرمية ومطجنة لها مريقة ، فلما فاحت روائح القدور هشَّ لها المتوكل ، فقال له : يا عليّ أذقني فجعل يذيقه من كلِّ قدر بحرف يشرِّبه فيها ، فهشَّ إلى الطعام وأمر باحضاره ، فالتفت عليّ الى صاحب الشراب فقال لهم : ينبغي أن يختار لأمير المؤمنين شرابٌ ريحاني ويزاد في مزاجه إلى أن يدخل في الشرب فيهنئه الله إياه إن شاء الله . قال فلما أكل المتوكل وأكلنا نهضنا فغسلنا أيدينا وعدنا إلى مجالسنا وغنى المغنون فجعل عليّ يقول : هذا الصوتُ لفلان والشعر لفلان ، وجعل يغني معهم وبعدهم غناءً حسناً إلى أن قَرُبَ الزوال ، فقال المتوكل : أين نحن من وقت الصلاة ؟ فأخرج عليٌّ اصطرلاباً من فضة في خُفِّه فقاس الشمس وأخبر عن الارتفاع وعن الطالع وعن الوقت ، فلم يزل يعظم في عيني حتى صار كالجبل ، وصار مقابحُ وجهه محاسن ، فقلت : لأمرٍ ما قُدِّمْتَ ، فيك ألفا خصلة : طيب مضحك ، وأدب

---

(1) ك : غدوة

جليس ، وحذق طباخ ، وتصرف مغنٍ ، وفكر منجم ، وفطنة شاعر ، ما تركتَ شيئاً مما يحتاج إليه الملوك إلا ملكته.

قال جحظة : وحدثني رذاذ غلام المتوكل قال : شهدت عليّ بن يحيى المنجم وقد أمره المتوكل أن يغنيه ، وكنتُ جالساً الى جانبه ، فقال لي : قد وقعتُ وإن تمنّعْتُ جدَّ بي حتى أغني ثم لا يكونُ له موقع ، والمبادرةُ إلى أمره وسرعة الطاعة له أصوب ، اضربْ عليّ ، فضربتُ عليه وغنى :

زار من سلمى خيالٌ موهناً حبذا ذاك الخيال الطارقُ

جاد في النوم بما ضنّتْ به ربما يَغْنَى بذاك العاشق

فقال : زه أجدتَ والله يا عليّ ، فقال له عليّ : قد فرَّحْتُكَ يا سيدي ففرحني ، فدعاه وحيّاه بمشمة عنبر كانت بين يديه في صينية ذهب عليها مكبة منها وأمر له بألف دينار وتخوتِ ثياب، فقال لي: يا أبا شريك أناصفك؟ فقلت: لا والله لا قبلتُ من ذلك لا الكلّ ولا النصف فبارك الله لك فيه.

قال جحظة وحدثني عليّ بن يحيى المنجم قال : قلت مرة وقد أخذ مني النبيذ بين يدي الواثق لمن كان يسقيني : ويلك أجهزتَ والله عليّ ، سقيتني الكأس حيةً فالا قتلتها ؟ فسمع الواثق فقال لم يعد بك قول حسان :

إن التي ناولتني فرددتُها قُتِلَتْ قُتِلْتَ فهاتها لم تقتلِ

ألا تراه أنكر عليه مزجها ؟ قلت : حسان أعرابي لا يُحْسِنُ يشربُ الخمر ، وكان أيضاً يشربها تغنماً لبعد عهده بها ، ولكن أردتُ من ساقيٍّ أن يأخذَ بقول أفتى الخلق وأملحهم أدباً وأعلمهم بأدب الشرب ، قال : ومن هو؟ قلت : أبو نواس ، قال : حين يقول ماذا ؟ قلت : حين يقول :

لا تجعلِ الماءَ لها قاهراً ولا تسلِّطْها على مائها

فقيل لي لما حضرت من الغد ، إنَّ الواثق قال : لله دره ما أسرعَ جوابه وأحسنَ انتزاعه ، لكنه أخرج عربدته كلَّها على حسان بن ثابت ، فلما حضرتُ بين يديه قال

(1) ديوان حسان : 75 .

لي : هيه يا عليّ سكرتَ أمس ، فقلت : يا سيدي من شرب سكر ، ومن كان أمره إلى نفسه في نبيذه رفق ، ومن كان أمره الى غيره خرق . قال : فعربدتَ على حسان وثلبته وما يستحقُّ ذلك وإنه لَطَبٌّ بشرب الكأس مَدَّاحٌ لشاربيها ، أليس هو الذي يصف ربيعة بن مكدم فبلغ من ذلك أحسن ما يكون الفتى عليه بقوله[1] :

نفرت قَلُوصي من حجارة حَرَّةٍ ... بنيتْ على طَلْقِ اليدين وَهُوبِ

لا تنفري يا ناقُ منه فانه ... شرِّيبُ خمرٍ مِسْعَرٌ بحروب

وهو أيضاً من المعدودين في وُصّافِ الخمر وشربها ، أليس هو القائل[2] :

إذا ما الأشربات ذكرن يوماً ... فهنَّ لطيِّب الراحِ الفداءُ

نوليها الملامةَ إن ألمنا ... إذا ما كان مَغْثٌ أو لحاءُ

ونشربها فتتركنا ملوكاً ... وأسداً ما ينهنهنا اللقاءُ

ويلك أليس هو الذي يقول[3] :

لا أخدشُ الخدشَ النديمَ ولا ... يخشى جليسي إذا انتشيت يدي

ومن يحسن ويلك يقول مثل قوله :

وممسكٍ بصداعِ الرأس من سَكَرٍ ... ناديتُهُ وهو مغلوبٌ ففدَّاني

لما صحا وتراخى العيشُ قلت له ... ان الحياةَ وإن الموتَ سيانِ

فاشرب من الخمر ما واتاك مشربه ... واعلم بأنْ كلَّ عيشٍ صالحٍ فانِ

فقلت له : لو حضرك والله يا سيدي لأقرَّ أنك أحفظ لعيون شعره منه ، فالويل لجليسك بماذا يتنفَّقُ عندك وروايتك هذه الرواية ، فقال : ويحك يا عليّ بل الويلُ لجليسي إذا جالسَ من لا يعرف قَدْرَ ما يحسن .

قال أحمد بن أبي طاهر : اجتمعنا عند أبي الحسن عليّ ين يحيى أنا وأبو هفان عبد الله بن أحمد العبدي وأبو يوسف يعقوب بن يزيد التمار على نبيذ فقال أبو هفان :

---

(1) ديوان حسان : 409 وتنسب الأبيات إلى عدد من الشعراء منهم ضرار بن الخطاب وحفص بن الأخيف وعمرو بن شقيق .

(2) ديوان حسان : 17 .

(3) ديوان حسان : 141 .

وقائل إذ رأى عزفي عن الطلب ... أتهتَ أم نلتَ ما ترجو من النشبِ
قلتُ ابنُ يحيى عليّ قد تكفَّلَ لي ... وصان عرضي كصونِ الدين للحسبِ

فقال التمار :

يُذْكي لزوّاره ناراً منورةً ... على يَفَاعٍ ولا يذكي على صَبَبِ
من فارسِ الخيرِ في أبيات مملكةٍ ... وفي الذوائبِ من جرثومة الحسبِ

قال أحمد بن أبي طاهر فقلت :

له خلائقُ لم تُطْبَعْ على طَبَع ... ونائلٌ وصلتْ أسبابه سببي
كالغيث يعطيك بعد الريّ وابله ... وليس يعطيك ما يعطيك عن طلبِ

قال فوصلهم وخلع عليهم وحملهم.

قال عبيد الله حدثني أبو أحمد يحيى بن عليّ بن يحيى قال : اتصل أبي بأمير المؤمنين المتوكل على الله فغلب عليه وعلى الفتح بن خاقان بخدمته وأدبه وافتنانه وتصرفه في كلّ ما تشتهيه الملوك ، وكان الفتح بن خاقان هو الذي وصفه للمتوكل ، وكان بعد موت محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مصعب لأن أبي كان متصلاً به وشديد الاختصاص بخدمته ، حتى لقد مات محمد بن إسحاق ويده في يده ، فلما مات دخل على الفتح بن خاقان فأنشده يمدحه قصيدة أولها :

سأختار من حرّ الكلام قصيدةً ... لفتح بن خاقانٍ تفوقُ القصائدا
يلذّ بأفواه الرواة نشيدُهَا ... ويشنا بها من كان للفتح حاسدا
لعمرك إن الفتحَ مُذْ كان يافعاً ... ليسمو إلى أعلا ذرى المجدِ صاعدا
قريعُ الموالي ساد في خمسَ عشرةً ... موالي بني العباس لم يُبْقِ واحدا
وبذّهمُ طرّاً ندىً وشجاعةً ... فألْقَوْا إليه مذعنين المقالدا

قال : فلم أر الفتح اهتز لشيء من الشعر اهتزازه لهذه القصيدة ، ولا سُرَّ بأحد قدم عليه سروره بعلي بن يحيى ، ثم قام الفتح من فوره فدخل على المتوكل فعرَّفه مكانه ، فأذن له واستجلسه وأمر أن يخلع عليه ، فخلع عليه خلع المجالسة ، فكان آنسَ خلقِ الله به وأغلبهم عليه وعلى الفتح ، وتقدم الجلساءَ جميعاً عنده ، ووثق به حتى عزم على إدخاله معه إلى الحرم اذا جلس معهنّ ، وذاك أنه شكا إلى الفتح أنه إذا

قعد مع الحرم لم يكن له من يستريحُ إليه ويأنسُ به وقال : قد عزمتُ أن أدخل علي بن يحيى فأستريح إليه ، فقال له الفتح : ما يصلحُ لذلك غيره ، فبلغ ذلك علي بن يحيى فقال للفتح : أنا قَدَّرْتُ أن أتخلّصَ من هذا بك فوكدت عليَّ الأمر فيه ؟ ليس أفعل . فقال له الفتح : إن هذا الذي ندبك إليه أمير المؤمنين منزلة ليس فوقها منزلة في الخصوص ، فقال : قد علمتُ ذلك ، وشكرتُ تَفَضُّلَ أمير المؤمنين عليَّ فيه ، ولكن في الأمر شيء يسمعه أمير المؤمنين وتسمعه ، ثم يتفضل بالاعفاء منه ، قال : وما هو ؟ قال : قد علمتَ أن أميرَ المؤمنين أشدُّ الناسِ غيرةً وأن النبيذَ ربما أسرع إليّ ، ولستُ آمنُ بعضَ هذه الأحوال وأن ينسى عند غلبة النبيذ ما كان منه فيقول : ما يصنعُ هذا معي عند حرمي ؟ فيعجل عليَّ بشيء لا يُسْتَدْرَكُ ، وليس بيني وبين هذا عمل ؛ قال فقال المتوكل : تخلّصتَ يا علي مني بألطف حيلة وأعفاه.

قال يحيى وحدثني أبي قال : قال أمير المؤمنين المتوكل يوماً من الأيام : يا عليّ لك عندي ذنب ـ قال هذا ونحن بدمشق ـ قال : فأكبرت ذلك وقمتُ قائماً بين يديه وقلتُ : أعوذ بالله من سخط أمير المؤمنين ، ما الذنب يا أمير المؤمنين فلعله كذبُ كاشح أو بغيُ حاسد ؟ فقال : لا ، أخبرني من أثق به ، قال فقلت : يتفضل عليَّ أمير المؤمنين بتعريفي الذنب ، فإن كان لي عذرٌ اعتذرت وإلا اعترفتُ وَعُذْتُ بعفو أمير المؤمنين ، فقال : أتحتاج إلى شيء وتسأل غيري ؟ فقلت : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : أخبرني بختيشوع أنك وجهتَ إليه واستقرضتَ منه عشرين ألف درهم فلم فعلت ذلك وما منعك أن تسألني فأصِلَك ؟ أتأنفُ من مسألتي ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين لا والله ما منعني ذلك ، وإن صلات أمير المؤمنين متتابعةٌ عندي من غير مسألة ، ولكن بختيشوع ممن آنس به ، فاستعرتُ منه هذه الدراهم على ثقة مني بأنَّ تفضّلَ أميرِ المؤمنين غيرُ متأخرٍ عني فأردُّها من ماله . قال فقال لي : قد عفوتُ لك عن هذا هذه المرة فلا تعد إلى مثلها ، وإن احتجت فلا تسأل غيري أو تبذل وجهك إليه .

ثم خدم علي بن يحيى المنتصر بن المتوكل فغلب عليه أيضاً ، وقدّمه المنتصر على جماعة جلسائه وقلّده أعمال الحضرة كلها : العمارات والمستغلات والمرمات والحظائر وكل ما على شاطىء دجلة الى البطيحة من القرى ، ثم خدم المستعين بالله فقدّمه وأحبه وأحلّه محله من الخلفاء ممن كان قبله ، وأقرّه المستعين على ما تقلّده من

أعمال الحضرة ، ثم حدثت الفتنة وانحدر مع المستعين الى مدينة السلام فلم يزل معه إلى أن خُلع المستعين ، فأقام علي بن يحيى يغدو ويروح إليه بعد الخلع إلى أن أحله من البيعة التي كانت في عنقه ، ولم يكن المستعين قبل الخلع بسنة يأكل إلا ما يُحْمَلُ إليه من منزل علي بن يحيى في الجُوَنِ إلى دار أبي العباس محمد بن عبد الله بن طاهر فيفطر عليه وكان يصوم في تلك الأيام .

قال يحيى بن علي ، قال لي أبي : صرتُ إلى المستعين لمّا صير به إلى قصر الرصافة فوجدت عنده قرب داية المعتز وعيسى بن فرخانشاه وهم يسألونه عن جوهر الخلافة ، فقالت لي قرب : يا أبا الحسن بسّ ما كان لنا منك نصيب يا هذا كاتبنا الناس كلّهم غيرك ، قال قلت : أما إن ذاك ليس لتقصير فيما يجب عليَّ من حق أمير المؤمنين المتوكل رحمه الله ومن حق ولديه، ولكن كان في عنقي طوقٌ يحظر عليَّ ذلك ، قال فقالت: بارك الله فيك . قال : ثم خلص الأمر للمعتز فكان أول من طلبه للمنادمة علي بن يحيى فشخص إلى سرّ من رأى فتلقاه أمير المؤمنين المعتز حين قدم عليه أجملَ لقاء وخلع عليه ووصله وقلّده الأسواق والعمارات وما كان يتقلده قبل خلافته ، وخُصَّ به وغلب عليه حتى تقدم عنده على الناس كلهم . قال : فأخبرني أبي أنه حسب ما وصل إليه من المعتز من صلته ورزقه منذ خدمه إلى أن تصرمت أيامه فكان مبلغُهُ ثلاثة وثلاثين ألف دينار وقلده المعتز القصر الكامل فبناه ، ووصله عند فراغه منه بخمسة آلاف دينار وأقطعه ضيعة ، وفي المعتز يقول علي بن يحيى :

بدا لابساً بردَ النبيِّ محمدٍ ... بأحسنَ مما أقبل البدرُ طالعا
سميّ النبي وابن وارثه الذي ... به استشفعوا أكرمْ بذلك شافعا
فلما علا الأعوادَ قام بخطبةٍ ... تزيدُ هدىً من كان للحق تابعا
وكلّ عزيز خشيةً منه خاشعٌ ... وانت تراه خشيةَ اللّه خاشعا

فأما المهتدي فإنه حقد عليه أشياء كانت تجري بينه وبينه في مجالس الخلفاء ، فانحرف عنه المهتدي لميله إلى المتوكل ، فكان المهتدي يقول : لست أدري كيف يسلم مني عليّ بن يحيى ، إني لأهمُّ به فكأني أُصْرَفُ عنه ، ووهب الله له السلامة من المهتدي إلى أن مضى لسبيله ، وكانت أيامه قصيرة .

ثم أفضى الأمر إلى المعتمد على الله فحلَّ منه محلّه ممن كان قبله من الخلفاء ، وقدَّمه على الناس جميعاً ووصله ، وقلده ما كان يتقلده من أعمال الحضرة ، وقلَّده بناء المعشوق فبنى له أكثره ، وكان الموفق من محبته وتقديمه وجميل الذكر له في مجلسه إذا ذكر على أفضل ما يكون وليّ نعمة ، وكان يذكره كثيراً في مجالسه ويصف أيامه مع أمير المؤمنين المتوكل وأحاديثه ، ويحكيها لجلسائه ويعجبهم من ذكائه ومعرفته وفضله . وتوفي في آخر أيام المعتمد سنة خمس وسبعين ومائتين ودفن بسامرا. وشعره كثير مشهور، رأيت العلماء القدماءَ يكثرون العجب به وليس عندي كذلك ، فلذلك أقللتُ من الاتيان به إلا ما كان في ضمن خبر . وله من الولد الذكور أحمد بن علي وكنيته أبو عيسى ، وأبو القاسم عبد الله ، وأبو أحمد يحيى ، وأبو عبد الله هارون .

ـ 855 ـ

علي بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الواحد بن موسى بن أحمد بن محمد بن إسحاق بن محمد بن ربيعة بن الحارث بن قريش بن أبي أوفى بن أبي عمرو بن عادية بن حيان بن معاوية بن تيم بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، أبو الحسن القفطي : يعرف بالقاضي الأكرم ، أحد الكتّاب المشهورين المبرزين في النظم والنثر ، وكان أبوه القاضي الأشرف كاتباً أيضاً منشئاً ، وكانت أمه امرأةٌ من بادية العرب من بَلِيٍّ من قضاعة، وأمها جارية حبشية كانت لأخت أبي عزيز قتادة الحسني أمير مكة، تزوجها أحد بني عمها العلويين وجاءت منه بأولاد ثم مات عنها فتزوجها رجلٌ من بليّ فجاءت منه ببنين وبنات منهم أمّ القاضي الأكرم ـ أدام الله علوّه . وكان والده الأشرف خرج يشتري فرساً من تلك البوادي وقد قاربوا أرض مضر

855 ـ ترجمة القفطي في معجم البلدان 4: 383 وعقود الجمان لابن الشعار 5: 1 والحوادث الجامعة: 237 ومفرج الكروب 4: 312 والطالع السعيد: 436 وعبر الذهبي 5: 191 وسير الذهبي 23: 227 والوافي 22: 338 والفوات 3: 117 ومراة الجنان 4: 116 والزركشي : 234 والنجوم الزاهرة 6: 361 وتاريخ مختصر الدول: 272 وبغية الوعاة 2: 212 وحسن المحاضرة 1: 554 والشذرات 5: 236 وقد طبع من كتبه : إنباه الرواة ، وتاريخ الحكماء ، والمحمدون من الشعراء .

للنجعة فرآها فوقعت منه بموقع ، فتزوجها ونقلها إلى أهله ، وكانت ربما خرجت في الأحيان إلى البادية استرواحاً على ما ألفته ونشأت عليه[1] ويخرج ابنها معها مدَّة ،قال: وكانت امرأة صالحة مصلية حسنة[2] العبادة فصيحة اللهجة[3] وكانت اذا أردتُ سفراً اشتغلت بما يصلح أموري في السفر وهي تبكي وتقول[4] :

أجهّـزُ زيـداً للرحيـل وإنني بتجهيـزِ زيـدٍ للرحيـلِ ضنينُ

وحدثني أطال الله بقاءه قال[5] : كنت وأنا صبي قد قدمت من مصر واستصحبت إلى قفط[6] سنوراً أصبهانياً على ما تقتضيه الصبوة ، واتفق أن ولدتْ عدة من الأولاد في دارنا ، فنزل سنورٌ ذكر فأكل بعض تلك الجراء ، فغمَّني ذلك وأقسمتُ أنْ لا بدَّ لي من قتل الذي أكلها ، فصنعت شركاً ونصبته في علّيةٍ في دارنا وجلست ، فإذا السنور[7] قد وقع في الحبالة ، فصعدتُ إليه وبيدي عكّاز وفي عزمي هلاكه ، وكان لنا جيرةٌ وقد خرب الحائط بيننا وبينهم ، ونصبوا فيه بارية إلى أن يحضرَ الصنّاع ، وكان لربِّ تلك الدار بنتان لم يكنْ فيمـا أظن أحسنُ منهما صـورةً وجمالاً وشكـلاً ودلالاً[8] وكانتـا معروفتين بذلك في بلدنا ، وكانتا بكرين ، فلما هممتُ بقتله إذا قد انكشف جانبُ البارية ، فوقعتْ عيني على ما بهر المشايخَ فكيف الشبان حسناً وجمالاً ، وإذا هما تومئان إليّ بالأصابع تسألاني إطلاقَهُ ، قال : فأطلقته ونزلتُ وفي قلبي منهنّ مـا فيه لكوني كنتُ أولَ بلوغي ، والوالدةُ جالسةٌ في الدار لمرضٍ كان بها ، فقالت لي : ما أراك قتلته كما كان عزْمُكَ ، فقلت لها : ليس هو المطلوبَ إنمـا هو سنـورٌ غيره ، فقالت : ما أظنُّ الأمرَ على ذلك ، ولكن بالله هل أُومِىء إليك بالأصابع حتى تركته ؟

---

(1) ونشأت عليه : سقطت من ك .
(2) ك : كثيرة .
(3) فصيحة اللهجة : سقطت من ك .
(4) ك : وكانت إذا جهزت ابنها للسفر تبكي وتقول .
(5) تأخرت هذه الحكاية عن هذا الموضع في ك فوقعت بعد ذكر أسماء كتبه .
(6) إلى قفط : سقطت من م .
(7) م : بالسنور .
(8) ك : صورة وشكلاً .

فقلت : ومن يومىء إليَّ ؟ لا أعرف معنى كلامك ، فقالت : على ذلك يا ابني[1] اسمع مني ما أقول لك :

ثنتان لا أرضى انتهاكَهُمَا   عِرْسُ الخليلِ وجارةُ الجنبِ

وكان مع هذا البيت بيت آخر أنسيته . قال : فواللّٰه لكأنَّ ماءً وقع على نار فأطفأها ، فما صعدتُ بعد ذلك إلى سطح ولا غرفة إلى أن فارقت البلاد ، ولقد جاء الصيفُ فاحتملت حَرَّه ولم أصعدْ إلى سطح في تلك الصيفية . ثم وجدتُ هذا البيت في أبيات الأحوص بن محمد منها[2] :

قالت وقلت تحرجي وصلي   حبلَ امرىءٍ كلفٍ بكم صبٌّ

صاحبْ إذن بعلي فقلتُ لها   الغدرُ أمرٌ ليس من شعبي

ثنتان لا أصبو لوصلهما   عرسُ الخليلِ وجارةُ الجنبِ

أما الخليلُ فلستُ خائِنَهُ   والجارُ أوصاني به ربي

الشوقُ أقتله برؤيتكم   قتلَ الظما بالباردِ العذبِ

قال لي : ولدت في أحد ربيعي سنة ثمان وستين وخمسمائة بمدينة قفط من الصعيد الأعلى[3] أحد الجزائر الخالدات حيث الأرض أربعة وعشرون في أوّل الأقليم الثاني وبها قبر قبط بن مصر بن سام بن نوح . ونشأ بالقاهرة المعزية ، اجتمعت بخدمته في حلب فوجدته جمَّ الفضل كثيرَ النبل عظيمَ القدر سمحَ الكفِّ طلق الوجه حلو البشاشة ، وكنت أُلازمُ منزله ويحضره أهل الفضل وأرباب العلم ، فما رأيتُ أحداً فاتحه في فنّ من فنون العلم كالنحو واللغة والفقه والحديث وعلم القرآن والأصول والمنطق والرياضة والنجوم والهندسة والتاريخ والجرح والتعديل ـ وجميع فنون العلم على الاطلاق ـ إلا وقام به أحسن قيام ، وانتظم في وسط عقدهم أحسنَ انتظام . وله

(1) يا ابني : سقطت من ك .

(2) شعر الأحوص : 82 ـ 83 وفيه تخريج كثير ، واختلاف في الروايات .

(3) إزاء هذا في حاشية ك : وتوفي علي بن يوسف القفطي صاحب هذه الترجمة في شهر رمضان سنة ست وأربعين وخمسمائة [كذا] بحلب ودفن بظاهر حلب بمقام إبراهيم عليه السلام .

تصانيف أذكرها فيما بعد إن شاء اللّه تعالى[1] . أنشدني لنفسه بمنزله بحلب في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وستمائة .

ضدّان عندي قصّرا همتي ... وجهٌ حييٌّ ولسانٌ وقاحْ
إن رمتُ أمراً خانني ذو الحيا ... ومقولي يُطْمِعُني في النجاحْ
فأنثني في حيرةٍ منهما ... لي مخلبٌ ماضٍ وما من جناحْ
شبه جبانٍ فرَّ من مَعْرَكٍ ... خوفاً وفي يمناه عضبُ الكفاحْ

وأنشدني أدام الله علوه في أعور لنفسه :

شيخٌ لنا يُعْزَى إلى منذرٍ ... مستقبَحُ الأخلاقِ والعينِ
من عَجَبِ الدهر فحدِّثْ به ... بفردِ عينٍ ولسانينِ

ومما أملاه عليّ أدام اللّه علوه من منثور كلامه :

فصل : وأما سؤاله عن سبب التأخر والتجمع ، والتوقفِ عن التطاول في طلب الرياسةِ والتوسع ، والتعجبِ من التزامي قَعْرَ البيت ، وارتضائي بعد السبق بأن أكون السُّكَيْت ، فلا يَنْبِيَنِّي في ذلك إلى تقصير ، وكيف ولساني في اللُّسْنِ غيرُ ألكنَ وبناني في البيان غير قصير ، ولقد أعددتُ للرياسة أسبابها ، ولبستُ لكفاح أهلها جلبابها ، وملكت من موادِّها نصابها ، وتسلحتُ لأحلاسها وضاربتُ أضرابها ، وباريتهم في ميدان الفضائل فكنت السابق وكانوا الفُسْكُل ،وقارعتهم في مجال المقال فأطلقت المُشْكَلَ وحللتُ المشكل[2] ، وظننتُ أني قد حللتُ من الدولة أمكنَ مكانها ، وأصبحتُ إنسانَ عينها وعينَ إنسانها ، فإذا الظنونُ مخلفة ، وشفارُ عيونِ الأعداء مرهفة ، والفرقةُ المظنونة بالانصاف غير منصفة ، وصار ما اعتمدته من أسباب التقريب مبعداً، ومن اعتقدته لي مساعداً غدا عليَّ مسعداً، وأصبح[3] لمثالبي مُورداً من أعددته لمرادي مُوْرداً ، وجستُ مقاصدَ المراشد فوجدتها بهم مقفلة ، ومتى أظهرت فضيلة اعتمدوا فيها تعطيلَ المشبِّهة وَشُبَه المعطّلة ، وإذا ركبتُ أشهب النهار لنيل مرام ، ركبوا

---

(1) وله تصانيف .... تعالى : وردت في ك بعد قوله : ثلاث عشرة وستمائة .
(2) وقارعتهم .... المشكل : سقط من م .
(3) ك : وغدا .

أدهم الليل لنقض ذلك الإبرام ، وإن سمعوا مني قولاً أذاعوا ، وإن لم يسمعوا اختلقوا من الكذب ما استطاعوا ، وقد صرتُ كالمقيم وسط أفاعٍ لا يأمن لسعها ، وكالمجاور لنارٍ يتّقي شررها ويستكفي لذعها ، واللّه المسؤولُ توسيعَ الأمور إذا ضاقت مسالكها ، وهو المرجوُّ لإصلاح قلوبِ الملوك على مماليكهم إذ هو رب المملكة ومالكها ، وها أنا جاثمٌ جثومَ الليث في عرينه ، وكامنٌ كمونَ الكميٍّ في كمينه ، وأعظمُ ما كانت النار لهباً إذا قلَّ دخانها ، وأشدُّ ما كانت السفن جرياً إذا سكنَ سُكّانها ، والجياد تُراضُ ليوم السباق ، والسهامُ تُكَنّ في كنائنها لإصابة الأحداق ، والسيوفُ لا تنتضى من الأغماد إلا ساعة الجلاد ، واللآلىء لا تظهر من الأسفاط الا للتعليق على الأجياد ، وبينما أنا كالنهار الماتع طاب أبرداه ، إذ تراني كالسيفِ القاطع خَشُنَ حداه[1]، ولكلّ أقوامٍ أقوال ، ولكلّ مجالٍ أبطالٌ نزال ، وسيكون نظري بمشيئة الله الدائم ونظرهم لمحة ، وريحي في هذه الدولة المنصورة عاديَّة وريحهم فيها نفحة ، وها أنا مقيمٌ تحتَ كَنَفِ إنعامها ، راجٍ وابلَ إكرامها من هاطل غمامها ، منتظرٌ لعدوّي وعدوها أنكأ سهامها من وبيل انتقامها.

وأملى عليّ قال : كتبتُ إلى أبي القاسم ابن أبي الحسن بن شيث وكان قد انصرف عن الملك الظاهر ثم رجع إليه بأمر من الملك الظاهر : مَقْدَمُ سعد ، مؤذنٌ بسموّ ومجد ، للمجلس الجماليّ لا زال غادياً في السعادة ورائحاً ، ممنوحاً من الله بالنعم مانحاً ، ميسّراً له أرجح الأعمال كما لم يزل على الأماثل راجحاً ، موضحاً له قصد السبيل كوجهه الذي ما برح مسفراً واضحاً ، قد رد الله بأوبته ما نزح من السرور ، وأعاد بعودته الجبرَ إلى القلبِ المكسور ، ولأمَ بالمامه صدوعاً في الصدور ، والواجبُ التفاؤل بالعَوْدِ إذ العود أحمد ، وألا يُخطر الطيرةَ بباله إذ نهى عن التطيّر أحمد ، بل يقال انقلبَ إلى أهله مسروراً ، وتوطَّنَ من النعم[2] الظاهرية جنّةً وحريراً ، ودعا عدوه لعوده ثبوراً ، وصلي من نار حسده سعيراً ، أسعد الله مصادره وموارده ، ووفر مكارمه ومحامده ، وأيَّدَ ساعده ومساعده.

---

(1) هذا من كلام المعرّي .

(2) م : النعمة .

وأنشدني لنفسه أدام الله علوّه من قصيدة قالها في الملك الظاهر غازي بن يوسف بن أيوب صاحب حلب مطلعها :

لا مدحَ إلا لمليكِ الزمانْ ... من المنى في بابه والأمانْ
غياثُ دينِ الله في أرضِهِ ... إن أخلفَ البرقُ وضنَّ العَنانْ
في كفّه ملحمةٌ للندى ... مثل التي تُعْهَدُ[1] يومَ الطعانْ
فالعسرُ مصروعٌ بساحاتِهِ ... واليسرُ سامٍ في ظهور الرعانْ
وراحتاه راحةٌ للورى ... على كريم الخلق مخلوقتانْ
فكفُّه اليمنى لبسطِ الغنى ... وكفه اليسرى لقبض العنانْ

ومنها[2] :

تُعْرِبُ في الهيجاءِ أسيافُهُ ... عن حركاتٍ مثلِ لفظِ اللسانْ
كسرٌ وفتحٌ ببلاد العدى ... وبعده ضمٌّ لمال مهانْ

ومنها في صفة ولديه :

بكران بل بدران[3] ما يُكْسَفان ... روحان للملكِ وريحانتانْ
لؤلؤتا بحرٍ وإن شئتَ قلْ ... ياقوتتا نحرٍ وعقدا لبانْ
فرعان في دوحة عزٍّ سَمَتْ ... غيثان بل بحران بل رحمتانْ
سيملكان الأرض حتى يرى ... لي منهما خَرَّانُ والرَّقتانْ

ومنها :

فاسلم على الدهر شديدَ القوى ... ذا مِرَّةٍ ما شدَّ كفٌّ بنانْ
واستوطن الشهباءَ في عزةٍ ... وأخسسْ بغمدان وقعبي[4] لبانْ

---

(1) ك : الذي يعهد .
(2) ومنها : لم ترد في ك .
(3) ك : بدران بل شمسان .
(4) ك : وكعبي ؛ والإشارة إلى قول الشاعر :

فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً ... في رأس غمدان قصراً منك محلالا
تلك المكارم لا قعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

وأنشدني أدام الله علوّه لنفسه من قصيدة :

إذا أَوْجَفَتْ منك الخيولُ لغارةٍ ... فلا مانعٌ إلا الذي مَنَعَ العهدُ
نزلتَ بأنطاكيّةٍ غيرَ حافلٍ ... بقلّة جندٍ إذ جميعُ الورى جندُ
فكم أهيفٍ حازته هِيفُ رماحكم ... وكم ناهدٍ أودى بها فَرَسٌ نهدُ
لئن حلّ فيها ثعلبُ الغدرِ لاونٌ ... فسحقاً له قد جاءه الأسَدُ الوردُ
وكان قد اغترّ اللعين بلينكم ... وأعظمُ نارٍ حيثُ لا لَهَبٌ يبدو
جنى النحلَ مغتراً وفي النحلِ آية ... فطوراً له سمٌّ وطوراً له شهدُ
تمدك أجنادُ الملوك تقرباً ... وجند السخينِ العينِ جَزْرٌ ولا مدُّ
تهنَّ بها بكراً خطبتَ ملاكها ... فأعطتْ يدَ المخطوبِ وانتظم العقدُ
فجيشك مهرٌ والبنودُ حمولُه ... وأسهمكم نثرٌ وَسُمْرُ القنا نَقْدُ

وله من التصانيف : كتاب الضاد والظاء ، وهو ما اشتبه في اللفظ واختلف في الخط . وكتاب الدرّ الثمين في أخبار المتيمين . وكتاب من ألوتْ الأيام عليه فرفعته ثم التوت عليه فوضعته . وكتاب أخبارِ المصنفين وما صنفوه . وكتاب أخبار النحويين كبير[1] . وكتاب تاريخ مصر من ابتدائها إلى ملك صلاح الدين إياها في ست مجلدات . وكتاب تاريخ المغرب ومن تولاها من بني تومرت . وكتاب تاريخ اليمن منذ اختطت وإلى الآن . وكتاب المجلّى في استيعاب وجوه كلّا . وكتاب الاصلاح لما وقع من الخلل في كتاب « الصحاح » للجوهري . وكتاب الكلام على « الموطأ » لم يتم الى الآن . كتاب الكلام على الصحيح للبخاري[2] لم يتم[3] . وكتاب تاريخ محمود بن سبكتكين وبنيه إلى حين انفصال الأمر عنهم . وكتاب تاريخ أخبار السلجوقية منذ ابتداء أمرهم إلى نهايته[4] . وكتاب الإيناس في أخبار آل مرداس . وكتاب الرد على النصارى وذكر مجامعهم . وكتاب مشيخة زيد بن الحسن الكندي . وكتاب نهزة

(1) هو إنباه الرواة .
(2) ك : على صحاح البخاري .
(3) لم يتم : سقط من ك .
(4) ك : انتهائه .

الخاطر ونزهة الناظر[1] في أحاسن ما نقل من على ظهور الكتب[2] .

وكان الأكرم القاضي المذكور جماعةً للكتب حريصاً عليها جداً لم أرَ في من لقيت[3] مع اشتمالي على الكتب وبيعي لها وتجارتي فيها أشدَّ اهتماماً منه بها ولا أكثرَ حرصاً منه على اقتنائها ، وحصل له منها ما لم يحصلْ لأحد ، وكان مقيماً بحلب ، وذلك أنه نشأ بمصر وأخذ بها من كلِّ علم بنصيب ، وولي والده القاضي الأشرف النظرَ بالبيت المقدس من قبل الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين بن أيوب وصحبه القاضي الأكرم وذلك في سنة إحدى وتسعين وخمسمائة وأقام بها مع والده مدة ، فآنس ولاةُ البيت المقدسِ من القاضي الأكرم ـ أدام الله عزه ـ شرفَ نفس وعلوَّ همة، فأحبوه واشتملوا عليه، وكانوا يسألونه أن يتسمَ بخدمةِ أحدٍ منهم فلم يكن يفعلُ ذلك مستقلاً وإنما كان يسام العمل ويعتمد على رأيه في تدبير الأحوال، وكان لا يدخلُ معهم إلا فيما لا يقوم غيره فيه مقامه، واتفق ما اتفق بين الملك العادل أبي بكر ابن أيوب وبين ابن أخيه الملك الأفضل علي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب، والأكرم حينئذ بالبيت المقدّس ، فاقتضت الحالُ لاتسامه بخدمة من في حيز الملك العزيز أن خرج من القدس فيمن خرج منها من العساكر في سنة ثمان وستمائة وصحب فارس الدين ميموناً القصريّ والي القدس ونابلس ، فالتحقا بالملك الظاهر غازي بن يوسف بن أيوب بحلب في قصةٍ يطولُ شرحها ، فلما حصل بحلب كان مع ميمونْ القصري على سبيل الصداقة والمودة لا على سبيل الخدمة والكتابة ، واتفق أنَّ كاتبَ ميمونٍ ووزيره مات ، فألزمه ميمونٌ خدمته والاتسامَ بكتابته ، ففعل ذلك على مضض واستحياء ، ودبَّر أموره أحسنَ تدبير ، وساس جنده أحسنَ سياسة وتدبير ، وفرَّغ بالَ ميمون من كلِّ ما يشغل به بالُ الأمراء ، وأقطع الأجنادَ إقطاعاتٍ رضوا بها وانصرفوا شاكرين له ، لم يعرف منذ تولي أمره إلى أن مات ميمون جنديٌّ اشتكى أو تألم ، وكان وجيهاً عند ميمون المذكور يحترمه ويعظم شأنه ويتبرك بآرائه إلى أن مات ميمون في ليلة صبيحتها ثالث عشر

---

(1) ك : نزهة الخاطر ونهزة الناظر .

(2) من مؤلفاته أيضاً المحمدون من الشعراء وقد طبع مرتين : مرة بالهند ، ومرة ببيروت .

(3) في من لقيت : من ك وحدها .

رمضان سنة عشر وستمائة ، فاقر الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين جرايته[1] عليه وهو ملازمٌ لبيته متشاغلٌ بالعلم وتصنيف الكتب إلى أن احتاج ديوانه إليه فعوَّل في إصلاحه عليه وهو مع ذلك متجنب غير راضٍ .

وحدثني أدام الله علاه قال ، حدثني والدي قال : قدمتُ مع والدي إلى مصرَ أولَ قدمةٍ ولم نستصحب دوابَّ[2] لأننا انحدرنا في السفن ، وقلت لأبي : نأخذ معنا دواب[2] ، فقال : يعسر أمرها علينا فدعنا نمضي بالراحة في المراكب ، وإذا وصلنا ما نعدم ما نركب ، فلما وصلنا إلى مصر خرجنا نمشي إلى أن جاء بي إلى سوق وردان وهناك تلك الحمير التي هي أحسنُ من البغال ، فقال لي والدي : اركب أيها شئت لنمضيَ إلى القاهرة ، فامتنعت وقلت : والله لا ركبتُ حماراً قط ، فقال : لا بدَّ من المضيِّ إلى القاهرة فما تصنع؟ قلت لأبي[3]: نؤخّر المضيَّ اليوم حتى نشتريَ مركوباً إما فرسا وإما بغلة أركبها أنا واصنع انت بنفسك ما تشاء ، فعذلني فلم أرعو ، فاجتاز بنا رجلٌ له هيئة وشارة ، فتقدم والدي إليه وقال له : يا أخي تعرف القاضي الأشرف أبا الحجاج يوسف بن القاضي الأمجد أبي إسحاق إبراهيم الشيباني القفطي ؟ فقال : لا أعرفه ، قال : امض في أمان الله ، ثم مرَّ به آخر فسأله مثلَ ذلك السؤال حتى سأل جماعةً فلم يكن منهم من يعرفه ، فالتفت إليَّ وقال لي : ويلك إذا كنتَ في مدينة لا يعرفك بها أحد فما تصنعُ بهذا التمخرق والترتيب في المركوب ؟! اركب ودع عنك الكبرياء والعظمة التي لا تجدي ها هنا شيئاً ، قال : فركبت حينئذ ومضينا إلى القاهرة ؛ وكان لهذا السبب يتفقد الخيولَ المشهورة بالجودة وكثرة الثمن ، حتى لقد حدثني أنه سمع ابن دحية الحافظ وقد سئل عن القاضي الأشرف القفطي فقال : أليس هو صاحبَ الخيولِ المسوّمة والعبيد الزُّرقة ، فما أولاه إذن بقول عامر بن الطفيل[4] :

إني وإنْ كنتُ ابنَ سيدِ عامرٍ	وفارسَها المشهورَ في كلِّ موكبِ
فما سوَّدتني عامرٌ عن وراثةٍ	أبى اللّه أن أسمو بأمٍ ولا أبِ

---

(1) م : خزانته ؛ واللفظة غير معجمة في ك .

(2) ك : دواباً .

(3) م ك : قال أبي .

(4) ديوان عامر بن الطفيل : 28 .

ولكنني أحمي حماها وأتقي أذاها وأرمي من رماها بمنكبِ

فصل : قال الأكرم من إنشائي من جملة كتاب أنشأته عن المقرّ الأشرف الملكي الظاهري عند رحيل عسكر الفرنج عن حصن الخوابي :

ولما وردت الوراثة الباطنية ، صدرت في نجدتهم العساكرُ الظاهرية ، تحت الألوية الامامية الناصرية ، وسار في المقدمة ألفُ فارسٍ من أنجاد[1] الأنجاد وأمثال الأطواد ، وهم الذين لا يثنون عن الطعن عناناً ، ولا يسألون عن الانتداب إلى الكريهة عما قيل برهاناً[2] ولما التقى الجمعان وتراءى الفريقان قمع حزبَ الإنجيل حزبُ القرآن ، وخفض صوتَ الناقوس صوتُ الأذان ، وفلَّ جيشُ ابنِ يوسف جَمْعَ بني إسحاق ، وعلا علم الأحمر على بني الأصفر أهلِ الشقاق ، وحركتِ الأهوية ألسنَ الألويةِ بأصوات النُّجْح ، فقالت بلسانِ الحال [حيَّ] على خير العمل من القتال ، فقد جاء نصر الله والفتح ، وما أودت من المناجزة قوةُ جانب ولا شدةُ محاجزة وإنما منع جبلٌ وعرٌ ضاق مسلكه ، وتعذّر مجاله على الفرسان ومعتركه ، وامتنعت منه أسباب النزال ، وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال ، ففُكَّت القلعة من خناقها ، وأفلتتْ من يد القابض منها بساقها ، واشتغل العدُو عنها بإعمال رأيه في الخلاص ، وذلك لما تحققه من ترادف العساكر المنصورة ولات حين[3] مناص ، ولما اجتمعوا للمشاورة تناقضت منهم الآراء عند المحاورة ، وأوجب ذلك اختلافاً من جميعهم قضى بافتراق جموعهم ، وباتوا ليلة الاثنين ولهم ضوضاء ، ثم أصبحوا وقد خلا منهم الفضاء ، لم يُلْفَ منهم أحد ، ولا وُجِدَ لمنزلهم إلا النؤي والوتد ، وذلك لرأي أجمعوا عليه ، لما تحققوا أن لا ملجأ من الهرب إلا إليه ، وللوقت ندّب مولانا السلطانُ ـ خلّد الله ملكه ـ جماعة من الصناع لإصلاح مُخْتَلِّها ، ورقع ما خرق من تلّها ، وحَمْل إليها ما عَدِمَتْهُ من الآلةِ عند القتال ، وتقدم إلى رئيس الاسماعيلية بحمل ما يحتاج إليه من الذخائر والمال، وقد شرع والشروعُ ملزمٌ بالاكمال.

---

(1) ك . الحاد .

(2) من قول الشاعر :

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا

(3) حين : سقطت من ك .

وحدثني الصاحب الوزير الأكرم ـ أدام الله تمكينه ـ قال : خرجتُ يوم الجمعة خامس عشر ذي القعدة سنة ثمان عشرة وستمائة إلى ظاهر مدينة حلب على سبيل التسيير ، فرأيتُ على جانب قويق عدةَ مشايخَ بيضَ اللحى وقد سكروا من شُرْبِ الخمر ، وهم عراةٌ يصفّقون ويرقصون على صورةٍ مُنْكَرَةٍ بشعة ، فاستعذتُ بالله من الشيطان الرجيم ورجعتُ مغموماً بذلك ، وبتُّ تلك الليلة فلما أصبحتُ وركبتُ للطلوع إلى القلعة استقبلني رجلٌ صعلوك فقال : انظر في حالي نظر الله إليك يوم ينظرُ إليه المتقون ، فقلت له : ما خبرك ؟ قال : أنا رجلٌ صعلوك ، وكان لي دويبة[1] أسترزق عليها للعائلة ، فاتهمني الوالي بالحمول[2] بسرقة ملح ، فأخذ دابتي ، ثم طالبني بجباية فقلت : خذِ الدابة فقال : أخذتها وأريد جباية أخرى ؛ فقلت له : أبشر بما يسرُّك ، وطلعتُ إلى صاحب الأمر يومئذ ـ وهو الأمير الكبير أتابك طغرل الظاهري ـ وقلت : روي عن النبي ﷺ أنه قال : ثلاثة أشياء مباحة الناس مشتركون فيها ، الكلأ والماء والملح ، وقد جرى كيت وكيت ، ولا يليق بمثلك وأنت عامةَ وقتك جالسٌ على مصلّاك مستقبلٌ القبلةَ والسبحة[3] في يدك أن تكونَ مثلُ هذه الأشياءُ في بلدك ، فقال : اكتب الساعة إلى جميع النواحي برفع الجبايات ومحو اسمها أصلاً ، ومرِ الولاةَ أن يعملوا بكتاب الله وسنة رسوله ، ومن وجب عليه حدٌّ من الحدود الشرعية يقامُ فيه على الفور ولا يُلْتَمَسُ منه شيء آخر ، ومُرِ الساعةَ بإراقة كلِّ خمر في المدينة ورفع ضمانها ، واكتب إلى جميع النواحي التي تحت حكمي بمثل ذلك ، وأوعدْ من يخالفُ ذلك عقوبتنا في الدنيا عاجلاً وعقوبةَ الخالق في الآخرة آجلاً ، فخرجت وجلستُ في الديوان وكتبت بيدي ولم أستعن بأحد من الكتاب في شيء من ذلك ثلاثة عشر كتاباً إلى ولاةِ الأطراف ، ثم أنشد :

ولا تكتبْ بكفك غيرَ شيءٍ يسرُّكَ في القيامةِ أن تراهُ

وكان المحصول من ضمان ما أُطْلِقَ ما مقداره مائتا ألف درهم في السنة ، وإن أُضيفَ إليه ما يُسْتَقْبَلُ في السنةِ الآتية من رُخْصِ الكروم وتعطُّل ضماناتها وقلة دخلها

---

(1) م : دابة .

(2) م : بالخيول (وغير معجمة في ك) .

(3) م : والسجدة .

بهذا السبب ألف ألف درهم أو ما يقاربها .

وكان والده القاضي الأشرف أبو المحاسن يوسف بن إبراهيم من أهل الفضل البارع والبلاغة المشهورة ، وكان ينوبُ بحضرةِ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب عن القاضي الفاضل في جماعةٍ من الكتاب ، وكان حسنَ الخطِّ على طريقة ابن مقلة ، فاتفق أن طال مقامه بالشام في صحبة السلطان وأراد الرجوع إلى مصر طلباً للراحة ونظراً في مصالحه ، فطلب من السلطان إذناً فقال : يُحْتَاجُ في ذلك إلى إذن صاحبك ، فكتب العمادُ إلى القاضي يلتمسُ غيره ليؤذن له فقد طالت غيبته عن أهله ، فكتب القاضي في الجواب كتاباً يقول فيه : وأما التماسُ العِوَضِ عن الأشرف القفطي فكيف لي بغيره ، وهو ذو لسان صهصلق منطيق ، وخاطرٍ ينفق في سعة كل مضيق ؟ وكتب إلى القاضي الفاضل رقعةً وضمَّنها البيتَ المشهور :

نميلُ على جوانبه كأنا   إذا ملنا نميلُ على أبينا

فكتب القاضي الجواب وضمنه :

فديتُكَ من مائلٍ كالغصونِ   إذا ملن أُدنينَ مني الثمارا

وتزهّد والده وترك العمل وأقام باليمن إلى أن مات بها في رجب سنة أربع وعشرين وستمائة .

وحدثني ـ أدام الله علوه ـ قال: حججتُ في موسم سنة ثمان وستمائة[1]، وكان والدي في صحبتي ، فصادفت بمكةَ جماعةً من أهل بلدنا ، وكنتُ بعيدَ العهد بلقاءِ أحدٍ منهم ، فرآني رجلٌ فالتحق بي كما جرت العادة ، ثم عاد إلى من في صحبته من بلدنا فأخبرهم بنا فجاءوا هم إلى منزلنا فقضوا حقَّنا بالسلام والسؤال والحرمة ، ثم انصرفوا إلى رحالهم فجاء كلُّ واحد منهم بما حضره لم يحتفلوا له ، وكان فيما جاؤونا به ظرفٌ كبير مملوء عسلاً وآخر سمناً على جمل وهو وقره ، فألقاه في خيمتنا ، فأمرتُ الغلمانَ أن يعملوا منه حيساً فيكثروا على عادة تلك البلاد ، وأكلنا وأكثرنا زيادة على ما جرت به عادتنا ، ثم طفنا بالبيت وعدنا إلى رحالنا ونمت ، فرأيت في النوم كأني في الحرم أطوف وإذا رجلٌ شديد الأُدْمَةِ مُشَوَّهُ الخلقة ، فأخذ بيدي وأخرجني من الحرم

---

(1) ك : وخمسمائة .

من باب إبراهيم فإذا به قد وقفني على الظرفين بعينهما لا أرتابُ بهما فقال لي : أتعرف هذين ؟ فقلت : نعم هذان ظرفان جاءنا بهما رجلٌ على سبيل الهدية ، أحدهما سمن والآخر عسل ، فقال لي : ليس الأمر كذلك ثم حطَّ يده على بطنهما وعصر ، فخرج من فمهما نار أحسستُ بلفحها في وجهي ، وجعلتُ أمسحُ فمي من شدة حرهما ، وانزعجتُ من هول ما رأيت ، وقمتُ من فراشي خائفاً فما استطعت النوم إلى الغداة ، واجتمعتُ بمهديهما وكان يُعْرَفُ بابن أبي شجاع فقلت له : أخبرني عن هذين الظرفين ما خبرهما ؟ فقال : اشتريتهما وجئتُ بهما ، فقلت : يا هذا هل فيهما شبهة ؟ فتحلَّفَ أنهما من خالص ماله ، فأخبرته بالحال فبكى حينئذ ومدَّ يده فأخذ بيدي وعاهدني أن يخرج من عهدته وقال: والله ما أعرفُ أنَّ في مالي شبهةً إلا أنّ لي أختين[1] ما أنصفتهما في تركة أبيهما ، وأنا أعاهدُ الله أنني أرجعُ من وجهي هذا وأعطيهما حتى أرضيهما ؛ قال الصاحب ـ أدام الله علوّه : فعلمتُ أنها لي موعظة ، فعاهـدتُ الله أن لا آكلَ بعدها من طعام لا أُعرفُ من أين وجهه ، فكان لا يأكلُ لأحدٍ طعاماً ويقول : الناسُ لا يعرفون بواطنَ الأمور ، ويظنونني أفعل[2] ذلك كبـراً ومن أين لي بما يقـوم بعذري عندهم ؟!

ثم كنت بعد ذلك في حضرته بمنزله المعمور وقد عاد من القلعة بحلب فقال لي : جَرَتِ اليوم طريفةٌ ، فقلت له : هات خبرها أدام الله إمتاعنا بك ، فما زلت تأتي بالطرائف والطرف ، فقال : حضرتُ اليومَ في مجلس الملك الـرحيم أتابـك طغرل الظاهري وحضرت المائدة وفيها طعامُ الملوك : شواء وشرائح وسنبـوسج وحـلاوات وغيرها كما جرت العادة ، فتأملته فنفرتْ نفسي منه ولم تقبله مع كوني قد قارب الظهر ولم أتغدَّ ، فلم أنبسط ولا مددتُ يدي إليه ، فقال لي : مالك لا تأكل ؟ وكان قد عرف عادتي فقلت له : إن نفسي لا تقبلُ هذا الطعام ولا تشتهيه ، فقال لعلك شبعـانٌ ، قلت : لا والله إلا أنني أجدُ في نفسي نفرةً منه ، فأشار إلى غلام فدخل داره وجاء بمائدةٍ عليها عدةُ غضائر من الدجاج فلم تقبلْ نفسي إلا دجاجةً واحدةً معمولة بحبٍّ[3]

---

(1) ك : أخيات .

(2) م : أقول .

(3) م : تحت .

رمان ، فمددتُ يدي إليها وتناولت منها قال : فرأيتُ أتابك وهو يتعجَّب ، فقلت له : ما الخبر ؟ فقال : اعلم انه ليس في هذا الطعام شيء أعلم من أين وجهه ، وهو من عمل منزلي غير هذه الدجاجة ، والباقي فجاءنا من جهة ما نفسي بها طيبة ، وتشاركتُ أنا وهو في تلك الدجاجة مع بغضي لحبِّ الرمان ، وكان أتابك لا يأكلُ إلا من مال الجوالي فقط . فجعلتُ أعجبُ من ذلك ، فقال ـ أدام الله علوّه : اعلم أنني لا أحسبُ هذا كرامةً لي ، ولكني أعدّه نعمة من الله في حقي ، فإن امتناعي لم يكنْ عن شيءٍ كرهته ولا ريبٍ اطلعتُ عليه ، ولكنْ كان انقباضاً ونفرةً لا أعرف سببها ولا الابانة عن معناها .

كان صفي الدين الأسود كاتب الملك الأشرف[1] عند نزول الملك الأشرف بحلب قد عرض كتاباً له يعرف بالتذكرة لابن مسيلمة (وكان معروفاً بالبغاء)أحد كتاب مصر يشتمل على قوانين الكتابة وآيين الدولة العلوية وأخبار ملوك مصر المتقدمين في اثني عشر مجلداً ودُفع له فيه ما سمح ببيعه ، وعرض على الصاحب الكبير العالم جمال الدين الأكرم ـ أدام الله علاه وكبت أعداءه ـ فأراد شراه ، واتفق رحيلُ الملكِ الأشرف إلى نواحي[2] الجزيرة فأرسل إليه ثمنه وزيادة في مثله وافرة ، فلما علم صفي الدين أن المشتري هو الوزير ـ أدام الله علوه ـ ضنَّ بالكتاب واعتبط ، واحتج وخلط ، وزعم انه قدمه للخزانة الأشرفية ، فكتب الصاحب الوزير إلى أبي علي القيلوي[3] ـ وكان وسيطه في شرى الكتاب المذكور ـ ما هذه نسخته . العزة للّه وحده :

أتـاني كتـابٌ من حبيبي فشـاقني ... إليـه وزاد القلبَ وجـداً إلى وجـدِ
وكدتُ لما أضمرتُ من لاعج الهوى ... ووجداً على ما فات أقضي من الوجدِ

وقفت على الكتاب الكريم الصادر عن المجلس السامي القضـائي العزي لازالت سيادته تتجدد ، وسعادته تتأكد ، وفواضله تتـردد ، وفضائله عن مجلسـه تصدر وفي المجالس تورد ، وعلمت إشارته في التذكرة المسيلمية والنية في حملها إلى الخزانة

---

(1) كاتب . . . الأشرف : لم ترد في م .
(2) نواحي : سقطت من م .
(3) اللفظة غير معجمة في ك .

الأشرفية ، ولقد زُفَّتْ إلى أجلِّ خاطب ، ورقت بعد انحطاطها إلى أسنى المراتب ، فانها وإن كانت بِكْرَ فِكْرٍ أكابر ، فما هي إلا بنتُ عدّة آباءٍ ولدت على فراش عواهر ، كان عليه البغاء في العالمين علامة ، أعني ابن مسيلمة ذا الداء وأسأل الله السلامة ، فجاءت ذاتَ غرام لا يشفي قَطَمَها إلا السودان ، وأردت أن أكونَ ناكحها الثاني لاتفاق الألوان ، وأبى الله لها أن تُهْدَى إلاّ إلى المقرّ الأرفع ، وأن تضع الابتناء بالبغي من الهمام الأروع ، ولست يائساً على عدمها ، ولا راجٍ شفاءَ كَلْمي بكلمها :

تحمَّـلَ أَهْلُهَـا عنِّي فبـانـوا على آثـار من ذهب العفاءُ[1]

وكأني بساميه عرض هذا الكتاب على من لا أسميه ، فقرن حاجبيه ولوى شفتيه ولمس عثنونه تعجباً وأمال عطفيه تطرفاً وقال : أذكرتني سجعَ الكهان ، وأسمعتني قعقعةَ صعصعةَ بن صوحان ، واللّه المستعانُ على ما يصفون ، وإنما هي نفثةٌ صدرت عن صدر مصدور فاز[2] نافثها بصفقة المغبون . وأما سؤالـه عما حصـل من الكتب في غيبته :

فمـا هي إلا البحرُ جـاد بدرِّهِ ومكّنني من لُجِّـهِ وسـواحِلهْ

حصل من نفائسها أعلاقٌ نفيسة ، وأضحت على بعد المراحم عليها موقوفةً حبيسة ، لو امتدَّتْ يدٌ إليها لَشَلَّتْ ، ولو سعت إليها قدم لما أَقَلَّتْ جثّتها ولا استقلت ، لا ابن العديم يعدمها ، ولا القيلوي يقللها ولا الصفي يصطفيها ولا المجد يختزلها :

* خلا لكِ الجوُّ فبيضي واصفري *

وتعداد المجدد منها يقصر عنه الكتاب ، ويقصِّر دونه الخطاب ، والله الموفق .

ـ 856 ـ

أبو علي المنطقي : لم أظفر باسمه وهو مجيد؛ قال الخالع : هو من أهل البصرة

856 ـ ترجمته في الوافي 22 : 360 ـ 364 (عن ياقوت) وسقطت الترجمة من ك .

(1) البيت لزهير بن أبي سلمى ، ديوانه : 58 .

(2) فاز : سقطت من م .

وتنقل عنها في البلاد ، ومدح عضد الدولة وابن عباد ، وانقطع مدةً من الزمان إلى نصر بن هارون ثم إلى أبي القاسم العلاء بن الحسن الوزير . وكان جيد الطبقة في الشعر والأدب ، عالماً بالمنطق قوي الرتبة فيه ، وجمع ديوانه وكان نحو ألفي بيت ، ومولده سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ومات بشيراز بعد سنة تسعين وثلاثمائة وكان ضعيف الحال محارفاً[1] ضيقَ الرزق .

وجدت على حاشية الأصل ما هذا صورته[2] : إنا للّه وإنا إليه راجعون ، ما يحتاج مستدلٌّ على أن الأرزاقَ ليست بالاستحقاق بأقوى من هذا الرجل ، فانه لو وُفِّي حقه لكان أعظمَ قدراً من المتنبي ، لأنه ليس بدونه في الشعر جودةً وصحةَ معنى ومتانة لفظ وحلاوة استعارة وسلاسةَ كلام ، وكان مع ذلك مزاحاً طيبَ العشرةِ حادَّ النادرة ، وأصيب بعينه في آخر عمره ، وله في ذلك أشعار كثيرة . وهذا القدر حكى الخالع من خبره ولم يعرف غير ذلك .

ومن شعره[3] :

يا ريمُ وجدي فيكِ ليس يريمُ بين الضلوع وان رحلتِ مقيمُ
لا تحسبي قلبي كربعك خالياً فيهِ وإن عَفتِ الرسومُ رسومُ
تبلى المنازلُ والهوى متجدِّدٌ وتبيدُ خيماتٌ ويبقى الخيمُ

ومن شعره لما أصيب ببصره :

ما للهموم إذا ما هِيمُها وردتْ عليَّ لم تفض من وِرْدٍ إلى صَدَرِ
كأنما وافق الأعشابَ رائدُها لدى حماي فقد ألقى عصا السفرِ
ان يجرحِ الدهرُ مني غيرَ جارحةٍ ففي البصائر ما يغني عن البصرِ

وله في الخمر :

وقهوةٍ مثل رقراق السراب غدا جَيْبُ المزاج عليها غير[4] مَزْرُورِ

---

(1) م . عارفا ، الوافي : مجارفاً (والصواب ما أثبته) .
(2) هكذا هو ، والأصل الذي ينقل عنه هو كتاب الخالع .
(3) نقل الصفدي عددا من مقطعاته .
(4) م : وهو .

تختال إن بَثَّ فيها الماءُ لؤلؤه ... ما بين عقدين منظومٍ ومنثورِ
سللتها مثلَ سلِّ الفجر صارمَهُ ... وأحجم الليلُ في أثوابِ موتورِ
كأنها إذ بدت والكأسُ تحجبها ... روحٌ من النار في جسمٍ من النورِ
إذا تعاطيتُ محزوناً أبارقَها ... لم يَعْدُني كلُّ مفروح ومسرورِ
أمسي غنياً وقد أصبحتُ مفتقراً ... كأنما الملكُ بين الناي[1] والزيرِ

وله في نصر بن هارون :

تنالُ علاهُ ما السها عنه عاجزٌ[2] ... ويسقي نداهُ مَنْ تجاوَزَهُ القطرُ
ويصنعُ في الأعداء خوفُ انتقامِهِ ... من القتلِ ما لا تصنعُ البيضُ والسمرُ
لأعطيتَ حتى استنزر الغيثُ فعله ... وأمَّنْتَ حتى قيل لم يُخْلَقِ الذعرُ

وله فيه أيضاً :

به تخضرُّ أغصانُ الأماني ... وَيُجْبَرُ عنده الأملُ الكسيرُ
وتبسمُ نائباتُ الدهر عنه ... كما ابتسمت عن الشُّنبِ الثغورُ
لقد سهلتْ بكَ الأيام حتى ... لقال الناسُ لم تكن الوعورُ
وكيف أخافُ دهراً أنت بيني ... وبينَ صروفِهِ أبداً سفيرُ

وله من قصيدة في ابن معروف :

في البرق لي شاغلٌ عن ملة البُرَقِ ... بدا وكان متى ما يبدُ لي يشُقِ
منفراً سِرْبَ نومي عن مراتعِهِ ... كأنما اشتُقَّ معناهُ من الأرقِ
أخو الثنايا التي بالقلب مذ ظَعَنَتْ ... أضعافُ ما بوشاحيها من القلقِ
ما كان يسرقُ من حِرْزِ الجفونِ كرىً ... لو أنه من لماها غير مُسْترقِ

وله :

نَوارُ وهي نوارٌ من مساعفتي ... وهند وهي ببيض الهند تعتصمُ

---

(1) الوافي : البمّ .
(2) م : ينال . . . حاجز .

تربان إن تكُ من جدواهما تَرِبَتْ يدُ المحبِّ فوجدانُ الهوى عدمُ
غضُّ المحيا إذا لاحظتَ وجنته كادت لحاظك في ديباجها تَسِمُ

وله يعاتب :

صافيتُ فَضْلَكَ لا ما أنتَ باذلُهُ وعاشقُ الفضل يُغْرَى كلما عُذِلا
إني أعيذُكَ من قولي لسائله لقد[1] حدوتُ ولكن لم أجدْ جملا

وله في صمصام الدولة :

لا عضَّني الدهر الخؤون فانه ما زال قبلَ رُقاك صِلًّا أرقما
أنتم بحارٌ جاريساتٌ بالندى لكنها في الروع جاريةٌ دما

وله :

ليثٌ أبو شبلينِ لم يُسْلِمْهُمَا كَرَمُ الجدودِ ولا سموُّ جدودِ
للمجد سرٌّ لم يُضَيِّعْ فيهما والراحُ سرٌّ في جَنَى العنقودِ

وله :

أكفكمُ تعطي ويمنعنا الحيا وأقلامكم تَمْضي وتنبُو الصوارمُ
وإن أبا العباسِ إن يكُ للعلا جناحاً فأنتم للجناح القوادمُ
مضى وبقيتمِ أبحراً وأهلةً وَزَهْرُ الربى يبقى وتمضي الغمائمُ

وله :

قولي يُقصِّرُ عن فَعَالِكْ تقصيرَ جَدِّكَ عن كمالِكْ
والحمدُ ينبتُ كلَّما هطلتْ سماءُ من نوالكْ

وله :

كأنَّ دبيبها في كلِّ عضوٍ دبيبُ النوم في أجفانِ ساري
صدَعْتُ بها رداءَ الهمِّ عني كما صدعَ الدجى وَضَحُ النهارِ

---

(1) الوافي : إني .

وله من قصيدة في عضد الدولة يذكر الصدق :

ما زلت تنصفُ في قضاياك العلا — قل لي فما بال الضحى يتظلَّمُ
أهديتَ رونقه إلى جنحِ الدجى — فاعتنَّ أشهبُ وهو طِرْفٌ أدهمُ
حتى كأنَّ الليل صُبْحٌ مشرقٌ — وكأنَّ ضوءَ الصبح ليلٌ مظلمُ
هي ليلةٌ لبست رضاك فأشرقتْ — من بعد ما كانت بسخطك تظلمُ
ما كان في ظن امرئٍ من بعدها — أن الملوك على الليالي تحكمُ

وله :

أنامَ جفونَ الحقدِ والحقدُ ساهرٌ — وأيقظ طرفَ المجدِ والمجد نائمُ
إذا أشكلتْ يوماً لغاتُ انتقامِهِ — على معشرٍ فالمرهفاتُ تراجمُ
ومن شاجر الأيام عن مأثُرَاتها[1] — فأمضى لِسَانَيْهِ القنا والصوارمُ

وله من قصيدة :

وقفنا بها والشوقُ يطوي قلوبنا — لواعجه والصبرُ غيرُ مطاوعِ
سقيتَ رجوعَ الظاعنين فإننا — نجلُّكَ عن سُقْيا الغمام الهوامعِ
فجعنا بأبكارِ المنى يوم خاطبت — ربوعَكَ أبكارُ الخطوبِ الفواجعِ

ومنها :

وخيلٍ إذا كظَّ[2] الطرادِ أراحها — أصابت بحرِّ الطعنِ بَرْدَ الشرائعِ
تكادُ تُرَى بالسمع حتى كأنما — نواظرها مخلوقةٌ في المسامعِ
إذا ما دجا ليلُ الكريهةِ أطلعتْ — نجومَ قناً يغربن بين الأضالعِ

وله :

على عَجَلٍ ألمَّ به الخيالُ — فإنَّ كراهُ بعدكمُ محالُ
فبات معانقاً والجيدُ وهمٌ — ومرتشفاً وأحلى الريقِ آلُ

---

(1) الوافي : مأثراته .
(2) الوافي : كدّ .

لـدى ليـلٍ كـأن النجمَ فيـه ... على خدِّ الظلام الجَوْنِ خالُ
يضامُ الرمحُ ليس له مدارٌ ... ويكبو الطرف ليس له مجالُ
طُبِعْتُ على الوفاء المحضِ قدماً ... كما طُبِعَتْ على القطع النصالُ

ومنها :

توسمتِ القوابل فيه مجداً ... فقالت أولُ البدرِ الهلالُ
وأطربُ ما يكون إلى العطايا ... إذا غنّى فأسمعه السؤالُ
مصاحبُ همةٍ خفَّتْ عليها ... من الأيام أعباءٌ ثقالُ
كرمتَ فلو سألناك المساعي ... وهبتَ وغيرها تهبُ الرجالُ
وأكرمُ مَنْ قَراكَ فتىً عليه ... بنو الدنيا وأمهمُ عيالُ

وقال في الوزير ابن صالحان :

على الطيف أن يغشى العميدَ المتيما ... وليس عليه ردُّ نومٍ[1] تصرَّما
خيالٌ سرى يبغي خيالاً ومغرمٌ ... بلبس قميصِ الليل يمَّمَ مغرما
دنا والظلامُ الجَوْنُ غضٌّ شبابُهُ ... فأهدى إليه الشيب لما تبسما
أتلك اللآلى من[2] ثناياه ألَّفت ... عليه عقوداً أم تقلَّد أنجما
أما والحمى إن الكرى لسميُّهُ ... على مقلتي مذ أُخلقتْ جِدَّةُ الحمى
لأشكلَ حتى ما يعود بنو الهوى ... معالمه الأنضاءَ إلا توهما
وليلٍ أكلنا العيسَ تحت رواقِهِ ... بأيدي سُرىً تثني الرواسمَ أرسما
بهيم نضونا بُرْدَهُ وهو مخلق ... وكنا لبسناه قشيباً مسهَّما
هداها إلى مغنى الوزير نسيمه ... ومن شرف الأخلاق أن تتنسما
يصوبُ على العافين مزنُ بنانِهِ ... فيكبتُ حساداً وينبتُ أنعما

---

(1) الوافي : يوم .
(2) الوافي : أم .

وله :

غيُّ الهوى للصبِّ غايةُ رشدِهِ فذريه من حلِّ الملام وعقدِهِ
قَرُبْتِ مركبَ وعظه ، ولجاجُةُ في الحبِّ ينتج قربه من بعدِهِ
والليل تُكْحَلُ مقلتاه باثمدٍ والأفقُ يزهر دره في عقدِهِ
فكأن زنجياً تبسَّمَ ثغرُهُ إسفار ذاك اللون في مربدِّه
تعبُ الفتىَ جسرٌ إلى راحاته يفضي ، ونهضةُ جَده في جِدّهِ
وإذا ابنُ عزمٍ لم يَقُمْ متجرداً للحادثات فصارم في غمدِهِ
فالسيف سُمِّيَ في النوائبِ عُدَّةً لمضائه فيهنَّ لا لفرندِه

ومن المدح :

نُثْني عليه وان تَكَرَّمَ غيرُهُ فتراه مشكوراً بما لم يُسْدِهِ
علماً بأنَّ بني السماح تعلموا منه فكلُّ صنيعةٍ من عندِهِ

وفي عضد الدولة :

أربعَ الصبا غالتك بعدي يدُ الصبا وصعَّد طرفُ البين فيك وصوبّا
لئن رمقتْ عينُ النوى حورَ عِيْنِهِ فبنَّ لقد غادرنَ قلباً معذبا
تأوَّدْنَ قضباناً ولحنَ أهلة وغازلنَ غزلاناً ولاحظن ربربا

ومنها :

رددت شبابَ الملك نضراً ولم يزلْ بغيرك مغبرَّ المفارقِ أشيبا
فلو كانت الأيام قبلك رَحَّبَتْ بشخصٍ لقالت إذ تراءَيْتَ مرحبا

وله قصيدة إلى أبي بكر العلاف يتشوقه :

كأن البينَ تِرْبُ الموتِ لكنْ توارَى في الضنا لا في الثيابِ
ولولا أنَّ فرط الشوقِ واشٍ بحبك لاستزدتك ضعفَ ما بي
جمعتَ غرائبَ الآداب حتى إذا قُرِنَتْ إلى النعم الرغابِ
ظللتَ منادياً في كلِّ أفقٍ بصوتِ البذلِ حيَّ على انتهابِ

وله من قصيدة في العلاء بن الحسن الوزير :

أعـاطي كؤوسَ اللهو كـلَّ غـريـرةٍ ... إذا مـا انثنت قـدَّتْ فؤادَكَ بـالقـدِّ
تلاحظُ عن سحرٍ وتحسرُ عن دجىً ... وتسفـرُ عن صبح وتبسمُ عن عقـد
إذا نثـرت أيدي الصبـا دُرَّ لفـظهـا ... نظمن على الأحشاء عقداً من الوجد
كما نظمت كفا أبي القاسم العـلا ... نـظامَ لآلي السمطِ بـالنثـر للرفـد
إذا اتـصلتْ أقــلامُــهُ بـظبــاتــه ... تَقَـطَّعَ مـا بين الـطوائـلِ والحقـد
فــلا يهنــأ الأعــداءُ أنّ مكــانــه ... خفيٌّ فقد تخفى الشرارةُ في الزند

وله :

نِعَمٌ لـو أنَّ النـاسَ وُرْقٌ حمـائمٍ ... لغــدت لهم بــدلاً من الأطــواقِ
ومــواهبٌ تمضي ويبقى ذكــرهــا ... سمـةٌ على وَجْـهِ الـزمـانِ البــاقي

وله :

أراعك صدق الطيف أم كَذِب الحُلُمْ ... وكم من خيـالٍ وَشْكُ إلمـامِـهِ لَمَمْ
سرى والدجى قد حال صبغُ قميصه ... وفي ذيله نـارٌ من الصبح تضــطرمْ
كـأن نهـوضَ الفجرِ في أخـريـاتـه ... بديءُ بياضِ الشيب في أسود اللممْ
أمينٌ على ســرّ المعــالي وسيفــه ... على مُهَجِ الأعداء في الـروع متهمْ

وله من قصيدة في الدلجي :

لأصبـــرنَّ على مـــا ســـامني زمـني ... صَبْـرُ الكـريم على الإقــلال اكثـارُ
مدحتُ قوماً فان حاضَ اللسانُ بهم ... فســوفَ يَعْقُبُ ذاك الحيضَ إطهـار
إذا المعمَّــر يَــرْبُ المجـد أَثْمَني ... ركنيْ يـدٍ تُمْـدُ مـا تسـديـه تيـار
يــد هي الغيث أو فيهــا مــواطنــه ... فكــلّ مــا صــافحتــه فهــو نــوّار
هنــاك أخـطبُ والعليــا منابـرهــا ... منصــوبــةٌ وجبينُ الــدهــرِ خــرار

وله :

وأبنــاء حــاجــاتٍ أدارت عليهمُ ... يدُ السير كأسَ الأين والليلُ دامسُ

يميسون فوق المَيْسِ حتى كأنهم شروبٌ تساقى والرحالُ المجالسُ
أصاخوا وقد غنيتهم باسم ماجدٍ لأقلامه تعنو الرماحُ المداعسُ
ولما بلغناهُ تهلَّلَ عارضٌ سقى صوبُهُ الدنيا ومثواهُ فارسُ

وقال في الوزير ابن صالحان :

هل البرقُ إلا زفرةٌ تتضرَّمُ وعبرةُ مشتاقٍ تسحُّ وتسجمُ
تبسَّم حتى كاد يبكي وربما تراءى فأبكى البارقُ المتبسمُ
ولما ألم الطيفُ شكَّك أينا لدقةِ شخصينا الخيالُ المسلِّمُ
مزجتُ كؤوسَ الريق منه بأدمعي فبتُّ أسقَّى قهوةً مزجها دمُ
فليت فؤادي ذاب في جفن مزنةٍ بها رَوِيَتْ من دار ظمياءَ أرسمُ
وخرقٍ رحيبِ الباعِ لو نيط طُولُهُ بِعُرْوَةِ عمرٍ لم تكد تتصرمُ
رميتُ فما أشويتُ ثغرةَ نحرِهِ وما كلّ ما تُرْمَى به العيس أسهمُ
بلغنا بها مغناه وهي أهلةٌ فلاحتْ لنا أخلاقه وهي أنجمُ

وله يمدح :

يُصيخُ إليَّ الليلُ حتى كأنما سُرَى إبلي في مسمعيه سِرارُ
وكم خاملٍ أمطاه حاركَ رتبةٍ حراكٌ ويعلو التربُ حين يثارُ
ويا ليتَ ان تقرر عيون ركائبي ولا غرو غاياتُ السيولِ قرارُ
مددتُ إلى طعنِ الكماة عزائماً طوالُ العوالي بينهن قصارُ
فما كَرُمَتْ كَرْمَانُ حتى افتككتها ولا أصحرت حتى ارتجتك صحارُ
إذا صدَّ وجه البحر عنها تيقنت بأنك بَدرٌ في يديه بحارُ

وله :

جَذِلٌ بما يعطيهمُ فكأنما أخذُ المؤملِ من نداهُ عطاءُ
عفوٌ تسيلُ به الشعاب كأنما فيه الذنوبُ وقد طفون غثاءُ

وله :

ولما استرد الصبحُ عاريةَ الدجى تـولّى بـطيئاً والـدمـوعُ عجـالُ
ولم أر لابن الشوقِ كالليل سُلّماً إلى حاجةٍ في الصبـح ليس تنالُ
كـريُم تبقّتْ من سجـايـاه فضلةٌ فاضحتْ على خديه وهي جَمَالُ

وله :

ودارٍ وغـىً ثنتـهـا مُـقْـرَبـاتٌ بـراقعهـا شـحـوبٌ أو سهـومُ
نـزلتَ بعـسكـرٍ لـلطيـر فيـه عسـاكـرُ حـول حَـوْمَتهـا تحـوم
بحيـث ســرائـرُ الأغمـاد تبلو وقلبُ النقـعِ للسـاري كـتـوم
تصالحتِ الحتوف على الأعادي وبيضـك للطلى منهـا خصـوم
إذا أوردتـهـا صـدرتْ رِواءً وخـلّتْ هـامَ قـومٍ وهي هـيـم

وله :

إن كـتم الـليـلُ حـدُّث العَبَقُ عنهـا وبعضُ الحـديث يُنْتَشَـقُ
ردّي على العينِ فهي طـامعـةٌ كـأسَ رقـادٍ أراقـهـا الأرقُ

وله :

عليَّ إذا غنّيتُ أن تـطربَ العلا فـليت فـؤادي للســرورِ منـادمُ
ويجهل قولي فيكَ قومٌ ولم يكن ليفهم أيْـكُ مـا تقـولُ الحمـائمُ

وله :

غــداةَ صــدقتُ فكـذّبتني ولـولا الشقـاوةُ لم أصـدقِ
وقــد كنَّ مـاطـلتنـا حقبـةً فليت المـطالَ علينـا بقي

وله :

دِمَنٌ مَـرِضْنَ من البلى فكـأنمـا تـأتي الـريـاحُ طلولَهـا عـوّادَا
من كـلِّ مُـدْنَفَـةِ الـرسـومِ كـأنهـا من قبـلُ كـانـت للمـحبِّ فـؤادا
إن لم يـطرْ شَرَرُ السُّرَى مني فلا قَـدَحَـتْ يـدي للمكـرمـاتِ زنـادا

في كلِّ ليلٍ ثاكلٍ لصباحه ... وكأنما كُسِيَ الظلامُ حدادا
داجٍ إذا زُرَّتْ عليَّ جيوبُهُ ... كنتُ الحسام وكانت الاغمادا
أُحْسِنْ بأخلاقِ الظلام وان خلا ... وجهاً تَعَوَّضَ بالشحوبِ سوادا
جَمَلٌ ولكنْ ما يلذُّ ركوبَهُ ... إلا امرؤٌ يجدُ المنى أقتادا
يلقاه نشوانَ الجفونِ وإنما ... باتت مُدامةُ مقلتيه سوادا

وله :

منازلُ ذات الوقْفِ إني لواقفُ ... عليكِ وماءَ القلب لا الدمعَ ذارفُ
بليتُ ولم يبلَ الجديدُ من الهوى ... وَحُلْتُ وما حال الغرامُ المحالفُ
أنزفاً جفوني والحيا عنكِ ممسكٌ ... ويرفق وجدي والبلى بكِ عانفُ
وقالوا انتشى من غيرِ كأسٍ ولو سُقُوا ... هوىً لَدَرَوْا أن السُّلافَ السوالفُ
ضعائفُ كراتِ اللحاظ وإنما ... تُبَرِّحُ بالجَلْدِ القويِّ الضعائفُ

وله :

ليت النوى تركتنا في يدِ العَذَلِ ... فالسقمُ بؤسٌ ولكن ليس كالأجلِ
صار الصدودُ لها أمنية معها ... ومن لذائقِ طعم الموت بالعللِ
والقلبُ أولُ من شطَّ الفراقُ به ... فأين مسرحُ هذا الخوفِ والوجلِ

وله في عضد الدولة :

لو أنَّ بعضَ سماحها في مزنةٍ ... يوماً لأورقَ من نداها الجلمدُ
يا راقدَ الأسيافِ إلّا عن وغىً ... جَفْنُ الورى في حَوْمَتَيْه مُسَهَّدُ
ما بالُ خيلكَ ما تُقَاتُ سوى السرى ... وظباك في غير الطُّلَى ما تغمدُ
عاداتُ بيضِ الهندِ عندك أن تُرَى ... حمراً كما مسَّ اللجينَ العسجدُ

وله :

ولم أرَ مثلَ الدهرِ مُسْدِيَ نعمةٍ ... يجودُ بها عفواً ويأخذُها غصبا
إذا كنت عُذْرَ الدهرِ في سوء ما جَنَتْ ... يداه فذنبٌ ان تُعَدَّ له ذنبا

وله :

مضيء فرند القولِ ماضي شباتِهِ فلو لم يكنْ وشياً لقيل مهنَّدُ
يفارقُ فاه وهو في الحسنِ جوهرٌ ويلقى عداه وهو في الوقعِ جلمدُ

وله :

خِرْقٌ تصولُ يدُ الزمان فيُتّقى ويجودُ أقوامٌ سواه فيُشْكَرُ
معطٍ على شُكْرِ الصنيعِ وكفرِهِ ما كلُّ ما سقتِ الغمائم يثمرُ
دامت لك النعمى ودمتَ لآملٍ آرابُهُ عن روضِ غيرك تذعرُ
وبقيتَ ما بقيَ القريضُ فانه عِلْقٌ على كرِّ الخطوب معمَّرُ

وله :

قَرْمٌ بخدِّ الحيا من جوده خَجَلُ كما بقلب الردى من بأسه وَجَلُ
في رأيه من غراريْ سيفِهِ عوضٌ وفي عطاياه من صَوْب الحيا بَدَلُ

وله :

ظَلَّتْ تَعَضُّ لتوديعي أناملَها فخلتُها نظمتْ دراًّ على عَنَمِ
يا ربَّ لائمةٍ في الحبِّ لو علمتْ أني ألذُّ ملامي فيكِ لم تلمِ

وله :

إني إذا ما الخلُّ خادَعَهُ عني الزمانُ فحال عن عهدي
جانَبْتُهُ ولو آنه عُمُري وقطعتُهُ ولو آنه زندي

وله :

أتيتكَ طَوْعَ الشوقِ أمسِ فردَّني على عَقِبي عُذْرٌ له المجدُ لائمُ
وقالوا ثنتْ أجفانَهُ عنكَ غفوةٌ ولا غَرْوَ قد تَغْفَى الأسودُ الضراغمُ
ولكن نسيمُ الراحِ نمَّ وربما أتتك بما لا ريبَ فيه النمائمُ
ولو لم يكنْ ظرفُ العلا عُدت منشداً وانت إذا استيقظتَ أيضاً لنائمُ

وله :

يـدُ مـوسى تـذمُّ صحبةَ فيه هـو يمحـو سـطورَ مـا تـوليـه
يبعثُ النـائـلَ الحليمَ فيقفـو ه بمنٍّ على العفـاةِ سفيـه
ليت أن المشيب مهديه موسى وهـو مستـرجـعٌ لمـا يهـديـه
كـأخيه الـزمانِ يـأخذُ مـا يعـطي ومـا ضلَّ مقتـدٍ بـأخيـه

وله :

ومـا قلتُ إلا ما علمتُ ولـم أكنْ كحـامدِ ورد لم يـذقْ طَعْمَ غِبِّـهِ
وذنبُ زمـاني أهـلُهُ غيـرَ أنـني أراك لـه عـذراً محـا شَطْرَ ذنبِـهِ

ـ 857 ـ

علي بن يـوسف يعرف بـابن البقال يكنى أبـا الحسن : قال أبـو عبـد الله الخالع : هو من أهل بغداد وممن نادم المهلبي ونفق عليه، وكانت لـه محاضـرة حسنة وبضاعة في الأدب صالحة ، وطبقة في الشعر جيدة ، يذهب مذهب النامي في التطبيق والتجنيس وطلب الصنعة ، وكان بكثرة نوادره ومزاحه مستطاباً متقبَّـلاً ، وكان حسنَ اليسارِ جميلَ الزيّ يلبسُ الدرّاعة ، وخلَّفَ لما مات ما يزيد على مائة ألف درهم ، وكانت وفاته في أيام شرف الدولة بن عضد الدولة ، ومنزله في سكة العجم من الزبيدية بالجانب الغربي من مدينة السلام ، وخلّف ابنـةً وزوجة ، فـأحبت امرأتـه أحد بني المنجم وزوَّجت ابنتها به فأنفقت المال عليه ، وماتت الزوجة ولازمته أمها تخدمه كما تخدم المنقطعات .

قال : وكان ابن البقال بخيلاً جشعاً ، وكان يلقاني في أيام عضد الدولة فيقول : يا سيدي ما عندك من حديث الشعراء ؟ فأقول : قد أمر لهم بمال ولك بجائزة سنية منها كذا وكذا ومنها كذا وكذا ، وأكثر عليه فيقول :

منىً إن تكنْ حقاً تكنْ أحسنَ المنى وإلا فقـد عشنـا بهـا زمنـاً رغـدا

857 ـ ترجمة ابن البقال في الوافي 22 : 336 وذكره أبو حيان في أخلاق الوزيرين : 194 ، 410 .

ولقيني مرةً والسلاميُّ معي فسألني عن مثل ذلك فأجبته بمثل الجواب المقدم ذكره ، فقال له السلامي ، يكذب ، والله ما أمر إلاّ بقطع أيديهم وأرجلهم فقال : « حوالينا الصدود ولا علينا » .

وأنشد الخالع لابن البقال يعاتب بعضَ أصدقائه :

وإنيَ في استعطافِ رأيِ محمدٍ ... عليَّ ومدِّي نحو معروفه يدي
لكالمبتغي من بعد تسعين حجةً ... تَقَمُّصَها رَجْعَ الشبابِ المجددِ
سأشكو اعتداءً منكَ لولاهُ ما دَرَتْ ... صروفُ الليالي في الهوى كيف تعتدي
فلله قلبي حين أدعو إلى الهوى ... وأعلمُ حقاً أنه غيرُ مهتدي

وله[1] :

ولما وقفنا للوداعِ ودوننا ... عيونٌ تَرامَى بالظنونِ ضميرُهَا
أماطتْ عن الشمسِ المنيرةِ برقعاً ... فغيَّبنا عن أعينِ الناسِ نورها

وله :

يا مذنباً ويقولُ إني مذنبٌ ... ما إنْ سمعتُ بظالمٍ يتظلَّمُ
لكَ صورةٌ ذلَّ الجمالُ لحسنها ... تقضي بجورٍ في النفوس وتحكمُ
ومن العجائبِ أنّ طرفكَ مُشْعَرٌ ... سقماً وأنت بسقمه لا تعلمُ

وله :

يا طرفها هَبْ لطرفي لذةَ الوسنِ ... واستبقِ ما لا يُقِلّ الثوبُ من بدني
حاشاك فيَّ من الشكوى وان ذهبتْ ... عيني من الدمع أو قلبي من الحزنِ
ولا أقولُ ولو أتلفتني أسفاً ... يا ليتَ ما كان من حبيك لم يكنِ

وله :

لئن كان طرفي فاز منكَ بنظرةٍ ... لقد عاد طرفي بالبلاءِ على قلبي
جعلتَ الهوى ذنبي فان كنتُ مذنباً ... به فاليك العذرُ من ذلك الذنبِ

---

(1) هذه القطعة والتي تتلوها في الوافي : 337 .

ولمـا رأيتُ البعـدَ منـكَ مقـربـي ... تباعدتُ كي أحظى على البعد بالقربِ
محمـدُ لا تجمـعْ إلى الهجـرِ غَـدْرَةً ... فحسبي الذي بي من فراقك يا حسبي

وله يمدح المهلبي :

أنـوارُ أنـتِ كـمـا دعيـتِ نَـوار ... لم تقضِ منكِ قضاءَها الأوطارُ
يـا لحظةً لحظُ الحمامِ مُعيدُهَا ... مـا كان منـكِ لنـاظـرٍ إنـظار
وإذا تساقـطك الحـديثَ تخـالُـهُ ... كـأسـاً عليـكَ من العقـار تـدار
إني ذكـرتـكِ والغـرامُ مـواصـلٌ ... نَفَسـاً عليك يَهيجـهُ التـذكـار
متـوقـدٌ منـه الضميـر كـأنمـا ... نيـرانُـهُ من وجـنـتيـكِ تـعـار
هـو في الجفـونِ إذا مَرَتْـهُ زفـرةٌ ... مـاء يمـورُ وفي الجـوانـح نـار
ولـربَّ ليـلٍ من ذراك خـمـاره ... للنجم فيـه مـن الغـمـام خمـار
قـد قلتُ حين طلعتِ فيـه ببـدره ... أرأيـتِ كيـف تَـشَـابَـهُ الأقـمـار
يـا صـاحبيَّ قفـا بنجـدٍ عبـرة ... حيثُ الـدموعُ إذا ابتـدرن بـدار
في منـزلٍ لبست بمـا لبس البلى ... منّي المشيب غـدائـر وعـذار
ولئن محتك يدُ الخطوب لما امّحى ... لهـوى ديارِك في الـفـؤادِ ديـار
ولـربما اهتـزت ربـوعـك بـالنـدى ... وتـنفـستْ بـنسيمـك الأسـحـار

ومنها في المدح :

وإذا بـدا يـومَ الكـريهـةِ ضـاحكـاً ... فهنـاك تَسْكُبُ دَمْعَهـا الأعمـارُ
حتى إذا بصـروا بعـقـدِ لـوائـه ... عَقَـدَتْ مهـابتَهـا بهـا الأسـرارُ
في شَرْبِ هيجاءٍ إذا اصطبحوا القنا ... فـالـطعنُ سكـرٌ والحمـام قمـارُ
لهمُ من البيضِ الـرقـاق تحيـةٌ ... في حَـوْبهـا ومن الـدمـاءِ عقـارُ
نهضت بعبءِ الملكِ منك عزائمٌ ... لـلدهـر بيـن عـشـارهـن عـشـارُ
لـك هضبـةٌ في الملك قحطانيـةٌ ... طُـرُقُ الحـوادثِ نحـوهـا أوعـارُ
كجبـالِ أنـديـةِ الـوقـارِ إذا احتَبَوْا ... وليـوثِ ملحمـةِ الـوَغى إن ثـاروا

عجباً لأبناءِ المهلب إنهم لم يعدلوا في المجدِ حتى جاروا
لم يطوهم دهرٌ مضى إلا لهم بالجودِ في آثارِهِ آثارُ
فعطاؤك الرزقُ المقسَّم في الورى والدهرُ أنت وسيفُكَ المقدارُ

وله أيضاً في المهلبي :

لعينكَ إذ سار الخليطُ المغوِّرُ على كلِّ وادٍ دمعةٌ تتحدَّرُ
نعم إن رسماً بات تطوي به النوى محاسنَ كانت بالأوانس تنشر
أرى وانياً من عبرةٍ كيف لا يني وعلَّم طرفاً راقداً كيف يسهر
وقفنا ومن ألحاظنا وقلوبنا لنا رائدا شوقٍ مُسرٌّ ومظهر
يحلي ربى آرامه ونحورُنا جفونٌ بسمطيها من الدمع جوهر
فمن بين معقودٍ يَبين فرندُهُ علينا ومحلولٍ عليهنَّ ينشر
وسربٍ رَمَيْنَ النجم في أخرياته بسافرةٍ من وجهها الشمسُ تسفر
بَدَتْ ويمينُ الصبح يبدو لشامُهُ فلم يدرِ ليلٌ أي صبحيه أنور
ومادتْ فقلنا الغصنُ جادت به النقا بما آدَ من مجرى الوشاحِ المؤزَّر
أعاطلَ أجيادِ الأماني مَنِ التي بها الوفرُ إمّا استهلك العرض أوفر
لئن عُدَّ فخراً لبسك المجدَ من أبٍ فلبسُ الفتى من نفسه المجدَ أفخر
وما ينفعُ الملتاحَ يورَدُ مورداً إذا كان ظمآناً عن الورد يصدر
ألا بادِرَا عَوْنَ التواني بدلجةٍ يذلُّ لها خدٌّ من العيسِ أصعر
أما تريان الليلَ يحدو ظلامَهُ بوجه القبيصيِّ الصباحُ المنور
فتىً يمتري سَجْلَيْ نداه وبأسِهِ لهاذمُ تُدْمِي أو غمائمُ تمطر
وكالدهرِ لا يدري الذي هو رائمٌ بخطبٍ إذا ما أمَّهُ كيف يحذر
ويومٍ رماه النقعُ منه بليلةٍ كواكبها فيه الأسنَّة تزْهَر
طُبِعْنَ من الأحقادِ في كلِّ مازق فلا حائنٌ إلاّ لها منه مضمر
دلفتَ كأن الموتَ كان مؤامراً سيوفَكَ منه والنفوسُ تَقَطَّر

بمجـرٍ لـه في كـلِّ فـجٍّ طليعـةٌ   وفي كـلِّ أرضٍ منه ذَيْـلٌ يُجَـرَّر
سحبتَ رداءَ المـوتِ فيه بـوقعـةٍ   رداءُ الفتى فيـه من الـطعنِ أقمـر
وأضحكتَ منـه الجـوَّ والنقـعُ كـاتمٌ   به الشمسَ عن شمسٍ بها البيضُ تشهر
بحيث شفـوفُ الأتحميِّ مفـاضـةٌ   إذا زُعْـزِعَ الخـطيُّ والتـاجُ مغفـر
تفـرق في تفـريقهـا الهـامُ والتقى   على قَـدَرٍ فيهـا الحِمـامُ المقـدر
عـزائم يـرمين الخـطوبَ كـأنمـا   يقـارع منها عسكـرَ الـدهـرِ عسكـر

وله في المهلبي أيضاً :

عندي لذا الدهرِ إعقابي إساءَتَـهُ   بالصفح إن أعقبَ الإصرارَ بالندمِ
أمستْ منازلَ من حَيَّتْ مصافحـةٌ   أيدي النحولِ عليها أيديَ القِدَمِ
ولـو ملكتُ لها السقيا وهامِـدُهَا   تكفكفُ المحلَ عنه أدمعُ الرحمِ
لقلتُ للسحِّ من أيدي الوزير إذاً   حللتَ نـاحلةَ الأطـلالِ لا تـرمِ
اليعـربيّ الذي خلَّى الـطريقَ لـه   من يأخذ [الناس] رعباً منه باللقمِ
يـزاحمُ الليـلَ ليـلٌ من جحـافله   ويقذف الوهداتِ الجرذَ بـالأكمِ
أطـار منهم قـذاةً في عيـونهمُ   لو أنها في جفونِ الدهـر لم ينمِ
أبقى له الخوفُ من أشغال يقظتهم   مـا بات يـرسله ليلاً إلى الحلمِ
عافت سيوفُكَ في الهيجا لحومَهمُ   فهن يـأكلنَ منهـا إكلةَ البَشِـمِ

وله أيضاً فيه :

روعـة بـالفـراق قبـلَ الفـراقِ   شَرِقَتْ بالـدمـوعِ منهـا المـآقي
جَـدَّ جِدُّ البكـا فأهـدين باقي الـ   ـدمـع منها إلى كـرىً غيـرِ بـاقِ
فـاض تندى بـه الخدودُ ولـو غـا   ض لأمست منه الحشا في احتراق
وعذارى تريكَ من سـربهـا العيـ   ـنُ رُنُـوَّ الأحـداقِ لـلأحـداق
مخطفاتٌ لو شئن من هَيَفِ الخـ   ـصر تبدَّلْنَ خـاتمـاً من نـطاق

حـالياتٌ تبـدي المعاصمَ والسو ... قَ وتخفي الأجيـادَ في الأطـواقِ

لا تغـرَّنْـكَ غفلةُ الـدهـر فـالعز ... مـةُ إمضـاؤهـا مـع الإطـراقِ

قـد أرانـا ابتسـامـه الـدهـرُ لمـا ... أطلع الجـودُ شمسَـهُ بـالعـراقِ

بـالمصفّى اللبـابِ والأروع البـ ... ـسّام بشـراً والفـاتقِ الـرتـاقِ

ومعيـرٍ معـانـدي الملك حَـذّاً ... قـاضيـاً في شقـاقهم والنفـاقِ

حين خَـرَّ الهـوى بحـران والبيـ ... ـضُ لها من غمائمِ الهـامِ ساقِ

بعـد مـا زعـزع الجـزيـرةَ بـالخـ ... ـطيِّ يَكْـرَعْنَ في الدمـاءِ الرقـاقِ

وأطـارت بجـوِّ سنجـارَ للمـو ... تِ ظـبـاه نـاراً بـلا إحـراقِ

في غمـامٍ من العجـاج ووبـلٍ ... يَسِمُ الأرضَ من حميم العتـاقِ

حين والى بهـا شـوازبَ يفضيـ ... ـن إلـى كـلِّ دارةٍ مـن طـراقِ

كـالحـاتِ كـأنمـا نفث الصـا ... بَ العـوالي منهنَّ في الأشـداقِ

وكان ابن البقال يترفع عن الاختلاط بالشعراء ويتكبر عليهم ، وكـان الرؤسـاء يكرمونـه ويقومـون له إذا دخـل إليهم ، وكان ابن العميـد يقدّمـه على الناس كلهم ويعظمه ، وأحضره المهلبي فأنشده بحضرة المتنبي قصيدة فيه ؛ قال فحدثني الإمام الهاشمي قال قال لي المتنبي : ما رأيت ببغداد من يجوز أن يقطع عليه اسم شاعر إلا ابن البقال .

قال ابن عبد الرحيم : وحدثني الأستاذ أبو الحسين ابن محفوظ ، وقد جرى ذكر ابن البقال ، فقال : كان أقل ما فيه الشعر ، فغلب عليه وعرف به ، وانه كان يضطلع بعلوم كثيرة من جملتها الكلام ، وكان قوياً فيه مقدّماً في المعرفة به ، وكان يقول بتكافؤ الأدلة ، وهو بئس المذهب .

- 858 -

عمارة بن حمزة الكاتب ، من ولد أبي لبابة ، مولى عبد الله بن العباس رضي الله عنهما، مولى السفاح ثم مولى أبي جعفر المنصور: وكان تياهاً معجباً جواداً كريماً معدوداً في سراة الناس ، وكان فصيحاً بليغاً ، وكان أعور دميماً ، وكان المنصور والمهدي بعده يقدّمانه ويحتملان[1] أخلاقه لفضله وبلاغته وكفايته ووجوب حقه ، وولي لهما أعمالاً كباراً ، ومات [. . .][2] .

وله تصانيف منها : كتاب رسالة الخميس التي تقرأ لبني العباس . وكتاب رسائله المجموعة . وكتاب الرسالة الماهانية معدودة في كتب الفصاحة الجيدة .

وكان يقال بلغاء الناس عشرة : عبد الله بن المقفع وعمارة بن حمزة وخالد بن يزيد وحجر بن محمد بن محمد بن حجر وأنس بن أبي شيخ وسالم بن عبد الله ومسعدة والهزبر بن صريح وعبد الجبار بن عدي[3] وأحمد بن يوسف بن صبيح .

قال أبو عبد الله محمد بن عبدوس[4] : قلد أبو العباس السفاح عمارة بن حمزة بن ميمون من ولد أبي لبابة مولى عبد الله بن العباس ضياع مروان وآل مروان خلا ضياع لولد عمر بن عبد العزيز فانها لم تقبض وضياع من والاهم وساعدهم .

وقال الخطيب[5] : عمارة من ولد عكرمة مولى ابن عباس ، جمع له بين ولاية

---

858 - ترجمة عمارة بن حمزة في الفهرست : 131 وتاريخ بغداد 12 : 280 وسير الذهبي 8 : 244 والنجوم الزاهرة 2: 164 وتاريخ الموصل: 209 وصفحات متفرقة من الجهشياري والبصائر والذخائر وتاريخ الطبري (انظر فهرسه) والوافي 22: 399 .

(1) ك : ويحملان .

(2) في حدود 180 (الوافي) وسنة 199 (النجوم) .

(3) ك : عليّ .

(4) الجهشياري : 90 .

(5) تاريخ بغداد 12 : 280 .

البصرة وفارس والأهواز واليمامة والبحرين والعرض ، وهذه الأعمال جمعت للمعلى بن طريف صاحب نهر المعلى ولمحمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس .

وكان[1] عمارة سخياً سرياً جليل القدر رفيع النفس كثير المحاسن ، وله أخبار حسان ، وكان أبو العباس يعرف عمارة بالكبر وعلوِّ القدر وشدَّةِ التنزّه ، فجرى بينه وبين أمِّ سَلَمةَ بنتِ يعقوبِ بن سلمة المخزومية زوجته كلامٌ فاخرته فيه بأهلها، فقال لها أبو العباس : أنا أحضرك الساعةَ على غير أهبة مولىً من مواليَّ ليس في أهلك مثله ، ثم أمر باحضار عمارةَ على الحال التي يكونُ عليها ، فأتاه الرسول في الحضور فاجتهد في تغيير زيه فلم يَدَعْهُ ، فجاء به إلى أبي العباس وأم سلمة خلف الستر ، وإذا عمارة في ثياب ممسكة قد لطَّخ لحيته بالغالية حتى قامت واستتر شعره فقال : يا أمير المؤمنين ما كنت أحبُّ أن تراني على مثل هذه الحال ، فرمى إليه بِمُدْهُنٍ كان بين يديه فيه غالية فقال : يا أمير المؤمنين أترى لها في لحيتي موضعاً ؟ فأخرجت إليه أمُّ سلمةَ عقداً كان له قيمةٌ جليلة وقالت للخادم : أعلمه أنني أهديته إليه ، فأخذه بيده وشكر أبا العباس ووضعه بين يديه ونهض ، فقالت أم سلمة لأبي العباس ، إنما أنسيه ، فقال أبو العباس للخادم : الحقه به وقل له هذا لك فلِمَ خلَّفته ؟ فاتبعه الخادم ، فلما وصل إليه قال له : ما هو لي فاردده ، فلما أدّى الرسالة قال له : إن كنتَ صادقاً فهو لك ، وانصرف الخادم بالعقد وعرَّف أبا العباس ما جرى وامتنع من ردِّه على أم سلمة وقال : قد وهبه لي ، فاشترته منه بعشرين ألف دينار .

وكان عمارة يقول[2] : يخبز في داري ألفا رغيفٍ في كلِّ يومٍ يؤكَلُ منها ألف وتسعمائة وتسعة وتسعون رغيفاً حلالاً وآكل منها رغيفاً واحداً حراماً وأستغفر الله . وكان يقول : ما أعجبَ قولَ الناسِ فلانٌ ربُّ الدار إنما هو كلبُ الدار .

وكانت نخوة[3] عمارة وتيهه يتواصفان ويستسرفان ، فأراد أبو جعفر أن يعبث به ،

---

(1) الجهشياري : 90 ـ 91 والبصائر 6 : 100 (رقم : 330) والمشهد مع الرشيد وزبيدة .

(2) المصدر السابق : 91 .

(3) الجهشياري : 133 والبصائر 2 : 123 .

وخرج يوماً من عنده فأمر بعضَ خَدَمه أن يقطعَ حمائلَ سيفه لينظر أيأخذُهُ أم لا ، ففعل ذلك وسقط السيفُ ومضى عمارة ولم يلتفت .

وحدث ميمون بن هارون[1] عمن يثق به أن عمارة بن حمزة كـان من تيهه إذا أخطأ يمضي على خطائه ويتكبرُ عن الرجوع ويقول : نقضٌ وإبرام في ساعة واحدة ؟ الخطأ أهونُ من ذلك .

وكان عمارة بن حمزة يوماً يماشي المهدي في أيام المنصور ويده في يده ، فقال له رجل : من هذا أيها الأمير ؟ فقال أخي وابن عمي عمارة بن حمزة ، فلما ولّى الرجل ذكر المهدي ذلك لعمارة كالمازح ، فقال عمارة : إنما انتظرت أن تقول مولاي عمارة فأنفض والله يدي من يدك ، فضحك المهدي .

وحكي عن عمارة بن حمزة أنه قال : انصرفت يوماً من دار أبي جعفر المنصور بعد أن بايع للمهدي بالعهد إلى منزلي ، فلما صرت فـيه صار إليَّ المهدي فقال : قد بلغني أن أمير المؤمنين قد عزم على أن يبايع لأخي جعفر بالعهد بعدي ، وأعطي الله عهداً لئن فعل لأقتلنه ، قال : فمضيتُ من فوري إلى أمير المؤمنين فلما دخلت عليه قال: هيه يا عمارة ما جاء بك؟ قلت: أمر حدث أنا ذاكره لك، قال فانا أخبرك به قبل أن تخبرني ، جاءك المهدي فقال لك كيت وكيت ، قلت : والله يا أمير المؤمنين لكأنك كنت ثالثنا ، قال قل له : نحن أشفق عليه من أن نعرضه لك يا أبا عبد الله .

وقال محمد بن يـزداد[2] : قلّد المنصورُ عمـارةَ بن حمزة الخـراجَ بِكُوَرِ دجلة والأهوازِ وكور فارس وتوفي المنصور سنة ثمان وخمسين ومائة وعمارة يتقلد جميع هذه الكور .

وبلغ موسى[3] الهادي حالُ بنتٍ لعمارةَ جميلةٍ فراسلها فقـالت لأبيها ذلـك ، فقال : ابعثي إليه في المصير إليك وأعلميه أنك تقدرين على إيصاله إليك في موضع

(1) المصدر السابق: 134 .

(2) المصدر نفسه .

(3) الجهشياري: 147 ـ 148 وقارن بأمالي المرتضى: 1 .

يخفي أثره ، فأرسلت إليه بذلك ، وحمل موسى نفسه على المصير إليها ، فأدخلته حجرةً قد فُرِشَتْ وأُعِدَّتْ له ، فلما حصل فيها دخل عليه عمارة فقال له : السلام عليك أيها الأمير ، ماذا تصنع ها هنا ، أتخذناك وليَّ عهد فينا أو فحلاً لنسائنا ؟ ثم أمر به فبطح في موضعه وضربه عشرين دِرَّةً خفيفةً وردَّه إلى منزله ، فحقد الهادي ذلك عليه ، فلما ولي الخلافة دسَّ عليه رجلاً يدَّعي عليه أنه غصبه ضيعته المعروفةَ بالبيضاء بالكوفة وكان قيمتها ألف ألف درهم ؛ فبينا الهادي ذات يوم قد جلس للمظالم وعمارةُ بن حمزة بحضرته إذ وثب الرجلُ فتظلَّم منه[1] فقال له الهادي : قم فاجلس مع خصمك ، وأراد إهانته ، فقال : إن كانت الضيعةُ لي فهي له ، وان كانت له فهي له ، ولا أساوي هذا النذلَ في المجلس ، ثم قام وانصرف مغضباً .

وقلَّد المهدي عمارةَ بن حمزة الخراجَ بالبصرة ، فكتب إليه يسأله أن يضمَّ إليه الأحداثَ مع الخراج ، ففعل ذلك وقلده الأحداث مضافةً إلى الخراج .

وكان عمارة أعور دميماً فقال فيه بعض أهل البصرة :

أراكَ وما ترى إلا بعينٍ ... وعينُكَ لا ترى إلا قليلا
وأنت إذا نظرتَ بملءِ عينٍ ... فخذ من عينك الأخرى كفيلا
كأني قد رأيتُكَ بعد شهرٍ ... ببطنِ الكفِّ تلتمسُ السبيلا

ومدحه سلمة بن عياش فقال :

بلوتُ وجربتُ الرجالَ بخبرةٍ ... وعلمٍ ولا ينبيكَ عنهم كخابرِ
فلم أر أحرى من عمارة فيهم ... بودٍّ ولا أوفى بجارٍ مجاورِ
وأكرمَ عند النائباتِ بداهةً ... إذا نزلتْ بالناسِ إحدى الدوائرِ
تمسَّكْ بحبلٍ من عمارةَ واعتصمْ ... بركنٍ وفيٍّ عهدُه غيرِ غادرِ
كأنَّ الذي يتابُهُ عن جنايةٍ ... يمتُّ بقربى عنده وأواصرِ

(1) الجهشياري : 149 وبعضها في البصائر 9 : 119 (رقم : 384) وجعل حادثة المتظلم أيام المنصور ؛ وفي حاشية البصائر تخريج كثير لهذه الحكاية فلينظر .

فنعم مُعاذُ المستجيرِ ومنزِلُ الـــــكريم ومثوى كلِّ عانٍ وزائرِ

ولعمارة شعر منه ما أنشده الجهشياري[1] :

لا تشكونْ دهراً صححتَ به   إن الغنى في صحةِ الجسمِ

هبك الأمام أكنتَ منتفعاً   بِغَضارةِ الدنيا مع السقمِ

وكرهه[2] أهلُ البصرة لتيهه وعجبه ، فذكر الأرقط أنه رفع أهلُ البصرة على عمارة أنه اختان مالاً كثيراً ، فسأله المهدي عن ذلك فقال : والله يا أمير المؤمنين لو كانت هذه الأموال التي يذكرونها في جانب بيتي ما نظرت إليها ، فقال : أشهد إنك لصادقٌ ، ولم يراجعه فيها .

ودخل صالح بن [عبد] الجليل[3] الناسكُ على المهديّ فوعظه وأبكاه طويلاً ، وذكر له سيرة العمرين ، فأجابه المهدي بفساد الزمان وتغيّر أهله وما حدث لهم من العادات ، وذكر له جماعة من أصحابه وما لهم من الأموال والنعمة ، وذكر فيهم عمارة ابن حمزة وقال : بلغني أن له ألف دواج بوبرٍ سوى ما لا وبر فيه وسوى غيرها من الأصناف التي يتدثر بها .

وكان الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك شديد الكبر عظيم التيه والعجب فعوتب في ذلك فقال[4] هيهات هذا شيءٌ حملتُ عليه نفسي لما رأيته من عمارة بن حمزة ، فإن أبي كان يضمنُ فارسَ من المهديّ فحلَّ عليه ألفُ ألفِ درهم ، فأخرج ذلك كاتبُ الديوان فأمر المهدي أبا عون عبدَ الله بن يزيد بمطالبته وقال له : إن أدّى إليكَ المالَ قبل أن تغربَ الشمسُ من يومنا هذا وإلا فائتني برأسه ، وكان متغضباً عليه ، وكانت حيلته لا تبلغ عُشْرَ المال ، فقال لي : يا بنيّ إن كانت لنا حيلةٌ فليس إلا من قبل عمارة بن حمزة وإلا فأنا هالك ، فامض إليه ، فمضيتُ إليه فلم يُعِرْني الطرف ، ثم

(1) سقط من ك ؛ وانظر الجهشياري : 134 .

(2) الجهشياري : 149 .

(3) الجهشياري : 149 ، وانظر عيون الأخبار 2 : 333 والبصائر 16 : 150 (وفيه موعظة صالح كاملة) وبعضها في البيان والتبيين 2 : 339 والعقد 3 : 158 .

(4) الجهشياري : 197 .

تقدم من ساعته بحملِ المال فحمل إلينا، فلما مضى له شهران جمعنا المال فقال أبي: امضِ إلى الشريف الحرِّ الكريم فأدِّ إليه ماله ، فلما عرَّفْتُهُ خبره غضب وقال : ويحك أكنتُ قِسْطَاراً لأبيك ؟ فقلت : لا ولكنك أحييتَهُ ومننتَ عليه ، وهذا المالُ قد استغنى عنه ، فقال : هو لك ، فعدتُ إلى أبي فقال : لا والله ما تطيبُ نفسي لك به ، ولكن لك منه مائتا ألف درهم ، فتشبهت به حتى صار خلقاً لي لا أستطيعُ مفارقته .

وحدث[1] أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني في كتاب له صنفه في السخاء ، حدثنا القاضي الحسين بن إسماعيل ، حدثنا عبد الله بن [أبي] سعد الوراق ، حدثني هارون بن محمد بن إسماعيل القرشي قال ، أخبرني عبد الله بن أبي أيوب المكي قال : بعث أبو أيوب المكي ببعضِ ولده إلى عمارة بن حمزة فأدخله الحاجبُ ، قال : ثم أدناني إلى سترٍ مُسْبَلٍ فقال : ادخل ، فدخلتُ فإذا هو مضطجعٌ محوِّلٌ وجهَهُ إلى الحائط ، فقال لي الحاجب : سلِّم ، فسلمتُ ولم يردَّ عليَّ السلام ، فقال الحاجب : اذكر حاجتك ، فقلت له : جعلني الله فداك أخوك أبو أيوب يُقْرِئُكَ السلام ويذكر ديناً بهظَهُ وستر وجهه ويقول : لولاهُ لكنت مكانَ رسولي يسأل أمير المؤمنين قضاءه عني ، فقال وكم دينُ أبيك ؟ فقلت : ثلاثمائة ألف درهم فقال : وفي مثل هذا أكلّم أمير المؤمنين ؟! يا غلام احملها معه ، وما التفت إليَّ ولا كلَّمني غير هذا .

قال الدارقطني حدثنا حسين بن إسماعيل ، حدثنا عبد الله بن أبي سعد[2] ، حدثنا إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن سليمان[3] الهاشمي ، حدثنا محمد بن سلام الجمحي ، حدثني الفضل بن الربيع قال[4] : كان أبي يأمرني بملازمة عمارة بن حمزة ، قال : فاعتلَّ عمارة ، وكان المهديّ سيءَ الرأي فيه ، فقال له أبي يوماً : يا أميرَ المؤمنين مولاك عمارةُ عليلٌ وقد أفضى إلى بيع فَرْشه وكسوته . فقال : غفلنا عنه ، وما كنت أظنُّ أنه بلغ إلى هذه الحالة ، احمل إليه خمسمائة ألف درهم يا ربيع وأعلمه أنَّ له عندي بعدها ما يحبّ ، قال : فحملها أبي من ساعته وقال لي :

---

(1) تاريخ بغداد 12 : 280 ـ 281 .

(2) م : سعيد .

(3) م : سلمان .

(4) تاريخ بغداد 12 : 281 .

اذهب بها إلى عمك وقل له : أخوك يقرئك السلام ويقول : أذكرتُ أميرَ المؤمنين أمرك فاعتذر من غفلته عنك وأمر لك بهذه الدراهم وقال لك عندي بعدها ما تحبّ، قال: فأتيته ووجهه إلى الحائط فسلمتُ فقال لي : من أنت؟ فقلت له : ابنُ أخيك الفضلُ بن الربيع ، فقال : مرحباً بك ، وأبلغته الرسالة فقال : قد كان طال لزومك لنا وقد كنا نحبُّ أن نكافئك على ذلك ولم يمكّنا قبلَ هذا الوقت ، انصرف بها فهي لك ، قال : فهبتُهُ أن أردَّ عليه ، فتركتُ البغالَ على بابه وانصرفتُ إلى أبي فأعلمته الخبر ، فقال لي : يا بنيّ خذها بارك اللّه لك فيها فليس عمارة ممن يراجَع ، فكان أولّ مالٍ ملكته .

قال ابن عبدوس[1] : وكان الماء زائداً في أيام الرشيد ، فركب يحيى بن خالد والقواد ليعرِّفهم المواضعَ المخوفةَ من الماء ليحفظوها ، ففرّق القواد وأمر باحكام المسنّيات ، وسار إلى الدور فوقف ينظر إلى قوةِ الماءِ وكثرته فقال قوم : ما رأينا مثل هذا الماء ، فقال يحيى : قد رأيتُ مثله في سنة من السنين ، كان أبو العباس خالد ـ يعني أباه ـ وجهني فيها إلى عمارة بن حمزة في أمرِ رجلٍ كان يُعْنى به من أهل جرجان[2] ، وكانت له ضياع بالريّ ، فورد عليه كتابُهُ يعلمه أن ضياعَهُ تُحُيِّفَتْ فخربت ، وأن نعمته قد نقصت وحاله قد تغيرت ، وأن صلاحَ أمره في تأخيره بخراجه سنة ، وكان مبلغه مائتي ألف درهم ، ليتقوى به على عمارة ضيعته ويؤديه في السنة المستقبلة ، فلما قرأ أبي كتابه غمَّه وبلغ منه ، وكان بعقب ما ألزمه إياه أبو جعفر من المال الذي خرج عليه ، فخرج به عن ملكه واستعان بجميع إخوانه فيه ، فقال : يا بنيّ مَنْ هاهنا نفزع إليه في أمر هذا الرجل؟ فقلت : لا أدري ، فقال : بلى عمارة بن حمزة ، فصر إليه وعرِّفه حالَ الرجل ، فصرتُ إليه وقد مَدَّتْ دجلة ، وكان ينزلُ في الجانب الغربي، فدخلتُ إليه وهو مضطجعٌ على فراشه فأعلمته ذلك، فقال لي: قف غداً بباب الجسر، ولم يزدْ على ذلك، فنهضتُ ثقيلَ الرجلين، وعدت إلى أبي العباس والدي بالخبر ، فقال لي : يا بني تلك سجيته ، فإذا أصبحتَ فاغدُ لوعده ، فغدوتُ إلى باب الجسر وقد جاءت دجلة في تلك الليلة بمدٍّ عظيم قطع الجسور ،

(1) الجهشياري: 91 ـ 93 .

(2) الجهشياري : خراسان .

وانتظم الناسُ من الجانبين جميعاً ينظرون إلى زيادةِ الماء ، فبينا أنا واقفٌ إذا بزورق قد أقبل والموجُ يخفيه مرةً ويظهره أخرى ، والناس يقولون : غرق غرق ، نجا نجا ، حتى دنا من الشطّ[1] ، فإذا عمارة بن حمزة في الزورق بلا شيء معه ، وقد خلّف دوابَّه وغلمانه في الموضع الذي ركب منه ، فلما رأيته نَبُلَ في عيني وملأ صدري ، فنزلتُ وعدوتُ إليه فقلت : جُعِلْتُ فداك ، في مثل هذا اليوم ؟! وأخذتُ بيده فقال : أكنتُ أعِدُكَ وأخلف يا ابنَ أخي؟ اطلب لي برذونَ كراء[2]، قال فقلت: برذوني، فقال هاتِ ، فقدمتُ إليه برذوني فركب وركبتُ برذونَ غلامي وتوجه يريد أبا عبيد الله ، وهو إذ ذاك على الخراج ، والمهدي ببغداد خليفة للمنصور ، والمنصور في بعض أسفاره ؛ قال : فلما طلع على حاجب أبي عبيد الله دخل بين يديه إلى نصف الدار ودخلت معه ، فلما رآه أبو عبيد الله قام عن مجلسه وأجلسه فيه وجلس بين يديه ، فأعلمه عمارة حالَ الرجل وسأله إسقاطَ خراجه وهو مائتا ألف درهم وإسلافَهُ من بيت المال مائتي ألف يردُّها في العام المقبل ، فقال له أبو عبيد الله : هذا لا يمكنني ، ولكني أؤخره بخراجه إلى العام المقبل ، فقال له : لستُ أقبل غير ما سألتك ، فقال أبو عبيد الله : فاقنع بدون ذلك حتى توجدني السبيلَ إلى قضاء حاجة الرجل، فأبى عمارة، وتلوَّم أبو عبيد الله قليلاً ، فنهض عمارة فأخذ أبو عبيد الله بكمه وقال : أنا أحتملُ ذلك في مالي ، فعاد إلى مجلسه وكتب أبو عبيد الله إلى عامل الخراج باسقاط خراج الرجل لسنته والاحتساب به على أبي عبيد الله وإسلافه مائتي ألف درهم تُرْتَجَعُ منه في العام المقبل . فأخذتُ الكتاب وخرجنا فقلت له : لو أقمتَ عند أخيك ولم تعبر في هذا المدّ ، قال : لستُ أجد بداً من العبور ، فصرت معه إلى الموضع ووقفت حتى عبر :

هذي المكارم لا قعبانِ من لبنٍ ... شيبا بماءٍ فعادا بعدُ أبوالا

ودخل[3] عمارة يوماً على المهدي فأعظمه ، فلما قام قال له رجل من أهل المدينة من القرشيين : يا أمير المؤمنين من هذا الذي أعظمته هذا الاعظام كله ؟!

---

(1) م : الجرف .

(2) ك : برذوناً بكراء .

(3) الجهشياري : 147 .

فقال : هذا عمارة بن حمزة مولاي ، فسمع عمارة كلامَهُ فرجع إليه فقال : يا أمير المؤمنين جعلتني كبعض خبّازيك وفرّاشيك ألا قلتَ عمارة بن حمزة بن ميمون مولى عبد الله بن عباس ليعرفَ الناس مكاني ؟!

ـ 859 ـ

عمر بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن الحسين بن علي بن حمزة بن يحيى بن الحسين ذي الدمعة ابن زيد الإمام الشهيد بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، يكنى أبا البركات ، من أهل الكوفة : إمام من أئمة النحو واللغة والفقه والحديث ، مات فيما ذكره السمعاني في شعبان سنة تسع وثلاثين وخمسمائة في أيام المقتفي ، ودفن في المسبَّلة التي للعلويين ، وقدّر من صلى عليه بثلاثين ألفاً ، وكان مولده في سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة. أخذ النحو عن أبي القاسم زيد بن علي الفارسي عن أبي الحسين ابن عبدالوارث عن خاله أبي علي الفارسي ، وأخذ عنه أبو السعادات ابن الشجري وأبو محمد ابن بنت الشيخ .

قال السمعاني : وكان خشنَ العيش صابراً على الفقر قانعاً باليسير ، سمعته يقول : أنا زيديُّ المذهب ، لكنّي أُفتي على مذهب السلطان ، يعني أبا حنيفة . سمع ببغداد أبا بكر الخطيب وأبا الحسين ابن النقور ، وبالكوفة أبا الفرج محمد بن علّان الخازن وغيره ، ورحل إلى الشام وسمع من جماعة ، وأقام بدمشق وحلب مدة ، قال : وحضرتُ عنده وسمعتُ منه ، وكان حسنَ الإصغاء سليمَ الحواس ، ويكتبُ خطاً مليحاً سريعاً على كبر سنّ ، وكنت أُلازمه طولَ مقامي بالكوفة في الكرّات

859 ـ أبو البركات عمر بن إبراهيم العلوي له ترجمة في الأنساب 6 : 366 (واللباب 2 : 86) ونزهة الألباء : 295 ومصورة ابن عساكر 12 : 694 والمنتظم 10 : 114 وإنباه الرواة 2 : 324 وعبر الذهبي 4 : 108 وسير الذهبي 20 : 145 والمغني في الضعفاء : 462 وميزان الاعتدال 3 : 181 والبداية والنهاية 12 : 219 والوافي 22 : 412 ولسان الميزان 4 : 280 والنجوم الزاهرة 5 : 276 وبغية الوعاة 2 : 215 وطبقات المفسرين للسيوطي : 26 وطبقات الداودي 2 : 1 والشذرات 4 : 122 .

الخمس ، ما سمعتُ منه في طول ملازمتي له شيئاً في الاعتقاد أنكرته عليه ، غير أني كنتُ يوماً قاعداً في باب داره ، وأخرج لي شَدَّةً من مسموعاته ، وجعلت أفتقدُ فيها حديث الكوفيين ، فوجدتُ فيها جزءاً مترجماً بتصحيح الأذان بحيّ على خيرِ العمل ، فأخذته لأطالعه فأخذه من يدي وقال : هذا لا يصلحُ لك ، له طالبٌ غيرك ، ثم قال : ينبغي للعالم أن يكون عنده كل شيء فإنّ لكلٍّ نوع طالباً .

وسمعتُ يوسف بن محمد بن مقلد يقول : كنت أقرأ على الشريف عمر جزءاً فمرَّ بي حديثٌ فيه ذكر عائشة فقلت رضي الله عنها فقال لي الشريف : تدعو لعدوةِ علي أو تترضى على عدوة علي ؟! فقلت : حاشا وكلّا ما كانت عدوةَ علي .

وسمعت أبا الغنائم ابن النرسي يقول : كان الشريف عمر جاروديَّ المذهب لا يرى الغسل من الجنابة . وسمعته يقول : دخل أبو عبد الله الصوري الكوفة فكتب بها عن أربعمائة شيخ ، وقدم علينا هبة الله بن المبارك السقطي فأفدته عن سبعين شيخاً من الكوفيين وما بالكوفة اليوم أحد يروي الحديث غيري ثم ينشد :

إنـي دخـلـت الـيـمـنـا ... لـم أر فـيـهـا حـسـنـا
فـفـي حـر آمّ بـلـدةٍ ... أحـسـنُ مـن فـيـهـا أنـا

قال المؤلف : وحكي أن أعرابيين مرّا بالشريف عمر وهو يغرس فسيلاً ، فقال أحدهما للآخر : أيطمعُ هذا الشيخ مع كبره أن يأكلَ من جنى هذا الفسيل ؟ فقال الشريف : يا بنيّ كم من كبشٍ في المرعى وخروف في التنور ، ففهم أحدهما ولم يفهم الآخر فقال الذي لم يفهم لصاحبه : أيش قال ؟ قال إنه يقول : كم من ناب يسقى في جلد حوار ، فعاش حتى أكل من ثمر ذلك الفسيل .

وللشريف تصانيف : منها كتاب شرح اللمع .

وكان إبراهيم بن محمد أبو الشيخ أبي البركات أيضاً شاعراً أديباً ذا حظ من النحو واللغة وهو مذكور في بابه[1] .

قال تاج الإسلام : سمعت عمر بن إبراهيم بن محمد الزيدي يقول : لما خرجنا

---

(1) مرّ ذكره رقم : 35 .

من طرابلس الشام متوجهين إلى العراق خرج لوداعنا الشريف أبو البركات ابن عبيد الله العلوي الحسني ، ودّع صديقاً لنا يركب البحر إلى الإسكندرية ، فرأيت خالك يتفكر فقلت له : أقبلْ على صديقك ، فقال لي : قد عملتُ أبياتاً اسمعْها ، فأنشدني في الحال :

قربوا للنوى القوارب كيما   يقتلوني ببينهم والفراقِ
شرعوا في دمي بتشديد شرعٍ   تركوني من شدِّها في وثاقِ
قلعوا حين أقلعوا لفؤادي   ثم لم يلبثوا كَقَدْرِ الفواقِ
ليتهم حين ودعوني وساروا   رحموا عبرتي وطولَ اشتياقي
هذه وقفةُ الفراقِ فهل أحـ   ـيا ليومٍ يكونُ فيه التلاقي

قال في « تاريخ الشام » : حكى أبو طالب ابن الهراس الدمشقي ، وكان حج مع أبي البركات ، أنه صرح له بالقول بالقدر وخلق القرآن ، فاستعظم أبو طالب ذلك منه وقال : إن الأئمة على غير ذلك ، فقال له : إن أهل الحق يُعرفون بالحق ولا يُعْرَفُ الحقُّ بأهله ، قال هذا معنى حكاية أبي طالب .

ـ 860 ـ

عمر بن بكير : كان صاحبَ الحسن بن سهل خصيصاً به ومكيناً عنده يسائله عن مشكلات الأدب ، وكان راوية ناسباً اخبارياً نحوياً ، وله عمل الفراء « كتاب معاني القرآن » وذكر ذلك في أخبار الفراء .

قال محمد بن إسحاق : وله من الكتب كتاب الأيام يتضمن يوم الغول . يوم الظهر . يوم أرمام . يوم الكوفة . غزوة بني سعد بن زيد مناة . يوم مبايض .

حدث ميمون بن هارون قال حدثني أبو الحسن محمد بن عمر بن بكير قال[1] :

---

860 ـ ترجمته في الفهرست : 119 ـ 120 .

....

(1) وردت هذه القصة في التذكرة الحمدونية 2 : 278 ـ 281 .

كان أبي بين يدي المنتصر وهو أمير وأحمد بن الخصيب كاتب المنتصر [فدخل الحاجب فقال : أيها الأمير ، هذا الحسن بن سهل بالباب ، فالتفت إليه أحمد][1] فقال : دعنا من الرسوم الداثرة والعظام البالية ، فوثب عمر بن بكير فقال : أيها الأمير إن للحسن بن سهل عليّ نعماً عظاماً وله في عنقي مِنَنٌ جمة ، فقال : ما هي يا عمر ؟ قال : ملأ يا أيها الأمير منزلي ذهباً وفضة ، وأدنى مجلسي حتى زال عن مجلسه ، وخلع عليّ فألحقني برؤساء أهل العلم كأبي عبيدة والأصمعي ووهب بن جرير وغيرهم ، وقد أقدرني الله بالأمير على مكافاته ، وهذا من أوقاته ، فإن رأى الأمير أن يسهل إذنه ويجعل ذلك على يدي وحبوة لي وذريعة إلى مكافاة الحسن ، فعل . فقال يا أبا حفص بارك الله عليك فمثلك يستودع المعروف ، وعندك يتم البر ، ومثلك يرغب الأشراف في اتخاذ الصنائع ، وقد جعلت إذنَ الحسن إليك فأدخله في أيّ وقتٍ حضر من ليل أو نهار ، ولا سبيل لأحدٍ من الحجاب عليه . فقبل أبي البساط ، ووثب إلى الباب فأدخل الحسن وأتكاه على يده ، فلما سلم على المنتصر أمره بالجلوس فجلس وقال له : قد صيرتُ إذنك إلى أبي حفص ، ورفعتُ يدَ الحاجب عنك ، فاحضر إذا شئت من غدوّ أو رواح ، وارفع حوائجك ، وتكلّم بكل ما في صدرك ؛ فقال الحسن : أيها الأمير والله ما أحضر طلباً للدنيا ولا رغبة فيها ولا حرصاً عليها ، ولكن عبدٌ يشتاق إلى سادته ، وبلقائهم يشتد ظهره وينبسط أمله وتتجدد نعم الله عنده ، وما أحضر لغير ذلك ، وأحمد بن الخصيب يتقد غيظاً[2] ، فقال له المنتصر : فاحضر الآن أيّ وقت شئت ، فأكبَّ الحسنُ على البساطِ فقبله شكراً ونهض . قال أبي : ونهضت معه ، فلما بعدنا عن عين المنتصر بلغني أن المنتصر قال : هكذا فليكن الشاكرون ، وعلى أمثال هذا فلينعم المنعمون . وقال الحسن لعمر: يا أبا حفص ، والله ما أدري بأيّ لسان أثني عليك ، فقال : سبحان الله وأنا أولى بالشكر والثناء عليك والدعاء لك ، خولتني الغنى ، وألبستني النعمى في الزمان الصعب وفي الحال التي كان يجفوني فيها الحميم ، فجزاك الله عنّي وعن ولدي أفضلَ الجزاء ؛

---

(1) زيادة من التذكرة بها يتضح السياق .

(2) التذكرة . يكاد ينقد .

فقال الحسن : والهفتا ألا يكون ذلك المعروف أضعافَ ما كان ، لا درّ درُّ الفوت ، وتعساً للندم وأحواله ، ولله درّ الخريمي حيث يقول[1] :

ودون النـدى في كـلّ قلبِ ثنيـةٍ لهـا مَصْعَدٌ حَزْنٌ ومنحـدَرٌ سهـلُ
ووِدُّ الفتى في كـلّ نيـلٍ يُنيلُهُ إذا مـا انقضى لـو أنّ نـائلَهُ جَـزْلُ

ثم قال لي أبي : يا محمد اخرج معه أعزه الله حتى تؤديه إلى منزله ؛ قال أبو الحسن : فخرجتُ معه فلم أزل أحادثه حتى جرى ذكر رزين العروضي الشاعر ، وكان قد امتدحه بقصيدة فمات رزين قبل أن يوصلها إلى الحسن ، فقلت : أيد الله الأمير كان شاعراً من أهل العلم والأدب مدح الأمير بقصيدة وهي في العسكر مثل ، ومات قبل ان يسمعها الأمير ، قال : فأسمعنيها فأنشدته إياها وأولها[2] :

قَـرَّبُـوا جِـمَـالَهـمُ للرحيـلِ غـدوةً أحـبـتـك الأقـربـوكْ
خَلّفُـوكَ ثم مَضَـوْا مـدلجين منفـرداً بـهمِّـكَ مـا ودعـوكْ

وفيها :

مَنْ مبلغُ الأميرِ أخي المكرماتِ مـدحـةً محـبـرةً فـي ألـوكْ
تـزدهي كـواسـطةٍ في النـظام فـوق نحـرِ جـاريـة تستبيـكْ
يـا ابنَ سـادةٍ زهـرٍ كـالنجـوم أفـلح الـذيـن هـمُ أنجـبـوكْ
إذ نعشتَ مـدحهـم بـالفعـال محـيـيـاً سيـادةَ مـا أولـوكْ
ذو الـرئـاستين أخـوك النجيبُ فـيـه كـلُّ مكـرمـةٍ وفـيـكْ
ذو الـرئـاسـتيـن وأنـت الـلذان يحييـان سُنَّـةَ غـازي تبـوكْ
لـم تـزالا حـيـاً لـلبـلادِ والعبـادِ مـا لكمـا من شـريـكْ

---

(1) الحيوان 2 : 95 والبيان 1 : 274 ، 2 : 352 وزهر الآداب : 1072 وديوان الخريمي : 50 .

(2) هي ستون بيتاً على غير الأوزان المألوفة ، وقد ذكرها أبو العلاء في رسائله (مرغوليوث : 75) ورزين العروضي توفي سنة 247 أخذ عن عبد الله بن هارون العروضي ، وكان عبد الله يقول أوزاناً غريبة فنحا رزين نحوه ، انظر تاريخ بغداد 8 : 436 والوافي 14 : 116 وقد ترجم له ياقوت فيما مرّ ، رقم : 487 .

أنتمـا إن أقحط العـالمـون ... منتهى الغيـاثِ ومأوى الضـريـكْ
يا ابنَ سهلٍ الحسنُ المستغـاثُ ... وفي الوغى إذا اضطرب الفكيكْ
مـا لمن ألـحَّ عليـه الـزمـان ... مفـزعٌ لغيـركَ يـا ابن الـملوكْ
لا ولا وراءك لـلراغـبـيـن ... مـطلبٌ سواك حـاشا أخيـكْ

والقصيدة غريبة العروض . قال أبو الحسن : وأنا والله أنشده وعيناه تهمي على خده فتقطرُ على نحره ثم قال : والله ما أبكي الا لقصور الأيام عما أريده لقاصدي ، ثم جعل يتلهف ويقول : ما الذي منعه من اللقاء ؟ تعذُّرُ الحجاب أم قعودُ الأسباب ؟ فقلت : اعتلّ ـ جعلني الله فداءك ـ علة توفي فيها ، فجعل يترحم عليه ثم قال : والله لا أكون أعجز من علقمة بن علاثة حيث مات قبل وصول النابغة[1] إليه بالقصيدة التي رحل بها إليه حيث يقول :

فمـا كان بيني لـو لقيتك سـالمـاً ... وبين الغنى إلا ليـالٍ قـلائـلُ

الأبيات . . . فبلغت الأبياتُ علقمة فأوصى له بمثل نصيب ابن له ، ولكن هل لهذا الشاعر وارث ؟ قلت : نعم بنية ، قال : تعرف مكانها ؟ قلت : نعم ، قـال : والله ما يتسع وقتي هذا لما أنويه ، ولكن القليل والعذر يسعنا ، ثم دعا غلاماً وقال : هات ما بقي من نفقة شهرنا ، فأتى بألفي درهم في صرة ، فدفعها إليّ وقال : يا أبا الحسن خذ ألفاً وأعط الصبية ألفاً ، فأخذت الألفين وانصرفت وعملت بما أمرني به .

ومات الحسن بن سهل بسر من رأى في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائتين في أيام المتوكل .

قال المؤلف: ما نسب إلى علقمة في هذه الحكاية غلط لان الوارد عليه هـو الحطيئة ، وكان علقمة والياً على حوران ، فلما قاربه مات علقمة ، فقال الحـطيئة الأبيات ، لكن هكذا في هذه الحكاية ولا أدري كيف حالها .

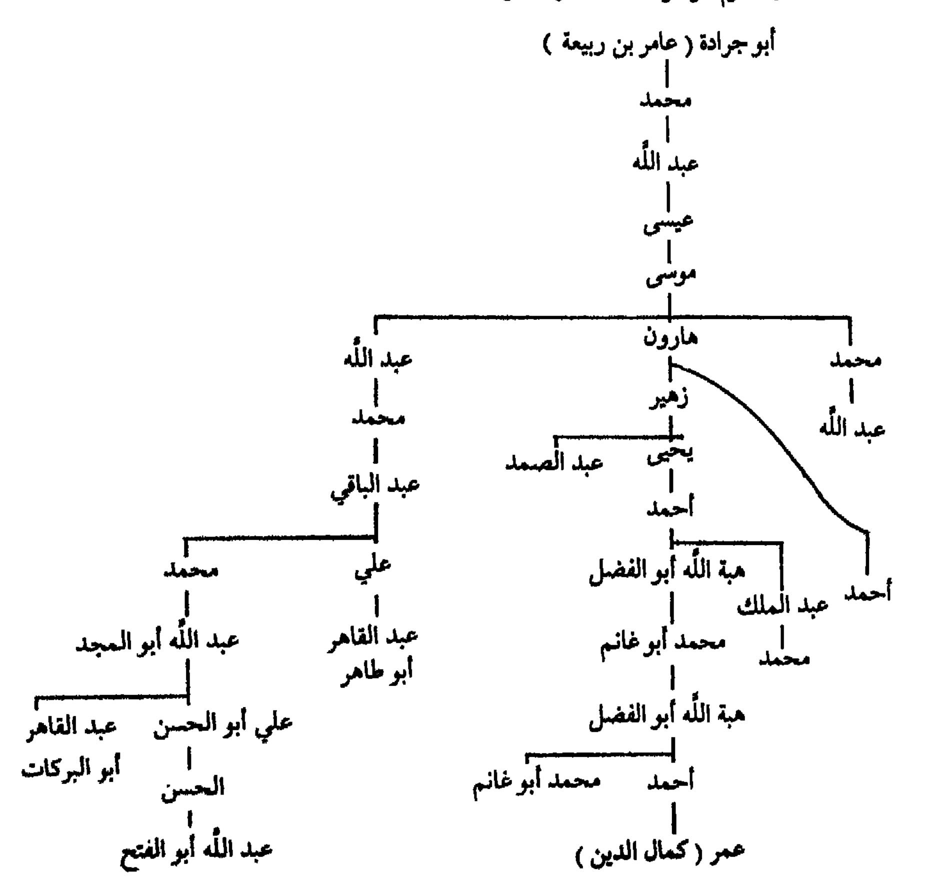
(1) الصواب : الحطيئة ، وسينبه المؤلف على ذلك آخر الترجمة .

ـ 861 ـ

عمر بن أحمد بن أبي جرادة يعرف بابن العديم العقيلي يكنى أبا القاسم ويلقب كمال الدين ، من أعيان أهل حلب وأفاضلهم ، وهو عمر بن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن زهير بن هارون بن موسى بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن أبي جرادة صاحب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ، واسم أبي جرادة عامر بن ربيعة بن خويلد بن عوف بن عامر بن

---

861 ـ ترجمة ابن العديم في قلائد الجمان لابن الشعار 5: 203 والصقاعي : 95 وذيل مرآة الزمان 1 : 510 ، 2 : 177 وعبر الذهبي 5 : 261 ، والبدر السافر : 37 وعيون التواريخ : 421 والفوات 3 : 126 والوافي 22 : 421 ومرآة الجنان 4 : 158 والبداية والنهاية 13 : 236 والجواهر المضية 1 : 386 والنجوم الزاهرة 7 : 208 والشذرات 5 : 303 .



عقيل ، أبي القبيلة ، بن كعب بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .
وبيت أبي جرادة بيتٌ مشهور من أهل حلب : أدباء شعراء فقهاء عباد زهاد قضاة يتوارثون الفضل كابراً عن كابر وتالياً عن غابر ، وأنا أذكرُ قبل شروعي في ذكره شيئاً من مآثر هذا البيت وجماعة من مشاهيرهم ، ثم أتبعه بذكره ناقلاً ذلك كلّه من كتابٍ ألفه كمال الدين ، أطال الله بقاءه ، وسماه « الأخبار المستفادة في ذكر بني أبي جرادة » وقرأته عليه فأقرَّ به .

سألته أولاً لم سميتم ببني العديم ؟ فقال : سألت جماعة من أهلي عن ذلك فلم يعرفوه ، وقال : هو اسم مُحْدَثٌ لم يكنْ آبائي القدماءُ يعرفون بهذا ولا أحسب إلا أن جدّ جدي القاضي أبا الفضل هبة اللّه بن أحمد بن يحيى بن زهير بن أبي جرادة ـ مع ثروة واسعة ونعمة شاملة ـ كان يكثر في شعره من ذكر العدم وشكوى الزمان فسمي بذلك ، فإن لم يكن هذا سببه فلا أدري ما سببه .

حدثني كمال الدين أبو القاسم قال حدثني جمال الدين أبو غانم محمد بن هبة الله بن محمد بن أبي جرادة عمي قال : لما ختمت القرآن قبَّلَ والدي رحمه الله بين عينيَّ وبكى وقال : الحمد لله يا ولدي هذا الذي كنت أرجوه فيك ، حدثني جدّك عن أبيه عن سلفه أنه ما منا أحد إلى زمن النبي ﷺ إلاّ من ختم القرآن .

قال المؤلف : وهذا منقبةٌ جليلة لا أعرفُ لأحدٍ من خلق الله شرواها ، وسألت عنها قوماً من أهل حلب فصدقوها . وقال لي زين الدين محمد بن عبد القاهر بن النصيبي : دع الماضي واستدلّ بالحاضر فإنني أعدّ لك كلّ من هو موجود في وقتنا هذا وهم خلق ليس فيهم أحد إلا وقد ختم القرآن ، وجعل يتذكرهم واحداً واحداً فلم يخرم بواحد .

حدثني كمال الدين أطال الله بقاءه قال : وكان عقب بني أبي جرادة من ساكني البصرة في محلّة بني عقيل بها ، فكان أول من انتقل منهم عنها موسى بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عامر أبي جرادة إلى حلب بعد المائتين للهجرة وكان وردها تاجراً .

وحدثني قال حدثني عمي أبو غانم محمد بن هبة الله بن محمد بن أبي جرادة قال : سمعتُ والدي يذكر فيما يأثره عن سلفه أن جدنا قدم من البصرة في تجارة إلى الشام فاستوطن حلب . قال : وسمعت والدي يذكر أنه بلغه أنه وقع طاعون بالبصرة فخرج منها جماعة من بني عقيل وقدموا الشام فاستوطن جدنا حلب . قال : وكان لموسى من الولد محمد وهارون وعبد الله فأما محمد فله ولد اسمه عبد الله ولا أدري أَعْقَبَ أم لا ، وأما العقب الموجود الآن فلهارون وهو جدُّنا ، ولعبد الله وهم أعمامنا .

فمن ولد عبد الله القاضي أبو طاهر عبد القاهر بن علي بن عبد الباقي بن محمد ابن عبد الله بن موسى بن أبي جرادة، وهو من سادات هذا البيت وأعيانهم ، ومات في جمادى الأولى من سنة ثلاث وستين وأربعمائة ، فقال القاضي أبو الفضل هبة الله بن أحمد بن أبي جرادة يرثيه ، وكانت قد توفيت قبل وفاة والد القاضي أبي الفضل أخته بأيام قلائل فتوجع للماضين :

صبرتُ لا عن رضىً مني وإيثارِ ... وهل يردُّ بكائي حتمَ أقدار
أرومُ كفَّ دموعي وهي في صَبَبٍ ... وأبتغي بَرْدَ قلبي وهو في نارِ
ما لليالي تُعَرِّي جانبي أبداً ... من أسرتي وأخلائي وأوزاري
تلذّ طعم مصيباتي فأحسبها ... تَظْمَا فيروي صداها ماءُ أشفاري
محاسنٌ جُذَّتْ للأرضِ الفضاءِ بها ... وطالما صنتها عن لحظ أبصارِ
وواضح كَسَنا الاصباح أنقله ... من رأي عيني إلى سرّي واضماري
إن الردى اقصدتني غيرَ طائشةٍ ... سهامها في فتىً كالكوكب الواري
رمته صائبةُ الأقدارِ من كَثَبٍ ... وما رَمَتْ[1] عُظْمَ أقدارٍ وأخطار

وهي قصيدة غراءُ طويلة .

ومنهم أبو المجد عبد الله بن محمد بن عبد الباقي بن محمد : شيخ فاضل أديب شاعر ، له معرفة باللغة والعربية ، سمع بحلب أستاذه أبا عبد الله الحسين بن عبد الواحد بن محمد بن عبد القادر القنسريني المقرىء مؤلف « كتاب التهذيب في اختلاف

(1) م : ربحت .

القراء السبعة » وسمعه ولده الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله ، وله أشعار حسان منها :

تـوسـوس عن علّتيَّ الـزمـانُ ففي كـلّ يـومٍ لـه مُعْضِلَهْ
فـلـو جعـلوا أمْـرَهُ لـيـلةً إلـيَّ لأصبـحَ فـي سلسلهْ

ومات الشيخ أبو المجد بحلب في حدود سنة ثمانين وأربعمائة .

ومنهم ولده الشيخ **أبو الحسن علي بن عبد الله** بن محمد بن أبي جرادة : صدر زمانه وفرد أوانه ، ذو فنون من العلوم ، وخطه مليح جداً على غاية من الرطوبة والحلاوة والصحة ، وله شعر يكاد يختلط بالقلب ويسلب اللب لطافة ورقةً ، تصدَّرَ بحلب لافادة العلوم الدينية والأدبية متفرداً بذلك كله ، ورتب « غريب الحديث » لأبي عبيد على حروف المعجم ، رأيته بخطه ، وشرع في شرح أبياته شروعاً لم يقصر فيه ، ظفرت منه بكراريس من مسوداته لأنه لم يتم . سمع بحلب والده أبا المجد وأبا الفتح عبد الله بن إسماعيل الحلي وأبا الفتيان محمد بن سلطان بن حيوس الشاعر وغيرهم ، ورحل عن حلب قاصداً للحج في ثالث شعبان سنة ست عشرة وخمسمائة ، ووصل إلى بغداد وسمع بها أبا محمد عبد الله بن علي المقرىء وغيره ، ولم يتيسر للناس في هذا العام حجّ فعاد من بغداد إلى حلب ، ثم سافر إلى الموصل بعد ذلك في سنة إحدى وثلاثين وسمع بها ، وأدركه تاج الإسلام أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني فسمع منه بحلب هو وجماعة وافرة ، وذكره السمعاني في « المذيل لتاريخ بغداد » .

قال المؤلف : وقد ذكرته في هذا الكتاب في موضعه [1] بما ذكره السمعاني به .

حدثني كمال الدين قال سمعت والدي رحمه الله يقول : كتب الشيخ أبو الحسن ابن أبي جرادة بخطه ثلاث خزائن من الكتب لنفسه ، وخزانة لابنه أبي البركات ، وخزانة لابنه أبي عبد الله ، ومن شعره (أنبأنا به تاج الدين زيد بن الحسن الكندي) من قصيدة يصف فيها طول الليل :

فـؤادٌ بـالأحـبَّـةِ مـسـتـطارُ وقـلـبٌ لا يَـقَـرُّ لـه قـرارُ
ومـا أنفـكّ من هجـرٍ وصـدٍّ وعتبٍ لا يقـومُ لـه اعتـذارُ

---

(1) ترجمته رقم : 776 .

وعينٍ دمعها جَمٌّ غزيرٌ ولكن نومها نزرٌ غرارُ
كأن جفونَها عند التلاقي تلاقيها الأسنةُ والشفار
وهذا حالها وهمُ حلولٌ فكيف بها إذا خلتِ الديارُ
أبيتُ الليل مرتفقاً كئيباً لهمٍّ في الضلوع له أوار
كأن كواكب الفلكِ اعتراها فتورٌ أو تخوَّنها المدارُ

منها :

فيا لكِ ليلةً طالت ودامت فليس لصبحها عنها انسفار
أسائلها لأبلغَ منتهاها لعلَّ الهم يذهبه النهارُ

ومات الشيخ أبو الحسن في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة عن ثماني وثمانين سنة .

ومنهم ولده أبو علي الحسن بن علي بن عبد الله بن محمد بن أبي جرادة : وكان فاضلاً كاتباً شاعراً أديباً ، يكتب النسخ طريقة أبي عبد الله ابن مقلة، والرقاع طريقة علي بن هلال ، وخطه حلو جيد جداً خالٍ من التكلف والتعسف ، سمع أباه بحلب ، وكتب عنه السمعاني عند قدومه حلب ، وسار في حياة أبيه إلى الديار المصرية واتصل بالعادل أمير الجيوش وزيرِ المصريين وأنس به ، ثم نفق بعده على الصالح بن رزيك ، وخدمه في ديوان الجيش ، ولم يزل بمصر إلى ان مات بها في سنة إحدى وخمسين وخمسمائة ، ومن شعره في صدر كتاب كتبه إلى أخيه عبد القاهر في سنة ست وأربعين وخمسمائة :

سرى من أقاصي الشام يسألني عنّي خيالٌ إذا ما زار يسلبني منّي
تركتُ له قلبي وجسمي كليهما ولم يرضَ إلا أن يُعَرِّسَ في جفني
وإني ليدنيني اشتياقي إليكمُ ووجدي بكم لو أنّ وجدَ الفتى يدني
وأبعثُ آمالي فترجع حُسَّراً وقوفاً على ضنّ من الوصلِ أو ظن
فليت الصبا تسري بمكنونِ سرنا فتخبرني عنكم وتخبركم عني
وليت الليالي الخاليات عوائدٌ علينا فَنَعْتَاضَ السرورَ من الحزنِ

ومن شعره :

ما ضرهم يوم جَدَّ البين لو وقفوا   وزودوا كلفاً أودى به الكَلَفُ
تخلفوا عن وداعي ثُمّتَ ارتحلوا   وأخلفوني وعوداً ما لها خلفُ
وأوصلوني بهجر بعد ما وصلوا   حبلي وما أنصفوني لكن انتصفوا
فليتهم عدلوا في الحكم إذ ملكوا   وليتهم أسعفوا بالطيف من شعفوا
ما للمحبّ وللعذال ويحهمُ   خانوا ومانوا ولما عَنَّفُوا عَنُفُوا
أستودعُ اللّه أحباباً ألفتهمُ   لكن على تَلَفي يومَ النوى ائتلفوا
عمري لئن نزحتْ بالبين دارهمُ   عنّي فما نزحوا دمعي وما نزفوا
يا حبذا نظرةٌ منهم على عَجَلٍ   تكاد تنكرني طوراً وتعترفُ
سقتْ عهودَهُمُ غَرّاءُ واكفةٌ   تهمي ولو أنها من أدمعي تكفُ
أحبابنا ذهلتْ ألبابنا ومحا   عتابنا لكم الاشفاقُ والأسفُ
بعدتمُ فكأنَّ الشمسَ واجبةٌ   من بعدكم وكأنَّ البدرَ منخسفُ
يا ليت شعريَ هل يحظى برؤيتكم   طرفي وهل يجمعنْ ما بيننا طرفُ
ومضمر في حشاه من محاسنكم   لفظاً هو الدرُّ لا ما يضمرُ الصدفُ
كنا كغصنين حال الدهرُ بينهما   أو لفظتين لمعنىً ليس يختلفُ
فأقصدتنا صروفُ الدهرِ نابلةً   حتى كأنّ فؤادينا لها هدفُ
فهل تعودُ ليالي الوصلِ ثانيةً   ويصبحُ الشملُ منا وهو مؤتلفُ
ونلتقي بعد يأسٍ من أحبتنا   كمثل ما يتلاقى اللام والألفُ
وما كتبتُ على مقدار ما ضمنت   مني الضلوعُ ولا ما يقتضي اللهفُ
فان أتيتُ بمكنوني فمن عجبٍ   وإن عجزت فان العذرَ منصرفُ

ومنهم أخوه أبو البركات عبد القاهر بن علي بن عبد الله بن أبي جرادة : كان ظريفاً لطيفاً أديباً شاعراً كاتباً له الخط الرائق والشعر الفائق والتهذيب الذي تَبَحَّرَ في جودته ويلتحقُ بالنسبة إلى ابن البواب ، والتأنق في الخط المحرر الذي يشهد بالتقدم في الفضل وان تأخر ، سمع بحلب أباه أبا الحسن وغيره ، وكتب عنه جماعة من

العلماء ، وكان أميناً على خزائن الملك العادل نور الدين محمود زنكي وذا منزلة لطيفة منه . ومن شعره (وكتبه بليقةِ ذهب) :

ما اخترتُ الا أشرفَ الرتبِ خطاً أخلّد منه في الكتبِ
والخطّ كالمرآة ننظرها فنرى محاسنَ صورةِ الأدبِ
هو وحده حَسَبٌ يطال به إن لم يكن إلاه من حسبِ
ما زلت أنفق فيه من ذهبٍ حتى جرى فكتبتُ بالذهبِ

وقال أيضاً وهو بدمشق في سنة تسع وأربعين وخمسمائة :

أُمتُّ ببذلي خالصاً من مودتي إلى مَن سواءٌ عنده المنعُ والبذلُ
وتحسبُ نفسي والأمانيُّ ضلَّةٌ بأنيَ من شغلِ الذي هو لي شغلُ
ألا إن هذا الحبّ داءٌ موافقٌ وإنَّ شفاءَ الداءِ ممتنعٌ سهلُ
عفا اللّه عمن إنْ جنى فاحتملته تجنَّى فعاد الذنبُ لي وله الفضلُ
ومن كلَّما أجمعتُ عنه تسلياً تبينتُ أن الرأيَ في غيره جهلُ
سأعرضُ إلا عن هواه فانه جميلٌ بمثلي حُبُّ من ما له مثلُ
وألقي مقالَ الناصحين بمسمعٍ ضربتُ عليه بالغواية من قبلُ
فعندي وان أخفيتُ ذاك عن العدى عزيمةُ همٍ لا تكلُّ ولا تألو
ولي في حواشي كلِّ عذلٍ تلفتٌ إلى حبِّ من في حبه قُبحُ العذلُ
وإني لأدْنَى ما أكونُ من الهوى إذا أرجف الواشون بي أنني أسلو

هذا لعمري والله الغاية في الحسن والطلاوة والرونق والحلاوة .

وقال أيضاً :

عاد قلبي إلى الهوى من قريبِ ما محبٌ بِمُنْتَهٍ عن حبيبِ
طال يا همتي تماديكِ في الرشـ ـدِ خذي من غوايةٍ بنصيب
وإذا ما رأيتِ حسناً غريباً فاستعدّي له لوجدٍ غريب
يا غزالاً مالتْ به نشوةُ العُجـ ـبِ فَهزَّتْ عطفيه هزُّ القضيب

بين الحاظك المراضِ وبيني نسبٌ لو رعيتَ حقَّ النسيب
أنت أجريتَ أعينَ الدمع من عيـ ـني وأوريتَ زندَ قلبي الكئيب
لا تقلْ ليس لي بذلك علمٌ فعلى مقلتيك سيما مريب
ما تَعَدَّيْتَ في الذي أنت فيه إنَّ حظي لديكَ حظُّ أديب

ومات في سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة .

ومنهم ابن أخيه أبو الفتح عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي جرادة : وكان يجيد الكتابة ، وجمع مجاميع حسنة ، وجمع شعر والده أبي عبد الله الحسن وشعر عمه أبي البركات عبد القاهر ، وله شعر لا بأس به منه :

من ذا مجيري من يَدَيْ شادنٍ مهفهفِ القدِّ مليحِ العذارْ
قد كتب الشعرُ على وجهه أسْطُرَ مسكٍ طِرْسُها جُلّنارْ

فهؤلاء من بني عبد الله بن موسى بن عيسى .

وأما أخوه هارون بن موسى فهو أول من اشترى بحلب ملكاً في قرية تعرف بأورم الكبرى ، وكان له ولدان زهير وأحمد ، والعقب لزهير ، وهو الذي اشترى أكثر أملاك بني أبي جرادة مثل أورم الكبرى ويحمول وأقذار ولؤلؤة والسين ، وهي قرى ، ووقف وقفاً على شرى فرس يجاهَدُ به في سبيل الله ، وتوفي في حدود سنة أربعين وثلاثمائة . فمن ولد زهير هذا أبو الفضل عبد الصمد بن زهير بن هارون بن موسى ولادته في حدود العشرين والثلاثمائة ، سمع بحلب أبا بكر محمد بن الحسين الشيعي وغيره ، وروى عنه ابن أخيه القاضي أبو الحسن أحمد ومشرق العابد وجماعة ولعله مات في حدود سنة تسعين وثلاثمائة ، وليس له عقب .

ومنهم أبو جعفر يحيى بن زهير بن هارون بن موسى ، وهو العديم إليه ينسبون ، وقد ذكرنا أنهم لا يعرفون لِمَ سموا ذلك .

ومنهم ولده القاضي أبو الحسن أحمد بن يحيى بن زهير : وهو أول من ولي القضاء بمدينة حلب من هذا البيت ، وقد سمع الحديث ورواه ، وقرأ الفقه على القاضي أبي جعفر محمد بن أحمد السمعاني ، وكان السمعاني إذ ذاك قاضي حلب .

أنشدني كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن أبي جرادة ، أنشدني والدي لجدّ أبيه القاضي هبة الله أحمد بن يحيى يذكر أباه ويفتخر به :

أنا ابنُ مستنبطِ القضايا ... وموضحِ المشكلاتِ حَلاّ
وابن المحاريبِ لم تُعَطَّلْ ... من الكتابِ العزيزِ يتلى
وفارسُ المنبرِ استكانتْ ... عيدانُهُ من حجاه ثقلا

توفي بعد سنة تسع وعشرين وأربعمائة .

ومنهم ابنه القاضي **أبو الفضل هبة الله بن أحمد**: كان كبيرَ القدرِ جميلَ الأمر مبجلاً عند آل مرداس ، له شعر جزل فصيح ذو معان دقاق يترفع قدره عنه ، وإنما يقول ببلاغته وبراعته ، سمع الحديث من أبيه ولعله لقي أبا العلاء المعري وقرأ عليه شيئاً ، وولي القضاء بحلب وأعمالها في سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة وبقي على ذلك إلى أن مات ، وكانت ولايته للقضاء في أوائل دولة شرف الدولة أبي المكارم مسلم بن قريش بعد وفاة حميه القاضي كسرى بن عبد الكريم بن كسرى ، وكتب تقليده من بغداد عن المقتدي بالله .

ومن شعره :

لي بالغُوَيْرِ لبانات ظفرتُ بها ... قد سُدَّ من دونها لي أوضحُ الطرقِ
وبالثنيَّةِ بدرٌ لاح في غُصُنٍ ... أصمى فؤادي لها سهمٌ من الملقِ
سَرَّاقةٌ لقلوبِ الناظرين لها ... وما يُقَامُ عليها واجبُ السَّرَقِ
لا يُفْلِتُ المرءُ من أشراكِ مقلتها ... وان تخلّص لم يُفْلِتْ من العقَقِ
وأبرزتْ من خلالِ السجفِ ذا شُعَلٍ ... لولا بقا الليل قلنا غُرَّةُ الفلقِ
ولائمٍ ودموعُ العينِ واكفةٌ ... لا يستبينُ لها جفنٌ من الغرقِ
يقولُ أفنيتَهُ والشملُ مجتمعٌ ... ولم تَصُنْهُ لتوديعٍ وَمُفْتَرَقِ

ولـه :

ربعٌ لهندٍ باللوَى مصرومُ ... أقوى فما آريّه مرثومُ
أخفاه إلحاحُ البلى فضللتُ في ... إنشاده لولا النسيمُ نَمومُ

تضيافُ طرفي فيه دمعٌ ساجم ... وَقِرَى فؤادي في ذَراهُ همومُ
هل عاذرٌ في الربع رائي عيسهم ... تُحْدَى لها وَخْدٌ بهمْ ورسيمُ
وهوىً تُبَعّدُهُ الليالي والنوى ... إن قَرَّبَتْهُ خواطرٌ ورسومُ
يا صاحبيَّ خذا المطايا وحدها ... بدمي فما سفكته إلا الكومُ
أمضينَ أحكامَ الهوى وأَعَنَّهُ ... ومساعدُ المرءِ الظلومِ ظَلومُ

ولـه :

وما عسى يطلبُ الرجال من رجلٍ ... كاسٍ من الفضلِ إنْ عُرِّي من المالِ
كالباردِ العذب يومَ الوِرْدِ من ظمأٍ ... والصارمِ العَضْبِ في رَوْعٍ وأَوْجَالِ
همومه في جسيماتِ الأمورِ فما ... يُلْفَى مصاحبَ أطماحٍ وآمالِ
أَلَذُّ من ثروةٍ تأتي بإذلالِ ... عزُّ القناعةِ مع صَوْنٍ وإقلالِ
وما يضرّ امرءاً أثرتْ مناقبه ... إن أَكْسَبَتْهُ الليالي رقةَ الحالِ

وقال أيضاً يمدح أبا الفضائل سابق بن محمود بن نصر بن صالح بن مرداس صاحب حلب ويشكره إذ لم يسمع فيه قول حساد وشوا به إليه :

خلِّها إنْ ظمئتْ تشكو الأُواما ... لا تُقِلْهَا الأَيْنَ إنْ طال ودامـا
واجعل السرجَ إذا ما سَئِمَتْ ... كلأً والموردَ العذبَ اللجاما
أَوْترَاها كالحنايا بالسرى ... وبإسراعٍ إلى المرمى سهاما
قصُرتْ ظهراً ورسغاً وعسيباً ... مثل ما طالت عناناً وحزاما
تنصبُ الأُذنين حتى خَيَّلَتْ ... بهما تُبصرُ ما كان أماما
وإذا ما بارت الريحَ اغتدتْ ... خلفها النكباءُ حَسْرَى والنُّعامى
كم مقامي بين أحكام العدى ... أتبعُ القائدَ لا أعصي الزماما
أكلة الطاعم لا يرهبُ إثماً ... أو أسير المنِّ إن كفَّ احتشاما
وإلامَ الحظُّ لا ينصفني ... من زمانٍ جار في قصدي إلاما
تعتلي أرؤسَهُ أذنابُه ... فترى الأرجلَ تعلو فيه هاما

أتـمـنـى راحـةً تـنـقـذنـي ... منهمُ عَزَّتْ ولـو كـانت حماما

منها :

كم رمـوني عـامـداً في هُـوَّةٍ ... نـارها تعلو آشتعـالاً واضـطراما

قـاصدي حتفي فكـانت بكَ لي ... نـارُ إبـراهيمَ بَـرْداً وسـلامـا

وله في المعنى من قصيدة :

هُنِّئْتِ يـا أرضَ العـواصم دولـةً ... روَّى ثـراك بـهـا أشـمُّ أروعُ

قـد عاد في الأيـام مـاءُ شبابهـا ... وتسـالمتْ حُرَقُ الأسى والأضلعُ

أشكـو إليك عصـابةً نبذوا الحيا ... حسداً وشدُّوا في أذايَ وأوضعوا

راموا ابتزازي مورثي عن أسرتي ... وتـآزروا في قَبْضِـهِ وتجـمعـوا

يتـطلَّبـون ليَ الـذنـوبَ كـأنني ... ممن عليـه بـالشنـانِ يُقَعْقَـعْ

لم أخشَ قهرهمُ ونصرُكَ مُصْلَتٌ ... دوني ولي من حُسْنِ رأيك مرجع

ولـه :

ومـا الـذلُّ إلا أن تبيـتَ مؤمِّـلاً ... وقـد سهرتْ عينـاك وسنانَ هـاجعا

أأخشى امرءًا أو أشتكي منه جفـوةً ... إذا كنتُ بالميسور في الدهر قـانعا

إذا مـا رآني طـالبـاً منـه حـاجـةً ... ففي حـرج ان لم يكن ليَ مـانعـا

وكان المنجمون قد حكموا له أنه يموت في صدور الرجال ، فاتفق أنه اعتقل بالقلعة مدةً لتهمة اتهم بها بالممالأة لبعض الملوك ثم أطلق بعد مـدة ، فنزل راكباً وأصحابه حوله ، فبينا هو سائر إذ وجد ألماً فقال لأصحابه : أمسكوني أمسكـوني ، فأخذوه في صدورهم من على فرسه ، فلما وصل إلى منزله بقي على صدورهم إلى أن مات بحلب في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة .

ومنهم ولده القاضي أبو غانم محمد بن القاضي أبي الفضل هبة الله بن القاضي أبي الحسن أحمد : وكان فقيهاً فاضلاً زاهداً عفيفاً سمع أباه وغيره ، وولي قضاء حلب وأعمالها وخطابتها بعد موت أبيـه في أيام تـاج الدولة دبيس[1] في سنة ثمان وثمانين

---

(1) هو دبيس بن صدقة صاحب الحلة .

وأربعمائة ، ولم يزل قاضياً بها إلى أن عزله رضوان لما خطب للمصريين ، وولى القضاء القاضي الزوزني العجمي في شوال من سنة تسعين وأربعمائة ، ثم عاود الملك رضوان الخطبة لبني العباس فأعاد القاضي أبا غانم إلى ولايته، وجاءه التقليد من بغداد بالقضاء والحسبة عن القاضي علي بن الدامغاني بأمر المستظهر في صفر سنة ست وتسعين وأربعمائة ، وكان مولد القاضي أبي غانم في رجب سنة ست وأربعين وأربعمائة ، وهو الذي شرع في عمارة المسجد الذي بحلب يعرف ببني العديم ، وأتمه ابنه القاضي أبو الفضل هبة الله ، وكان يتولى الخطابة في المسجد الجامع والامامة بحلب ، وكان حَنَفيّ المذهب ، وكان يؤمّ بالناس ثلاثين سنة وهو متكتف تحت ثيابه ويسبل أكمامه فارغة خوفاً من الولاةِ في أيامه لأنهم كانوا إسماعيليين يرون رأي المصريين ، وكانوا يفطرون قبل العيد بيوم ويجتمع أكابر حلب في يوم عيدهم يهنئونهم ، فصعد القاضي أبو غانم للهناء في من صعد ، وقدم للناس سكراً ولوزاً ، وأخذ القاضي أبو غانم لوزة ووضعها في فيه فقال له صاحب حلب : أيها القاضي لم لا تأكل من السكر ؟ فقال : لأنه يذوب ، وتبسم ، فضحك الوالي وأعفاه من ذلك .

حدثني كمال الدين قال : حدثني عمي حدثني أبي قال : نزل جدّك القاضي أبو غانم في بعض الأيام يصلي بالجامع ، وخلع نعليه قرب المنبر وكانا جديدين ، فلما قضى صلاته قام للبسهما فوجد نعليه العتق مكانهما ، فقال لغلامه : ألم أنزل إلى الجامع بالمداس الجديد فأين هو؟ فقال الغلام : بلى ولكن جاءنا الساعةَ رجلٌ وطرق الباب وقال : القاضي يقولُ لكم أُنفذوا إليه مداسَهُ العتيقَ إلى الجامع فقد سُرِقَ مداسه الجديد ، فضحك وقال : هذا والله لص شفيق جزاه الله خيراً وهو في حل منه .

والقاضي أبو غانم هذا هو الذي نهض من حلب في سنة ثمان عشرة و خمسمائة وقد حصرها الفرنج ودبيس بعد قتل بلك[1] على منبج حتى أقدم البرسقي من الموصل فاستنقذها من الحصار ، وهربوا لما سمعوا بقدومه ، وكان أهل حلب لقوا شدة وأكلوا الميتة ولم يكن عندهم أمير وإنما تولوا حفظ البلد بأنفسهم وأبلوا بلاءً حسناً حسنت به العاقبة .

---

(1) هو بلك بن بهرام بن أرتق (ابن الأثير 10 : 619) .

ومنهم ابنه القاضي أبو الفضل هبة الله سمّي باسم جده وكني بكنيته ، وكان فقيهاً مرضياً ورعاً زاهداً ، سمع الحديثَ ورواه وولي القضاءَ بحلب وأعمالها بعد موت أبيه القاضي أبي غانم ، وكتب له عهده من أتابك زنكي بن آقسنقر في سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ثم جاء له العهد من بغداد من قاضي القضاة الزينبي وأمْرِ المقتفي ، وكان مولده في ذي القعدة سنة تسع وتسعين وأربعمائة ، فلما قتل أتابك زنكي وولي ابنه نور الدين وولي القضاء كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزوري قضاء الشام ، وَرُزِقَ البسطَة والتحكم في الدولة وقاوم الوزراءَ بل الملوكَ ، التمس من القاضي أبي الفضل هذا أن يكتبَ في كتب سجلاته ذكر النيابة عنه ، فامتنع القاضي أبو الفضل ، ولجَّ ابن الشهرزوري ، وساعده مجد الدين ابن الداية ، وهو والي حلب ، لشيءٍ كان في نفسه على القاضي أبي الفضل لأمور كان يخالفه فيها في أقضية يوفّر فيها جانبَ الحقِّ على أغراضه ، وتردد المراسلات بين نور الدين وبينه في قبول النيابة وهو يأبى إلى أن قال ابن الداية : هذا تحكّم منه في الدولة وفيك إذ تأمره بشيء ولا يمتثله ، فاعزله ووَلِّ محيي الدين بن كمال الدين ، فقال نور الدين : [. . .][1] يستناب له قاضٍ حنفي ، فعزل القاضي أبو الفضل وولي محيي الدين قضاء حلب ، واستنيب له الكودري ، وذلك في سنة سبع وخمسين وخمسمائة ، وحج في تلك السنة .

وكتب أبو الحسين أحمد بن منير الطرابلسي للقاضي أبي الفضل هبة الله يلتمس منه « كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه » للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني ، وكان قد وعده بها ودافعه :

يا حائزاً غايَ كلِّ فضلٍ تضلُّ في كنهه الإحاطَهْ
ومن ترقّى إلى محلٍّ أحكم فوق السها مَناطَهْ
إلى متى أسْعَطُ التمني ولا ترى المنَّ بالوساطهْ

ومات القاضي أبو الفضل لعشر بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وستين وخمسمائة .

---

(1) بياض في الأصل .

ومنهم ابن أخته أبو المكارم محمد بن عبد الملك بن أحمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن زهير بن أبي جرادة : سمع بحلب ورحل إلى بغداد وسمع بها محمد بن ناصر السلامي وغيره ، وحدثني كمال الدين أيده الله قال ، قال لي شيخنا أبو اليمن زيد الكندي : كان أبو المكارم محمد بن عبد الملك بن أبي جرادة فسمع ببغداد الحديثَ معنا على، مشايخنا فسمعتُ بقراءته، وورد إلينا إلى دمشق بعد ذلك، وكنا نلقبه « القاضي بسعادتك » ، وذلك أن القلانسي دعاه في وليمة وكنتُ حاضرها فجعل لا يسأله عن شيء فيخبر عنه بما سر أو ساء إلا وقال في عقبه : بسعادتك ، فإن قال له : ما فعل فلان ؟ قال : مات بسعادتك ، وإن قال له : ما خبر الدار الفلانية ؟ يقول : خربت بسعادتك، فسميناه القاضي بسعادتك، وكان يقولها لاعتياده إياها لا لجهلٍ كان فيه، وكان له أدب وفضل وفقه وشعر جيد، وقد روى الحديث. ولأبي المكارم شعر منه:

لئن تناءيتمُ عنّي ولم تـركمْ عيني فأنتم بقلبي بعدُ سكانُ
لم أخل منكم ولم أسعدْ بقربكمُ فهل سمعتم بوصلٍ فيه هجرانُ

وله أشعار كثيرة ومات بحلب في سنة خمس وستين وخمسمائة أو سنة ست وستين .

ومنهم جمال الدين أبو غانم محمد بن القاضي أبي الفضل هبة الله بن القاضي أبي غانم محمد بن القاضي أبي الفضل هبة الله بن القاضي أبي الحسين يحيى : وهو عمّ كمال الدين ، أحد الأولياء العباد وأرباب الرياضة والاجتهاد ، عالمٌ كثير الصوم والصلاة ، وهو حي يرزق إلى وقتنا هذا ، وكان قد تولى الخطابة بجامع حلب ، وعرض عليه القضاء في أيام الملك الصالح إسماعيل بن محمود بن زنكي بعد القاضي ابن الشهرزوري فامتنع منه ، فقلّد القضاء أخوه القاضي أبو الحسن والد كمال الدين أيده الله. وكتب جمال الدين هذا بخطه الكثير ، وشغف بتصانيف أبي عبد الله محمد بن علي بن الحكيم الترمذي فجمع معظم تصانيفه عنده وكتب بعضها بخطه ، وكتب من كتب الزهد والرقائق والمصاحف كثيراً ، وكان خطه في صباه على طريقة ابن البواب القديمة ، ووهب لأهله مصاحفَ كثيرةً بخطه ، وكان إذا اعتكف في شهر رمضان كتب مصحفاً أو مصحفين وجمع براوات الأقلام فيكتب بها تعاويذ للحمى وعسر الولادة فَتُعْرَفُ بركتها . قال : وسألت عمي عن مولده فقال في سنة أربعين

وخمسمائة ، وقد سمع أباه وعمه أبا المجد عبد الله وغيرهما ، وروى الحديث ، وتفقه على العلاء الغزنوي ، واجتمع بجماعة من الأولياء ، وكوشف بأشياء مشهورة ، وهو الآن يحيا في محرم سنة عشرين وستمائة .

ومنهم القاضي أبو الحسن أحمد بن القاضي أبي الفضل هبة الله بن القاضي أبي غانم محمد بن أبي الفضل هبة الله بن القاضي أبي الحسن أحمد بن أبي جرادة : كل هؤلاء ولوا قضاء حلب ، وهذا هو والد كمال الدين صاحب أصل هذه الترجمة ، كان يخطب بالقلعة بحلب على أيام نور الدين محمود بن زنكي ، ثم ولي الخزانة في أيام ولده الملك الصالح إسماعيل إلى أن عُرِضَ القضاء على أخيه كما ذكرنا فامتنع منه ، فقلده القاضي هذا بحلب وأعمالها في سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، ولم يزل والياً للقضاء في أيام الملك الصالح ومن بعده في دولة عز الدين ثم عماد الدين بن قطب الدين مودود بن زنكي وصدراً من دولة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى أن عزل عن منزلتي الخطابة والقضاء ونقل إلى مذهب الشافعي ، وكان عزله عن القضاء في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، ووليه القاضي محيي الدين محمد بن علي بن الزكي قاضي دمشق الشافعي ، وكان صُرِفَ أخوه الأصغر أبو المعالي عبد الصمد عن الخطابة قبله ، فعلم أن الأمر يؤول إلى عزله عن القضاء لأن الدولة شافعية ، فاستأذن في الحج والإعفاء عن القضاء فصرف عن ذلك بعد مراجعات . وسمع الحديث من أبيه وأبي المظفر سعيد بن سهل الفلكي وغيرهما، ومولده سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ومات رحمه الله ليلة الجمعة السابع والعشرين من شعبان سنة ثلاث عشرة وستمائة .

هذا ما كتبته من الكتاب الذي ذكرته آنفاً على سبيل الاختصار والايجاز وهو قليل من كثير من فضائلهم ، وأنا الآن أذكر من أنا بصدده ، وهو كمال الدين أبو القاسم عمر بن القاضي أبي الحسن أحمد بن القاضي أبي الفضل هبة الله بن القاضي أبي غانم محمد بن القاضي أبي سعيد هبة الله بن القاضي أبي الحسن أحمد بن أبي جرادة ، كلٌ هؤلاء من آبائه ولي قضاء حلب وأعمالها وهم حنفيون ، وهو الذي نحن بصدده ، وإلى معرفة حاله ركبنا سَنن المقال وجددَهُ ، فانه من شروط هذا الكتاب ، لكتابته التي فاقت ابنَ هلال ، وبلغت الغاية في الجودة والاتقان ، ولتصانيفه في الأدب التي تذكر آنفاً إن شاء اللّه تعالى . فأما أوصافه بالفضل فكثيرة ، وسماته بحسن الأثر

أثيرة ، وإذ كان هذا الكتاب لا يتسع لأوصافه جميعاً ، وكان الوقتُ يذهب بحلاوة ذكر محاسنه سريعاً ، رأيتُ من المشقة والاتعاب ، التصدي لجميع فضائله والاستيعاب ، فاعتمدت على القول مجملاً لا مفصّلا ، وضربة لا مبوباً فأقول :

إن الله عز وجل عني بخلقته فأحسن خَلْقه وَخُلقه وعقله وذهنه وذكاءه ، وجعل همته في العلوم ومعالي الأمور ، فقرأ الأدب وأتقنه ، ثم درس الفقه فأحسنه ، ونظم القريض فجوده ، وأنشأ النثر فزينه ، وقرأ حديث الرسول وعرف علله ورجاله وتأويله وفروعه وأصوله ، وهو مع ذلك قلق البنان ، جوادٌ بما تحوي اليدان ، وهو كاسمه كمالُ في كلّ فضيلة ، لم يعتنِ بشيء إلا وكان فيه بارزاً ، ولا تعاطى أمراً إلا وجاء فيه مبرّزاً ، مشهور ذلك عنه لا يخالِفُ فيه صديقٌ ولا يستطيع دفاعه عدو . وأما قراءته للحديث في سرعته وصحة إيراده وطيب صوته وفصاحته فهو الغاية التي أقرَّ له بها كلّ من سمعها ، فانه يقرأ الخطَّ العَقِدَ كأنه يقرأ من حفظه ، وأما خطه في التجويد والتحرير والضبط والتقييد فسواد مقلة لأبي عبد الله ابن مقلة ، وبدرٌ ذو كمال عند علي بن هلال :

خلالُ الفضلِ في الأمجاد فوضى ولكنَّ الكمالَ لها كمالُ

وإذا كان التام من خصائص عالم الغيب ، وكان الإنسان لا بد له من عيب ، فعيبه لطالب العنت والشين ، أنه يخاف عليه من إصابته العين ، هذا مع العفاف والزمت ، والوقار وحسن السمت ، والجلال المشهور ، عند الخاص والجمهور :

قاد الجيوشَ لسبعَ عشرةَ حجةً ولِداتُهُ عن ذاك في أشغالِ

سألته أدام الله علوه عن مولده فقال لي : ولدت في ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، قال : فلما بلغتُ سبعة أعوام حصلتُ إلى المكتب ، فأُقعدت بين يدي المعلم فأخذ يمثّل لي كما يمثّل للأطفال ويمد خطاً ويرتب عليه ثلاث سينات ، فأخذت القلم ، وكنت قد رأيته وقد كتب « بسم » ومدَّ مدته ، ففعلت كما فعل ، وجاء ما كتبته قريباً من خطه ، فتعجب المعلم فقال لمن حوله : لئن عاش هذا الطفل لا يكونُ في العالم أكتبَ منه . وصحَّت لعمري فراسةُ المعلم فيه فهو أكتبُ من كلِّ من تقدمه بعد ابنِ البواب بلا شك .

وقال : وختمت القرآن ولي تسع سنين ، وقرأت بالعشر ولي عشر سنين ، وحبب إليّ الخط وجعل والدي يحضّني عليه ؛ فحدثني الشيخ يوسف بن علي بن زيد الزهري المغربي الأديب معلم ولده بحضرة كمال الدين قال : حدثني والد هذا (وأشار إليه) قال : ولد لي عدة بنات وكبرن ، ولم يولد لي غير ولد واحد ذكر ، وكان غايةً في الحسن والجمال والفطنة والذكاء ، وحفظ من القرآن قدراً صالحاً وعمره خمس سنين ، واتفق أن كنتُ يوماً جالساً في غرفةٍ لنا مشرفةٍ على الطريق ، فمرت بنا جنازة فاطّلع ذلك الطفلُ ببصره نحوها ثم رفع رأسه إليّ وقال : يا أبت إذا أنا متّ بما تغشّي تابوتي ؟ فزجرته ، وأدركني في الوقت استشعارٌ شديد عليه ، فلم يمض إلا أيام حتى مرض ودرج إلى رحمة الله ولحق بربه ، فأصابني عليه ما لم يُصِبْ والداً على ولد ، وامتنعت من الطعام والشراب ، وجلست في بيت مظلم ، وتصبرت فلم أعط عليه صبراً ، فحملني شدة الوله على قصد قبره ، وتوليتُ حفره بنفسي ، وأردت استخراجه والتشفي برؤيته ، فلمشيئة الله ولطفه بالطفل أو بي لئلا أرى به ما أكره صادفتُ حجراً ضخماً وعالجته فامتنع عليّ قلعه ، مع قوةٍ وأيْدٍ كنتُ معروفاً بهما ، فلما رأيتُ امتناعَ الحجر عليّ علمتُ أنه شفقة من الله على الطفل أو عليّ ، فزجرت نفسي ، ورجعت ولهان بعد أن أعدت قبره إلى حاله التي كان عليها ، فرأيت بعد ذلك في النوم ذلك الطفل وهو يقول : يا أباه عرِّفْ والدتي أني أريد أجيءُ إليكم ، فانتبهت مرعوباً وعرَّفتُ والدته ذلك ، فبكينا وترحمنا واسترجعنا. ثم إني رأيت في النوم كأنّ نوراً خرج من ذكري حتى أشرف على جميع دورنا ومحلتنا وعلا علوًا كبيراً ، فانتبهت وأوّلتُ ذلك فقيل لي : أبشر بمولودٍ يعلو قدره ويعظم أمره ، ويشيع بين الأنام ذكره بمقدار ما رأيت من ذلك النور ، فابتهلت إلى الله عز وجل ودعوتُ وشكرته وَقَوِيَتْ نفسي بعد الإياس لأني كنت قد جاوزت الأربعين ، فلم تمض إلا هنيهة حتى اشتملت والدة هذا ولدي (وأشار إلى كمال الدين أيده الله) على حَمْلٍ ، وجاءت به في التاريخ المقدم ذكره ، فلم يكن بقلبي بحلاوة ذلك الأول لأنه كان نحيفاً جداً ، فجعل كلما كبر نبل جسماً وقدراً ، ودعوتُ له عدةَ دعوات ، وسألت الله له عدة سؤالات ، ورأيت فيه والحمد لله أكثرها . ولقد قال له رجلٌ يوماً بحضرتي كما يقول الناس : أراكه الله قاضياً كما كان آباؤه ، فقال : ما أريدُ له ذلك ، ولكني اشتهيته أن يكون مدرّساً ، فبلغه الله ذلك بعد

موته ، وسمع الحديث على جماعة من أهل حلب والواردين إليها ، وأكثر السماع على الشيخ الشريف افتخار الدين عبد المطلب الهاشمي ورحل به أبوه إلى البيت المقدس مرتين في سنة ثلاث وستمائة وفي سنة ثمان وستمائة ، ولقي بها مشايخ وبدمشق أيضاً ، وقرأ على تاج الدين أبي اليمن في النوبتين كثيراً من مسموعاته .

حدثني كمال الدين أدام الله معاليه قال ، قال لي والدي : احفظ « اللمع » حتى أعطيك كذا وكذا ، فحفظته وقرأته على شيخ حلب يومئذ وهو الضياء بن دهن الحصى ثم قال لي : احفظ « القدوري » حتى أهبَ لك كذا وكذا - لدراهم كثيرة أيضاً ، فحفظته في مدة يسيرة وأنا في خلال ذلك أجوِّد ، وكان والدي رحمه الله يحرّضني على ذلك ويتولّى صقل الكاغد لي بنفسه ، فإني لأذكر مرةً ، وقد خرجنا إلى ضيعة لنا ، فأمرني بالتجويد فقلت : ليس هاهنا كاغد جيد ، فأخذ بنفسه كاغداً كان معنا ردياً وتناول شربة اسفيذر ، وكانت معنا ، فجعل يصقل بها الكاغد بيده ويقول لي : اكتب ، ولم يكن خطه بالجيد وإنما كان يعرف أصول الخط ، فكان يقول لي : هذا جيد وهذا رديء ، وكان عنده خط ابن البواب ، فكان يريني أصوله إلى أن أتقنتُ منه ما أردت ، ولم أكتب على أحد مشهور ، إلا أن تاج الدين محمد بن أحمد بن البرفطي البغدادي ، ورد إلينا إلى حلب ، فكتبتُ عليه أياماً قلائل لم يحصل منه فيها طائل ، ثم إن الوالد رحمه الله خطب لي وزوّجني بقومٍ من أعيان أهل حلب ، وساق إليهم ما جرت العادةُ بتقدمته في مثل ذلك ، ثم جرى بيننا وبينهم ما كرهته وضيَّقَ صدري منهم ، فوهب لهم الوالد جميعَ ما كان ساقه إليهم وطلقتهم ، ثم إنه وصلني بابنة الشيخ الأجلّ بهاء الدين أبي القاسم عبد المجيد بن الحسن بن عبد الله المعروف بابن العجمي ، وهو شيخ أصحاب الشافعي ، وأعظم أهلِ حلب منزلةً وقدراً ومالاً وحالاً وجاهاً ، وساق إليهم المهر وبالغ في الإحسان ، وكان والدي رحمه الله باراً بي لم يكن يلتذّ بشيءٍ من الدنيا التذاذَهُ بالنظر في مصالحي ، وكان يقول : اشتهي أرى لك ولداً ذكراً يمشي ، فولد أحمد ولدي ورآه ، وبقي إلى أن كبر ومرض مرضة الموت ، فيوم مات مشى الطفلُ حتى وقع في صدره ، ثم مات والدي رحمه الله في الوقت الذي تقدم ذكره ، وكان الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين صاحب حلب رحمه الله كثير الإكرام لي وما حضرتُ مجلسه قطُّ فما أقبل على أحدٍ إقباله عليَّ مع صغر السن ،

واتفق أن مرضتُ في شهور سنة ثماني عشرة وستمائة مرضاً أيس مني فيه ، فكان يخطر ببالي وأنا مريض أن الله تعالى لا بدّ وأن يمنّ بالعافية لثقتي بصحة رؤيا الوالد ، وكنت أقول : ما بلغت بعدُ مبلغاً يكون تفسيراً لتلك الرؤيا إلا إنْ منّ الله بالعافية وله الحمد والمنة ، فذهب عني ذلك الخيال ، وليس يخطر منه في هذا الوقت ببالي شيء لأن نعم اللّه عليّ سابغة وأياديه في حقي شائعة .

قلت: ولما مات والده[1] بقي بعده مدة، ومات مدرس مدرسة شادبخت، وهي من أجل مدارس حلب وأعيانها ، ولي التدريس بها في ذي الحجة سنة ست عشرة وستمائة ، وعمره يومئذ ثمان عشرون سنة ، هذا وحلب أعمرُ ما كانت بالعلماء والمشايخ والفضلاء الرواسخ إلا أنه رؤي أهلاً لذلك دون غيره ، وتصدّر وألقى الدرس بجنان قوي ولسان لوذعي فأبهر العالم وأعجب الناس . وصنف مع هذا السنّ كتباً منها : كتاب الدراري في ذكر الذراري جمعه للملك الظاهر وقدّمه إليه يوم ولد ولده الملك العزيز الذي هو اليوم سلطان حلب . كتاب ضوء الصباح في الحثّ على السماح ، صنفه للملك الأشرف ، وكان قد سَيَّرَ من حرَّانَ يطلبه ، فانه لما وقف على خطه اشتهى أن يراه ، فقدم عليه فأحسن إليه وأكرمه وخلع عليه وشرفه . كتاب الأخبار المستفادة في ذكر بني أبي جرادة ، وأنا سألته جمعه فجمعه لي ، وكتبه في نحو أسبوع ، وهو عشرة كراريس . كتاب في الخط وعلومه ووصف آدابه وأقلامه وطروسه وما جاء فيه من الحديث والحكم وهو إلى وقتي هذا لم يتم . كتاب تاريخ حلب في أخبار ملوكها وابتداء عمارتها ومن كان بها من العلماء ومن دخلها من أهل الحديث والرواية والدراية والملوك والأمراء والكتاب .

وشاع ذكره في البلاد ، وعرف خطه بين الحاضر والباد ، فتهاداه الملوك ، وجعل مع اللآلىء في السلوك ، وضربت به في حياته الأمثال ، وجعل للناس في زمانه حذواً ومثالاً ، فمما رغب في خطه أنه اشترى وجهةً واحدة بخطّ ابن البواب بأربعين درهماً ونقلها إلى ورقة عتيقة ووهبها من حيدر الكتبي ، فذهب بها وادّعى أنها بخط ابن البواب وباعها بستين درهماً زيادةً على الذي بخط ابن البواب بعشرين درهماً ، ونسخ لي هذه الرقعة بخطه فدفع فيها كتابُ الوقت على انها بخطه ديناراً مصرياً ولم يطبْ

(1) م : والدي .

قلبي ببيعها ، وكتب لي أيضاً جزءاً فيه ثلاث عشرة قائمة نقلها من خط ابن البواب فأعطيتُ فيها أربعين درهماً ناصرية قيمتها أربعة دنانير ذهباً فلم أفعل ، وانا أعرف أن ابن البواب لم يكن خطه في أيامه بهذا النفاق ، ولا بلغ هذا المقدار من الثمن وقد ذكرت ما يدل على ذلك في ترجمة ابن البواب .

فممن كتب إليه يسترفده شيئاً من خطه سعد الدين منوجهر الموصلي ، ولقد سمعته مراراً يزعم أنه أكتب من ابن البواب ، ويدعي أنه لا يقوم له أحد في الكتابة ويقرّ لهذا كمالِ الدين بالكمال ، فوجه إليه على لسان القاضي أبي علي القيلوي ، وهو المشهور بصحبة السلطان الأشرف ، يسأله سؤاله في شيء من خطّه ولو قائمة أو وجهة ، وكان اعتماده على أن ينقل له الوجهة المقدم ذكرها .

وممن كتب إليه يسترفده خطّه أمين الدين ياقوت المعروف بالعالم ، وهو صهر أمين الدين ياقوت الكاتب الذي يُضْرَبُ به المثل في جودة الخط وتخرَّج به ألوف وتتلمذ له من لا يحصى ـ كتب إلى كمال الدين رقعةً ، وحموهُ حيٌّ يرزق ، نسختها : الذي حضَّ الخادم على عمل هذه الأبيات ، وإن لم يكن من أرباب الصناعات ، أن الصدر الكبير الفاضل عز الدين ـ حرس اللّه مجده ـ لما وصل إلى الموصل ـ خلّد الله ملك مالكها ـ نشر من فضائل المجلس العالي العالمي الفاضلي كمال الدين ـ كمل الله سعادته ، كما كمل سيادته ، وبلغه في الدارين مناه وإرادته ـ ما يعجز البليغُ عن فهمه فضلاً عن أن يورده ، لكن فضائل المجلس كانت تملي على لسانه وتشغله ، فطرب الخادم من استنشاق رياها ، واشتاق إلى رؤية حاويها عند اجتلاء محياها ، فسمح عند ذلك الخاطر مع تبلده ، بأبيات تخبر المجلس بمحبة الخادم له وتعبده ، وهي :

حَيّا نداكَ كمالَ الدين أحيانا ... ونشرُ فَضْلِكَ عن محياك حَيَّانا

وحسنُ أخلاقك اللائي خُصِصْتَ بها ... أهدتْ إلى البعد لي رَوْحاً وريحانا

حويتَ يا عمرُ المحمودُ سيرتُهُ ... خَلْقاً وَخُلْقاً وإفضالاً وإحسانا

إن كان نجلُ هلالٍ في صناعته ... ونجل مقلةَ عينا الدهر قد كانا

فأنت مولاي إنسانُ الزمانِ وقد ... غدوتَ في الخطِّ للعينين إنسانا

قد بَثَّ فضلَكَ عزُّ الدين مقتصداً ... ونثَّ شكرك إسراراً وإعلانا

فضاع نَشْرُكَ في الحدباءِ واشتهرت آيـاتُ فضلك أرسـالاً ووحـدانـا
أُثني عليكَ وآمـالي معـلقـةٌ بحسن عفوك ترجو منك غفرانا
وان تطفلتُ في صدقِ الـودادِ ولم يقضِ التلاقي لنا عفواً ولا حانـا
فـمـا ألامُ على شيءٍ أتيتُ بـه «فـالاذن تعشقُ قبل العين أحيانا»
يا أفضلَ الناس في علمٍ وفي أدب وأرجحَ الخلقِ عند الله ميـزانـا
قد شرَّفَ اللّه أرضاً أنت ساكنها وشرف النـاسَ إذ سـواك انسـانـا

قد هجم الكلام على المجلس العالي بوجهٍ وقاح ، ولم يخش مع عفو المولى وَصْمَةَ الافتضاح ، فليلق عليها المولى سترَ المعروف ، فهو أليقُ بكرمه المألـوف ، والسلام .

فكتب إليه كمال الدين بخطه الدّريّ ولفظه السحري ، وأنشدنيها لنفسه :

يـا من أبحتُ حمى قلبي مـودَّتَـهُ ومن جعلتُ لـه أحشايَ أوطـانـا
أرسلتَ نحويَ أبياتاً طـربتُ بهـا والفضلُ للمبتدي بـالفضلِ إحسانا
فرُحْتُ أختال عُجْباً من محاسنها كشاربٍ ظلَّ بـالصهبـاء نشـوانـا
رقَّتْ وراقتْ فجـاءت وهي لابسـةٌ من البـلاغـة والتـرصيع ألـوانـا
حكتْ بمنثورها والنظم إذ جمعا بـأحـرفٍ حُسِّنَتْ روضـاً وبستـانـا
جَـرَّتْ على جـرولٍ أثوابَ زينتها إذ أصبحت وهي تكسو الحسنَ حَسَّانا
أضحت تغبِّـر وجـه العنبـريِّ فمـا بنـو اللقيطةِ من ذهـلِ بن شيبـانـا
يمسي لهـا ابنُ هلالٍ حين ينظرها يحكي أبـاه بمـا عـانـاه نقصـانـا
كـذاك أيضاً لهـا عبد الحميـد غـدا عبـداً يجـرُّ من التقصيـرِ أردانـا
أتـت وعبـدُكَ مـغـمـورٌ بعـلَّتـه فغـادرتـه صحيحاً خيرَ مـا كـانـا
وكيف لا تدفع الأسقامَ عن جسدي وهي الصَّبا حملتْ رَوْحاً وريحـانـا
فمـا على طيفهـا لـو عـاد يـطرقنا فـربمـا زار أحيـانـاً وأحيـانـا
فـاسلم وأنت أمين الدين أحسنُ مَنْ وشَّى الـطروسَ بمنـظوم ومن زانـا
ولا تخطَّتْ إليـكَ الحـادثـاتُ ولا حلَّتْ بربعك يـا أعلى الورى شـانا

وأنشدني كمال الدين أدام الله علاءه لنفسه في الغزل فاعتمد فيه معنى غريباً :

وأهيفَ معسولِ المراشفِ خلتُهُ ... وفي وجنتيه للمدامةِ عاصرُ
يسيل إلى فيه اللذيذ مدامه ... رحيقاً وقد مَرَّتْ عليه الأعاصر
فيسكرُ منه عند ذاك قوامه ... فيهتزُّ تيهاً والعيونُ فواتر
كأنّ أميرَ النوم يهوى جفونَهُ ... إذا همَّ رفعاً خالفته المحاجر
خلوتُ به من بعد ما نام أهله ... وقد غارتِ الجوزاءُ والليلُ ساتر
فَوَسَّدْتُهُ كفّي وبات معانقي ... إلى أن بدا ضوءٌ من الصبح سافر
فقام يجرُّ البردَ منه على تقىً ... وقمتُ ولم تحلل لإثمٍ مآزر
كذلك أحلى الحبِّ ما كان فرجُهُ ... عفيفاً ووصلٌ لم تَشِنْهُ الجرائر

وأنشدني لنفسه بمنزله بحلب في ذي الحجة سنة تسع عشرة وستمائة وإملائه :

وساحرةِ الأجفانِ معسولةِ اللمى ... مراشفُها تهدي الشفاء من الظما
حَنَتْ ليَ قوسَيْ حاجبيها وفوَّقتْ ... إلى كبدي من مقلةِ العين أسهما
فوا عجبا من ريقها وهو طاهرٌ ... حلالٌ وقد أضحى عليَّ محرّما
فإن كان خمراً أين للخمر لونه ... ولذَّتُهُ معْ أنني لم أذقهما
لها منزلٌ في ربع قلبي محلُّهُ ... مصونٌ به مذ أوطنته لها حمى
جرى حبها مجرى حياتي فخالطتْ ... محبتها روحي ولحميَ والدما
تقول إلى كم ترتضي العيشَ أنكداً ... وتقنع أن تضحي صحيحاً مسلّما
فسرْ في بلاد الله واطْلِبِ الغنى ... تفزْ منجداً إن شئت أو شئتَ متهما
فقلت لها إن الذي خلق الورى ... تكفَّلَ لي بالرزقِ منًّا وأنعما
وما ضرني أن كنتُ ربَّ فضائلٍ ... وعلمٍ عزيزَ النفسِ حراً معظما
إذا عدمتْ كفّاي مالاً وثروةً ... وقد صنت نفسي أن أذل وأحرما
«ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي ... لأخدم من لاقيت لكن لأُخدما»

لا يظنن الناظر في هذه الأبيات أن قائلها فقير وقير ، فإن الأمر بعكس ذلك ،

لأنه ـ والله يحوطه ـ ربُّ ضياع واسعة وأملاك جمة ونعمة كثيرة وعبيد كثيرة وإماء وخيل ودواب وملابس فاخرة وثياب ، ومن ذلك أنه بعد موت أبيه اشترى داراً كانت لأجداده قديماً بثلاثين ألف درهم ، ولكن نفسه واسعة وهمته عالية والرغبات في الدنيا بالنسبة إلى الراغبين والشهوة لها على قدر الطالبين .

وأنشدني لنفسه بمنزله في التاريخ :

احذرْ من ابن العمّ فهو مصحَّفٌ ... ومن القريبِ فإنما هو أحرفُ
القافُ من قبرٍ غدا لك حافراً ... والراءُ منه ردىً لنفسك يخطفُ
والياءُ ياسٌ دائم من خيره ... والباءُ بغضٌ منه لا يتكيفُ
فاقبل نصيحتيَ التي أهديتها ... إني بأبناء العمومةِ أعرَفُ

وأنشدني أيضاً لنفسه بمنزله سالكاً طريق أهله في الافتخار :

سألزمُ نفسي الصفح عن كلِّ ما جنى ... عليَّ وأعفو حسبةً وتكرما
وأجعلُ مالي دون عرضي وقايةً ... ولو لم يغادر ذاك عنديَ درهما
وأسلكُ آثار الألى اكتسبوا العلا ... وحازوا خلالَ الخيرِ ممن تقدما
أولئك قومي المنعمون ذوو النهى ... بنو عامرٍ فاسأل بهمْ كي تَعَلَّما
إذا ما دُعُوا عند النوائب إن دجتْ ... أناروا بكشفِ الخطب ما كان أظلما
وإن جلسوا في مجلسِ الحكم خلتَهُمْ ... بدورَ ظلامٍ والخلائقَ أنجما
وإن همْ ترقَّوْا منبراً لخطابةٍ ... فأفصحُ من يوماً بوعظٍ تكلما
وان أخذوا أقلامهم لكتابةٍ ... فأحسنُ من وشْي الطروسَ ونمنما
بأقوالهم قد أُوضِحَ الدين[1] واغتدى ... بأحكامهم علمُ الشريعة محكما
دعاؤهمُ يجلو الشدائدَ إن عَرَتْ ... وَيُنْزِلُ قَطْرَ الماءِ من أُفقِ السما
وقائلةٍ يا ابن العديم إلى متى ... تجود بما تحوي ستصبحُ معدما
فقلتُ لها عني إليكِ فإنني ... رأيتُ خيارَ الناسِ من كان منعما
أبى اللؤمَ لي أصلٌ كريمٌ وأسرةٌ ... عقيليةٌ سنُّوا الندى والتكرما

وأنشدني لنفسه وقد رأى في عارضه شعرةً بيضاء وعمره إحدى وثلاثون سنة :

(1) م : الدار .

أليس بياضُ الأفقِ في الليل مؤذنا بآخر عمرِ الليل إذ هو أسفرا
كذاك سوادُ النبتِ يقرب يبسه إذا ما بدا وسطَ الرياضِ منوّرا

ودخلت إلى كمال الدين المذكور يوماً فقال لي : ألا ترى أنا في السنة الحادية والثلاثين من عمري وقد وجدت في لحيتي شعرات بيضا ، فقلت أنا فيه :

هنيئاً كمالَ الدين فضلاً حُبيتَهُ ونعماءَ لم يُخْصَصْ بها أحدٌ قبلُ
لِداتُكَ في شغلٍ بداعيةِ الصبا وأنت بتحصيل المعالي لك الشغل
بلغتَ لعشرٍ من سنينك رتبةً من المجد لا يسطيعها الكاملُ الكهل
ولما أتاك الحلم والفهم ناشئاً أشابك طفلاً كي يتمَّ لك الفضل

ـ 862 ـ

عمر بن ثابت أبو القاسم الثمانيني النحوي الضرير : إمام فاضل وأديب كامل ، أخذ عن أبي الفتح ابن جني ، وكان خواص الناس في ذلك الوقت يقرءون على أبي القاسم عبد الواحد بن برهان الأسدي ، وعمومهم يقرءون على الثمانيني . مات الثمانيني في سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة في خلافة القائم بأمر الله ، وهو منسوب إلى سوق ثمانين ، بليد صغير بأرض جزيرة ابن عمر بأرض الموصل من ناحية قردى ، يقال إنها أول مدينة بنيت بعد الطوفان ، وسميت بذلك لأنهم زعموا أن الذين نجوا من السفينة كانوا ثمانين آدمياً .

وله من التصانيف : كتاب شرح اللمع . كتاب المفيد[1] في النحو . كتاب شرح التصريف الملوكي .

وجدت في بعض الكتب أن أولَ قرية بنيت بعد الطوفان ثمانين ، وإنما سميت

---

862 ـ ترجمة الثمانيني في نزهة الألباء : 256 والمنتظم 8 : 146 ومعجم البلدان (ثمانين) وابن خلكان 3 : 443 وعبر الذهبي 3 : 200 والوافي 22 : 443 ونكت الهميان : 220 ومرآة الجنان 3 : 61 والبداية والنهاية 12 : 62 والبلغة : 171 وبغية الوعاة 2 : 217 والشذرات 3 : 269 وإشارة التعيين : 238 .

(1) الوافي : المقيد .

بهذا الاسم لأنّ ثمانين نفراً خرجوا من السفينة وبنوها ، ولما خرجوا من السفينة نزلوا قردَى وبازبدَى بأرض الموصل ، وهي قرية الثمانين ، ثم وقع فيهم الوباء فماتوا إلا نوح وسام بن نوح وحام ويافث ونساؤهم وطبقت الدنيا منهم ، فذلك قوله عز وجل ﴿ وجعلنا ذريته هم الباقين ﴾ (الصافات: 77) .

ـ 863 ـ

عمر بن جعفر بن محمد الزعفراني أبو القاسم : يلقب دومى ، أحد أعيان أهل الأدب المخصصين بمعرفة علم الشعر من القوافي والعروض وغير ذلك ، ذكره محمد بن إسحاق النديم ، وكان في عصره . وله كتاب العروض في خمس مجلدات ضخمة رأيتها بخطه في وقف جامع حلب . وله كتاب القوافي . كتاب اللغات (ذكرهما ابن النديم) .

ـ 864 ـ

عمر بن الحسين الخطاط غلام ابن حرنقا : كان كاتباً مليح الخط محظوظاً منه ، وكان يكتب على طريقة علي بن هلال البواب ويجيد في ذلك ، وخطه مشهور عند كتاب الآفاق معروف ، مات في ما ذكره صدقة بن الحسين الحيار في حادي عشر جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة ودفن في داره بدرب الدواب ، وكان له من آلة الكتابة ما لم يكن لأحدٍ قبله ، وذلك أنه حدثني محمد بن البرفطي الكاتب قال حدثني أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي أنه بيع له في تركته آلة الكتابة بتسعمائة دينار إمامية[1] ، من جملة ذلك دواة بازهر اشتراها بعض ولد زعيم الدين بن جعفر صاحب المخزن بسبعمائة[2] دينار، وبيع له بالباقي سكاكين وأقلام وبراكر وما شاكل ذلك .

---

863 ـ ترجمة الزعفراني في الفهرست : 92 والوافي 22 : 445 وبغية الوعاة 2 : 217 .

864 ـ ترجمة غلام ابن حرنقا في الوافي 22 : 455 .

(1) الصفدي : أميرية . (2) م : بتسعمائة .

ـ 865 ـ

عمر بن شبة بن عبيدة بن ريطة البصري أبو زيد مولى بني نمير ، واسم شبة زيد ، وإنما سمي شبة لأنَّ أمه ترقصه وتقول :

يا بأبي وشبَّا وعاش حتى دبَّا شيخاً كبيراً خبَّا

مات لست بقين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وستين ومائتين بسامرا ، وبلغ من السن تسعين سنة . وكان أبو زيد راوية للأخبار عالماً بالآثار أديباً فقيهاً صدوقاً . قال المرزباني : وهو القائل للحسن بن مخلد :

ضاعت لديك حقوق واستهنت بها والحرُّ يألم من هذا ويمتعضُ

إني سأشكر نعمى منكَ سالفةً وإن تخوَّنها من حادثٍ عَرَضُ

وله :

أصبحتُ كلاًّ على أناسٍ قد كنتُ عن مثلهم عَزُوفا

قال محمد بن إسحاق : وله من التصانيف كتاب الكوفة . كتاب البصرة . كتاب أمراء المدينة . كتاب أمراء مكة . كتاب السلطان . كتاب مقتل عثمان رضي الله عنه وأرضاه . كتاب الكتاب . كتاب الشعر والشعراء . كتاب الأغاني . كتاب التاريخ . كتاب أخبار المنصور . كتاب أخبار محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن بن حسن . كتاب أشعار الشُّراة . كتاب النسب . كتاب أخبار بني نمير . كتاب ما يستعجم الناس فيه من القرآن . كتاب الاستعانة بالشعر وما جاء في اللغات . كتاب الاستعظام . كتاب النحو ومن كان يلحن من النحويين . كتاب طبقات الشعراء .

وكان لأبي زيد ابن اسمه أبو طاهر أحمد ، وكان شاعراً مجيداً ، اعتبط قبل أن يبلغ مبلغ المشهورين ، مات بعد أبيه بعشر سنين . ومن شعر عمر بن شبة :

---

865 ـ ترجمة ابن شبة في : نور القبس : 231 والفهرست : 125 وتاريخ بغداد 11 : 208 والمنتظم 5 : 41 والمعجم المشتمل : 201 وابن خلكان 3 : 440 وتهذيب الأسماء واللغات 2 : 16 وتذكرة الحفاظ : 516 وعبر الذهبي 2 : 25 وسير الذهبي 12 : 369 وغاية النهاية 1 : 592 والوافي 22 : 488 وتهذيب التهذيب 7 : 460 وبغية الوعاة 2 : 218 والشذرات 2 : 146 .

وقـائلة لم يبقَ لـلنـاس سيـدٌ فقلتُ بلى عبد الرحيم بن جعفر

ومن شعر ابنه أبي طاهر أحمد :

نـظرتُ فلم أر في العسكـر كشؤمي .وشؤم أبـي جعفـر

غـدا النـاسُ للعيدِ في زينة من اليـوم في منـظرٍ أزهـر

ونغـدو عليـهم بـلا أهبـةٍ فـراراً من المنـزل المـقفر

فنقـعـدُ للشـؤم في عـزلـةٍ من النـاس ننـظرُ في دفتـر

ـ 866 ـ

عمر بن عثمان بن الحسين بن شعيب الجنزي أبو حفص ، من أهـل ثغر جنزة :

ذكره عبد الكريم السمعاني فقال : هو أحد أئمة الأدب ، وله باع طـويل في الشعر والنحو ، ورد بغداد وأقام بها مدة ، وصحب الأئمة واقتبس منهم ، وأكثر ما قرأ الأدب على أبي المظفر الأبيوردي ، ثم رجع إلى بلده وعاد ثانيـاً إلى بغداد وذاكـر الفضلاء بها وبالبصرة وخوزستان، وبرع في العلم حتى صار علاّمة زمانه، وأوحد عصره وأوانه ، وكان غزير الفضل وافر العقل حسن السيرة كثير العبادة متودداً سخي النفس ، صنف التصانيف وجمع الجموع ، وشرع في إملاء تفسيـر لو تم لم يوجد مثله . سمع بهمذان عبد الرحمن الدوني ، كتبت عنه بمرو ، وأنشدني لنفسه :

أحـاديَ عِيسي إن بلغتَ مقـامي فبلّغْ صحابي لا عدمتَ سـلامي

وخبـرهمُ عما أعـاني من الجوى ومن لوعتي في هجرهـم وسقامي

وقـل لهمُ إني متى مـا ذكـرتكم غصصتُ لـذكراكم بكـلّ طعـام

وان دموعي كلّمـا لاح كـوكبٌ ترقرق في خدّي كصوب غمـام

وإن هبَّ من أرضِ الحبيب نُسَيْمَةٌ تَقَلْقَـلَ أحشـائي وهـاج غـرامي

866 ـ له ترجمة في الأنساب واللباب (الجنزي) ومعجم البلدان (جنزة) وإنباه الرواة 2 : 329 وبغية الوعاة 2 : 220 والوافي (خ) وثغر جنزة من قرى أذربيجان .

وان غـرَّدتْ وهنـاً حمـامـةُ أيكـةٍ		أجبت(1) بنوحي لحنَ كلِّ حمامِ

وله :

قـالتْ وَخـطتْـك شيبـةٌ كـالعينِ		كم تـذرفُ عينـاك ذروفَ العينِ

قـد قلتُ لهـا أيـا سـوادَ العينِ		يـزدادُ مـن الثلـوج مـاءُ العيـنِ

العين الأولى الطليعة .

ومات الجنزي في رابع عشر ربيع الآخر سنة خمسين وخمسمائة بمرو وقد جاوز السبعين .

وذكره أبو الحسن ابن أبي القاسم البيهقي في « كتاب الوشاح » فقال : هو إمام في النحو والأدب لا يشق فيهما غباره ، ومع ذلك فقد تحلّى بالورع ونزاهة النفس ، لكن الزمان عانده وما بسط في أسباب معاشه يده ، جاسَ خلال الديار وقال : أدركتُ زمانَ الأشجّ ، ورأيتُ مُصلّاه في طنجةَ المغرب إلا أني لم أمكث حتى أراه . وأدَّب بنيسابور أولاد الوزير فخر الملك ، ثم ارتحل من نيسابور في شهور سنة خمس وأربعين وخمسمائة ، ثم لم يعد إليها ، وقضى نحبه بعد انتقاله من نيسابور بأيام قلائل ، وأنشد له قصيدة واحدة في مدح الإمام محمد بن حمويه منها :

ألم تـذكـرا ربعـاً بعسفـانَ عـامـراً		وبيضـاً يـودّعـن الأحبـة خُـرَّدا

يُشعْثْنَ بـالعنّـاب ضِغْثَ بنفسـجٍ		ويضـربن بالأسـروعِ خـدًّا مـوردا

كـأن النوى لم تلقَ غيـر جوانحي		ومقلتيّ العبـرى مَـراداً ومـوردا

وَتُذْري على الوردِ الجمانَ بنرجسٍ		حمتـه بنـانٌ تتـرك الصبَّ مُقْصَـدا

وشـابهتهـا إذ أعـرضتْ في ثـلاثـة		تـزيـدُ لهـا حسنـاً وتـورثنـا الـردى

حكى خـدُّهـا دمعي وقلبي قُلْبهـا		وحـاجبَهـا قـدّي لمـا قـد تـأودا

وإن بخلتْ عيني وضَنَّتْ بمـائهـا		إذاً جـاد قلبي بـالـدمـاء وأنجـدا

وابـدعُ منـه انَّ حـرَّ أضـالعي		ولوعاتها تُغْلي الشرابَ(2) المبـردا

وتصعـدُ من صـدري ريـاحٌ بـواردٌ		إذا أنـا أُذْكِـرْتُ الـلوى متـنهـدا

---

(1) م والوافي : أحنّ

(2) م : التراب .

قرأت بخط أبي سعد : أنشدنا أبو حفص عمر بن عثمان الجنزي لنفسه يعزي الكمال المستوفي بزوجته :

إذا جلَّ قدرُ المرءِ جل مصابُ ... وكلُّ جليلٍ بالجليل يصابُ
يروحُ الفتى في غفلةٍ عن مآله ... ويشغله عنه هوىً وشبابُ
ولم يتفكر أنّ من عاش ميتٌ ... وأن الذي فوق التراب ترابُ
وان ثراءً يقتنيه مُشَتَّتٌ ... وأنّ بناءً يبتنيه خرابُ
ونعمةُ ذي الدنيا بلاءٌ ومحنةٌ ... ومأذيُّها سمٌّ يضرُّ وصابُ
وفرحتها عند الأكايسِ ترحةٌ ... وسلسالها للأولياءِ سرابُ
فلا يخدعنّ المرءَ نعمى حلالها ... حسابٌ عليه والحرامُ عقابُ
وللدهر مستوفٍ عليهم مناقشٌ ... له مع أهل الخافقين خطابُ
على كلِّ نفس مشرفان لربه ... غدا لهما فيما أتته كتابُ

وهي طويلة .

ـ 867 ـ

عمر بن عثمان بن خطاب بن بشير التميمي أبو حفص النحوي : مغربي له كتاب الأمر والنهي ويعرف بكتاب المكتفي .

ـ 868 ـ

عمر بن أبي عمر محمد بن يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن حماد بن

867 ـ ترجمته في بغية الوعاة 2 : 221 (عن ياقوت) وكذلك الوافي (خ) .

868 ـ لأبيه القاضي أبي عمر محمد بن يوسف ترجمة في تاريخ بغداد 3 : 401 والمنتظم 6 : 246 وسير الذهبي 14 : 555 والوافي 5 : 245 وكانت وفاة أبي عمر سنة عشرين وثلاثمائة ، أما ابنه عمر أبو الحسين فله ترجمة في المنتظم 6 : 307 (وكانت وفاته سنة 328) وانظر نشوار المحاضرة 1 : 240 وبغية الوعاة 2 : 226 (عن ياقوت) والوافي (خ) .

زيد بن درهم القاضي : حدث أبو القاسم التنوخي قال حدثني أبو الحسين بن عياش القاضي قال : لما قلّد المقتدر أبا الحسين ابن أبي عمر القاضي المدينةَ رئاسةً في حياة أبيه أبي عمر خلع عليه ، واجتمع الخلق من الأشراف والقضاة والشهود والجند والتجار وغيرهم على باب الخليفة ، حتى خرج أبو الحسين وعليه الخلع ، فساروا معه ، قال : وكنت فيهم للصهر الذي كان بينه وبينهم ولأنه كان أحد شهودهم ، فصار عمي وأنا معه في أخريات الناس والموكب خوفاً من الزحام ، ومعنا شيخ أسنّ أسماه أبو الحسين وأنسيته أنا ، فكنا لا نجتاز بموضع إلا سمعنا ثلبَ الناسِ لأبي الحسين وتعجبهم من تقلده رئاسة ، فقال عمي للشيخ : يا أبا فلان أما ترى كثرةَ تعجّبِ الناس من تقلُّد هذا الصبي مع فضله ونفاسته وعلمه وجلالة سلفه ؟! فقال : يا أبا محمد لا تعجب من هذا ، فلعهدي وقد ركبتُ مع أبي عمر يومَ خُلِعَ عليه بالحضرة ، وقد اجتزنا بالناس ـ وهم معجبون من تقلده ـ أضعاف هذا العجب ، حتى خفنا أن يثبوا علينا ، وهذا أبو عمر الآن وقدره في الفضل والنبل [معروف] ، ولكن الناس يسرعون إلى العجب مما لم يألفوه .

وله من التصانيف : كتاب غريب الحديث كبير لم يتم . كتاب الفرج بعد الشدة لطيف وهو مما أحسب أول من صنف في ذلك[1] .

حدث ابن نصر والخطيب عن أبي الطيب ابن زنجي المؤدب قال: كان بين أبي أحمد ابن ورقاء وبين القاضي أبي عمر وولده أبي الحسين مودة وكيدة ، فعنَّ لأبي أحمد سفرةٌ لم يودع فيها القاضيين ، فلما عاد من سفرته لم يقصداه ولم يعرفا خبره ، فكتب إليهما :

أأستجفي أبـا عمرٍ وأشكـو ... أم آستجفي فتـاه أبا الحسينِ

---

(1) بل سبقه إلى ذلك المدائني وابن أبي الدنيا ، انظر مقدمة الفرج بعد الشدة للتنوخي 1 : 52 وقد اطلع التنوخي على كتاب القاضي أبي الحسين فهو يقول (ص: 53) وقرات أيضاً كتاباً للقاضي أبي الحسين عمر بن القاضي أبي عمر محمد بن يوسف القاضي رحمهم الله في مقدار خمسين ورقة قد سماه كتاب الفرج بعد الشدة أودعه أكثر ما رواه المدائني وجمعه ، واضاف إليه أخباراً أخر أكثرها حسن ، وفيها غير ما هو مماثل عندي لما عزاه ولا مشاكل لما نحاه ، واتى في أثنائها بأبيات شعر يسيرة من معادن لأمثالها جمة كثيرة ، ولم يلم بما أورده ابن أبي الدنيا ، ولا أعلم أتعمد ذلك أم لم يقف على الكتاب .

بـأيِّ قضيـةٍ وبـأيِّ حـكمٍ ألحّا[1] في قـطيعـةِ واصلين

فمـا جـاءا ولا بعثـا رسولاً ولا كـانـا لحقّ قـاضيين[2]

وان من المـروءة أن يكـونـا لـمن والاهـمـا متـواليـين

فـان نعتبْ فحقـاً غيـرَ أنـا نُجِـلُّ على العتاب القـاضيين

وأنفذ الرقعةَ إلى أبي عمر ، فلما وقف عليها ألقاها إلى ولده أبي الحسين وقال : أجبه فأنت أقومُ بجواب هذا الكلام ، فكتب إليه :

تجنَّ واظلمْ فلستُ منتقـلاً عن خـالص الودِّ أيهـا الظالمْ

كتبتَ تشكـو قـطيعـةً سلفتْ وخلتَ أني لـحبلكم صـارمْ

تـركتَ حقَّ الـوداع منصـرفـاً وجئتَ تبغي زيـارةَ الـقـادمْ

كـأنّ حقّي عـليـكَ مُـطَّرَحٌ وحـقُّ مـا تبـتغيـه لي لازمْ

أمـران لم يـذهبا على فَطِنٍ وأنت بـالحكم فيهمـا عـالمْ

وبعـد ذا فـالعتـابُ من ثقـةٍ وصـدره من حفيـظة سـالمْ

فلما وقف عليها ركب إليهما وعاد معهما إلى ما كان عليه من المصافاة .

ـ 869 ـ

عمر بن محمد النسفي الحافظ ـ ونسف هي نخشب بما وراء النهر ـ : كنيته أبو حفص ، وصنف كتباً منها « كتاب القند في علماء سمرقند » ذكر فيه وقال : وموسى بن عبد الله الأغماتي قدم علينا سنة ست عشرة وخمسمائة ، وهو شاب فاضل ، وبقي عندي أياماً وكتب عني الكثير ، ولأجله جمعت كتاباً سميته « عجالة النخشبيّ لضيفه المغربي » وفيه قلت :

869 ـ هو عمر بن محمد بن أحمد ، وكتابه « القند في معرفة علماء سمرقند » ينقل عنه ابن العديم في بغية الطلب (انظر مثلاً 1 : 157) .

(1) الوافي : أجافي .

(2) الوافي : لحقي موجبين .

لقد طلع الشمسُ من غربها ... على خافقيها[1] وأوساطها
فقلنا القيامةُ قد أقبلتْ ... وقد جاءَ أولُ أشراطها

قال وأنشدني موسى الأغماتيّ لنفسه :

لعمرُ الهوى إني وإن شطَّتِ النوى ... لذو كبدٍ حرَّى وذو مَدْمَعٍ سَكْبِ
فان كنتُ في أقصى خراسانَ نازحاً ... فجسميَ في شرقٍ وقلبيَ في غربِ

- 870 -

عمر بن مطرّف الكاتب يكنى أبا الوزير ، من عبد القيس : كان من أهل مرو ، وكان يتقلد ديوان المشرق للمهدي ، وهو ولي عهد ، ثم كتب له في خلافته ، والهادي والرشيد ، وكان يكتب للمنصور وللمهدي ، وقيل إنه مات في أيامه ، والصحيح أنه مات في أيام الرشيد ، فحزن عليه وصلّى هو عليه بنفسه ، فلما فرغ من صلاته قال له[2] : رحمك الله ما عَرَضَ لكَ أمران أحدهما لله والآخر لك الا اخترت ما هو للّه على هواك .

وله من الكتب : كتاب مفاخرة العرب ومنافرة القبائل في النسب . كتاب منازل العرب وحدودها وأين كانت محلة كل قوم وإلى أين انتقل منها . كتاب رسائله .

قال محمد بن عبدوس : وكان الرشيد أمر بابطال دواوين الأزمة في سنة سبعين ومائة ، فأبطلت شهرين ، ثم أعيدت ووليها أبو الوزير عمر بن المطرف بن محمد

870 - عمر بن مطرف الكاتب أبو الوزير : ورد ذكره عند الجهشياري : 166 (حيث احتجم يوم خميس فجعل المهدي الخميس عطلة للكتاب ؛ وص : 265 حيث رثاه الرشيد ، وهو ما نقله المؤلف هنا ؛ وص 281 - 288 حيث أورد قائمة خراج عملها للرشيد أيضاً ، ولكن سائر ما ينقله المؤلف عن الجهشياري لم يرد في المطبوع منه ، ولم يستدركه ميخائيل عواد في « نصوص ضائعة ») ؛ وانظر الفهرست : 141 والوافي (خ) .

(1) كذا ، ولعله على حافتيها .
(2) ورد قول الرشيد عند الجهشياري : 265 والفهرست .

العبدي ، منسوب إلى عبد القيس لأنه كان مولاهم . وكان محمد بن مطرف[1] أحد كتّاب المهدي وتقلد له ديوان الخراج أيام مقامه بالري ، وتوفي مطرف بن محمد سنة أربع وأربعين ومائة في قول ، وقيل غير ذلك ، وقد ذكرته بعد هذا[2] .

وكان أبو الوزير عفيفاً متصوناً ، وكان يُبَخَّل . وحكي أنه كلم عمر بن العلاء في رجل فوهب له مائة ألف درهم ، فدخل أبو الوزير على الرشيد وقال له : يا أمير المؤمنين عمر خائن ، كلّمته في رجل كانت همته ألفا درهم فوهب له مائة ألف درهم ، فلم يضرَّه ذلك عند الرشيد لعلمه ببخل أبي الوزير . ولما انصرف عمر بن العلاء إلى حضرة أبي الوزير أغلظ له وشدد معاتبته لأجل ما وهب للرجل وقال له : قد كان يجزيه إذا أسرفت أن تهبَ له خمسة آلاف درهم ، قال له عمر بن العلاء : فاعمل على أني أعطيته بكتابك خمسة آلاف درهم ، وأعطيته لنفسي خمسة وتسعين ألف درهم .

وفي أبي الوزير يقول بعض الشعراء :

لبس الرياءَ وراح في أثوابه ... نحوَ الخليفةِ كاسراً لم يطرفِ

يبدي خلافَ ضميره ليغرَّهُ ... للّه در ريائك ابنَ مطرّفِ

وكان حج الرشيد في سنة ست وثمانين ومائة ، وقد حج الرشيد بعد ذلك أيضاً في سنة ثمان ، ولا أدري في أية حجتيه هاتين مات أبو الوزير .

- 871 -

عمرو بن أبي عمرو إسحاق بن مرار الشيباني : قد تقدم ذكر نسبه وولائه عند ذكر أبيه[3] ، وكان عمرو هذا قد أخذ علم أبيه وتصدر للقراءة عليه وأبوه حي . مات سنة إحدى وثلاثين ومائتين ، وقال الأزهري : مات سنة اثنتين وثلاثين ومائتين .

871 - ترجمته في تهذيب اللغة للأزهري 1 : 10 وطبقات الزبيدي : 204 وإنباه الرواة 2 : 360 وبغية الوعاة 2 : 228 والوافي (خ) وقد سمع منه ثعلب كتاب «النوادر» لأبيه ، وسمع منه أبو إسحاق الحربي ووثقه كل واحد منهما .

(1) لعل الصواب : مطرف بن محمد .

(2) لم ترد لمطرف ترجمة .

(3) انظر الترجمة رقم : 226 في ما تقدم .

ـ 872 ـ

عمرو بن بحر بن محبوب أبو عثمان الجاحظ مولى أبي القلمس عمرو بن قلع الكناني ثم الفقيمي أحد النُّسَّاء . قال يموت بن المزرع : الجاحظ خالُ أمي . وكان جد الجاحظ أسود يقال له فزارة ، وكان جمالاً لعمرو بن قلع الكناني . وقال أبو القاسم البلخي : الجاحظ كناني من أهل البصرة . وكان الجاحظ من الذكاء وسرعة الخاطر والحفظ بحيث شاع ذكره وعلا قدره واستغنى عن الوصف .

قال المرزباني ، حدث المازني[1] قال : حدثني من رأى الجاحظ يبيع الخبز والسمك بسيحان . قال الجاحظ : أنا أسن من أبي نواس بسنة ، ولدت في أول سنة خمسين ومائة وولد في آخرها . مات الجاحظ سنة خمس وخمسين ومائتين في خلافة المعتز وقد جاوز التسعين[2] . سمع من أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري ، وأخذ النحو عن الأخفش أبي الحسن وكان صديقه ، وأخذ الكلام عن النظام ، وتلقف الفصاحة من العرب شفاهاً بالمربد . وحدثت أن الجاحظ قال : نسيتُ كنيتي ثلاثة أيام حتى أتيتُ أهلي فقلتُ لهم : بم أُكنى ؟ فقالوا : بأبي عثمان . وحدث أبو هفان قال : لم أر قط ولا سمعت من أحبَّ الكتبَ و العلومَ أكثر من الجاحظ فانه لم يقع بيده كتابٌ قط إلا استوفى قراءته كائناً ما كان حتى إنه كان يكتري دكاكينَ الوراقينَ ويبيتُ فيها للنظر ، والفتح بن خاقان فانه كان يحضر لمجالسة المتوكل فإذا أراد القيامَ لحاجةٍ أخرج كتاباً من كمه أو خفه وقرأه في مجلس المتوكل إلى حين عوده إليه حتى في

872 ـ ترجمة الجاحظ في الفهرست : 208 ونور القبس : 230 وتاريخ بغداد 12 : 212 ونزهة الألباء : 132 وأمالي المرتضى 1 : 194 وابن خلكان 3 : 470 وسير الذهبي 11 : 526 وعبر الذهبي 1 : 456 وميزان الاعتدال 3 : 247 والوافي بالوفيات (خ) وسرح العيون ، 136 والبداية والنهاية 11 : 19 ولسان الميزان 4 : 355 وبغية الوعاة : 265 والشذرات 2 : 121 ؛ وقد نشر عدد جم من كتبه ورسائله وصدرت عنه عدة كتب وبحوث بالعربية وبغيرها من اللغات ، وما يزال « تقريظ الجاحظ » للتوحيدي من المصادر المهمة المحتجبة .

(1) م : المادي .

(2) قال المرزباني : وقد ناطح المائة .

الخلاء ، وإسماعيل بن إسحاق القاضي فإني ما دخلتُ إليه إلا رأيته ينظرُ في كتاب أو يقلّب كتباً أو ينفضها .

وقال المرزباني ، قال أبو بكر أحمد بن عليّ : كان أبو عثمان الجاحظ من أصحاب النظام[٦] وكان واسعَ العلم بالكلام كثيرَ التبحّرِ فيه شديدَ الضبطِ لحدوده ومن أعلم الناس به وبغيره من علوم الدين والدنيا ، وله كتبٌ كثيرة مشهورة جليلة في نصرة الدين وفي حكاية مذهب المخالفين ، والآداب والأخلاق ، وفي ضروبٍ من الجد والهزل ، وقد تداولها الناس وقرأوها وعرفوا فضلها ، وإذا تدبَّر العاقل المميز أمرَ كتبه علم أنه ليس في تلقيح العقول وشَحْذِ الأذهان ومعرفة أصولِ الكلام وجواهره وايصال خلاف الاسلام ومذاهب الاعتزال إلى القلوب كتبٌ تشبهها . والجاحظ عظيم القدر في المعتزلة وغير المعتزلة من العلماء الذين يعرفون الرجال ويميزون الأمور .

قال المرزباني : وكان الجاحظ ملازماً لمحمد بن عبد الملك خاصاً به ، وكان منحرفاً عن أحمد بن أبي دواد للعداوة بين أحمد ومحمد ، ولما قبض على محمد هرب الجاحظ ، فقيل له : لم هربت ؟ فقال : خفت أن أكون ثاني اثنين إذ هما في التنور ، يريد ما صنع بمحمد وإدخاله تنورَ حديد فيه مسامير كان هو صنعه ليعذِّب الناسَ فيه فعذب هو فيه حتى مات ، يعني محمد بن الزيات .

وحدث علي بن محمد الوراق قال : من كتاب الجاحظ الى ابن الزيات : لا والله ما عالج الناسُ داءً قطُّ أدوى من الغيظ ، ولا رأيت شيئاً هو أنفذُ من شماتة الأعداء ، ولا أعلم باباً أجمعَ لخصالِ المكروه من الذلّ ، ولكنّ المظلومَ ما دام يجد من يرجوه ، والمبتلى ما دام يجد من يرثي له ، فهو على سَبَبِ دَرَكٍ ، وإن تطاولت به الأيام ، فكم من كربة فادحة وضيقة مصمتة قد فتحت أقفالها وَفُكِّكَتْ أغلالها ، ومهما

---

(٦) وافق الجاحظ أستاذه النظام في معتقداته وانفرد عنه بمسائل : منها أنه قال المعارف كلها ضرورية وليس شيء منها مكتسباً سوى الارادة ؛ ومنها أنه أنكر أصل الارادة فقال إذا انتفى السهو عن الفاعل وكان عالماً بما يفعله فهو نفس الارادة حقيقة ، ومنها أنه قال : الجوهر لا يفنى ولا ينعدم ، ومنها انه قال : أهل النار لا يخلدون فيها عذاباً بل يصيرون إلى طبيعة النار ، ومنها : أن النار تجذب أهلها إلى نفسها دون أن يدخلها أحد بنفسه ، ومنها قوله إن القرآن جسد ... الخ (الوافي نقلاً عن الفرق الإسلامية لابن ابي الدم) .

قَصَّرْتُ فيه فلم أقصّرْ في المعرفة بفضلك وفي حسن النية بيني وبينـك ، لا مشتَّتَ الهوى ، ولا مُقَسَّم الأمل ، على تقصير قد احتملْته ، وتفريطٍ قد اغتفرته ، ولعلَّ ذلك أن يكونَ من ديون الإدلال وجـرائم الإغفال ، ومهمـا كان من ذلـك فلن أجمعَ بين الإساءة والإنكار ، وإن كنتُ كما تصفُ من التقصير ، وكما تعرف من التفريط ، فإني من شاكري أهل هذا الزمان وحسن الحال متوسط المذهب ، وأنا أحمد الله على أن كانت مرتبتك من المنعمين فوق مرتبتي في الشاكرين ، وقد كـانت عليَّ بك نعمـةٌ أذاقتني طعم العز ، وعودتني روح الكفاية ، والموت هذا الدهر وجهد . . . هذا قرداً وخنزيراً ترك فيهما مشابه من الإنسان ، ولما مسخ الله زماننا لم يترك فيه مشابه من الزمان .

وقال أبو عثمان : ليس جهد البلاء مدُّ الأعناق وانتظارَ وقع السيف ، لأن الوقت قصير ، والحين مغمور ، ولكن جهد البلاء أن تظهر الخلة ، وتطول المدة ، وتعجز الحيلة ، ثم لا تعدمُ صديقاً مؤنباً ، وابنَ عمّ شامتاً ، وجاراً حاسداً ، ووليّاً قد تحول عدواً ، وزوجة مختلعة ، وجارية مُسْبِعَة ، وعبداً يحقرك ، وولداً ينتهرك .

وقال الجاحظ : إذا سمعتَ الرجلَ يقول ما ترك الأول للآخر شيئاً فاعلم أنه ما يريد أن يفلح .

قال أبو حيان في « كتاب التقريظ » ومن خطه نقلت : وحدثنا أبو دلف الكاتب قال : صُدِّرَ الجاحظُ في ديوان الرسائـل أيامَ المـأمون ثـلاثةَ أيـام ، ثم إنه استعفى فأُعفي ، وكان سهل بن هارون يقول : إن ثبت الجاحظ في هذا الديـوان أفل نجم الكتاب .

قال أبو عبد الله المرزباني ، حدث إسحاق الموصلي وأبو العيناء قال[1] : كنت عند أحمد بن أبي دواد بعد قتل ابن الـزيات ، فجيء بـالجاحظ مقيـداً ، وكان من أصحاب ابن الزيات وفي ناحيته ، فلما نظر إليه قال : والله ما علمتـك إلا متناسياً للنعمة كفوراً للصنيعة معدداً للمساوي ، وما فُتّني باستصلاحي لك ، ولكنّ الأيام لا تصلحُ منك إلا لفساد طويتك ورداءة دخـلتك وسوء اختيارك وتغالب طبعك ، فقال له

(1) تاريخ بغداد 12 : 218 .

الجاحظ : خفِّضْ عليك ـ أيدك الله ـ فوالله لأن يكونَ لك الأمرُ عليَّ خيرٌ من أن يكون لي عليك ، ولأن أُسيءَ وتحسن أحسنُ عنك من أن أحسن فتسيء ، وأن تعفو عني في حال قدرتك أجملُ من الانتقام مني ، فقال له ابن أبي دواد : قبحك الله ، ما علمتك إلا كثير تزويق الكلام، وقد جعلت بيانك[1] أمامَ قلبك ثم اصطنعت[2] فيه النفاق والكفر، ما تأويل هذه الآية ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (هود: 102) قال تلاوتها تأويلها ، أعز الله القاضي ، فقال : جيئوا بحداد ، فقال : أعز اللّه القاضي ليفكَّ عني أو ليزيدني ؟ فقال : بل ليفكَّ عنك ، فجيء بالحداد ، فغمزه بعضُ أهل المجلس أن يَعْنُفَ بساقِ الجاحظ ويطيلَ أمره قليلاً ، فلطمه الجاحظ وقال : اعمل عملَ شهر في يوم ، وعملَ يوم في ساعة ، وعمل ساعة في لحظة ، فإن الضرر على ساقي وليس بجذعٍ ولا ساجة ، فضحك ابن أبي دواد وأهل المجلس منه . وقال ابن أبي دواد لمحمد بنْ منصور وكان حاضراً : أنا أثق بظرفه ولا أثق بدينه ، ثم قال : يا غلام صِرْ به إلى الحمام وأمطْ عنه الأذى ، واحمل إليه تختَ ثياب وطويلةً[3] وخفاً، فلبس ذلك ثم أتاه فتصدر في مجلسه، ثم أقبل عليه وقال : هات الآن حديثك يا أبا عثمان .

ومن شعر الجاحظ في ابن أبي دواد :

وعويصٌ من الأمور بهيمٌ ... غامضُ الشخصِ مظلم مستورُ
قد تسنمتَ ما توعَّرَ منه ... بلسانٍ يزينه التحبيرُ
مثلُ وَشْيِ البرودِ هلهله النسـ ... ـجُ وعند الحِجَاجِ درٌّ نثيرُ
حَسَنُ الصمتِ والمقاطع إما ... نصتَ القوم والحديثُ يدور
ثم من بعدُ لحظةٌ تورثُ اليسـ ... ـرَ وَعِرْضٌ مهذّبٌ موفور

وكتب الجاحظ إلى أحمد بن أبي دواد :

لا تراني وإن تطاولتُ عمداً ... بين صفيهمُ وأنت تسيرُ

---

(1) م: ثيابك .
(2) م: اصطفيت .
(3) الطويلة صفة للقلنسوة .

كلهم فاضلٌ عليَّ بمالٍ ولساني يزينه التحبير
فإذا ضمّنا الحديثُ وبيتٌ وكأني على الجميع أمير
ربَّ خصم أرقُّ من كل روحٍ ولفرطِ الذكا يكادُ يطير
فإذا رام غايتي فهو كابٍ وعلى البعد كوكبٌ مبهور

وحدث أبو العيناء عن إبراهيم بن رباح قال[1] : أتاني جماعة من الشعراء ، كلٌّ واحد منهم يدّعي أنه مدحني بهذه الأبيات وأجزيه عليها :

بدا حين أثرى بإخوانه ففلَّلَ عنهم شباةَ العدمْ
وذكره الدهر صَرْفَ الزمان فبادر قبل انتقالِ النِّعَم
فتىً خصّه اللّه بالمكرماتِ فمازج منه الحيا بالكرم
ولا ينكتُ الأرضَ عند السؤال ليقطع زواره عن نَعم

ويقال إن الجاحظ مدح بهذه الأبيات أحمد بن أبي دواد وإبراهيم بن رباح ومحمد بن الجهم . وحدث إبراهيم بن رباح قال : مدحني حمدان بن أبان اللاحقي ، وذكر مثل ما مضى ، وقال في آخره : فقال إن مادحك أعزك الله يجد مقالاً ، والجاحظ يملأ عينيه مني ولا يستحي[2].

قال وحدث يموت بن المزرع قال : هجا خالي أبو عثمان الجاحظ الجماز بأبيات منها :

نسبُ الجمازِ مقصو رٌ إليه منتهاهُ
تنتهي الأحسابُ بالنا سِ ولا تعدو قفاه

(1) تاريخ بغداد 12 : 215 وفيه « إبراهيم بن رياح » .

(2) في القصة اختصار أخل بمعناها ، ولتصويب ذلك أقول : توالى الشعراء كل منهم يدعي تلك الأبيات ويمدح بها إبراهيم بن رباح وبينهم اللاحقي ، ثم كان آخر من دخل عليه الجاحظ ومدحه وأعطاه عليها مالاً ، ثم إن إبراهيم كان ذات يوم عند ابن أبي دواد ، فدخل الجاحظ وقال ابن أبي دواد لإبراهيم بن رباح : يا أبا اسحاق قد امتدحت بأشعار كثيرة ما سمعت بشيء وقع في قلبي وقبلته نفسي مثل أبيات مدحني بها أبو عثمان « بدا حين أثرى بإخوانه » فقال إبراهيم : وجد أيدك اللّه مقالاً فقال ، وظلّ الجاحظ ساكتاً ، وعجب إبراهيم من الجاحظ كيف لا يستحي من مدح ابن أبي دواد بقصيدة كان قد مدح بها إبراهيم .

فكتب إليه الجماز :

يا فتى نفسه إلى الـكفرِ بالله تائقهْ
لك في الفضلِ والتزهـدِ والنسكِ سابقه

ومن هجاء الجماز للجاحظ قوله :

قال عمرو مفاخراً نحن قومٌ من العربْ
قلت في طاعةِ لربـك أبليتَ ذا النسب

وحدث أبو العيناء محمد بن القاسم قال : كان لي صديق فجاءني يوماً فقال لي : أريد الخروج إلى فلان العامل وأحببت أن يكونَ معي إليه وسيلة ، وقد سألت مَنْ صديقه فقيل لي أبو عثمان الجاحظ ، وهو صديقك، وأحبُّ أن تأخذ لي كتابه إليه بالعناية ، قال : فصرتُ إلى الجاحظ فقلت له : جئتك مسلماً وقاضياً للحقّ ، ولي حاجة لبعض أصدقائي ، وهي كذا وكذا ، قال : لا تشغلنا الساعة عن المحادثة وتعرّف أخبارنا ، إذا كان في غدٍ وجهتُ إليك بالكتاب ، فلما كان من غد وجّه إليَّ بالكتاب فقلت لابني : وجّه هذا الكتاب إلى فلان ففيه حاجته ، فقال لي : إن أبا عثمان بعيد الغور فينبغي أن نفضه وننظرَ ما فيه ، ففعل فإذا في الكتاب : « هذا الكتاب مع من لا أعرفه ، وقد كلمني فيه من لا أوجب حقه ، فإن قضيت حاجته لم أحمدك، وإن رددته لم أذممك » فلما قرأت الكتاب مضيتُ إلى الجاحظ من فوري ، فقال : يا أبا عبد الله ، قد علمتُ أنك أنكرتَ ما في الكتاب ، فقلت : أو ليس موضع نكرة ؟ فقال: لا ، هذه علامة بيني وبين الرجل في من أعتني به ، فقلت : لا إله إلا الله ، ما رأيت أحداً [أعرف] بطبعك ولا [بما] جبلتَ عليه من هذا الرجل ، علمت أنه لما قرأ الكتاب قال : أمُّ الجاحظ عشرةُ آلاف في عشرة آلاف قحبة ، وأم من يسأله حاجة ، فقلت له : ما هذا تشتم صديقنا ؟! فقال : هذه علامتي فيمن أشكره ، فضحك الجاحظ وحدَّث الفتحَ بن خاقان وحدث الفتحُ المتوكل ، فذلك كان سببَ اتصالي به وإحضاري إلى مجلسه.

وحدث عبد الرحمن بن محمد الكاتب قال : كان الجاحظ يتقلَّدُ خلافة إبراهيم بن العباس الصولي على ديوان الرسائل ، فلما جاء إلى الديوان جاءه أبو

العيناء ، فلما أراد الانصراف تقدم الجاحظ إلى حاجبه إذا وصل إلى الدهليز أن لا يدعه يخرج ولا يمكنه من الرجوع إليه ، فخرج أبو العيناء ففعل به ذلك ، فنادى بأعلى صوته يا أبا عثمان قد أريتنا قدرتك فأرنا عفوك.

ومن كلام الجاحظ : احذر مَنْ تأمنُ فإنك حَذِرٌ ممن تخاف.

وقال : أجمع الناس على أربع : أنه ليس في الدنيا أثقل من أعمى ، ولا أبغض من أعور ، ولا أخف روحاً من أحول ، ولا أقود من أحدب .

قال المرزباني : وروى أصحابنا أن الجاحظ صار إلى منزل بعض إخوانه فاستأذن عليه ، فخرج إليه غلام عجمي فقال : من أنت ؟ قال الجاحظ : فدخل الغلام إلى صاحب الدار فقال : الجاحدُ على الباب ، وسمعها الجاحظ ، فقال صاحب الدار للغلام اخرجْ فانظر من الرجل ، فخرج يستخبر عن اسمه فقال : أنا الحدقي ، فدخل الغلام فقال : الحلقي ، وسمعها الجاحظ فصاح به في الباب : « ردُّنا إلى الأول » ، يريد أن قوله الجاحد مكان الجاحظ أسهل عليه من الحلقي مكان الحدقي ، فعرفه الرجل فأوصله واعتذر إليه.

وقال الجاحظ : أربعة أشياء ممسوخة : أكل الأرز البارد ، والنيك في الماء ، والقبل على النقاب ، والغناء من وراء ستارة.

وحدث قال الجاحظ مرة بحضرة السدري : إذا كانت المرأة عاقلة ظريفة كاملة كانت قحبة ، فقال له السدري : وكيف ؟ قال : لأنها تأخذ الدراهم ، وتمتع بالناس والطيب ، وتختار على عينها من تريد ، والتوبة معروضة لها متى شاءت ، فقال له السدري : فكيف عقلُ العجوز حفظها الله ؟ قال : هي أحمقُ الناسِ وأقلّهم عقلاً .

وحدث المبرد قال ، قال الجاحظ : أتيتُ أبا الربيع الغنوي أنا ورجل من بني هاشم فاستأذنّا عليه فخرج إلينا وقال : خرج إليكم رجل كريم والله ، فقلت له : من خيرُ الخلق يا أبا الربيع ؟ فقال : الناس والله، قلت: ومن خير الناس ؟ قال : العرب والله ، قلت : فمن خير العرب ؟ قال : مضر والله ، قلت : فمن خير مضر ؟ قال : قيس والله ، قلت : ومن خير قيس ؟ قال : أعصر والله ، قلت : فمن خير أعصر ؟ قال : غنّي والله . قلت : فمن خير غني ؟ قال : أنا والله . قلت : فأنت خير

الخلق . قال : أي والله ، قلت : أيسرك أنْ لو تزوجت بنت يزيد بن المهلب ؟ قال : لا والله لا أدنس كرمي بلؤمها ، قلت : على أنّ لك الجنة ، ففكر ساعة ثم قال : على أن لا تلد مني ، وأنشد :

تأبى لأعْصُرَ أعراقٌ مهذَّبَةٌ من أن تناسبَ قوماً غيرَ أكفاءِ

فإن يكن ذاك حتماً لا مردَّ له فاذكر حذيف فإني غير أبّاء

حذيفة بن بدر ، وإنما ذكره من بين الأشراف لأنه أقربهم إليه نسباً ، لأن أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان وحذيفة بن بدر بن عمرو بن جوية بن لوذان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان .

قال المرزباني : وحدث أبو الحسن الأنصاري ، حدثني الجاحظ قال : كان رجل من أهل السواد يتشيع، وكان ظريفاً، فقال ابن عم له: بلغني أنك تبغضُ عليًّا عليه السلام ، ووالله لئن فعلتَ لتردنّ عليه الحوضَ يومَ القيامة ولا يسقيك ، قال : والحوض في يده يوم القيامة ؟ قال : نعم ، قال : وما لهذا الرجل الفاضل يقتلُ الناسَ في الدنيا بالسيف وفي الآخرة بالعطش ؟! فقيل له : أتقولُ هذا مع تشيعك ودينك ؟ قال : والله لا تركتُ النادرة ولو قتلتني في الدنيا وأدخلتني النار في الآخرة .

وقال الجاحظ : ينبغي للكاتب أن يكونَ رقيقَ حواشي اللسان ، عذب ينابيع البيان ، إذا حاور سدَّد سهمَ الصواب إلى غرض المعنى ، لا يكلّم العامةَ بكلام الخاصة ولا الخاصة بكلام العامة .

وحدث المبرد قال : سمعت الجاحظ يقول : كلُّ عشق يُسَمّى حباً ، وليس كلُّ حبّ يسمى عشقاً ، لأن العشق اسمٌ لما فضل عن المحبة ، كما أن السرف اسم لما جاوز الجود ، والبخل اسم لما قصر عن الاقتصاد ، والجبن اسم لما فضل عن شدة الاحتراس ، والهَوَج اسم لما فضل عن الشجاعة .

وحدث ميمون بن هارون الكاتب عن الجاحظ قال : ذمَّ رجلٌ النبيذ فقال : من مثالبه أنّ صاحبه يتكرهه قبل شربه ، ويكلحُ وجهه عند شمه ، ويستنقصُ الساقي من قدره ، ويعتبر عليه مكياله ، ويمزجه بالماء الذي هو ضده ليخرجه عن معناه وحدّه ، ثم

يكرعه على المبادرة ويعبه ويتجرعه ولا يكاد يسيغه ليقلّ مكثه في فِيه ويسرع على اللهوات اجتيازه ، ثم لا يستوفي كليته ، ويرى أن يجعل عاقبةَ الشراب فضلةً في قدحه ، ويشاحّ الساقي في المناظرة على ما بقي منه عند رده ، ليصرف عن نفسه عادية شربه ويذهب بساعته ويمنع من تهوعه كما يفعل بطبخ الغاريقون عند شربه وحبّ الاسطيخمول .

وكان الجاحظ يقول : إن تهيأ لك في الشاعر أن تبره وترضيه وإلا فاقتله .

وقال أبو العيناء أنشدني الجاحظ لنفسه :

يطيبُ العيش أن تلقى حليماً … غذاه العلمُ والرأيُ المصيبُ

ليكشفَ عنك حيلَة كلِّ ريبٍ … وفضلُ العلم يعرفه الأريب

سقامُ الحرصِ ليس له شفاءٌ … وداءُ البخلِ ليس له طبيب

وأنشد المبرد للجاحظ :

إن حال لونُ الرأس عن لونه … ففي خضاب الرأسِ مستمتَعُ

هبْ من له شيبٌ له حيلةٌ … فما الذي يحتاله الأصلع

وحدث أبو العيناء قال ، قال الجاحظ : كان الأصمعي منانياً ، فقال له العباس ابن رستم : لا والله ولكن نذكرُ حين جلستَ إليه تسأله ، فجعل يأخذ نعله بيده ، وهي مخصوفة بحديد ، ويقول : نِعْمَ قناع القدريّ ، فعلمتَ أنه يعنيك فقمت .

وحدث يحيى بن علي بن المنجم قال[1] ، قلت للجاحظ : مثلك في علمك ومقدارك في الأدب يقول في « كتاب البيان والتبيين » ويكره للجارية أن تشبه بالرجال في فصاحتها ، ألا ترى إلى قول مالك بن أسماء الفزاري[2] :

وحديثٍ ألذُّهُ هُوَ مما … ينعتُ الناعتون يوزَنُ وزنا

منطقٌ صائبٌ وتلحنُ أحيا … ناً وخيرُ الحديثِ ما كان لحنا

فتراه من لحن الاعراب ، وإنما وصفها بالظُّرف والفطنة ، وإنما تلحن أي تورّي

(1) تاريخ بغداد 12 : 214 والوافي وأمالي المرتضى 1 : 14 .

(2) البيان والتبيين 1 : 147 وأمالي القالي 1 : 5 والسمط : 15 وفصل المقال : 5 .

في لفظها عن أشياء وتتنكب ما قصدت له ، فقال : فطنت لذلك ، قلت : فغيِّرْه ، قال فكيف لي بما سارت به الركبان ؟! فهو في كتابه على خطأه .

قال أبو محلم : أراد الفزاري بقوله هذا إن خيرَ الحديث ما أومأتْ إليَّ به وورَّتْ عن الإفصاح به لئلا يعلمه غيرنا ، ومثله قول الكلابي[1] :

ولقد لحنتُ لكم لكيما تفهموا ووحيتُ وحياً ليس بالمرتابِ

ومنه قوله تعالى : ﴿ ولَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ﴾ (محمد: 30) أي فيما يتواحونه بينهم من النفاق والطعن .

قال المؤلف[2] : وقد انتصر أبو حيان لهذا القول الذي اعترف الجاحظ بخطأه فيه فقال : وعندي أن المسألة محتملة للكلام ، لأن مقابل المنطق الصائب المنطقُ الملحون ، واللحنُ من الغواني والفتيات غير منكر ولا مكروه ، بل يُسْتَحَبُّ ذلك لأنه بالتأنيث أشبه ، وللشهوة أدعى ، ومع الغزل أجرى ، والإعرابُ جِدّ وليس الجِدُّ من التغزل والتعشُّق والتشاجي في شيء . وعلى مذهب علي بن يحيى أن المنطق الصائب هو الكلام الصريح ، وأن اللحنَ هو التعريض وانها تعرف هذا وهذا ، فهب أنَّ هذا المعنى مقبول لم ينبغي أن يكون المعنى الآخر لهوجاً ومردوداً ؟ وقد يجوز أن يكون مراد الشاعر ذاك لأنّ الشاعر يشعر بهذا كما يشعر بهذا .

قال أبو العيناء : أنشدني الجاحظ لنفسه في ابراهيم بن رباح :

وعهدي به والله يُصْلِحُ أَمْرَهُ رحيبُ مجالِ الرأي منبلجُ الصدر
فلا جعلَ الله الولايةَ سُبَّةً عليه فإني بالولاية ذو خُبْرِ
فقد جهدوه بالسؤال وقد أبى به المجدُ إلا أن يلجَّ ويستشري

قال أبو علي التنوخي ، حدثني أبو الحسن أحمد بن محمد الأخباري ، قال حدثني أبو الفرج الأصبهاني ، قال أخبرني الحسن بن القاسم بن مهرويه ، قال حدثني عبد الله بن جعفر الوكيل ، قال : كنت يوماً عند إبراهيم بن المدبر فرأيت بين يديه رقعة

---

(1) هو القتال كما في أمالي القالي 1 : 5 وأمالي المرتضى 1 : 14 واللسان (لحن) وديوانه : 36 .
(2) نقله الصفدي في الوافي .

يردّد النظر إليها ، فقلت له : ما شأن هذه الرقعة ؟ كأنه استعجم عليك شيء منه ، فقال : هذه رقعة أبي عثمان الجاحظ ، وكلامه يعجبني ، وأنا أردده على نفسي لشدة إعجابي ، فقلت : هل يجوز أن أقرأها ؟ قال : نعم ، وألقاها إليّ فإذا فيها : ما ضاء لي نهار ولا دجا ليل مذ فارقتك إلا وجدتُ الشوقَ إليك قد حزَّ في كبدي ، والأسفَ عليك قد أسقط في يدي ، والنزاعَ نحوك قد خان جلدي ، فأنا بين حشاً خفاقٍ ، ودمعٍ مُهراق ، ونفسٍ قد ذبلت بما تجاهد ، وجوانح قد أبليت بما تكابد ، وذكرت وأنا على فراش الارتماض ، ممنوعٌ من لذة الاغماض قولَ بشار[1] :

إذا هتف القمريُّ نازعني الهوى ... بشوق فلم أملكْ دموعي من الوجدِ
أبى الله إلا أن يفرقَ بيننا ... وكنا كماء المزن شيبَ مع الشهد
لقد كان ما بيني زماناً وبينها ... كما كان بين المسك والعنبر الورد

فانتظم وصف ما كنّا نتعاشر عليه ، ونجري في مودتنا إليه في شعره هذا . وذكرت أيضاً ما رماني به الدهر من فرقة أعزائي من إخواني الذين أنت أعزهم ، ويمتحنني بمن نأى من أحبائي وخلصاني الذين أنت أحبهم وأخلصهم ، ويجرعنيه من مرارة نأيهم وبعد لقائهم ، وسألت الله أن يقرنَ آياتِ سروري بالقرب منك ، وليِنَ عيشي بسرعة أوبتك ، وقلت أبياتاً تقصر عن صفة وجدي وكنه ما يتضمنه قلبي ، وهي :

بخدّيَّ من قطرِ الدموعِ ندوبُ ... وبالقلب مني مذ نأيتَ وجيبُ
ولي نفَسٌ حتى الدجى يصدعُ الحشا ... ورجعُ حنينٍ للفؤادِ مذيب
ولي شاهدٌ من ضُرِّ نفسي وسقمِهِ ... يخبّرُ عنّي إنني لكئيب
كأنيَ لم أُفجعْ بفرقةِ صاحبٍ ... ولا غاب عن عيني سواك حبيب

فقلت لابن المدبر : هذه رقعة عاشق لا رقعة خادم ، ورقعة غائب لا رقعة حاضر ، فضحك وقال : نحن ننبسط مع أبي عثمان إلى ما هو أرق من هذا وألطف ، فأما الغيبة فإننا نجتمع في كل ثلاثة أيام ، وتأخر ذلك لشغل عرض لي فخاطبني

---

(1) انظر ديوان بشار (جمع العلوي) : 83 ففيه الثالث مع بيتين آخرين غير ما ورد هنا .

مخاطبة الغائب ، وأقام انقطاع العادة مقام الغيبة .

قال الجاحظ : كان يأتيني رجل فصيح من العجم ، قال فقلت له : هذه الفصاحة وهذا البيان ، لو ادعيتَ في قبيلة من العرب لكنتَ لا تنازَع فيها ، قال : فأجابني إلى ذلك ، فجعلتُ أحفّظه نسباً حتى حفظه وهذّهُ هذاً ، فقلت له : الآن لا تته علينا ، فقال : سبحان الله إن فعلتُ ذلك فأنا إذاً دعيّ .

ومن كلام الجاحظ يصف البلاغة : ومتى شاكل أبقاك الله اللفظ معناه ، وكان لذلك الحال وفقاً ، ولذلك القدر لفقاً ، وخرج من سماجة الاستكراه ، وسلم من فساد التكلف ، كان قمناً بحسن الموقع ، وحقيقاً بانتفاع المستمع ، وجديراً أن يمنعَ جانبه من تأول الطاعنين ، ويحمي عرضه من اعتراض العائبين ، ولا تزال القلوب به معمورة ، والصدور به مأهولة ، ومتى كان اللفظ أيضاً كريماً في نفسه ، متخيراً من جنسه ، وكان سليماً من الفضول ، بريئاً من التعقيد ، حُبِّبَ إلى النفوس ، واتصل بالأذهان ، والتحم بالعقول ، وهشت له الأسماع ، وارتاحت له القلوب ، وخفَّ على ألسن الرواة ، وشاع في الآفاق ذكره ، وعظم في الناس خطره ، وصار ذلك مادةً للعالم الرئيس ، ورياضة للمتعلم الريّض . ومن أعاره من معرفته نصيباً ، وأفرغ عليه من محبته ذنوباً ، حبب إليه المعاني ، وسلس له نظام اللفظ ، وكان قد أغنى المستمع عن كدِّ التكلف ، وأراح قارىءَ الكتاب من علاج التفهم .

وقرأت بخط أبي حيان التوحيدي من كتابه الذي ألفه في « تقريظ الجاحظ » : وحدثنا أبو سعيد السيرافي ، وهمُّك من رجل ، وناهيك من عالم ، وشرعك من صدوق قال : حدثنا جماعة من الصابئين الكتّاب أن ثابت بن قرة قال : ما أحسدُ هذه الأمةَ العربيةَ إلا على ثلاثة أنفس فإنه :

عقم النساءُ فلا يلدنَ شبيهَهُ   إنَّ النساءَ بمثله عُقَّمُ

فقيل له : احص لنا هؤلاء الثلاثة ، قال : أولهم عمر بن الخطاب في سياسته ويقظته ، وحذره وتحفظه ، ودينه وتقيته ، وجزالته وبذالته ، وصرامته وشهامته ، وقيامته في صغير أمره وكبيره بنفسه ، مع قريحة صافية ، وعقل وافر ، ولسان عضب ، وقلب شديد ، وطوية مأمونة ، وعزيمة مأمومة ، وصدر منشرح ، وبال منفسح ، وبديهة

نضوح ، وروية لقوح ، وسر طاهر ، وتوفيق حاضر ، ورأي مصيب ، وأمر عجيب ، وشأن غريب ـ دعم الدين وشيد بنيانه ، وأحكم أساسه ورفع أركانه ، وأوضح حجته وأنار برهانه ، ملك في زي مسكين ، ما جنح في أمر إلى ونا ، ولا غضّ طرفه على خنا ، ظهارته كالبطانة ، وبطانته كالظهارة ، جَرَحَ وأسا ، ولان وقسا ، ومنع وأعطى ، واستخذى وسطا ، كل ذلك في الله ولله ، لقد كان من نوادر الرجال ، قال : والثاني الحسن بن أبي الحسن البصري ، فلقد كان من دراري النجوم علماً وتقوى ، وزهداً وورعاً ، وعفة ورقة ، وتألهاً وتنزهاً ، وفقهاً ومعرفة ، وفصاحة ونصاحة ، مواعظه تصل إلى القلوب ، وألفاظه تلتبسُ بالعقول ، وما أعرفُ له ثانياً ، لا قريباً ولا مدانياً ، كان منظره وفْق مخبره ، وعلانيته في وَزْنِ سريرته ، عاش سبعين سنة لم يُقْرَفْ بمقالةٍ شنعاء ، ولم يزنّ بريبة ولا فحشاء ، سليم الدين ، نقيّ الأديم ، محروس الحريم ، يجمع مجلسه ضروبَ الناس وأصناف اللباس ، لما يوسعهم من بيانه ، ويفيضُ عليهم بافتنانه ، هذا يأخذ عنه الحديث ، وهذا يلقن منه التأويل ، وهذا يسمعُ الحلالَ والحرام ، وهذا يتبع في كلامه العربية ، وهذا يجرِّدُ له المقالة ، وهذا يحكي الفتيا ، وهذا يتعلم الحكم والقضاء ، وهذا يسمع الموعظة ، وهو في جميع هذا كالبحر العجّاج تدفقاً ، وكالسراج الوهّاج تألقاً ، ولا تنسَ مواقفه ومشاهده بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الأمراء وأشباه الأمراء بالكلام الفصل ، واللفظ الجزل ، والصدر الرحب والوجه الصلب واللسان العضب ، كالحجاج وفلان وفلان ، مع شارةِ الدين ، وبهجة العلم ، ورحمة التقى ، لا تثنيه لائمة في الله ، ولا تذهله لائحة عن الله ، يجلس تحت كرسيه قتادةُ صاحبُ التفسير ، وعمروٌ وواصلٌ صاحبا الكلام ، وابن أبي إسحاق صاحب النحو ، وفرقد السبخي صاحب الدقائق ، وأشباه هؤلاء ونظراؤهم ، فمن ذا مثله ؟ ومن يجري مجراه ؟ والثالث أبو عثمان الجاحظ خطيب المسلمين ، وشيخ المتكلمين ، ومدره المتقدمين والمتأخرين ، إن تكلّم حكى سحبان في البلاغة ، وإن ناظر ضارع النظّام في الجدال ، وإن جدَّ خرج في مَسْكِ عامر بن عبد قيس ، وإن هزل زاد على مُزَبّد ، حبيب القلوب ، ومراح الأرواح ، وشيخ الأدب ، ولسان العرب ، كتبه رياض زاهرة ، ورسائله أفنان مثمرة ، ما نازعه منازع إلا رشاه آنفاً ، ولا تعرَّض له منقوصٌ إلا قدم له التواضع استبقاءً ، الخلفاءُ تعرفه ، والأمراءُ تصفه وتنادمه ، والعلماءُ

تأخذُ عنه ، والخاصة تسلِّم له ، والعامةُ تحبه ، جَمَعَ بين اللسانِ والقلم ، وبين الفطنة والعلم ، وبين الرأي والأدب ، وبين النثر والنظم ، وبين الذكاء والفهم ، طال عمره وفشت حكمته ، وظهرت خلته ، ووطىء الرجالُ عقبه ، وتهادَوْا أدبه ، وافتخروا بالانتساب إليه ، ونجحوا بالاقتداء به ، لقد أوتي الحكمةَ وفصل الخطاب . هذا قول ثابت ، وهو قول صابىء لا يرى للاسلام حرمة ، ولا للمسلمين حقاً ، ولا يوجبُ لأحدٍ منهم ذماماً ، قد انتقد هذا الانتقاد ، ونظر هذا النظر ، وحكم هذا الحكم ، وأبصر الحقَّ بعينٍ لا غشاوةَ عليها من الحول ، ونفسٍ لا لطخ بها من التقليد ، وعقل ما تخبَّلَ بالعصبية . ولسنا نجهل مع ذلك فضلَ غير هؤلاء من السلف الطاهر والخلف الصالح ، ولكنا عجبنا فَضْلَ عَجَبٍ من رجل ليس منّا ولا من أهل ملتنا ولغتنا ، ولعله ما خبر عمر بن الخطاب كلَّ الخبرة ، ولا استوعب كلّ ما للحسن من المنقبة ، ولا وقف على جميع ما لأبي عثمان من البيان والحكمة ، يقول هذا القول ، ويتعجَّبُ هذا العجَبَ ، ويحسد أمتنا بهم هذا الحسد ، ويختم كلامه بأبي عثمان ويصفه بما يأبى الطاعنُ عليه أن يكون له شيء منه ، ويغضب إذا ادعي ذلك له [وإنه] لموفر عليه ، هل هذا إلا الجهل الذي يُرْحَمُ المبتلى به .

قال أبو حيان : وحدثنا ابن مقسم [قيل لأبي هفان] وقد طال ذكر الجاحظ له : لم لا تهجو الجاحظ ، وقد ندَّد بك ، وأخذ بمُخَنَّقك فقال : أمثلي يُخْدعُ عن عقله ، والله لو وضع رسالةً في أرنبة أنفي لما أمستْ إلا بالصين شهرة ، ولو قلت فيه ألف بيتٍ لما طنَّ منها بيت في ألف سنة .

قال أبو حيان : سمعت أبا معمر الكاتب في ديوان بادوريا قال : كتب الفتح بن خاقان إلى الجاحظ كتاباً يقول في فصل منه : إن أمير المؤمنين يجدُ بك ويهشُّ عند ذكرك ، ولولا عظمتُكَ في نفسه لِعِلْمِكَ ومعرفتك لحال بينك وبين بُعْدك عن مجلسه ، ولغَصَبَكَ رأيك وتدبيرك فيما أنت مشغولٌ به ومتوِّفرٌ عليه ، وقد كان ألقى إليّ من هذا عنوانَهُ فزدتك في نفسه زيادةً كفَّ بها عن تجشيمك ، فاعرف لي هذه الحال ، واعتقد هذه المنة [واعكف] على « كتاب الردّ على النصارى » وافرغْ منه وعجِّلْ به إليّ ، وكن ممن حدا به على نفسه لتنال مشاهرتك . وقد استطلقته لما مضى ، واستسلفتُ

لكَ لسنةٍ كاملة مستقبلة ، وهذا مما لم تحتكم به نفسك . وقد قرأت رسالتك في بصيرة غنام ولولا أني أزيدُ في مَخِيلَتِكَ لعرَّفْتُكَ ما يعتريني عند قراءتها ، والسلام .

قال الجاحظ[1]: قلت للحزامي: قد رضيتَ بقول الناس فيك انك بخيل؟ قال: لا أعدمني الله هذا الاسم، [قلت: وكيف؟] قال: لأنه لا يقال فلان بخيل إلا وهو ذو مال، فإذا سلم المال فادعني بأيِّ اسم شئت؛ قلت: ولا يقال سخيٌّ إلا وهو ذو مال، فقد جمع هذا الاسمُ المالَ والحمد ، وجمع ذاك الاسمُ المالَ والذم ، قال : بينهما فرق ، قلت : هاته ، قال : في قولهم بخيل تثبيتٌ لاقامة المال في ملكه ، واسم البخيل اسم فيه حزم وذم ، واسم السخاء فيه تضييع وحمد ، والمال نافع مكرم لأهله معزّ ، والحمد ريح وسخرية ، واستماعه ضعف وفسولة ، وما أقل والله غناءَ الحمدِ عنه إذا جاع بطنه وعري جسده وشمت عدوه .

قال أبو حيان[2] : ومن عجيب الحديث في كتبه ما حدثنا بـه علي بن عيسى النحوي الشيخ الصالح قال : سمعت ابن الاخشاد شيخنا أبا بكر يقول : ذكر أبو عثمان في أول « كتاب الحيوان » أسماء كتبه ليكون ذلك كالفهرست ، ومرَّ بي في جملتها « الفرق بين النبي والمتنبيء » و « كتاب دلائل النبوة » وقد ذكرهما هكذا على التفرقة وأعاد ذكر الفرق في الجزء الرابع لشيء دعاه إليه ، فأحببت أن أرى الكتابين ، ولم أقدر إلا على واحد منهما ، وهو « كتاب دلائل النبوة » وربما لقب بالفرق خطأً ، فهمَّني ذلك وساءني في سوء ظفري به ، فلما شخصتُ من مصر ودخلت مكة حرسها الله تعالى حاجّاً أقمتُ منادياً بعرفات ينادي ، والنـاس حضور من الآفـاق على اختلاف بلدانهم وتنازح أوطانهم وتباين قبائلهم وأجناسهم من المشرق إلى المغرب ومن مهبِّ الشمال إلى مهب الجنوب وهو المنظر الذي لا يشابهه منظر : « رحم الله من دلَّنا على كتاب الفرق بين النبي والمتنبيء لأبي عثمان الجاحظ على أي وجه كان » . قال فطاف المنادي في ترابيع عرفات وعاد بالخيبة وقال : عجب[3] الناس مني ولم يعرفوا هذا الكتاب ولا اعترفوا به ؛ قال ابن اخشاد : وإنما أردتُ بهذا أن أُبلغَ نفسي عذرَها .

---

(1) وردت هذه القصة في كتاب البخلاء: 55 .

(2) نقلها أيضاً في الوافي .

(3) م : حجب ، والتصويب عن الوافي .

قال المؤلف : وحسبك بها فضيلةً لأبي عثمان أن يكون مثلُ ابن الاخشاد ، وهو هو في معرفة علوم الحكمة ، وهو رأسٌ عظيم من رؤوس المعتزلة ، يستهام بكتب الجاحظ حتى ينادي عليها بعرفات والبيت الحرام ، وهذا الكتاب موجود في أيدي الناس اليوم ، لا تكاد تخلو خزانة منه ، ولقد رأيت أنا منه نحو مائة نسخة أو أكثر .

ومن كتاب هلال : قال أبو الفضل ابن العميد : ثلاثةُ علومِ الناسُ كلهم عيالٌ فيها على ثلاثة أنفس : أما الفقه فعلى أبي حنيفة لأنه دوّن وخلّد ماجعل من يتكلم فيه بعده مشيراً إليه ومخبراً عنه ، وأما الكلام فعلى أبي الهذيل ، وأما البلاغة والفصاحة واللسن والعارضة فعلى أبي عثمان الجاحظ .

وحدث أبو القاسم السيرافي قال : حضرنا مجلس الأستاذِ الرئيس أبي الفضل فقصّر رجل بالجاحظ وأزرى عليه ، وحلم الأستاذ عنه ، فلما خرج قلت له : سكتّ أيها الأستاذ عن هذا الجاهل في قوله ، مع عادتك بالردّ على أمثاله فقال : لم أجد في مقابلته أبلغَ من تركه على جهله ، ولو واقفته وبينتُ له النظر في كتبه صار إنساناً ، يا أبا القاسم كتبُ الجاحظ تعلّم العقلَ أولاً والأدبَ ثانياً .

وحكى أبو علي القالي[1] عن أبي معاذ عبدان الخوئي[2] المتطبب قال : دخلنا يوماً بسرَّ من رأى على عمرو بن بحر الجاحظ نعوده وقد فُلج ، فلما أخذنا مجالسنا أتى رسولُ المتوكلِ إليه فقال : وما يصنعُ أمير المؤمنين بشقٍ مائل ولعاب سائل ؟! ثم أقبل علينا فقال : ما تقولون في رجل له شقان أحدهما لو غُرِز بالمسالّ ما أحس ، والشق الآخر يمرُّ به الذباب فيغوّث ، وأكثر ما أشكوه الثمانون[3] .

حدث أبو عبد الله الحميدي في «الجذوة»[4]، قرأت على الأمين بن أبي علي عن القاضي أبي القاسم البصري عن أبيه قال ، حدثنا محمد بن عمر بن شجاع المتكلم ، حدثنا أبو محمد الحسن بن عمرو النجيرمي قال : كنت بالأندلس ، فقيل لي إن هاهنا تلميذاً لأبي عثمان الجاحظ يعرف بسلّام بن زيد ويكنى أبا خلف ، فأتيته

---

(1) أمالي القالي 1 : 50 وجذوة المقتبس: 157 .

(2) الأمالي : الخولي .

(3) م : الثمانين .

(4) لم أهتد إلى موضعها في جذوة المقتبس ؛ وقد وردت في نشوار المحاضرة 8 : 202 .

فرأيتُ شيخاً هماً ، فسألته عن سبب اجتماعه مع أبي عثمان ، ولم يقع أبو عثمان إلى الأندلس فقال : كان طالبُ العلم بالمشرق يَشْرُفُ عند ملوكنا بلقاءِ أبي عثمان ، فوقع إلينا « كتاب التربيع والتدوير » له فأشاروا إليه ، ثم أردفه عندنا « كتاب البيان والتبيين » له فبلغ الرجل الصَّكَّاكَ[1] بهذين الكتابين ، قال : فخرجت لا أُعرِّجُ على شيء حتى قصدت بغداد ، فسألت عنه فقيل هو بسرّ من رأى ، فأصعدت إليها ، فقيل لي قد انحدر إلى البصرة ، فانحدرت إليها وسألت عن منزله فأرشدت ، ودخلت إليه فإذا هو جالس وحواليه عشرون صبياً ليس فيهم ذو لحية غيره ، فدهشت فقلت : أيكم أبو عثمان ؟ فرفع يده وحرّكها في وجهي وقال : من أين ؟ قلت : من الأندلس ، فقال : طينة حمقاء ، فما الاسم ؟ قلت : سلام ، قال : اسم كلب القراد ، ابن من ؟ قلت : ابن زيد[2] ، قال : بحقّ ما صرتَ ، أبو من ؟ قلت : أبو خلف ، قال : كنية قرد زبيدة ، ما جئت تطلب ؟ قلت : العلم ، قال : ارجع بوقت فانك لا تفلح ، قلت له : ما أنصفتني ، فقد اشتملتُ على خصالٍ أربع : جفاء البلدية ، وبعد الشقة ، وغرة الحداثة ، ودهشة الداخل ، قال : فترى حولي عشرين صبياً ليس فيهم ذو لحية غيري ما كان يجبُ أن تعرفني بها ؟ قال : فأقمت عليه عشرين سنة .

وهذا فهرست كتب الجاحظ : كتاب الحيوان وهو سبعة أجزاء ، وأضاف إليه كتاباً آخر سماه كتاب النساء وهو الفرق فيما بين الذكر والأنثى ، وكتاباً آخر سماه كتاب البغل[3] ، قال ابن النديم : ورأيت أنا هذين الكتابين بخط زكرياء بن يحيى ، ويكنى أبا يحيى ، وراق الجاحظ ، وقد أضيف إليه كتاب سموه كتاب الابل ليس من كلام الجاحظ ولا يقاربه .

وكتاب الحيوان ألفه باسم محمد بن عبد الملك الزيات ، قال ميمون بن هارون : قلت للجاحظ : ألك بالبصرة ضيعة ؟ فتبسم وقال : إنما أنا وجارية ، وجارية تخدمها ، وخادم وحمار ، أهديت كتاب الحيوان إلى محمد بن عبد الملك فأعطاني

---

(1) الصكاك أو السكاك : عنان السماء .

(2) م : يزيد .

(3) م : النحل .

خمسة آلاف دينار ، وأهديت كتاب البيان والتبيين إلى ابن أبي دواد فأعطاني خمسة آلاف دينار ، وأهديت كتاب الزرع والنخل إلى إبراهيم بن العباس الصولي فأعطاني خمسة آلاف دينار ، فانصرفت إلى البصرة ومعي ضيعةٌ لا تحتاج إلى تجديد ولا تسميد .

وكتاب البيان والتبيين نسختان أولة وثانية ، والثانية أصحّ وأجود . كتاب النبي والمتنبىء . كتاب المعرفة . كتاب جوابات كتاب المعرفة . كتاب مسائل كتاب المعرفة[1] . كتاب الردّ على أصحاب الإلهام . كتاب نظم القرآن ثلاث نسخ . كتاب مسائل القرآن . كتاب فضيلة المعتزلة . كتاب الرد على المشبهة . كتاب الإمامة على مذهب الشيعة . كتاب حكاية قول أصناف الزيدية . كتاب العثمانية[2] . كتاب الأخبار وكيف تصح . كتاب الردّ على النصارى . كتاب عصام المريد . كتاب الرد على العثمانية . كتاب إمامة معاوية . كتاب إمامة بني العباس . كتاب الفتيان . كتاب القواد[3] . كتاب اللصوص . كتاب ذكر ما بين الزيدية والرافضة . كتاب صياغة الكلام . كتاب المخاطبات في التوحيد . كتاب تصويب عليّ في تحكيم الحكمين . كتاب وجوب الإمامة . كتاب الأصنام . كتاب الوكلاء والموكلين . كتاب الشارب والمشروب[4] . كتاب افتخار الشتاء والصيف . كتاب المعلمين[5] . كتاب الجواري . كتاب نوادر الحسن . كتاب البخلاء[6] . كتاب الفخر ما بين عبد شمس ومخزوم . كتاب العرجان والبرصان[7] . كتاب فخر القحطانية والعدنانية . كتاب

---

(1) انظر ما لم ينشر من تراث الجاحظ للدكتور حاتم صالح الضامن (بغداد 1979) ورسائل الجاحظ 3 ـ 4 (الرسالة رقم: 13) .

(2) نشر هذا الكتاب بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون (القاهرة 1955) .

(3) في الجزء الأول من رسائل الجاحظ : رسالة في صناعات القواد (ص 379 ـ 393) .

(4) منه فصول في مجموع رسائله (3 ـ 4 : رقم: 27) .

(5) من هذا الكتاب فصول كثيرة منثورة في كتب الأدب وبخاصة حول حماقة المعلمين ، وانظر مجموع رسائله 3 : 27 .

(6) طبع مرات ، والطبعة المعتمدة بتحقيق الدكتور طه الحاجري ، القاهرة 1948 .

(7) طبع مرتين ، الثانية منهما بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ، بغداد 1982 .

التربيع والتدوير[1] . كتاب الطفيليين . كتاب أخلاق الملوك[2] . كتاب الفتيا[3] . كتاب مناقب جند الخلافة وفضائل الأتراك[4] . كتاب الحاسد والمحسود[5] . كتاب الردّ على اليهود . كتاب الصرحاء والهجناء . كتاب السودان والبيضان[6] . كتاب المعاد والمعاش[7] . كتاب النساء . كتاب التسوية بين العرب والعجم . كتاب السلطان وأخلاق أهله . كتاب الوعيد . كتاب البلدان[8] . كتاب الأخبار . كتاب الدلالة على أن الامامة فرض . كتاب الاستطاعة وخلق الأفعال . كتاب المقينين والغناء والصنعة . كتاب الهدايا (منحول) . كتاب الاخوان . كتاب الردّ على من ألحد في كتاب الله عز وجل . كتاب آي القرآن . كتاب الناشىء والمتلاشي . كتاب حانوت عطار . كتاب التمثيل . كتاب فضل العلم . كتاب المزاح والجد[9] . كتاب جمهرة الملوك . كتاب الصوالجة . كتاب ذمّ الزنا . كتاب التفكر والاعتبار[10] . كتاب الحجر والنبوة . كتاب آل[11] إبراهيم بن المدبر في المكاتبة . كتاب إحالة القدرة على الظلم . كتاب أمهات الأولاد . كتاب الاعتزال وفضله عن الفضيلة . كتاب الأخطار والمراتب والصناعات . كتاب أحدوثة العالم . كتاب الردّ على من زعم أن الانسان جزء لا يتجزأ . كتاب أبي النجم وجوابه . كتاب التفاح[12] . كتاب الأنس والسلوة . كتاب الكبر المستحسن والمستقبح . كتاب نقض الطب . كتاب الحزم والعزم . كتاب عناصر الآداب . كتاب تحصين الأموال . كتاب الأمثال . كتاب فضل الفرس . كتاب

---

(1) حققها شارل بلا ، دمشق 1955 ونشرت غير مرة .

(2) لعلّ التاج في أخلاق الملوك المنسوب إليه هو الذي التبس بهذا الكتاب .

(3) الرسالة السابعة في الجزء الأول من مجموع رسائله .

(4) الرسالة الأولى في الجزء الأول من رسائله .

(5) انظر الرسالة الأولى من الجزء الثالث .

(6) الرسالة الرابعة (جـ : 1) .

(7) الرسالة الثانية (جـ : 1) .

(8) هنالك كتيب بهذا الاسم نشره الدكتور صالح أحمد العلي ، بغداد 1970 وهو في رسائله .

(9) في الجزء الأول من رسائله رسالة بعنوان في الجد والهزل (الخامسة) .

(10) نشر كتيب باسم الدلائل والاعتبار منسوباً للجاحظ (حلب 1928) ولا أدري مدى صحة هذه النسبة .

(11) آل : سقطت من الوافي .

(12) الوافي : كتاب الفتاح .

على[1] الهملاج . كتاب الرسالة إلى أبي الفرج ابن نجاح في امتحان عقول الأولياء . كتاب رسالة أبي النجم في الخراج . كتاب رسالته في القلم . كتاب رسالته في فضل اتخاذ الكتب . كتاب رسالته في كتمان السر . كتاب رسالته في مدح النبيذ . كتاب رسالته في ذم النبيذ[2] . كتاب رسالته في العفو والصفح . كتاب رسالته في إثم السكر . كتاب رسالته في الأمل والمأمول[3] . كتاب رسالته في الحلية . كتاب رسالته في ذم الكتّاب[4] . كتاب رسالته في مدح الكتّاب . كتاب رسالته في مدح الوراق . كتاب رسالته في ذم الوراق . كتاب رسالته في من يسمّى من الشعراء عمراً . كتاب رسالته اليتيمة . كتاب رسالته في فرط جهل يعقوب بن إسحاق الكندي . كتاب رسالته في الكرم إلى أبي الفرج ابن نجاح . كتاب رسالته في موت أبي حرب الصفار البصري . كتاب رسالته في الميراث . كتاب في الأسد والذئب . كتاب رسالته في كتاب الكيمياء . كتاب الاستبداد والمشاورة في الحرب . كتاب رسالته في القضاة والولاة . كتاب الملوك والأمم السالفة والباقية . كتاب رسالته في الرد على القولية . كتاب العالم والجاهل . كتاب النرد والشطرنج . كتاب غش الصناعات . كتاب خصومة الحول والعور . كتاب ذوي العاهات . كتاب المغنين . كتاب أخلاق الشطار .

وحدث يموت بن المزرع عن خاله الجاحظ قال : يُحَبُّ للرجل أن يكونَ سخياً لا يبلغُ التبذير ، شجاعاً لا يبلغُ الهوج ، محترساً لا يبلغ الجبن ، ماضياً لا يبلغ القحة ، قوالاً لا يبلغ الهذر ، صموتاً لا يبلغ العيّ ، حليماً لا يبلغ الذل ، منتصراً لا يبلغ الظلم ، وقوراً لا يبلغ البلادة ، ناقداً لا يبلغ الطيش ، ثم وجدنا رسول الله ﷺ قد جمع ذلك في كلمة واحدة وهي قوله : خير الأمور أوساطها ، فعلمنا أنه ﷺ قد أوتي جوامع الكلم وعلم فصل الخطاب .

(1) على : سقطت من الوافي .
(2) هناك رسالة في مدح النبيذ انظر 3 : 113 من رسائله .
(3) نشر كتاب بهذا الاسم في بيروت ، من السهل الجزم بعدم صحة نسبته للجاحظ .
(4) نشرت ضمن ثلاث رسائل ، كان قد اهتم بها يوشع فنكل .

وقال أبو زيد البلخي : ما أحسن ما قال الجاحظ : عقل المنشىء مشغول ، وعقل المتصفح فارغ.

وقال المرزباني باسناده عن المبرد ، سمعت الجاحظ يقول لرجل آذاه : أنت والله أحوج إلى هوان ، من كريم إلى إكرام ، ومن علم إلى عمل، ومن قدرة إلى عفو، ومن نعمة إلى شكر .

وقال الجاحظ في أبي الفرج نجاح بن سلمة يسأله إطلاق رزقه من قصيدة :

أقام بدار الخفض راضٍ بخفضه ... وذو الحزم يسري حين لا أحدٌ يسري
يظنُّ الرضى شيئاً يسيراً مهوّناً ... ودون الرضى كأسٌ أمرُّ من الصبر
سواءٌ على الأيام صاحبُ حنكةٍ ... وآخرُ كابٍ لا يَرِيشُ ولا يبري
خضعتُ لبعض القوم أرجو نواله ... وقد كنتُ لا أعطي الدنيةَ بالقسر
فلما رأيتُ المرءَ يبذلُ بشره ... ويجعل حُسْنَ البشر واقيةَ الوفر
ربعتُ على ظَلْعي وراجعتُ منزلي ... فصرتُ حليفاً للدراسة والفكر
وشاورتُ إخواني فقال حليمهم ... عليك الفتى المريَّ ذا الخلقِ الغمر
أعيذك بالرحمان من قول شامت ... « أبو الفرج المأمولُ يزهد في عمرو»
ولو كان فيه راغباً لرأيتَهُ ... كما كان دهراً في الرخاءِ وفي اليسر
أخاف عليك العينَ من كلِّ حاسدٍ ... وذو الودِّ منخوبُ الفؤاد من الذعر
فإن ترع ودِّي بالقبولِ فأهلُهُ ... ولا يعرفُ الأقدارَ غيرُ ذوي القدر

وحدث يموت بن المزرع قال : وجه المتوكل في السنة التي قتل فيها أن يحمل إليه الجاحظ من البصرة ، فقال لمن أراد حمله : وما يصنع أمير المؤمنين بامرىء ليس بطائل، ذي شق مائل، ولعاب سائل ، وفرج بائل ، وعقل حائل؟! وحدث المبرد قال : دخلت على الجاحظ في أخر أيامه فقلت له : كيف أنت ؟ فقال : كيف يكون من نصفه مفلوج لو حُزَّ بالمناشير ما شعر به ، ونصفه الآخر منقرس لو طار الذباب بقربه لآلمه ، وأشد من ذلك ست وتسعون سنة أنا فيها ، ثم أنشدنا :

أترجو أن تكونَ وانت شيخٌ ... كما قد كنت أيامَ الشبابِ

لقد كَذَبَتْكَ نفسك ليس ثوبٌ دريسٌ كالجديد من الثياب

وقال لمتطبب يشكو إليه علته : اصطلحت الأضدادُ على جسدي ، إن أكلتُ بارداً أخذ برجلي ، وإن أكلتُ حارّاً أخذ برأسي .

وحدث أحمد بن يزيد بن محمد المهلبي عن أبيه قال ، قال لي المعتز بالله : يا ابن يزيد ورد الخبر بموت الجاحظ ، فقلت لأمير المؤمنين طول البقاء ودوام النعماء ، قال وذلك في سنة خمس وخمسين ومائتين .

وفيه يقول أبو شراعة القيسي :

في العلم للعلماء إن يتفهموه مواعظُ
وإذا نسيتَ وقد جمعتَ علا عليك الحافظ
ولقد رأيتُ الظّرفَ دهراً ما حواه اللافظ
حتى أقام طريقَهُ عمرو بن بحر الجاحظ
ثم انقضى أمدٌ به وهو الرئيس الفائظ

ـ 873 ـ

عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر : ويقال أبو الحسن ، وأبو بشر أشهر ، مولى بني الحارث بن كعب ثم مولى آل الربيع بن زياد الحارثي . وسيبويه لقب ومعناه رائحة التفاح ، يقال كانت أمه ترقِّصه بذلك في صغره ، ورأيتُ ابنَ خالويه قد اشتق له غير ذلك فقال : كان سيبويه لا يزال من يلقاه يشمُّ منه رائحة الطيب فسمي سيبويه ، ومعنى سي ثلاثون وبوي الرائحة ، فكأنه رأى ثلاثين رائحة طيب ، ولم أر أحداً قال ذلك غير

873 ـ المعارف : 544 والفهرست : 57 وطبقات الزبيدي : 66 وأخبار النحويين البصريين : 15 وتهذيب الأزهري 1 : 19 ونور القبس : 95 ومراتب النحويين : 65 وتاريخ بغداد 12 : 195 ونزهة الألباء : 71 وتاريخ أبي المحاسن : 90 وإنباه الرواة 2 : 346 وابن خلكان 3 : 463 وسير الذهبي 8 : 311 وعبر الذهبي 1 : 278 والشريشي 2 : 17 وفهرسة ابن خير (صفحات متفرقة) ومرآة الجنان 1 : 445 والبداية والنهاية 10 : 176 والوافي (خ) والنجوم الزاهرة 2 : 99 وبغية الوعاة 2 : 229 ونفح الطيب 4 : 79 والشذرات 1 : 252 وروضات الجنات 5 : 319 وإشارة التعيين : 242 ولكوركيس عواد : سيبويه في آثار الدارسين ، بغداد 1978 .

ابن خالويه . وأصله من البيضاء من أرض فارس ومنشأه البصرة . مات فيما ذكره ابن قانع بالبصرة سنة احدى وستين ومائة[1] وقال المرزباني : مات بشيراز سنة ثمانين ومائة ، وذكر الخطيب أن عمره كان اثنتين وثلاثين سنة ، ويقال إنه نيف على الأربعين سنة ، وهو الصحيح ، لأنه قد روى عن عيسى بن عمر ، وعيسى بن عمر مات سنة تسع وأربعين ومائة ، فمن وفاة عيسى إلى وفاة سيبويه إحدى وثلاثون سنة ، وما يكون قد أخذ عنه إلا وهو يعقل ، ولا يعقل حتى يكون بالغاً ، والله أعلم.

وقال أحمد بن يحيى ثعلب في « أماليه » : قدم سيبويه العراق في أيام الرشيد وهو ابن نيف وثلاثين سنة ، وتوفي وعمره نيف وأربعون سنة بفارس . قال الأصمعي : قرأت على قبر سيبويه بشيراز هذه الأبيات ، وهي لسليمان بن يزيد العدوي :

ذهب الأحبةُ بعد طول تزاورٍ ونأى المزارُ فأسلموكَ وأقشعوا
تركوك أوحش ما تكونُ بقفرةٍ لم يؤنسوك وكربةٌ لم يدفعوا
قضي القضاءُ وصرتَ صاحبَ حفرةٍ عنك الأحبةُ أعرضوا وتصدَّعوا

وأخذ سيبويه النحو والأدب عن الخليل بن أحمد ويونس بن حبيب وأبي الخطاب الأخفش وعيسى بن عمر.

نقلت من خط أبي سعد السمعاني مما انتخبه من « طبقات أهل فارس وشيراز » تأليف الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز الشيرازي القصّار : بشير بن سعيد ، وقيل عمرو بن عثمان بن قنبر ، يكنى أبا بشر سيبويه النحوي عن الخليل بن أحمد ، وهو من الحارث بن كعب ، مات وكان على مظالم فارس ، وقبره في شيراز ، لم يزد في ترجمته على هذا . وورد بغداد وناظر بها الكسائي وتعصبوا عليه وجعلوا للعرب جعلاً حتى وافقوه على خلافه ، ولذلك قصة ذكرت فيما بعد.

وكان سبب طلب سيبويه النحو ما ذكرناه في أخبار حماد بن سلمة . وحدث أبو عبيدة قال : لما مات سيبويه قيل ليونس بن حبيب إن سيبويه قد ألَّفَ كتاباً في ألف ورقة من علم الخليل ، قال يونس : ومتى سمع سيبويه هذا كلّه من الخليل ؟ جيئوني

(1) قال المرزباني : وهم (أي ابن قانع) فيهما جميعاً أعني في الموضع والتاريخ .

بكتابه ، فلما نظر فيه رأى كلَّ ما حكى ، فقال : يجب أن يكونَ هذا الرجل قد صدق عن الخليل في جميع ما حكاه كما صدق فيما حكاه عني .

وذكر صاعد بن أحمد الجياني من أهل الأندلس في كتابه[1] قال : لا أعرف كتاباً ألف في علم من العلوم قديمها وحديثها فاشتمل على جميع ذلك العلم وأحاط بأجزاء ذلك الفن غير ثلاثة كتب : أحدها المجسطي لبطلميوس في علم هيئة الأفلاك ، والثاني كتاب ارسطاطاليس في علم المنطق ، والثالث كتاب سيبويه البصري النحوي ، فإن كلَّ واحد من هذه [الكتب الثلاثة] لم يشذَّ عنه من أصول فنه شيء إلا ما لا خطر له .

وكان[2] إذا أراد إنسان قراءةَ كتاب سيبويه على المبرد يقول له : أركبتَ البحر ، تعظيماً واستصعاباً.

وحدث محمد بن سلام قال[3] : كان سيبويه جالساً في حلقته بالبصرة ، فتذاكرنا شيئاً من حديث قتادة ، فذكر حديثاً غريباً وقال : لم يرو هذا إلا سعيد بن أبي العروبة ، فقال بعض ولد جعفر بن سليمان : ما هاتان الزائدتان يا أبا بشر ؟ فقال : هكذا يقال لأن العروبة هي الجمعة ، ومن قال ابن عروبة فقد أخطأ ، قال ابن سلام : فذكرتُ ذلك ليونس فقال : أصاب لله دره.

وحدث ابن النطاح قال[4] : كنت عند الخليل بن أحمد فأقبل سيبويه فقال الخليل : مرحباً بزائر لا يمل قال [أبو عمر المخزومي][5] وكان كثير المجالسة للخليل : وما سمعت الخليل يقولها لغيره . قال : وكان شاباً جميلاً نظيفاً.

وحدث أحمد بن معاوية بن بكر العليمي قال : ذكر سيبويه عند أبي فقال : عمرو بن عثمان ، قد رأيته ، وكان حدث السن ، كنت أسمع في ذلك العصر أنه أثبتُ مَنْ حَمَلَ عن الخليل ، وقد سمعته يتكلم ويناظر في النحو ، وكانت في لسانه حبسة ، ونظرتُ في كتابه فرأيت علمه أبلغَ من لسانه.

---

(1) طبقات الأمم : 31 ونقله الصفدي أيضاً .
(2) إنباه 2 : 348 .
(3) إنباه 2 : 351 ـ 352 وتاريخ بغداد 12 : 197 .
(4) إنباه 2 : 352 .
(5) زيادة من إنباه الرواة .

وحدث أبو الحسن سعيد بن مسعدة والمبرد وثعلب وجمعت بين أقاويلهم وحذفت التكرار قالوا[1] : قدم سيبويه إلى العراق على يحيى بن خالد البرمكي فسأله عن خبره فقال : جئتُ لتجمعَ بيني وبين الكسائي فقال : لا تفعل فإنه شيخ مدينة السلام وقارئها ومؤدب ولد أمير المؤمنين وكلٌّ من في المصر له ومعه ، فأبى إلا أن يجمع بينهما ، فعرف الرشيد خبره فأمره بالجمع بينهما ، فوعده بيوم ، فلما كان ذلك اليوم غدا سيبويه وحده إلى دار الرشيد فوجد الفراء والأحمر وهشام بن معاوية ومحمد بن سعدان قد سبقوه ، فسأله الأحمر عن مائة مسألة ، فما أجابه عنها بجواب إلا قال : أخطأت يا بصري ، فوجم سيبويه وقال : هذا سوء أدب ، ووافى الكسائي وقد شَقَّ أمره عليه ، ومعه خلق كثير من العرب ، فلما جلس قال له : يا بصري كيف تقول خرجت وإذا زيد قائم ، قال : خرجت وإذا زيد قائم ، قال : فيجوز أن تقول خرجت فاذا زيد قائماً ؟ قال : لا ، قال الكسائي : فكيف تقول قد كنت أظنّ أن العقرب أشدُّ لسعةً من الزنبور فإذا هو هي أو فإذا هو إياها ، فقال سيبويه : فإذا هو هي ولا يجوز النصب ، فقال الكسائي : لحنتَ ، وخطّأه الجميع . وقال الكسائي : العربُ ترفع ذلك كله وتنصبه ، ودفع سيبويه قوله ، فقال يحيى بن خالد : قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما فمن يحكم بينكما ؟ وهذا موضع مشكل ، فقال الكسائي : هذه العرب ببابك قد جمعتهم من كل أوب ، ووفدت عليك من كل صقع ، وهم فصحاء الناس ، وقد قنع بهم أهل المصرين ، وسمع أهلُ الكوفة والبصرة منهم ، فيحضرون وَيُسألون ، فقال يحيى وجعفر : قد أنصفت ، وأمر بإحضارهم ، فدخلوا وفيهم أبو فقعس وأبو دثار وأبو ثروان فسئلوا عن المسائل التي جرت بينهما ، فتابعوا الكسائي ، فأقبل يحيى على سيبويه فقال : قد تسمعُ أيها الرجل ، فانصرف المجلس على سيبويه ، وأعطاه يحيى عشرة آلاف درهم وصرفه ، فخرج وصرف وجهه تلقاء فارس وأقام هناك حتى مات غماً بالذَّرَب ، ولم يلبث إلا يسيراً ولم يعد إلى البصرة.

قال أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش[2] : وأصحاب سيبويه إلى هذه الغاية لا اختلاف بينهم أن الجواب كما قال سيبويه وهو : فإذا هو هي ، أي فإذا هو مثلها ،

---

(1) قارن بانباه الرواة 2 : 358 .

(2) إنباه 2 : 359 .

وهذا موضع رفع وليس بموضع نصب . فإن قال قائل : فأنت تقولُ خرجتُ فإذا زيدٌ قائم وقائماً ، فتنصب قائماً ، فلم لم يجز فإذا هو إياها لأن إيّا للمنصوب وهي للمرفوع ، والجواب في هذا أن قائماً انتصب على الحال وهو نكرة ، وإيا مع ما بعدها مما أضيفت اليه معرفة ، والحال لا تكون إلا نكرة فبطل إياها ولم يكن إلا هي وهو خبر الابتداء ، وخبر الابتداء يكون معرفة ونكرة ، والحال لا يكون إلا نكرة ، فكيف تقع إياها وهي معرفة في موضع ما لا يكون إلا نكرة وهذا موضع الرفع ؟ وقد قال أصحاب سيبويه : الأعراب الذين شهدوا للكسائي من أعراب الحطمة الذين كان الكسائي يقوم بهم ويأخذ عنهم.

ولما مرض سيبويه مرضه الذي مات فيه جعل يجود بنفسه ويقول[1] :

يؤملُ دنيا لتبقى له فمات المؤملُ قبلَ الأمَلْ
حثيثاً يروّي أصولَ النخيل فعاش الفسيلُ وماتَ الرجلْ

قالوا[2] : ولما اعتلّ سيبويه وضع رأسَهُ في حِجْرِ أخيه فبكى أخوه لما رآه لما به ، فقطرت من عينه قطرةٌ على وجه سيبويه ، ففتح عينه فرآه يبكي فقال :

أخيين كنّا[3] فَرَّقَ الدهرُ بيننا إلى الأمدِ الأقصى ومن يأمنُ الدهرا

وحدث أبو الطيب اللغوي[4] عن أبي عمر الزاهد قال ، قال ثعلب يوماً في مجلسه : مات الفراء وتحت رأسه كتاب سيبويه ، فعارضه أبو موسى الحامض بما قد كتبناه في أخباره[5] .

وحدث محمد بن عبد الملك التاريخي[6] فيما رواه عن ثعلب عن محمد بن سلام قال : حدثني الأخفش أنه قرأ كتاب سيبويه على الكسائي في جمعةٍ فوهب له

---

(1) إنباه 2 : 357 .
(2) نور القبس: 97 والإنباه 2: 358 .
(3) إنباه : وكنا جميعاً .
(4) مراتب النحويين : 87 .
(5) أي قال له : إنما كان لا يفارقه لانه كان يتتبع خطاه ولكنته .
(6) إنباه 2: 350 ـ 351 .

سبعين ديناراً ، قال : وكان الكسائي يقول لي : هذا الحرفُ لم أسمعه فاكتبه لي ، فأفعل . قال : وكان الأخفش يؤدِّبُ وَلَدَ الكسائي ؛ قال التاريخي : فكأن الجاحظ سمع هذا الخبر فقال ، مما يعدده من فخر أهل البصرة على أهل الكوفة : وهؤلاء يأتونكم بفلان وفلان وبسيبويه الذي اعتمدتم على كتبه وجحدتم فضله .

وحدث التاريخي أيضاً وهارون بن محمد بن عبد الملك الزيات ، قال هارون : دخل الجاحظ على أبي وقد افتصد فقال له : أدام الله صحتك ، ووصل غبطتك ، ولا سلبك نعمتك ، قال : ما أهديت لي يا أبا عثمان ؟ قال : أطرف شيء ، كتاب سيبويه بخط الكسائي وعرض الفراء .

وقال التاريخي ، قال الجاحظ[1] : أردت الخروجَ إلى محمد بن عبد الملك ففكرت في شيء أهديه له فلم أجد شيئاً أشرفَ من كتاب سيبويه ، وقلت له : أردت أن أهديَ لك شيئاً ففكرتُ فإذا كل شيء عندك ، فلم أرَ أشرفَ من هذا الكتاب ، وهذا كتاب اشتريته من ميراث الفراء ، قال : والله ما أهديتَ إليَّ شيئاً أحبَّ إليَّ منه .

وحدث التاريخيّ عن المبرد عن الزراري أبي زيد قال : قال رجل لسماك بالبصرة : بكم هذه السمكة ؟ قال : بدرهمان ، فضحك الرجل ، فقال السماك : ويلك أنت أحمق ، سمعتُ سيبويه يقول : ثمنها درهمان .

وحدث عن المبرد عن المازني عن الجرمي قال : في كتاب سيبويه ألف وخمسون بيتاً سألت عنها فعرف ألف ولم تُعْرَفْ خمسون .

وحدثت عن النظام أنه دخل على سيبويه في مرضه فقال له : كيف تجدُكَ أبا بشر ؟ قال : أجدني ترحلُ العافيةُ عني بانتقال[2] ، وأجد الداءَ يخامرني بحلول ، غير أني وجدتُ الراحةَ منذ البارحة . قلت : فما تشتهي ؟ قال : أشتهي أن أشتهي ؛ فلما كان من بعد ذلك اليوم دخلت إليه وأخوه يبكي وقد قطرت من دموعه على خده ، فقلت : كيف تجدك ؟ فقال :

يسرُّ الفتى ما كان قَدَّمَ من تُقىً ... إذا عرف الداءَ الذي هو قاتِلُهْ

---

(1) إنباه الرواة : 351 .

(2) قارن بنور القبس : 97 .

قال النظام : ثم مات من يومه .

وحدث أبو حاتم السجستاني قال : دخلت على الأصمعي في مرضه الذي مات فيه فسألته عن خبره ثم قلت : كم سنة مضى من عمرك ؟ فقال : لا أدري ، ولكني أحدثك ، كنتُ شاباً مقتبلاً فتزوجتُ فَوُلِدَ لي وولد لأولادي وأنا حي ، ثم أنشد :

إذا الرجالُ ولدت أولادها ... واضطربت من كِبَرٍ أعْضَادُهَا

وجعلت أسقامها تعتادها ... فهي زروعٌ قد دنا حصادها

فقلت له : في نفسي شيء أريد أن أسألك عنه ، قال : سل ، فقلت : حدثني بما جرى بينك وبين سيبويه من المناظرة ، فقال : والله لولا أني لا أرجو الحياة من مرضتي هذه ما حدثتك : إنه عُرِضَ عليَّ شيءُ من الأبياتِ التي وضعها سيبويه في كتابه ، ففسرتها على خلاف ما فسره ، فبلغ ذلك سيبويه ، فبلغني أنه قال : لا نَاظَرْتُهُ إلا في المسجد الجامع ، فصليتُ يوماً في الجامع ثم خرجتُ فتلقاني في المسجد فقال لي : اجلس يا أبا سعيد ، ما الذي أنكرتَ من بيتٍ كذا وبيت كذا ، ولِمَ فسرت على خلاف ما يجب ؟ فقلت له : ما فسرت إلا على ما يجب ، والذي فَسَّرْتَهُ أنت ووضعتَهُ خطأ ، تسألني وأجيب . ورفعت صوتي فسمع العامة فصاحتي ونظروا إلى لكنته ، فقالوا : غلب الأصمعيُّ سيبويه ، فسرَّني ذلك فقال لي : إذا علمتَ أنت يا أصمعيُّ ما نزل بكَ مني لم ألتفت إلى قول هؤلاء ، ونفض يده في وجهي ومضى . ثم قال الأصمعي : يا بنيّ فوالله لقد نزل بي منه شيء وددتُ أني لم أتكلم في شيء من العلم .

وعن أبي عثمان المازني قال ، حدثني الأخفش قال : حضرتُ مجلسَ الخليل ، فجاءه سيبويه فسأله عن مسألة وفسَّرها له الخليل فلم أفهمْ ما قالا ، فقمت وجلست له في الطريق فقلت له : جعلني الله فداءك ، سألتَ الخليل عن مسألة فلم أفهم ما ردّ عليك ففهمنيه ، فأخبرني بها فلم تقعْ لي ولا فهمتها ، فقلت له : لا تتوهم أني أسألك إعناتاً فاني لم أفهمها ولم تقع لي ، فقال لي : ويلك ومتى توهمتَ أنني أتوهمُ أنك تُعْنتني ، ثم زجرني وتركني ومضى .

وحدث المازني قال ، قال الأخفش : كنت عند يونس فقيل له : قد أقبل

سيبويه ، فقال : أعوذ بالله منه . قال : فجاء فسأله فقال : كيف تقول مررتُ به المسكينِ ؟ فقال جائز أن أجرَّه على البدل من الهاء ، قال فقال له : فمررت به المسكينُ على معنى المسكينُ مررت به ، فقال : هذا خطأ لأنّ المضمر قبل الظاهر . قال فقال له : إن الخليلَ أجاز ذلك وأنشد فيها أبياتاً ، فقال : هو خطأ ، فغمَّني ذلك ، قال : فمررت به المسكينَ ، فقال : جائز فقال : على أيِّ شيء ينصب ؟ فقال : على الحال ، فقال سيبويه : أليس أنت أخبرتني أن الحال لا تكونُ بالألف واللام ؟ فقال له : صدقت ، ثم قال لسيبويه ، فما قال صاحبك فيه ، يعني الخليل ؟ فقال سيبويه : قال لي إنه ينصبُ على الترخيم ، فقال : ما أحسن هذا ، ورأيته مغموماً بقوله نصبته على الحال .

- 874 -

عمرو بن مسعدة بن سعد بن صول بن صول الصولي ، كنيته أبو الفضل ، من جلة كتاب المأمون وأهل الفضل والبراعة والشعر منهم . وذكر الجهشياري أن مسعدة كان مولى خالد بن عبد الله القسري وأنه كان يكتب لخالد ، وكان بليغاً كاتباً مات في سنة أربع عشرة ومائتين ، وقيل في سنة سبع في أيام المأمون ، وكان مسعدة من كتاب خالد بن برمك ثم كتب بعده لأبي أيوب وزير المنصور على ديوان الرسائل .

قال الصولي ، قال أحمد بن عبد الله : كان لمسعدة أربعة بنين : مجاشع وهو الذي يقول فيه أبو العتاهية :

علمتَ يا مجاشعُ بنَ مسعده أن الشبابَ والفراغَ والجِدَهْ
مفسدةٌ للمرءِ أيُّ مَفْسَدَهْ

ومسعود وعمرو ومحمد ، وقد ذكر أن المنصور قال يوماً لكتابه : اكتبوا لي تعظيمَ الاسلام ، قال : فبدر مسعدة فكتب : الحمد لله الذي عظم الاسلام واختاره ،

---

874 ـ ترجمة عمرو بن مسعدة في الجهشياري : 216 ومعجم المرزباني : 33 وتاريخ بغداد 12 : 203 وابن خلكان 3 : 475 وإعتاب الكتاب : 116 وسير الذهبي 10 : 181 والوافي للصفدي (مخطوط) ؛ وهو ابن عم ابراهيم بن العباس الصولي ، وله شهرة في إجادة التوقيعات .

وأوضحه وأناره ، وأعزه وأنافه ، وشرَّفه وأكمله ، وتممه وفضله ، وأعزه ورفعه ، وجعله دينه الذي أحبه واجتباه ، واستخلصه وارتضاه ، واختاره واصطفاه ، وجعله الدين الذي تعبّد به ملائكته ، وأرسل بالدعاء عليه أنبياءه ، وهدى له من أراد إكرامه وإسعاده من خلقه ، فقال جلّ من قائل : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلَامُ ﴾ (آل عمران: 19) وقال جل وعلا : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنه ﴾ (آل عمران: 85) وقال : ﴿ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾ (الحج: 78) فبهذا الإسلام والدخول فيه والعلم به وأداء شرائعه والقيام بمفروضاته وصلت ملائكته ورسله إلى رضوان الله ورحمته وجواره في جنته ، وبه تحرزوا من غضبه وعقوبته ، وأمنوا نكال عذابه وسطوته . فقال المنصور : حسبك يا مسعدة ، اجعل هذا صدر الكتاب إلى أهل الجزيرة بالاعذار والانذار .

وأما عمرو بن مسعدة ففضله شائع ونبله ذائع أشهر من أن يُنَبَّهَ عليه ، أو يُدَلَّ بالوصف إليه ، قد ولي للمأمون الأعمالَ الجليلة ، وألحق بذوي المراتب النبيلة ، وسماه بعضُ الشعراء وزيراً لعظم منزلته لا لأنه كان وزيراً وهو قوله :

لقد أسعد الله الوزير ابن مسعدَهْ وبثَّ له في الناسِ شكراً ومحمدَهْ

في أبيات .

فحدث إسماعيل بن أبي محمد اليزيدي[1] قال : كان عمرو بن مسعدة أبيض أحمر الوجه ، وهو من أولاد صول الأكبر جدّ محمد بن صول بن صول ، وقد ذكرت أصلهم في أخبار إبراهيم بن العباس من هذا الكتاب[2] . وكان المأمون يسميه الرومي لبياض وجهه .

ووصف الفضل بن سهل بلاغة عمرو بن مسعدة فقال : هو أبلغ الناس ، ومن بلاغته أن كلَّ أحدٍ إذا سمع كلامه ظنَّ أنه يكتبُ مثله فإذا رامه بعد عليه ، وهذا كما قيل لجعفر بن يحيى ما حدُّ البلاغة ؟ فقال : التي إذا سمعها الجاهلُ ظنَّ أنه يقدرُ على مثلها فإذا رامها استصعبت عليه .

---

(1) م : الزيدي . (2) انظر الترجمة رقم: 16 .

وحدث العباس بن رستم قال : كان لعمرو بن مسعدة فرسٌ أدهم أغرّ لم يكن لأحدٍ مثلُهُ فراهةً وحسناً ، فبلغ المأمون خبره ، وبلغ عمرو بن مسعدة ذلك ، فخاف أن يأمر بقوده إليه فلا يكون له فيه محمدة ، فوجَّهَ به إليه هدية وكتب معه[1] :

يا إماماً لا يدانيه إذا عُدَّ إمامُ
فَضَلَ الناسَ كما يَفْضُلُ نقصاناً تمام
قد بعثنا بجوادٍ مثلُهُ ليس يرام
فرسٌ يزهَى به للحسن سرجٌ ولجام
دونه الخيلُ كما دونك[2] في الفضلِ الأنام
وجهه صبحٌ ولكن سائرُ الجسم ظلام
والذي يصلحُ للمولى على العبدِ حرام

وكتب عمرو بن مسعدة إلى الحسن بن سهل : أما بعد فإنك ممن إذا غرس سقى ، وإذا أسَّسَ بنى ، ليستتم تشييدَ أُسّه ، ويجتني ثمارَ غرسه ، وثناؤك عندي قد شارف الدروس ، وغرسك مُشْفٍ على اليبوس ، فتداركْ بناءَ ما أسست وسقيَ ما غرست ، إن شاء الله تعالى .

وحدث الصولي قال[3] : لما مات عمرو بن مسعدة رفع إلى المأمون أنه خلف ثمانين ألف ألف درهم ، فوقَّع على الرقعة : هذا قليلٌ لمن اتصل بنا وطالت خدمته لنا ، فبارك اللّه لولده فيه . وعمرو القائل في رواية المرزباني[4] :

ومستعذبٍ للهجر والوصلُ أعذبُ ... أكاتمه حبي فينأى وأقربُ
إذا جُدْتُ مني بالرضا جاد بالجفا ... ويزعمُ أني مذنبٌ وهو أذنب
تعلمْتُ ألوانَ الرضى خوفَ هجره ... وعلّمه حبي له كيفَ يغضب
ولي غيرُ وجهٍ قد عرفتُ طريقه ... ولكن بلا قلبٍ إلى أين أذهب

(1) معجم المرزباني : 33 .
(2) م : مثلك .
(3) أورد الخبر في الوافي .
(4) معجم المرزباني : 33 .

- 875 -

عمـرو بن كركـرة أبو مـالك الاعـرابي : كان يعلم بـالبـاديـة ، وورق في الحضرة ، وهو مولى بني سعد وكان راوية أبي البيـداء ، يقال إنـه كان يحفظ لغـة العرب ، وكان بصريَّ المذهب ، وكان أحدَ الطياب[1] ، قال الجاحظ : كان يزعم أن الأغنياء عند الله أكرم من الفقراء ، ويقول : إن فرعون عند الله أكرم من موسى ، وكان يلتقم الحارَّ الممتنع فـلا يؤذيه ، وصنف كتبـاً : منها كتـاب خَلْق الانسان . كتـاب الخيل .

وقال أبو الـطيب اللغوي في « كتـاب مراتب النحـويين »[2] : كان ابن منـاذر يقول : كان الأصمعي يجيب في ثلث اللغة ، وكان أبو عبيدة يجيب في نصفها ، وكان أبو زيد يجيب في ثلثيها ، وكان أبو مالـك يجيب فيها كلهـا ، وإنما عنى ابن منـاذر توسعهم في الرواية والفتيا ، لأن الأصمعي كان يضيّقُ ولا يجوّزُ إلا أصح اللغات ويلحّ في ذلك وَيَمْحَكُ ، وكان مع ذلك لا يجيب في القرآن وحديث النبي ﷺ ، فعلى هذا يـزيد بعضهم على بعض (لـه قصة في أخبـار ابن مناذر في « كتـاب الشعراء » من تصنيفنا)[3] .

- 876 -

عنبسة بن معدان الفيل : أخذ النحو عن أبي الأسود الدؤلي ، ولم يكن في من أخذ النحو أبرع منه ، وأما معنى تسميته بمعدان الفيل - فحدث محمد بن عبد الملك

875 - ترجمته في الفهرست : 49 وطبقات الزبيدي : 157 وتـاريخ أبي المحـاسن: 216 وإنباه الـرواة 2 : 360 والوافي للصفدي (خ) وبغية الوعاة 2 : 228 .

876 - ترجمة عنبسة في طبقات الزبيدي: 29 - 30 ومراتب النحويين : 19 وأخبار النحويين البصريين : 23 - 24 وتاريخ أبي المحاسن : 159 ونور القبس : 23 وإنباه الرواة 2 : 381 ونزهة الألباء: 6 - 7 والوافي للصفدي (خ) وبغية الوعاة 2 : 233 وإشارة التعيين : 246 .

(1) م : الطيبات .

(2) مراتب النحويين : 41 .

(3) ستـرد ترجمة ابن مناذر رقم : 1120 (وهي دخيلة على معجم الأدباء) وليس فيها خبره مع أبي مالك الأعرابي .

التاريخي عن يوسف بن يعقوب بن السكيت قال : حدثني عبد الرحيم بن مالك عن الهيثم بن عديّ عن أشياخه ، قال يوسف وحدثني مسلم بن محمد بن نوح عن هشام بن محمد عن رجل من قريش قال[1] : كانت لزياد بن أبيه فيلة ينفق عليها في كل يوم عشرة دراهم ، فأقبل رجل من أهل ميسان يقال له معدان فقال : ادفعوها إليَّ وأكفيكم المؤونة وأعطيكم عشرةَ دراهم في كلِّ يوم ، فدفعوها إليه ، فأثرى وابتنى قصراً، ونشأ له ابن يقال له عنبسة، فروى الأشعار وَظَرُفَ وفصح، وروى شعر جرير والفرزدق ، وانتمى إلى بني أبي بكر ابن كلاب ، فقيل للفرزدق : ها هنا رجل من بني أبي بكر ابن كلاب يروي شعر جرير ويفضّله عليك ووصفوه له، فقال : رجل من بني أبي بكر ابن كلاب على هذه الصفة لا أعرفه ، فأروني داره ، فأروه فقال : هذا ابن معدان الميساني ثم قصَّ قصته وقال :

لقد كان في معدانَ والفيلِ زاجرٌ لعنبسةَ الراوي عليَّ القصائدا

فروي البيت بالبصرة .

ولقي عنبسة أبا عيينة ابن المهلب فقال له أبو عيينة : ما أراد الفرزدق بقوله :

لقد كان في معدان والفيلُ زاجرٌ

فقال : إنما قال لقد كان في معدان واللؤمُ زاجر ، فقال أبو عيينة : وأبيك إن شيئاً فررتَ منه إلى اللؤم لعظيم . قال التاريخي : فحدثت بهذا الحديث أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلباً فَسُرَّ به وسألني أن أكتبه له ، فكتبته له ، والحديث على لفظ مسلم بن محمد بن نوح .

ـ 877 ـ

عوانة بن الحكم بن عوانة بن عياض بن وزر بن عبد الحارث بن أبي

877 ـ ترجمة عوانة في الفهرست : 103 ونور القبس : 263 والوافي للصفدي (خ) ونكت الهميان 222 ـ 223 .

(1) قارن بنور القبس وإنباه الرواة .

حصن بن ثعلبة بن جبير بن عامر بن النعمان : كان عالماً بالأخبار والآثار ثقة ، روى عنه الأصمعي والهيثم بن عدي وكثير من أعيان أهل العلم .

وقال أبو عبيدة في « كتاب المثالب » يقال في الحكم بن عوانة الكلبي إن أباه كان عبداً خياطاً ادعي بعدما احتلم ، وكانت أمه أمةً سوداء لآل أيمن بن خريم بن فاتك الأسدي ، وله إخوة موالٍ ، قال في ذلك ذو الرمة[1] :

أَلِكْنِي فإني مرسلٌ برسالةٍ إلى حَكَم من غير حبٍّ ولا قُرْبِ[2]
فلو كنتَ من كلبٍ صميماً هجوتُها ولكن لعمري لا إخالك من كلب
ولكنما أُخبرتُ أنكَ مُلْصَقٌ كما أُلصقت من غيرها ثلمةُ القعب
تَدَهْدَى فخرَّتْ ثلمةٌ من صميمه فَلُزَّ بأخرى بالغراءِ وبالشعب[3]

حدث أحمد بن يحيى قال : أنشدني ذو الرمة شعراً وعوانة بن الحكم حاضر ، فعاب شيئاً منه ، فقال فيه هذه الأبيات المتقدمة .

قال وقال محمد بن أحمد الكاتب ، وقال عياض بن وزر في ابنه عوانة[4] :

عجباً عجبتُ لمعشرٍ لم يرشدوا جعلوا عوانةَ لي بغيبِ ابنما
إني إلى الرحمن أبرأ صادقاً ما نكتُ أمك يا عوانةُ محرما
أنكرتُ منكَ جعودةً في حُوَّةٍ ومشافراً هُدْلاً وأنفاً أخثما
ما كان لي في آلِ حامٍ والد عبداً فأصبحَ في كنانة أكثما

وكان يكنى أبا الحكم ، وكان ضريراً ، مات فيما ذكره المرزباني عن الصولي سنة سبع وأربعين ومائة في الشهر الذي مات فيه الأعمش .

قال المدائني : مات عوانة سنة ثمان وخمسين ومائة في السنة التي مات فيها المنصور .

---

(1) ديوان ذي الرمة 3 : 1772 ونكت الهميان .
(2) ألكني : ارسلني أو بلغ عني .
(3) الشعب : إصلاح الإناء إذا انكسر .
(4) هذا هو عوانة الجدّ وليس صاحب الترجمة .

حدث الهيثم بن عدي قال[1] : كنت عند عبد الله بن عياش الهمداني وعنده عوانة بن الحكم، فتذاكروا أمر النساء، فقلت: حدثني ابن الظلمة عن أمه أنها قالت: والله ما أبى[2] النساء مثلُ أعمى عفيف، فضرب عوانة بيده على فخذي وقال: حفظك الله يا أبا عبد الرحمن فإنك تحفظ غريبَ الحديث وَحَسنه، قال: وكان عوانة ضريراً.

قال قال عبد الله بن جعفر: عوانة بن الحكم من علماء الكوفة بالأخبار خاصة والفتوح مع علم بالشعر والفصاحة، وله اخوة وأخبار ظريفة، وكان موثقاً، وعامة أخبار المدائني عنه.

قال: وروى عبد الله بن المعتز عن الحسن بن عُلَيْل العنزي أن عوانة بن الحكم كان عثمانياً، وكان يضع أخباراً لبني أمية.

قال: وحدث أبو العيناء عن الأصمعي قال: أنشد عوانة بيتين فقيل له لمن هما؟ قال: أنا تركتُ الحديثَ بغضاً منّي للاسناد، وليس أراكم تعفوني منه في الشعر.

وحدث هشام بن الكلبي عن عوانة قال: خطبنا عتبة بن النَّهاسِ العجليّ فقال: ما أحسن شيئاً قاله الله عز وجل في كتابه:

ليس حيٌّ على المنونِ بباقِ غيرُ وجهِ المسبِّح الخلاقِ

فقمت إليه فقلت: أيها الرجل إن الله عز وجل لم يقل هذا، إنما قاله عديّ بن زيد [فقال: والله ما ظننته إلا من كتاب الله، ولنعم ما قال عدي بن زيد] ثم نزل عن المنبر. وأُتي بامرأة من الخوارج فقال: يا عدوةَ اللّه ما خروجك على أمير المؤمنين؟ ألم تسمعي قول الله عز وجل:

كُتِبَ القتلُ والقتالُ علينا وعلى المحصناتِ جرُّ الذيول[3]

فحركَتْ رأسها وقالت: يا عدوَّ الله حملني على الخروج جهلكم بكتاب الله عز وجل.

---

(1) نكت الهميان: 223.
(2) نكت الهميان: أنى.
(3) ديوان عمر بن أبي ربيعة: 338.

وحدث الهيثم بن عدي قال : كنا عند عوانة فورد الخبر بأنّ محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب قد قتل بالمدينة ، فترحم عليه عوانة وذكر فضله ثم قال : أخطأ الرأي في استهدافه لهم ومقابلته إياهم بالقرب منهم ، ولو تباعد عنهم حتى يجتمع أمره ويرى رأيه لطالت مدته ، فقيل له قد أشير عليه بذلك فلم يقبله ، فتمثل عوانة بقول زهير[1] :

أضاعتْ فلم تُغْفَرْ لها غَفَلاتُها ... فلاقتْ بياناً عند آخرِ معهدِ[2]

دماً حول شلوٍ تحجلُ الطيرُ حوله ... وَبَضْعَ لِحامٍ في إهابٍ مُقَدَّدِ[3]

قال ثم قال : هل علينا عين ؟ قالوا : لا فقل ما شئت ، فقال : محمد والله من الذين قال الله فيهم ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ﴾ (التوبة: 112) .

وحدث التاريخي عن إسماعيل بن إسحاق عن نصر بن عليّ عن الأصمعي عن عوانة : قال كان ابن زياد يأكل بعد الشبع أربع جرادق أصبهانية وجبنة ورطلاً عسلاً .

وحدث عنه أحمد بن عبيد عن الأصمعي عن عوانة قال : لقي رجلاً أعرابياً فقال ممن الرجل ؟ قال : من قوم إذا نسي الناس علمهم حفظوه عليهم . قال فأنت إذن من كلب ، قال : أجل .

وكان لعوانة أخ يقال له عياض[4] نحوي أديب أقام بأفريقية انتقل إليها من الكوفة فحدث المرزباني باسناده قال : كان عوانة بن الحكم يقول لأخ له يقال له عياض نحوي : لا تَعَمَّقْ في النحو فإنه لم يتعمق فيه أحد إلا صار معلماً ، قال : فصار عياض بعد ذلك معلماً بأفريقية لولد المعلّى[5] .

---

(1) شرح ديوان زهير : 327 .

(2) يصف بقرة وحش فيقول : أضاعت أي تركت ولدها وغفلت عنه ، فلاقت بياناً : استبانت الجلد والدم عند آخر موضع عهدته فيه .

(3) دما : بدل من « بياناً » بضع : جمع بضعة ، لحام : جمع لحم .

(4) لعياض ترجمة في إنباه الرواة 2 : 361 وطبقات الزبيدي : 226 ـ 227 وبغية الوعاة 2 : 234 .

(5) غيرها محقق انباه الرواة فجعلها : لولد المهلب .

- 878 -

عوف بن محلم الخزاعي أبو المنهال : أحد العلماء الأدباء ، والرواة الفهماء ، والندامى الظرفاء ، والشعراء الفصحاء . وكان صاحب أخبار ونوادر ، وله معرفة بأيام الناس . وكان طاهر بن الحسين بن مصعب قد اختصه لمنادمته ، واختاره لمسامرته ، وكان لا يخرج في سفر إلا أخرجه معه ، وجعله زميله وأنيسه وعديله ، وكان يعجب به .

قال محمد بن داود : ويقال إن سببَ اتصاله بطاهر أنه نادى على الجسر بهذه الأبيات في أيام الفتنة ببغداد ، وطاهر ينحدر في حراقة في دجلة ، فسمعها منه فأدخله وأنشده إياها وهي[1] :

عجبتُ لحرَّاقة ابنِ الحسيـــــن كيف تعومُ ولا تغـرقُ
وبحـرانِ من تحتها واحـدٌ وآخـرُ من فـوقهـا مـطبق
وأعجبُ من ذاك عيـدانهـا وقـد مَسَّها كيف لا تـورق

وأصله من حران ، فبقي مع طاهر ثلاثين سنة لا يفارقه ، وكان يستأذنه في الانصراف إلى أهله ووطنه فلا يأذن له ولا يسمح به ، فلما مات طاهر ظن أنه قد تخلص وأنه يلحق به ويرجع إلى وطنه ، فقرّبه عبد الله بن طاهر من نفسه وأنزله منزلته من أبيه ، وكان عبد الله أديباً فاضلاً عالماً بأخبار الناس ، فلما وقف على أدب عوف وفضله تمسك به وأفضل عليه حتى كثر ماله وحسن حاله ، وتلطف بجهده أن يأذن له عبد الله في العَوْدِ إلى وطنه فلم يكن إلى ذلك سبيل ، وحفزه الشوق إلى أهله وأهمه أمرهم ، فاتفق ان خرج عبد الله من بغداد يريد خراسان ، فصيَّر عوفاً عديله يستمتع

878 ـ ترجمة عوف بن محلم في طبقات ابن المعتز : 186 ـ 193 وتاريخ بغداد 9 : 486 (في ترجمة عبد الله بن طاهر) والوافي للصفدي (خ) ومعاهد التنصيص 1 : 27 ، 127 والشذرات 2 : 32 ومعجم البلدان (الري) (ميان) وشرح شواهد المغني : 278 والفوات 3 : 162 وذكر صاحب الفهرست (188) أن ديوانه ثلاثون ورقة .

(1) وردت عند ابن خلكان (2 : 519) منسوبة لمقدس بن صيفي الخلوقي .

بمسامرته ويرتاح إلى محادثته إلى أن دنا من الري ، فلما شارفها سمع صوتَ عندليب يغرّد بأحسن تغريد وأشجى صوت ، فأعجب عبد الله بصوته والتفت إلى عوف بن محلم فقال له : يا ابن محلم هل سمعتَ قطّ أشجى من هذا الصوت وأطرب منه ؟ فقال : لا والله أيها الأمير وإنه لحسنُ الصوتِ شجيُّ النغمة مطرب التغريد ، فقال عبد الله : قاتل الله أبا كبير حيث يقول :

ألا يا حمامَ الأيكِ إلفكَ حاضرٌ ... وغصنك مَيَّادٌ ففيم تنوحُ
أفِقْ لا تنحْ من غيرِ شيءٍ فإنني ... بكيتُ زماناً والفؤاد صحيح
ولوعاً فشطت غربةٌ دار زينب ... فها أنا أبكي والفؤادُ قريح

فقال عوف : أحسن والله أبو كبير وأجاد ، ثم قال : أصلح الله الأمير[1] إنه كان في الهذليين مائة وثلاثون شاعراً ما فيهم إلا مفلق ، وما كان فيهم مثل أبي كبير ، فإنه كان يبدع في شعره وَيُفْهِم آخرُ قوله أولَه ، وما شيء أبلغ في الشعر من الابداع فيه ، قال عبد الله : أقسمت عليك إلا أجزتَ شعر أبي كبير ، قال عوف : أصلح الله الأمير قد كبر سني وفنيَ ذهني وأنكرت كل ما كنت أعرفه ، قال عبد الله : سألتك بحقّ طاهرٍ إلا فعلت ، وكان لا يُسأَلُ بحقّ طاهر شيئاً إلا ابتدر إليه لما كان يوجبه له ، فلما سمع عوف ذلك أنشأ يقول :

أفي كلِّ عامٍ غربةٌ ونزوحُ ... أما للنوى من ونْيةٍ فتريحُ
لقد طَلَّح البينُ المشتُّ ركائبي ... فهل أُرينّ البين وهو طليح
وأرقني بالريِّ نوحُ حمامةٍ ... فنحتُ وذو البثّ الغريب ينوح
على أنها ناحت ولم تُذْرِ دمعةً ... ونحتُ وأسرابُ الدموع سُفُوح
وناحت وفرخاها بحيث تراهما ... ومن دونِ أفراخي مهامهُ فيح
ألا يا حمامَ الأيكِ إلفك حاضرٌ ... وغصنك مَيَّادٌ ففيم تنوح
عسى جودُ عبدِ الله أن يعكسَ النوى ... فَتُلْقى عصا التطواف وهي طريح
فإن الغنى يدني الفتى من صديقه ... وَعُدْمُ الغنى بالمقترين طروح

(1) م : أمير المؤمنين (وهو خطأ) .

قال : فاستعبر عبد الله ورقّ له وجرت دموعه وقال له : والله إني لضنين بمفارقتك شحيح على الفائت من محاضرتك ، ولكن والله لا أعملتَ معي خُفّاً ولا حافراً إلا راجعاً إلى أهلك ، ثم أمر له بثلاثين ألف درهم ، فقال يمدح عبد الله وأباه :

يا ابن الذي دان له المشرقانْ   وأُلبِسَ الأَمْنُ به المغربانْ
إنَّ الثمانين وَبُلِّغْتَها   قد أحوجتْ سمعي إلى ترجمان
وأبدلتني بالشَّطاطِ انْحنَا   وكنتُ كالصَّعْدةِ تحتَ السنان
وعوَّضتني من زَماع الفتى   وهمتي همَّ الهجانِ الهدان
وقاربتْ منّي خطىً لم تكنْ   مقارباتٍ وَثَنَتْ من عنان
وأنشأتْ بيني وبين الورى   عنانةً من غير نسج العنان
ولم تدعْ فيَّ لمستمتعٍ   إلا لساني وبحسبي لسان
أدعو به اللّه وأُثني به   على الأمير المصعبيِّ الهجان
وهمتُ بالأوطانِ وجداً بها   وبالغواني أين مني الغوان
فقرِّباني بأبي أنتما   من وطني قبل اصفرارِ البنان
وقبل مَنْعَايَ إلى نسوةٍ   أوطانها حَرَّانُ والرَّقَّتان
سقى قصور الشاذياخ الحيا   من بعد عهدي وقصورَ الميان
فكم وكم من دعوةٍ لي بها   أن تتخطاها صروفُ الزمان

وهذه قصور بخراسان بناحية نيسابور لآل طاهر .

ثم ودع عبد الله وسار راجعاً إلى أهله فمات قبل أن يصل إليهم .

وقد روي في خبر هذه الأبيات أن عوف بن محلم دخل على عبد الله بن طاهر فسلَّم عبد الله عليه فلم يسمع ، فأُعلم بذلك ، فزعموا أنه أُنْحِلَ هذه القصيدة .

وكان[1] قد ورد على عبد الله بن طاهر شاعر يقال له روح ، وعرض على عوف شعره فمنعه من إنشاده عبدَ الله ، وقال : إن عبد اللّه رجل عالم فاضل لا يَنْفُقُ عليه من الشعر إلا أحسنه ، فقال له : قد حسدتني ، وتوصَّل حتى أنشده عبد الله فاسترذله

(1) وردت القصة بإسهاب في طبقات ابن المعتز : 190 .

واستبرده وردَّه ، فبلغ ذلك عوفاً فقال :

أنشـدني روحٌ مديحـاً لـه فقلتُ شعراً قال لي فأيش
فصرتُ لما أن بـدا منشداً كـأنني في قُبَّـةِ الخيش
وقلتُ زدني وتفهمتـه[1] والثلجُ في الصيفِ من العيش

ـ 879 ـ

عون بن محمد الكندي الكاتب أبو مالك : أحد أصحاب ابن الأعرابي ، وأخذ عن سلمة بن عاصم صاحب الفراء ، وروى عنه الصولي فأكثر.

حدث الصولي قال حدثني عون بن محمد الكندي قال : كنا في مجلس ابن الأعرابي فقدم قادم من سُرَّ من رأى فأخبر بنكبة سليمان بن وهب وأحمد بن الخصيب فأنشد ابن الأعرابي :

ربَّ قوم رتعوا في نعمةٍ زمناً والعيشُ ريانٌ غدقْ
سكتَ الدهرُ طويلاً عنهمُ ثم أبكاهم دماً حين نطقْ

ـ 880 ـ

عيسى بن إبراهيم الربعي الوحاظي : بلدة باليمن . لا أعرف حاله إلا أنه مصنّف كتاب « نظام الغريب »[2] في اللغة حذا فيه حذو « كفاية المتحفظ »[3] وأجاده ، وأهلُ اليمن مشتغلون به .

879 ـ له ترجمة موجزة في الوافي للصفدي (خ) .

880 ـ له ترجمة في الوافي للصفدي (خ) ونقل ما قاله ياقوت ولم يزد ؛ وبغية الوعاة 2 : 235 وهو ينقل عن الخزرجي والجندي ، وذكر أن وفاته كانت ببلده سنة 480 .

(1) الطبقات : وتغنمته .

(2) قد طبع هذا الكتاب ثم قام بالعناية به وطبعه ثانية القاضي محمد علي الأكوع من علماء اليمن .

(3) كفاية المتحفظ للاجدابي ، وهو مطبوع .

ـ 881 ـ

عيسى بن عمر الثقفي ، أبو عمر مولى خالد بن الوليد : نـزل في ثقيف فنسب إليهم ، عالم بالنحو والعربية والقراءة مشهور بذلـك ، أخذ عن عبـد الله بن أبي إسحاق الحضرمي . ومات عيسى بن عمر سنة تسع وأربعين ومائة في خلافة المنصور قبل أبي عمرو بن العلاء بخمس سنين أو ستّ.

حدث التاريخي محمد بن عبد الملك عن المبرد قال : أول من وضع العربية ونقط المصاحف أبو الأسود الدؤلي ، ثم أخذ النحو عن أبي الأسود عنبسة بن معدان المهري الذي يقال له عنبسة الفيل ، ثم أخذه عن عنبسة ميمون الأقرن ، ثم أخذه عن ميمون : ابن أبي إسحاق الحضرمي ثم أخذه عن ابن أبي إسحاق : عيسى بن عمر [ثم أخذه عنه الخليل بن أحمد] ثم أخذه عن الخليل بن أحمـد سيبويـه ، ثم أخذه عن سيبويه الأخفش واسمه سعيد بن مسعدة.

قال التاريخي : حدثنا المبرد مرة أخرى عن التوّزي عن أبي عبيدة قال : ووضع عيسى بن عمر كتابين في النحو سمّى أحدهما « الجامع » والآخر « المكمـل » فقال الخليل بن أحمد :

بَـطَلَ النحـوُ جـميـعــاً كله　　　غير ما أحدثَ عيسى بن عمرْ

ذاك إكمــالٌ وهــذا جــامــعٌ　　　فهمـا للنـاسِ شمسٌ وقمـر

قال المؤلف : وهذان كتابان ما علمنا أحداً رآهما ولا عرفهما ، غير أن أبا الطيب اللغوي ذكر في كتابه أنهما مبسوط ومختصر.

وذكر عن المبرد أنه قال : قرأت أوراقاً من أخد كتابي عيسى بن عمر ، وذكر أيضاً أن عيسى بن عمر أخذ النحو عن أبي عمرو بن العلاء.

---

881 ـ ترجمة عيسى بن عمر فـي المعارف : 531 وطبقـات الزبيـدي : 40 والفهرست : 47 ومـراتب النحويين : 32 وأخبار النحويين البصريين : 31 وتاريخ أبي المحاسن : 135 ونور القبس : 46 ، وإنباه الرواة 2 : 374 وابن خلكان 3 : 486 وسير الذهبي 7 : 200 ونزهة الألباء : 12 والبداية والنهاية 10 : 105 والوافي للصفدي (خ) وطبقات ابن الجزري 1 : 613 وتهذيب التهذيب 8 : 223 والنجوم الزاهرة 2 : 11 وبغية الوعاة 2 : 237 والشذرات 1 : 224 وروضات الجنات 5 : 338 .

وحدث المرزباني فيما أسنده إلى الأصمعي قال : كان عيسى بن عمر صاحب تقعير[1] في كلامه، وكان عمر بن هبيرة قد اتهمه بوديعة لبعض العمال ، فضربه مقطعاً نحواً من ألف سوط ، فجعل يقول : والله ما كانت إلا أُثيّاباً في أسيفاط قبضها عشاروك ، فيقول له : إنك لخبيث .

قال : وكان دقيقَ الصوت ، قال : فكان طولَ دهره يحملُ في كمه خرقةً فيها سكر العشر والاجاص اليابس ، وربما رأيته واقفاً أو سائراً أو عند بعض ولاة البصرة ، فتصيبه نهكة في فؤاده فيخفق عليه حتى يكاد يغلب فيستغيث بإجاصة وسكرة يلقيها في فيه ثم يتمصصها ، فإذا فعل ذلك سكن عليه ، فسئل عن ذلك فقال : أصابني هذا من الضرب الذي ضربني عمر بن هبيرة فعالجته بكلِّ شيء فما رأيتُ له أصلحَ من هذا .

وحدث التاريخي عن المبرد قال : سمعت يحيى بن معين يقول : عيسى بن عمر النحوي بصري ، وعيسى بن عمر الكوفي همداني وهو صاحبُ الحروف .

وحدث عن يوسف بن يعقوب بن السكيت عن الجمّاز قال : عيسى بن عمر أخو حاجب بن عمر ، ويكنى حاجبٌ أبا خشينة ، روي عنه الحديث ، وهما موليان لبني مخزوم ، وهما من ولد الحكم بن عبد الله بن الأعرج الذي روي عنه الحديث .

وحدث عن أحمد بن عبيد النحوي عن الأصمعي قال : حدثنا عيسى بن عمر قال : قدمتُ من سفر فدخل عليَّ ذو الرمة ، فعرضت أن لا أكون أعطيته شيئاً ، فقال : لا ، أنا وأنت نأخذ ولا نعطي .

قال الأصمعي : وحدثني عيسى بن عمر قال : لقد كنت أكتب بالليل حتى ينقطع سوئي أي وسطي .

وحدث عن أحمد بن عبيد عن الأصمعي عن عيسى بن عمر قال : اللهازم قيس بن ثعلبة وعجل وعنزة وتيم الله ، قال عيسى بن عمر : أرى اللهازم تجمعوا كما تجمع لهازم الدابة قال : والرباب ثور وعكل [وتيم الله] وتيم عدي وضبة وأطحل كلهم إخوة ، وإنما سموا الرباب لأنهم تجمعوا وتحالفوا ، والرباعة جماعة القداح إذا ضمت ، وجشم بن بكر وإخوتهم الأراقم ، وليس بنسب ، ولكن

---

(1) م : تقصير .

شبهت عيونهم بعيون الأراقم من الحيات فبقي عليهم.

قال مؤلف الكتاب : أما قوله وأطحل فهو عجب من مثله لأن أطحل اسم جبل سكنه ثور فنسب إليه فقيل ثور أطحل ، ولا يفرد في اسم القبيلة . وأما قوله إنهم تجمعوا مثل الربابة فأكثر أهل هذا الشأن يزعمون أنهم تجمعوا وغمسوا أيديهم في الربّ وتحالفوا على بني تميم . قال أبو العباس ثعلب : جمع الحسن بن قحطبة عند مقدمه مدينةَ السلام الكسائيَّ والأصمعيّ وعيسى بن عمر ، فألقى عيسى على الكسائي هذه المسألة : همّك ما أهمّك ، فذهب الكسائي يقول يجوز كذا ويجوز كذا ، فقال له عيسى : عافاك الله إنما أريد كلام العرب وليس هذا الذي تأتي به كلام العرب . قال أبو العباس : وليس يقدر أحد أن يخطىء في هذه المسألة لأنه كيف أعرب هذه الكلمة فهو مصيب ، وإنما أراد عيسى بن عمر من الكسائي أن يأتيه باللفظة التي وَقَعَتْ إليه .

ـ 882 ـ

عيسى بن مردان الكوفي أبو موسى : ذكره محمد بن إسحاق النديم قال : قرأت بخط ابن الكوفي أنه أخذ عن أبي طالب المفضل بن سلمة وروى عنه . وله من الكتب : كتاب القياس على أصول النحو .

ـ 883 ـ

عيسى بن المعلى بن مسلمة الرافقي أحد أدباء عصرنا : أخمل من ذكره خمول قطره ، كان مؤدباً بمدينة الرقة التي على الفرات ، وله شعر كثير وفضائل جمة وعدة تصانيف ، منها كتاب تبيين الغموض في علم العروض وجدته بخطه وقد كتبه في سنة تسعين وخمسمائة ، وعاش بعد ذلك . وله كتاب في اللغة حسن في مجلدين ضخمين رأيته بخطه أيضاً . كتاب ديوان شعره مجلدان .

---

882 ـ الفهرست : 77 والوافي للصفدي (خ) ونقل ما أورده ياقوت .

883 ـ له ترجمة في الوافي للصفدي (خ) وذكر أنه يلقب حجة الدين وأنه مدح أكابر حلب وصفي الدين طارقاً وجماعة من أمراء نور الدين وتوفي سنة 605 ، قال : وله مقدمة في النحو سماها المعونة وشرحها (ونقل أيضاً ما ذكره ياقوت) .

ـ 884 ـ

عيسى بن مينا بن وردان بن عيسى بن عبد الصمد بن عمرو بن عبد الله المدني المعروف بقالون القارىء ، كنيته أبو موسى : صاحب نافع بن أبي نعيم ، مات سنة خمس ومائتين في أيام المأمون ، ومولده سنة عشرين ومائة في أيام هشام بن عبد الملك ، وقرأ على نافع سنة خمسين ومائة في أيام المنصور . وكان قالون أصم لا يسمع البوق ، وكان إذا قرأ عليه قارىء ألقمَ أُذنه فاه ليسمع قراءته ، وهو مولى الأنصار.

حدث أبو موسى قالون : كان نافع إذا قرأت عليه يعقدُ لي ثلاثين ويقول لي : قالون ، قالون ، يعني جيد بالرومية ، وإنما كان يكلمه بذلك لأن قالون أصله من الروم ، جدُّ جده عبد الله من سبي أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقدم به من أسره وباعه ، فاشتراه بعضُ الأنصار فأعتقه ، فهو مولى الأنصار .

ـ 885 ـ

عيسى بن يزيد بن دأب الليثي : هو عيسى بن يزيد بن بكر بن كرز بن الحارث بن عبد الله بن أحمد بن يعمر الشداخ بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ، وفي نسبه اختلاف هذا أظهره ، أبو الوليد ، الراوية النسّاب من أهل الحجاز ، وكان يُضَعَّفُ في روايته ، مات في سنة احدى وسبعين ومائة في أول خلافة الرشيد.

وحدث المرزباني قال ، قال عبد الله بن جعفر : كان عيسى بن يزيد بن دأب يكنى أبا الوليد ، وكان من رواة الأخبار والأشعار وحفاظهم ، وكان معلماً من علماء الحجاز.

وحدث فيما رفعه إلى رفيع بن سلمة عن أبي عبيدة قال : أنشد ابن دأب :

---

884 ـ ترجمته في سير الذهبي 10 : 326 وعبر الذهبي 1 : 380 ومعرفة القراء الكبار 1 : 128 وطبقات ابن الجزري 1 : 615 والوافي للصفدي (خ) والنجوم الزاهرة 2 : 235 والشذرات 2 : 48 وقد ذكر الذهبي أنه توفي سنة 220 .

885 ـ ترجمته في الفهرست: 103 ونور القبس: 310 ومراتب النحويين: 99 ـ 100 وتاريخ بغداد 11 : 148 والوافي للصفدي (خ) .

وهـم من ولـدوا أَشْبَـوْا بسـرِّ الأدبِ المـحضِ

فبلغ ذلك أبا عمرو بن العلاء فقال : أخطأت استه الحفرة ، إنما هو أشبؤوا أي كَفَوْا ، أما سمع قولَ الشاعر[1] :

وذو الـرمـحين أشبـاك مـن الـقـوةِ والـحـزم

فبلغه عن ابن دأب شيء فقال : على نفسها تجني براقش[2] ، أما سمعتم قول الليثي :

ألا مَـنْ مُبْلِغٌ دأب بن كـرزٍ أبـا الخنساءِ ذائـدةَ الظليمِ

فـلا تفخرْ بـأحمـرَ واطَّرِحْـهُ فمـا يخفى الأغـرُّ من البهيمِ

فـعنـد الـلّه سـرٌّ من أبيـه كُرَاعُ زيدَ في عَـرْضِ الأديمِ

وحدث فيما رفعه إلى جابر بن الصلت البرقي قال[3] : وعد المهدي ابنَ دأب جاريةً فوهبها له ، فأنشد عبد الله بن مصعب الزبيري قول مضرّس الأسدي :

فـلا تيأسنْ من صالحٍ أن تنـالَهُ وإن كـان قِـدْماً بين أيدٍ تبـادِرُهْ

فضحـك المهدي وقـال : ادفعوا إلى عبـد الله فلانـة لجاريـة أخرى ، فقـال عبد الله بن مصعب :

أنجـز خيرُ النـاسِ قبـلَ وَعْـدِهْ أراح من مَـطْلٍ وطـولِ كَـدِّهْ

فقال ابن دأب : ما قلت شيئاً ، هلا قلت :

حـلاوةُ الفضـلِ بـوعـدٍ منجـزٍ لا خيرَ في العُرْفِ كنهبٍ مُنْهـزِ

فضحك المهدي وقال : أحسن الوفاء ما تقدمه ضمان .

وحدث عن سعيد بن سلم قال[4] : ما شيء أجـلّ من العلم ، كان ابن دأب أحفظَ الناس للأنساب والأخبار ، وكان تيّاهاً ، فكان ينادم الهادي ولا يتغدّى معه ولا

---

(1) ينسب لعبد الله بن الزبعري في الأغاني : 71 وروايته :

وذو الـرمـحـيـن أشـبـاك عـلى الـقـوة والـحـزم

وهـم مـن ولـدوا أشـبـوا بسـرّ الـحسب الـضـخـم

(2) قوله : أخطأت استه الحفرة ، وعلى نفسها تجني براقش مثلان .

(3) نور القبس : 310 ـ 311 .

(4) وردت في الوافي .

بين يديه فقيل له في ذلك فقال : أنا لا أتغدى في مكانٍ لا أغسلُ يدي فيه ، فقال له الهادي : فتغد ، فكان الناس إذا تغدوا تَنَحَّوْا لغسلِ أيديهم وابن دأب يغسل يده بحضرة الهادي .

وحدث المرزباني عن الحسين بن علي عن أحمد بن سعيد عن الزبير بن بكار عن عمه مصعب عن موسى بن صالح قال[1] : كان عيسى بن دأب كثيرَ الأدب عذبَ الألفاظِ ، وكان قد حظي عند الهادي حظوةً لم تكن لأحدٍ ، وكان يدعو له بتكاء ، ولم يكن يطمعُ أحدٌ من الخلق في هذا في مجلسه ولا يفعل بغيره ، وكان يقول له : ما استطلتُ بكَ يوماً ولا ليلة ، ولا غبتَ عن عيني إلا تمنيتُ ألَّا ترى غيرك . وكان لذيذ المفاكهة طيِّبَ المسامرة ، كثير النادرة ، جيد الشعر ، حسن الانتزاع له ، قال : فأمر له ليلةً بثلاثين ألف دينار ، فلما أصبح ابن دأب وَجَّه قهرمانه إلى باب موسى الهادي وقال له : انطلق إلى باب الحاجب فقل له : تُوَجِّهُ إلينا بالمال ، فانطلق فأبلغ الحاجب رسالته ، فتبسم وقال : ليس هذا إليَّ ، فانطلقْ إلى صاحب التوقيع ليخرجَ لك كتاباً إلى الديوان فتديره هناك ثم تفعل به كذا وتفعل به كذا ، فرجع الرسول إلى ابن دأب فأخبره ، فقال : دعها فلا تعرضْ لها ولا تسأل عنها ، قال : فبينما موسى في مُسْتَشْرَفٍ له إذ نظر إلى ابن دأب قد أقبل وليس معه إلا غلام واحد ، فقال لابراهيم بن ذكوان الحراني (وإليه ينسب طاق الحراني ببغداد بالكرخ) : أما ترى ابنَ دأب ما غَيَّرَ من حاله ولا تزيّا لنا ، وقد بررناه بالأمس ليُرى عليه أثرنا ، فقال إبراهيم : إن أذن لي أمير المؤمنين عَرَّضْتُ له بشيءٍ من هذا ، فقال : لا هو أعلم بأمره ، ودخل ابن دأب فأخذ في حديثه إلى أن عرَّض له الهادي بشيءٍ من أمره فقال : أرى في ثوبك غسيلاً وهذا الشتاءُ محتاجٌ فيه إلى لبس الجديد واللين ، فقال: يا أمير المؤمنين باعي قصير عمَّا أحتاج إليه ، فقال : وكيف ذاك وقد صرفنا إليك من برنا ما ظننا صلاحَ شأنك معه ؟! فقال : ما وصل إليَّ ولا قبضتُ منه شيئاً ، فدعا بصاحب بيت المال فقال له : عجل الآن بثلاثين ألف دينار ، فحملت بين يديه .

وحدث بإسناد رفعه إلى أبي زهير قال : كان ابن دأب أحظى الناسِ عند

---

(1) ورد الخبر بسند آخر في تاريخ بغداد 11 : 150 ـ 151 والوافي .

الهـادي ، فخرج الفضـل بن الربيـع يومـاً فقال : إنَّ أميـر المؤمنين يأمـر مَنْ ببـابـه بالانصراف ، فأما أنت يا ابن دأب فادخلْ ، قال ابن دأب : فدخلتُ وهو منبطحٌ على فراشه وأن عينيه لحمراوان من السهر وشرب الليـل فقال لي : حـدثني بحديثٍ من حديث الشراب ، فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ، خرج نَفَرٌ من كنانةَ إلى الشام يجلبون الخمر فمات أحدهم فجلسوا على قبره يشربون ، فقال أحدهم :

لا تُصَرِّدْ هـامـةً من شـربهـا　　اسقـهِ الخَمـر وإن كـان قُبِـرْ
اسقِ أوصـالاً وهامـاً وصـدىً　　نـاشعـاً ينشـعُ نَشْـعَ المنبهـر
كـان حُرّاً فهـوى فيمن هـوى　　كـلُّ عـودٍ ذي هَنُـونٍ منكسـر

قال : فدعا بدواة فكتبها ، ثم كتب إلى الخزان بأربعين ألف درهم وقال : عشرة آلاف لك وثلاثون ألفاً للثلاثة الأبيات ، قال : فأتيت الخُزّان فقالوا : صـالحنا على عشرة آلاف أنك تحلفُ لنـا ألا تذكـرها لأميـر المؤمنين ، فحلفت ألا أذكرهـا حتى يبدأني ، فمات ولم يذكرها.

وحدث قال : دخل ابن دأب على عيسى بن موسى عند منصرفه من فخّ فوجده واجماً يلتمس عذراً لمن قَتَلَ ، فقال له : أصلح الله الأمير ، أنشدك شعراً كتب به يزيد بن معاوية يعتذر فيه إلى أهل المدينة من قتل الحسين بن علي عليهما السلام ؟ قال : أنشدني فأنشده[1] :

يـا أيهـا الـراكبُ الغـادي لِـطِيَّتِـهِ　　على عُـذافـرةٍ في سيـرهـا قُحَمُ
أبلغْ قريشاً على شَحْطِ المزار بها　　بيني وبيـن حسيـنَ اللّهُ والـرَّحِمُ
ومـوقـفٌ بفنـاءِ البيت أَنْشُـدُهُ　　عَهْـدَ الإله ومـا تُـرْعَى بـه الـذمم
عَنَّفْتُمُ قـومكم فخـراً بـأمكـمُ　　أمٌّ حصـان لعمـري بَـرَّةٌ كـرم
هي التي لا يـداني فَضْلَهـا أحـدٌ　　بنتُ الرسولِ وخيرِ الناس قد علموا
وفضلهـا لكمُ فضـلٌ وغـركم　　من قـومكم لهمُ في فضلها قِسَمُ
إني لأعلم أو ظنـاً كعـالِمِـه　　والـظنُّ يصـدقُ أحيـانـاً فينتـظم

---

(1) لم ترد في ديوانه الذي جمعه الدكتور صلاح الدين المنجد .

أن سوف يترككم ما تطلبون به قَتْلَى تهاداكم العقبانُ والرَّخَمُ
يا قومنا لا تشهوا القوم إذ خمدت وَمَسَّكُوا بحبالِ السلم واعتصموا
قد جَرَّتِ الحربُ من قد كان قبلكمُ من القرونِ وقد بادتْ بها الأمم
فأنصفوا قومكم لا تهلكوا بَذَخاً فربَّ ذي بَذَخٍ زَلَّتْ به القدم

قال : فسري عن عيسى بعضُ ما كان فيه .

قال ابن مناذر يهجو ابن دأب[1] :

ومن يبغِ الوَصَاةَ فإنَّ عندي وصاةً للكهولِ وللشبابِ
خذوا عن مالكٍ وعن ابن عونٍ ولا تروروا أحاديثَ ابن داب
ترى الغاوين يتبعون منها مَلاهيَ من أحاديثٍ كِذاب
إذا طُلِبَتْ منافعها اضمحلَّتْ كما ينجابُ رقراقُ السراب

وحدث عن عمر بن أبي عبيدة النميري عن خاله ابن أبي شميلة قال: كان خلف الأحمر ينسبُ ابنَ دأب إلى الكذب ، قال : فغدوت يوماً أنا وخلف على ابن دأب ، فأخذ في حديث ذي الخلصة حتى انقضى ، فلما انصرفنا قلت لخلف : يا أبا محرز أتراه كذب ؟ قال : لا أدري ، والله لا أعرف مما حدث به قليلاً ولا كثيراً .

قال عمر : ولخلف الأحمر في أبي العيناء محمد بن عبيد الله [2] :

لنا صاحبٌ مُولَعٌ بالمِراءِ كثيرُ الخطاءِ قليلُ الصوابِ[3]
أشدُّ لجاجاً من الخنفساءِ وأزهى إذا ما مشى من غراب
وليس من العلم في فقرةٍ إذا حصل العلم غير التراب
أحاديثُ ألفها شَوْكَرٌ وأخرى مؤلفةٌ لابن داب

قال المرزباني : وقوم يروون في هذه الأبيات زيادة ، وأبيات خلف هي هذه ،

---

(1) الأغاني 18 : 131 والوافي وتاريخ بغداد 11 : 152 ونور القبس : 311 .

(2) أبو العيناء اسمه محمد بن القاسم .

(3) الأبيات في الأوراق (أخبار الشعراء) ، 35 ومنها بيتان في فصل المقال للبكري : 492 والمهجوّ فيها مختلف فيه ؛ وانظر مجمع الذاكرة 1 : 149 (وفيه تخريج لها ص : 150) .

والزيادة عليها فيما ذكر المقدّمي والكراني لأبان بن عبد الحميد اللاحقي . وروى عبد الله بن المعتز عن عمر بن شبة قال : شوكر شاعرٌ بالبصرة يضع الأخبار والأشعار.

وحدث الرياشي قال ، قال الأصمعي ، قلت لخلف الأحمر : أما ترى ما جاء به ابن دأب ؟ أين الحجاز والشوكري من الكوفة ؟ فقال : إنما يروي لهؤلاء من يقول : قالت ستي ، ويدعو ربه من دفتر ، ويسبح بالحصى ، ويحلف محيث المصحف ، ويدع حدثنا وأخبرنا ، ويقول أكلنا وشربنا.

وزعم العنزي أنّ ابنَ دأب كان يتشيعُ ويضعُ أخباراً لبني هاشم ، وكان عوانة بن الحكم عثمانياً ويضع أخباراً لبني أمية.

وحدث مصعب بن عبد الله الزبيري قال : شيطان الردهة شيء وضعه ابن دأب ، وهو ذو الثدية فيما زعم ، قال : جاءت أمه تستسقي ماءً فوقع بها شيطان فحملته

وحدث المرزباني فيما رفعه إلى مصعب الزبيري عن أبيه قال[1] : كنا جماعةً نجالسُ الهادي ، أنا وسعيد بن سلم الباهلي وابن دأب وعبد الله بن مسلم العزيزي وكان أجرأنا عليه ، فخرج علينا مغيظاً متغيراً ، فسأله العزيزي عن خبره فقال : لم أر كصاحب الدنيا أكثرَ آفاتٍ ولا أدومَ هموماً ، قد عرفتم موضع لبانة بنت جعفر بن أبي بجعفر مني وأثرتها عندي ، وإنها أغلظت لي بادلالها في شيء فلم أجد صبراً فنلتها بيدي فندمتُ عليه ، فسكتنا خوفاً من تعنيفه أو تصويب رأيه فيبلغها ذلك ، فقال ابن دأب : وما في ذلك يا أمير المؤمنين ؟ هذا الزبير بن العوام حواريّ رسول الله ﷺ وابن عمته ضرب امرأته أسماءَ بنتَ أبي بكر الصديق ، وهي من أفضل نساء زمانها حتى كسر يدها ، وكان ذلك سبب مفارقته إياها لأنه قال : أنت طالق إن حال عبد الله بيني وبينك ، يعني ابنه عبد الله بن الزبير ، فلم يُخَلّه وخلصها ، وهذا عمر رضي الله عنه يقول : لا يُسْأَلُ الرجلُ فيمَ يضربُ امرأته ، وهذا كعب بن مالك الأنصاري وهو أخو الزبير ، آخى رسول الله ﷺ بينهما ، عتب على امرأته ، وهي من المهاجرات في شيء فضربها حتى حال بنوها بينهما فقال[2] :

(1) وردت القصة في الوافي .

(2) أورد جامع ديوانه بيتاً واحداً منها عن ربيع الأبرار ، وهو البيت الأول وروايته : كخبطة فروج ولم أتلعثم .

لولا بنوها حولها لخبطتها ... إلى أن تُدَانِي الموتَ غيرَ مذمَّمِ

ولكنهمْ حالوا بمنعيَ دونها ... فلا تعدميهم بين ناءٍ ومقسم

فمالتْ وفيها جائشٌ من عبيطها ... كحاشيةِ البردِ اليماني المسهم

قال : فضحك الهادي وَسُرِّيَ عنه ، وأمر بالطعام ، وأمر لابن دأب بخمسين ألف درهم وخمسين ثوباً ، قال عبد الله بن مصعب : فتأسفت كيف سبقني إلى شيء أحفظه مثل حفظه.

وحدث أبو الطيب اللغوي في كتاب « مراتب النحويين » قال[1] : فأما مدينة الرسول ﷺ فلا نعلم بها إماماً في العربية ؛ حدث الأصمعي قال : أقمتُ بالمدينة زماناً مع جعفر بن سليمان الهاشمي واليها فما رأيت بالمدينة قصيدة واحدة صحيحة إلا مصحفة أو مصنوعة ، وكان ابن دأب يضع الشعر وأحاديثَ السمر وكلاماً ينسبه إلى العرب ، فسقط وذهب علمه وخفيت روايته ، قال : وكان شاعراً وعلمه بالأخبار أكثر ، قال الأصمعي : وأتعجب لابن دأب حين يزعم أن أعشى همدان يقول[2] :

من رأى لي غُزَيِّلي ... أربحَ اللّه تجارتُهْ

وخضابٌ بكفّه ... أسودُ اللونِ قارتُه

ثم قال الأصمعي : يا سبحان الله ، يحذف الألف التي قبل الهاء في الله ، ويسكن الهاء ، ويرفع تجارته وهو منصوب ، ويجوز هذا عنه ، ويروي الناس عن مثله !! قال : ولقد سمعت خلفاً الأحمر يقول : لقد طمع ابنُ دأب في الخلافة حين يجوزُ مثل هذا عنه .

ـ 886 ـ

عيينة بن عبد الرحمن المهلبي يكنى أبا المنهال: ذكره الحاكم أبو عبد الله في

886 ـ ترجمته في الفهرست: 120 وإنباه الرواة 2: 384 والوافي للصفدي (خ) وبغية الوعاة 2: 239 .

(1) مراتب النحويين : 98 ـ 100 .

(2) انظر الأغاني 6: 55 ـ 56 .

« تاريخ نيسابور » فقال : عيينة بن عبد الرحمن أبو المنهال اللغوي المهلبي صاحب العربية تلميذ الخليل بن أحمد مؤدب الأمير أبي العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين ، ورد معه نيسابور وتوفي بها ، وروى عن داود بن أبي هند وسفيان بن عيينة وسعيد بن أبي عروبة ويحيى بن سليم[1] . ثم حدث بإسناد رفعه إلى المنهال أنه كان يقول: لا تتصدَّ إلى تائق أو مائق. قال: قرأت بخط أبي عمر المستملي، سمعت أبا أحمد الفراء ، سمعت عيينة المهلبي يقول ، سمعت سعيد بن أبي عروبة يقول : ما وصّى الله الناسَ بشيءٍ ما وصاهم بأوطانهم .

قال عيينة : جاء رجل إلى جعفر بن محمد الصادق وهو يصلي فقال : إني مسترشد قال : اجلس ، فجلس فلما قضى صلاته جاء إليه فقال : إن أبانا مات وتركني وأخاً لي وهجيناً، فقال جعفر: الملك بينكم أثلاث، فقال الأعرابي: الله الذي لا إله إلا هو أمر بهذا [قال : نعم] قال : رضيت رضيت رضيت .

له كتاب في النوادر وكتاب في الشعر .

قال أبو العباس : كان أبو المنهال مع إسحاق بن إبراهيم الطاهري ، وكان آنساً به يحادثه ويجالسه ويقرأ عليه ، وكان السبب في ذلك أن أبا المنهال كان مع عبد الله بن طاهر بن الحسين بخراسان ، وكان يقدمه ، وأحسن إليه ووصله بمائة ألف درهم ، وكنا نجلس إليه ، وقرأت عليه شيئاً كثيراً ، ومما قرأته عليه كتاب الأنصار وكتاب الأزد ، وكان ينزل إلى القنطرة عند منازل العاصميين في موضع يقال له دار المهالبة ، وكان أحد من لقي الناس وسمع ، وكان حسن المعرفة بالاسناد والأخبار والأيام ، وعمل كتاباً لاسحاق في القرآن ، وكان ابن الأعرابي لا يأتي إسحاق ولا يلقاه وكان يستأذنه في الانصراف إلى أهله ووطنه يوجّه إليه في كل سنة بدرج فيه من سماعه الاشارات الحسنة واللغة الفصيحة فإذا قرأه إسحاق وقّع إلى كاتبه : ادفع إليه ثلاثمائة دينار ، فكان على ذلك إلى أن مات .

---

(1) م : سليمان . وفي الانباه : سليم ، وانظر تهذيب التهذيب 11 : 226 .

حرف الغين

****

ـ 887 ـ

غانم بن وليد المالقي أبو محمد المخزومي النحوي : قال ابن خاقان : هو عالم متفرّس ، وفقيه مدرّس ، وأستاذ مجوّد ، وإمام لأهل الأندلس مجرد ، وأما الأدب فكان جلّ شرعته ، وهو رأس بغيته ، مع فضل وحسن طريقة ، وجدّ في جميع أموره وحقيقة ، وله :

صَيِّرْ فؤادَكَ للمحبوبِ منزلةً ... سَمُّ الخياطِ مجالٌ للمحبّيْنِ

ولا تسامحْ بغيضاً في معاشرةٍ ... فقلّما تسع الدنيا بغيضين

لا أعرف من أمره[1] إلا ما ذكره ابن عساكر[2] في ترجمة علي بن أحمد بن طير قال : أنشدني غانم بن وليد النحوي لنفسه :

ثلاثةٌ يُجْهَلُ مقدارها ... الأمنُ والصحةُ والقوتُ

فلا تثقْ بالمالِ من غيرها ... لو أنه درٌّ وياقوتُ

قال وأنشدني غانم لبعض الشعراء :

887 ـ ترجمته في مطمح الأنفس: 293 (شوابكة) والجذوة: 306 وبغية الملتمس رقم: 1280 والصلة: 433 والذخيرة 1 : 853 ـ 870 والمغرب 1 : 317 وأدباء مالقة: 179 والمطرب: 84 والوافي للصفدي (خ) وبغية الوعاة 2 : 241 وصفحات متفرقة من نفح الطيب ؛ وتوفي غانم سنة 470 وأورد له ابن بسام جملة من النثر أيضاً .

(1) هذا قول غريب وهو ينقل عن مطمح الأنفس ويعرف جذوة المقتبس .

(2) مصورة ابن عساكر 11 : 845 .

يـا أيهـا المبتـغي أخـا ثقـةٍ عـدمتَ ما تبتغي فـدعْ طمعَـكْ
داجِ الـمـداجين مـا لقيتَهُمُ وخـادعِ النفسَ لامرئٍ خـدعك
لا تكشفِ المـرءَ عن سرائـره ودعـه تحت النفـاقِ مـا وَدَعـك
أظهـرْ لـه مثـلَ قـولِ ذي بلهٍ تـريـه إن ضـرَّ أنـه نـفـعـك

ولغانم أنشده ابن خاقان :

الـصبـرُ أولى بـوقـارِ الفتى من قَلَقٍ يهتـكُ سِتْـرَ الـوقـارْ
مَنْ لـزم الصبـرَ على حـالـه كـان على أيـامـه بـالخيـارْ

حرف الفاء

****

ـ 888 ـ

فاطمة بنت الأقرع الكاتبة : وجدت بخطها رقعة هذه نسختها :

الأمة الكاتبة ، بسم الله الرحمن الرحيم ، ثقتي بالله وحده ، خشعتُ لصولة عز المجلس العالي العادل المؤيدي المظفري المنصوري العزي السعدي الركني النصيري المجدي الشرفي الأميري ، أعز الله أنصاره ، وضاعف اقتداره ، عقب الدهور ، وانقادت لمشيئته تصاريف الأمور ، وامتدَّتْ إلى نواله آمالُ السؤال ، وأناخت بفنائه رواحلُ الرجال ، فما إنسان إلا موفورٌ ببره ، ولا لسانٌ إلا مُسَبّح بشكره ، ولا أملٌ إلا مصروف إليه ، فأعطاه الله تعالى من الآمال في نفسه وذويه ما لا يرنو إليه طرف ، ولا يأتي عليه وصف :

حتى تسيرَ مسيرَ الشمسِ رايتُهُ ... وتعتلي باسمه العالي على القمرِ
ويختمَ الأرضَ طُرّاً طينُ خاتَمِهِ ... ويغتدي أمره أمْضى من القدرِ

ومن بعد ، فقد ذهبتُ ـ أطال الله بقاء المجلس العالي وأعز سلطانه ـ في درج قد قرنته بهذه الرقعة ، مَذْهَب المطرف المعجب ، وهو مما لم أُسبقْ إلى مثله من مُقَدَّمي أهل هذه الصناعة من الذكور دون الاناث ، أظهرتُ فيه المعجز من عاجز ، والكاملَ من ناقص ، كما قال قابوس بن وشمكير : وقد يُسْتعذَبُ الشُّريب من منبع

888 ـ ترجم لها الصفدي في الوافي (خ) وما أورده يتفق مع بعض ما جاء في ترجمتها الثانية رقم : (888 ب) وانظر سير الذهبي 18 : 480 وعبر الذهبي 3 : 296 والمنتظم 9 : 40 وابن الأثير 10 : 163 والبداية والنهاية 12 : 134 والشذرات 3 : 365 .

الزّعاق ، ويستطابُ الصهيلُ من مخرجِ النهاق ، جعلت في ذلك إقبالَ المجلس العالي - ضاعف الله اقتداره قائداً إلى طرق الرشاد ، وعزَّ سلطانه هادياً مبصّراً إلى سبل الإصابة والمراد - وأظهرت الحروفَ مفصولةً وموصولة ، ومعماة ومفتحة ، في أحسن صيغها ، وأبهج خلقها ، منخرطة المحاسن في سلك نظامها ، متساوية الأجزاءِ في تجاورها والبناء ، فهي لينة المعاطف والارداف ، متناسبة الأوساط والأطراف ، ظاهرها وَقورٌ ساكن ، وَمُفَتَّشها رَهَجٌ مائن ، وإن استخدمتُ إلى مهمّ يَسْنح أوفيتُ فيه على كل مرتسم في هذا الشأن قديماً وحديثاً وسالفاً وآنفاً ، أؤمل بذلك الحظوة من إحماده وجميل رعايته ، سمع الله سبحانه فيه كلَّ دعاء مستجاب من الأمة الكاتبة ومن يتعلق عليها من وليدة ومولود ، وشريف ومشروف ، وعجوز داعية ، وأمة خادمة ، لما يوليها وينعم عليها ويعرف موضع خدمتها ومحلَّ صنعتها ، لا سلبها الله وسائر الخلق ظله بمنّه .

قد ترادف الأنعامُ عليها دفعةً بعد أخرى وثانيةً بعد أولى على يد الشيخ الأجل السيد فخر الكفاة أبي الحسين ، أدام الله تأييده وتولّى عني من غير حقّ عارفته ما لا تقوم بوسعه ألسنةُ القائلين . وشكر الشاكرين ، فإذا أنعم على ما أصدرته من الخدم بلحظة ، وأحسن إليه بلمحة ، أدركت حظي ، وحزتُ أملي ، والرأي السامي في إجابتي إلى ما سألت وإثباتي في جملة المغمورين بالإحسان من الأدباء والحشم والعبيد والخدم ، [دام] علوه وشرفه إن شاء الله تعالى .

[ترجمة ثانية] - 888 ب -

فاطمة بنت الحسن بن علي العطار أم الفضل المعروفة ببنت الأقرع الكاتبة صاحبة الخط المليح المعروف : ماتت فيما ذكره تاج الإسلام ومن خطه نقلت : (قاله المؤلف عن أبي الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي السلامي الحافظ) في يوم الأربعاء الحادي والعشرين من المحرم من شهور سنة ثمانين وأربعمائة. قال السمعاني : وكان لها خط مليح حسن ، وهي التي أُهّلَتْ لكتابةِ كتابِ الهدنةِ إلى ملك الروم من الديوان العزيز ، وسافرت إلى بلاد الجبل إلى العميد أبي نصر الكندري ، وكتب الناس

على خطها ، وكانت تكتب طريقةَ ابن البواب . سمعتْ أبا عمر عبد الواحد بن عبد الله بن مهدي الفارسي وغيره ، سَمِعَ منها أبو القاسم مكي بن عبد الله الرميلي الحافظ ، وروى لنا عنها أبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر السمرقندي وأبو البركات عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد الأنماطي ببغداد وأبو سعد أحمد بن محمد بن أحمد بن الحسن البغدادي الحافظ بأصبهان وغيرهم . سمعتُ أبا بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد البزاز العرضي يقول : سمعتُ الكاتبةَ بنتَ الأقرع تقول : كتبت ورقة لعميد الملك أبي نصر الكندري وأعطاني ألف دينار .

أخبرنا أبو البركات عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد الحافظ بقراءتي عليه ، أخبرتنا فاطمة بنت الحسن بن علي العطار المقرىء قالت ، أخبرنا أبو عمر عبد الواحد بن محمد بن عبد الله بن مهدي الفارسي ، حدثنا أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي ، حدثنا أبو هشام الرفاعي ، حدثنا ابن فضيل ، حدثنا الأعمش عن عبد العزيز بن رفيع عن تميم بن طرفة عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: من حلف على يمينٍ فرأى غيرها خيراً منها فليأتِ الذي هو خيرٌ وليكفّر عن يمينه .

أنشدنا أبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر الحافظ الأشعبي ، أنشدتنا الكاتبة أم الفضل فاطمة بنت الحسن بن علي المقرىء قالت : أنشدنا أبو القاسم المطرز في دارنا بقطيعة الربيع لنفسه :

سرى مغرماً بالعيسِ ينتجعُ الركبا ... يسائلُ عن بدرِ الدجى الشرقَ والغربا

إذا ملأ البدرُ العيونَ فعنده ... لعينك بدرٌ يملأ العين والقلبا

ولما هوى دمعي ليوم فراقه ... عقيقاً تهاوَى دمعُهُ لؤلؤاً رطبا

إذا لم تبلّغني إليكم ركائبي ... فلا وردتْ ماءً ولا رَعَتِ العشبا

- 889 -

الفتح بن خاقان بن أحمد القائد وقيل الفتح بن خاقان بن غرطوج ، كذا قال المرزباني في « كتاب المعجم » . قال محمد بن إسحاق النديم : كان في نهاية الذكاءِ والفطنةِ وَحُسْن الأدب ، وكان من أولادِ الملوك ، واتخذه المتوكل أخاً ، وكان يقدّمه على جميع أولاده ، قتل مع المتوكل ليلة قتل بالسيوف لأربع خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين بالمتوكلية ، وكانت له خزانة كتب جمعها له علي بن يحيى المنجم لم ير أعظم منها كثرةً وحسناً ، وكان يحضر داره فصحاءُ الأعرابِ وعلماءُ الكوفيين والبصريين ، قال أبو هفان[1] : ثلاثة لم أر قطّ ولا سمعت بأكثر محبة للكتب والعلوم منهم : الجاحظ والفتح بن خاقان وإسماعيل بن إسحاق القاضي .

قال المؤلف : وباقي القصة في أخبار الجاحظ فكرهت التكرار .

وللفتح من التصانيف : كتاب البستان صنفه رجل يعرف بمحمد بن عبد ربه ويلقب برأس البغل ونسبه إليه . كتاب الصيد والجوارح .

وذكره أبو القاسم في « تاريخ الشام » فقال : الفتح بن خاقان بن غرطوج التركي أبو محمد ، قدم الشام مع المتوكل معادله على جمازة ، ثم نزل بالمِزّة ، فلما رحل المتوكل عن دمشق استخلف بها كلباتكين التركي . وكان على خاتم المتوكل وقتل معه ، روى عنه أبو زكريا يحيى بن حكيم الأسلمي شيئاً من شعره ، وأبو العباس المبرد وأحمد بن يزيد المؤدب ، ولم يذكره الخطيب في تاريخه[2] .

---

889 ـ أخباره في الكتب التاريخية كالطبري وابن الأثير ومروج الذهب وانظر معجم المرزباني : 190 والفهرست 130 وتاريخ بغداد 12 : 389 وسير الذهبي 12 : 82 والوافي للصفدي (خ) والفوات 4 : 127 والنجوم الزاهرة 2 : 313 والشذرات 2 : 114 وانظر كتاب «الترك في مؤلفات الجاحظ» للدكتور زكريا كتابجي ؛ وياقوت ينقل أيضاً عن تاريخ دمشق لابن عساكر (المصورة 14 : 175) .

(1) قارن بما ورد في ترجمة الجاحظ (رقم : 872) .

(2) ما يقوله ابن عساكر صحيح ، والاشارة الى تاريخ بغداد 12 : 389 المذكورة قبلاً إنما تعني سطراً واحداً نقل من إحدى نسخ تاريخ بغداد ولم يرد في النسخ الأخرى .

وعن محمد بن القاسم قال : دخل المعتصم يوماً إلى خاقان بن غرطوج يعوده فرأى الفتح بن خاقان ابنه وهو صبي لم يثّغر فمازحه ثم قال : أيما أحسن داري أم داركم ؟ فقال الفتح بن خاقان : يا سيدي دارنا إذا كنت فيها أحسن ، فقال المعتصم : لا أبرح والله حتى أنثر عليه مائة ألف درهم ، وفعل ذلك .

وعن أبي العباس المبرد قال : أُنْشِدَ الفتحُ بن خاقان[1] :

لستَ مني ولستُ منـك فدعني وامضِ عني مُصـاحَباً بسـلامِ
وإذا مـا شكـوتُ مـا بيَ قـالتْ قـد رأينـا خـلافَ ذا في المنـام

فزاد الفتح بن خاقان :

لم تجـدْ علة تجنّى بها الـذنـــب فصـارت تعتـلُّ بـالأحـلام

قال المبرد : وسمعت الفتح ينشد قبل أن يقتل بساعات هذا البيت وهو :

وقـد يقتـل الغتميُّ مـولاه غـيلةً وقد ينبحُ الكلب الفتى وهو غافلُ

وكان الفتح يتعشق خادماً للمتوكل اسمه شاهك وله فيه أشعار منها :

أشـاهكُ ليلي مـذ هجرتَ طـويـلُ وعيني دماً بعـد الـدمـوع تسيـلُ
وبي منـك والرحمنِ مـا لا أطيقـه وليس إلى شكـوى إليـك سبيـلُ
أشـاهكُ لـو يُجْـزَى المحبُّ بـوده جُـزِيـتُ ولكـنَّ الـوفـاءَ قـليـلُ

قال ابن حمدون : كان الفتح بن خاقان يأنس بي ويطلعني على الخـاص من سرّه ، فقال لي مرة : شعرتَ يا أبا عبد الله أني انصرفتُ البـارحة من مجلس أميـر المؤمنين ، فلما دخلت منزلي استقبلتني فلانة ـ يعني جاريته ـ فلم أتمالك أن قبلتها ، فوجدت فيما بين شفتيها هواءً لو رقد المخمور فيه لصحا ، فكان هذا من مستحسن كلام الفتح ، فكأن الوأواء الدمشقي سمع هذا حتى قال :

سقى اللّه ليـلاً طاب إذ زار طيفُـهُ فـأفنيتـه حتى الصبـاح عنـاقـا
يـطيبُ نسيـمٌ منه يستجلبُ الكـرى ولـو رقـد المخمـورُ فيـه أفـاقـا
تـملَّكـني لـمـا تمـلَّكَ مهـجتـي وفـارقـني لـمـا أمـنـتُ فـراقـا

---

(1) ابن عساكر : 198 والفوات 3 : 178 .

ووجدت في بعض المجاميع للفتح بن خاقان يصف الورد :

أما ترى الوردَ يدعـو الشاربين إلى حمـراءَ صـافيـةٍ في لـونها صَبَبُ
مـداهـنٌ من يـواقيتٍ مـركّبـةٌ على الـزمـرُّدِ في أجفـانها ذهبُ
خـاف المـلالَ إذا طـالت إقـامتـه فصـار يـظهـرُ أحيـانـاً ويحتجبُ

وكان أديباً فاضلاً زكيَّ النفس حَسَنَ العشرة لطيف الأخلاق متودداً محبباً إلى كل من يكلمه ، وكان غاية في الجود ، وكان قـد تنزل من المتـوكل بمنـزلة الـروح من الجسد ، وكان خدم قبله المعتصم والواثق ؛ فذكر أبو العيناء قـال : قال الفتـح بن خاقان : غضب عليَّ المعتصم ثم رضي عني وقال لي : ارفع حـوائجك لتقضى ، فقلت : يا أمير المؤمنين ليس شيء من عرض الدنيا وإن جلَّ يفي برضى أمير المؤمنين وإن قلّ ؛ قال : فأمر فحشي فمي جوهراً.

أخبرني أبو عبـد الله محمد بن محمـود بن النجار الحـافظ قال : أخبـرني أبو القاسم الثعلبي ، حدثنا الفضل بن سهل ، حدثنا الخطيب أبو بكر ، أخبرنا محمد بن محمد بن المظفر السراج ، حدثنا المرزباني ، أخبـرني محمد بن يحيى الصـولي ، حدثني أحمد بن عبد الرحمن ، حدثني وهب بن وهب بن وهب، حدثني البحتـري قال[1] : قال المتوكل : قل فيَّ شعراً وفي الفتح فإني أحبُّ أن يحيا معي ولا أفقده فيذهب عيشي ولا يفقدني فيذل ، فقل في هذا المعنى فقلت أبياتي :

سيدي أنت كيف أخلفتَ وعدي وتثـاقلتَ عـن وفـاءٍ بعهـدي

فقلت فيها :

لا أرتني الأيـام فقْـدكَ يـا فتـــحُ ولا عـرَّفتك مـا عشتَ فقدي
أعـظمُ الـرزءِ أن تُقـدَّم قبـلي ومن الـرزءِ أن تؤخَّـرَ بعـدي
حسـداً أن تكـون إلفـاً لغيـري إذ تفـردت بالهـوى قبلُ وحـدي

قال البحتري : فقتلا معاً وكنت حاضراً وربحت هذه الضربة ، وأومأ إلى ضربة

(1) ابن عساكر : 7 : 197 وديوان البحتري 1 : 522 وذكر أنها في غلام للبحتري اسمه نسيم .

في ظهره ؛ فقال : أحسنتَ والله يا بحتري وجئت بما في نفسي ، وأمر لي بألف دينار . وقال غير وهب الراوي للخبر ، قال البحتري : قد كنتُ عملتُ هذه الأبيات في غلام كنتُ أكلفُ به ، فلما أمرني المتوكل بما أمر تنحيتُ فقلت الأبيات وأريته أنني عملتها في وقتي وما غيرتُ فيها إلا لفظة واحدة فإنني كنت قد قلت :

لا أرتني الأيام فقدك ما عشتُ

فجعلته يا فتح .

وتحدث الشمشاطي علي بن محمد ، حدثني محمد بن عبد الله ، حدثني أحمد بن الفضل الهاشمي ، حدثنا علي بن الجهم القرشي قال: دخلت على المتوكل يوماً وهو جالس وحده فسلمت عليه فردَّ السلام وأجلسني ، فحانت مني التفاتة فرأيت الفتح بن خاقان واقفاً في غير رتبته التي كان يقوم فيها ، متكئاً على سيفه مطرقاً ، فأنكرت حاله ، فكنتُ إذا نظرت إليه نظر إلى الخليفة فإذا صرفتُ وجهي نحو الخليفة أطرق ، فقال : يا علي أأنكرتَ شيئاً ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، فقال : ما هو ؟ قلت : وقوف الفتح في غير رتبته التي كان يقوم فيها ، قال : سوء اختياره أقامه ذلك المقام ، قلت : ما السبب يا أمير المؤمنين ؟ قال : خرجتُ من عند قبيحة آنفاً فأسررتُ إليه سراً فما عداني السرّ أن عاد إليّ ، قلت : لعلك أسررته إلى غيره يا أمير المؤمنين ، قال : ما كان هذا ، قلت : فلعل مستمعاً استمع عليكما ، قال : ولا هذا أيضاً ، قال : فأطرقت ملياً ثم رفعت رأسي فقلت : يا أمير المؤمنين قد وجدت له مما هو فيه مخرجاً ، قال : ما هو؟ قلت : حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، حدثنا المستمرّ بن سليمان عن أبي الجوزاء قال : طلقتُ امرأتي في نفسي وأنا في المسجد ثم انصرفت إلى منزلي فقالت لي امرأتي : أطلقتني يا أبا الجوزاء ؟ قلت : من أين لك هذا ؟ قالت : خبرتني جارتي الأنصاريّة ، قلت : ومن خَبَّرها بذلك ؟ قالت : ذكرت أن زوجها خبرها بذلك ، فغدوتُ على ابن عباس فقصصتُ عليه القصة فقال : علمتُ أن وسواسَ الرجل مُحَدِّثُ وسواسِ الرجل فمن ها هنا يفشو السر .

قال أبو نعيم : فكان في نفسي من هذا شيء حتى حدثني حمزة الزيات قال : خرجتُ سنةً من السنين أريد مكة ، فلما جزتُ في بعض الطريق ضلَّتْ راحلتي فخرجت أطلبها ، فإذا باثنين قد قبضا عليَّ أحِسُّ حسَّهما وأسمعُ كلامهما ولا أرى

شخصهما ، فأخذاني وجاءا بي إلى شيخ قاعدٍ على تلعة من الأرض حسن الشيبة ، فسلمت عليه فردَّ عليَّ السلام ، فأفرخ روعي ثم قال : من أين ، وإلى أين ؟ فقلت : من الكوفة أريد مكة ، قال : ولم تخلفتَ عن أصحابك ؟ فقلت : ضلت راحلتي فجئت أطلبها ، فرفع رأسه إلى قوم على رأسه فقال: زاملة ، فأنيخت بين يدي ، ثم قال لي ، أتقرأ القرآن ؟ قلت : نعم ، قال : هاته فقرأت حـمٓ الأحقاف حتى انتهيت إلى هذه الآية : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ﴾ (الأحقاف/29) الآية فقال لي : على رسلك تدري كم كانوا ؟ قلت : اللهم لا ، قال : كنا أربعة وكنت المخاطِبَ لهم عنه ﷺ ، فقلت : يا قوميا أجيبوا داعي اللّه . ثم قال لي : أتقول الشعر ؟ قلت : اللهم لا . قال : أفترويه ؟ قلت : نعم ، قال : هاته ، فأنشدته قصيدة :

أمن أم أوفى دمنـةٌ لم تَـكَلَّم بحـومانـةِ الـدرّاج فـالمتثلمِ

فقال : لمن هذه ؟ فقلت : لزهير بن أبي سلمى ، قال : الجني ؟ قلت : بل الانسي مرارا ، فرفع رأسه إلى قوم على رأسه فقال : زهير ، فأتي بشيخٍ كأنه قطعة لحم فألقي بين يديه فقال له : يا زهير ، قال : لبيك، قال : « أمن أم أوفى » لمن ؟ قال : لي ؛ قال : هذا حمزة الزيات يذكر أنها لزهير بن أبي سلمى الإنسي ، قال : صدق هـو وصدقت أنت . قال : وكيف هذا ؟ قال : هو إلفي من الإنس وأنا تابعه من الجن أقول الشيء فألقيه في وهمه ويقولُ الشيء فآخذه عنه ، فأنا قائلها في الجن وهو قائلها في الإنس . قال أبو نعيم فصدّق عندي هذا الحديثُ حديثَ أبي الجوزاء أنَّ وسواس الرجل يحدث وسواس الرجل فمن ها هنا يفشو السر ، قال : فاستفرغ المتوكل ضحكا وقال : إليّ يا فتح ، فصبّ عليه خلعاً وَحُمِلَ على شيءٍ من الظهر وأمر له بمال وأمر لي بدون ما أمر له به ، فانصرفت إلى منزلي وقد شاطرني الفتح ما أخذ فصار الأكثر إليّ والأقل عنده.

قال جحظة في « أماليه » حدثني المبرد قال أنشدني الفتح بن خاقان لنفسه[1] :

وإني وإيـاهـا لكـالخمـر والفتى متى يستـطعْ منهـا الـزيـادةَ يَـزْدَدِ

---

(1) الفوات : ١٦٩

إذا ازددتَ منها ازددتَ وجداً بقربها فكيف احتراسٌ من هوى متجدد

قال فحدثني ابن حمدون قال : لما قال الفتح هذه الأبيات أنشدتها المتوكل فسألني عن قائلها فَعَرَّفْتُ أنه الفتح ، فاستحسنها وقال لي : بأبي أنت من جامع محاسن الدنيا . وبلغ هذا الشعر أبا علي البصير الفضل بن جعفر فقال في الفتح :

سمعتُ بأشعار الملوك فكلُّها إذا عضَّ مَتْنَيهِ الثقاف تأودا

سوى ما رأينا لامرىء القيس إننا نراه إذا لم يشعرِ الفتحُ أوحدا

قال المرزباني : ومن شعر الفتح بن خاقان[1] :

بُنِيَ الحبُّ على الجورِ فلو أنصف المحبوبُ فيه لسمجْ

ليس يستملح في حكم الهوى عاشق يحسن تأليف الحججْ

قال المؤلف وهذان البيتان يرويان لعلية بنت المهدي .

قال المرزباني : وللفتح بن خاقان[2] :

أيها العاشق المعذب صبرا فخطايا أخي الهوى مغفورهْ

زفرةٌ في الهوى أحطُّ لذنبٍ من غَزَاةٍ وحجّةٍ مبروره

وقال عمران بن موسى : سمعت الفتح بن خاقان يقول لأحمد بن أبي فنن الشاعر : يا أحمد ، قال : لبيك يا سيدي (وهذا في أول سنة سبع وأربعين ومائتين) [قال] : اعمل أبياتاً حساناً تمدحُ بها سيدي أمير المؤمنين واذكر في آخرها أني شفيعك حتى آخذَ لك منه ما يسدّ خلتك ، فما أسرعَ فقدك لي ، فبكى ابن أبي فنن وقال : يا سيدي على الدنيا بعدك لعنة الله ، قال له : على الدنيا قبلي وبعدي لعنة الله فما صافت منحرفاً عنها نابذاً لها ، ولا وفت لمتمسك بها راغب فيها .

أبو بكر محمد بن جعفر الخرائطي : حدثنا العباس بن الفضل الربعي ، حدثنا علي بن الجهم قال : إني لعند المتوكل يوماً والفتحُ بن خاقان حاضر إذ قيل له : فلان النخاس بالباب ، فأذن له فدخل ومعه وصيفة ، فقال له أمير المؤمنين : ما صناعةُ هذه

(1) معجم المرزباني والفوات وابن عساكر .

(2) معجم المرزباني والفوات .

الوصيفة : قال تقرأ بالألحان ، فقال الفتح : اقرئي لنا خمسَ آياتٍ فاندفعت تقول :

قــد جــاء نصــرُ اللّه والفتحُ   وشقَّ عنــا الــظلمــةَ الصبحُ
خــدينُ مــلك ورجــا دولــةٍ   وهمــهُ الاشفــاقُ والـنصــح
الــليــثُ إلا أنــه مــاجــدٌ   والـغـيـثُ إلا أنــه سَـحّ
وكــلّ بــابٍ لـلنـدى مغـلقٌ   فــإنمــا مفـتــاحــه الفـتــح

قال : فواللّه لقد دخل المتوكلَ من السرور ما قام إلى الفتح فوقع عليه يقبله ووثب الفتح فقبل رجله ، فأمره أمير المؤمنين بشرائها وأمر لها بجائزة وكسوة وبعث بها إلى الفتح فكانت أحظى جواريه عنده ، فلما قتل الفتح رثته بهذه الأبيات :

قــد قلتُ للمـوتِ حين نــازلــه   والمــوتُ مقــدامــةٌ على البُهَمِ
ولــو تـبـيـنـتَ مــا فـعـلتَ إذنْ   قــرعتَ سنــاً عـليــه من نــدم
فــاذهبْ بمن شئتَ إذ ذهبتَ بــه   مــا بعــد فتــحٍ للمـوتِ من ألم

ولم تزل تبكي وتنوح عليه حتى ماتت .

ـ 890 ـ

الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان القيسي الاشبيلي : وقيل هو من أهل أندلس[1] ، أديب فاضل شاعر بليغ فصيح بذيء اللسان قوي الجنان في هجاء الأعيان ، وكان متهم الخلوة فيما بلغني ، مات في حدود سنة ثلاث وخمسمائة[2] وقال العماد : سألت عنه بمصر فقيل إنه عاش بالمغرب إلى عهد شاور بمصر ، فقد توفي بعد سنة خمس وخمسين وخمسمائة، وقال لي بعض المغاربة إنه توفي قبل هذا التاريخ .

---

890 ـ ترجمته في الخريدة (قسم المغرب) 3 : 538 ومعجم أصحاب الصدفي : 313 والمغرب 1 : 259 وابن خلكان 4 : 23 والإحاطة 4 : 248 والنفح 7 : 29 والشذرات 4 : 107 وسير الذهبي 20 : 107 والوافي للصفدي (خ) وانظر مقدمة مطمح الأنفس (تحقيق شوابكه) .

(1) قوله : وقيل هو من أهل أندلس ، كلام لا معنى له ، لأنه اشبيلي فهو إذن أندلسي .
(2) الأرجح أنه توفي سنة 528 أو في التي بعدها .

له من التصانيف كتاب قلائد العقيان . كتاب مطمح الأنفس ومسرح التأنس .
حدثني الصاحب الكبير العالم جمال الدين الأكرم ، أدام الله علوه ، قال : لما عزم ابن خاقان على تصنيف « كتاب قلائد العقيان » جعل يرسلُ إلى كلِّ واحدٍ من ملوك الأندلس ووزرائها وأعيانها من أهل الأدب والشعر والبلاغة ويعرّفه عَزْمَهُ ويسألُ إنفاذَ شيءٍ من شعره ونظمه ونثره ليذكره في كتابه ، وكانوا يعرفون شَرَّهُ وثلبه ، فكانوا يخافونه وَيُنفِذُونَ إليه ذلك وصُررَ الدنانير ، فكلٌّ من أرضته صلتُهُ أحسنَ في كتابه وَصْفَه وَصِفَته ، وكلُّ من تغافل عن بِرِّهِ هجاه وثلبه ، وكان ممن تصدَّى له وأرسل إليه أبو بكر ابن باجة المعروف بابن الصائغ ، وكان وزير ابن تِيفلويت[1] صاحب المرية ، وهو أحدُ الأعيانِ وأركانِ العلم والبيان ، شديدُ العناية بعلم الأوائل ، مستولٍ على أصل الأشعار والرسائل ، وكانوا يشبّهونه بالمغرب بابن سينا بالمشرق ، وله تصانيفُ في المنطق وغيره ، فلما وصلته رسالتُهُ تهاونَ بها ولم يُعِرْهَا طرفه ، ولا لَوَى نحوها عطفه ، وذكر ابنَ خاقان بسوء بلغه ، فجعله خَتْمَ كتابه ، وصيَّره مقطع خطابه ، وقال[2] : أبو بكر ابن الصائغ : هو رَمَدُ جَفْنِ الدين ، وكَمَدُ نفوسِ المهتدين ، اشتهر سخفاً وجنوناً ، وهجر مفروضاً ومسنوناً ، وضلَّ فيما يتسرع ، ولا يأخذ في غير الأباطيل ولا يشرع ، ولا يرد سوى الغمة ولا يكرع ، ناهيك من رجل ما تَطَهَّر من جنابة ، ولا أظهر مخيلة إنابة ، ولا استنجى من حدث ، ولا أشجى فؤادَهُ توارٍ في جدث ، ولا أقر ببارئه ومصوّره ، ولا فرَّ عن تباريه في ميدان تهوره ، الاساءةُ إليه أجدى من الإحسان ، والبهيمة عنده أهدى من الانسان ، نظر في تلك التعاليم ، وفكر في أجرام الأفلاك وحدود الأقاليم ، ورفض كتاب اللّه العليّ العظيم ، ونبذه وراء ظهره ثاني عطفه ، وأراد إبطالَ ما لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه ، واقتصر على الهيئة ، وأنكر أن يكون إلى اللّه الفيئة ، وحكم للكواكب بالتدبير ، فهو يعتقد أن الزمانَ دَوْر ، وأن الانسان نبات ونَوْر ، مع منشأٍ وخيم ، ولؤمِ أصلٍ وَخِيم ، وصورةٍ شوّهها الله وقبحها ، وطلعةٍ إذا أبصرها الكلب نبحها ، وقذارةٍ يُوبِىءُ البلادَ نَفَسُها . ووضارةٍ يحكي الحدّاد دَنَسها . وله نظم أجاد فيه بعض الاجادة ، وشارف الإحسان أو كاده .

(1) م : فلويت .
(2) القلائد : 931 (خريوش) وفي النقل بعض إيجاز وحذف .

مع كلام طويل وهجو وبيل ، وبلغ ذلك ابنَ الصائغ فأنفذ له مالاً استكفه به واستصلحه .

وصنف ابن خاقان كتاباً آخر سماه « مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ذيل شعراء الأندلس »[1] وصله بقلائد العقيان ، افتتحه[2] بذكر ابن الصائغ وأثنى عليه فيه ثناءً جميلاً فقال : الوزير أبو بكر ابن الصائغ : هو بدرُ فهمٍ ساطع ، وبرهانُ علمٍ لكلِّ حجةٍ قاطع ، تفوّحتْ بعطره الأعصار ، وتطيبتْ بذكره الأمصار ، وقام به وزنُ المعارفِ واعتدل ، ومال وتهدل ، وعطّل بالبرهان التقليد ، وتنفق بعد عدمه الاختراعُ والتوليد . إذا قدح زند فهمه أورى بشررٍ للجهل محرق ، وان طما بحرُ خاطره فهو لكلِّ شيء مغرق ، مع نزاهة النفس وصونها ، وبعد الفساد من كونها ، والتحقيقِ الذي هو للإيمان شقيق ، والجد الذي يُخْلِقُ العمرَ وهو مستجد ، وله أدب يودّ عطاردُ أن يلتحفه ، ومذهب يتمنى [المشتري] ان يعرفه ، ونظم تتمناه اللبّاتُ والنحور ، وتدعيه مع نفاسة جوهرها البحور ، وقد أتيت بما تهوى الأعينُ النُّجْلُ أن يكون إثمدها ، ويزيلَ من النفس حزنها وكمدها ، فمن ذلك قوله يتغزل :

أسكان نعمان الأراكِ تيقنوا ... بأنكمُ في ربع قلبيَ سُكّانُ
ودوموا على حفظ الوداد فطالما ... بُلينا بأقوام إذا اسْتُحْفِظوا خانوا
سلوا الليل عنّي مذ تناءت دياركم ... هل اكتحلتْ لي فيه بالنوم أجفانُ
وهل جُرِدَتْ أسيافُ برقٍ دياركم ... فكانت لها إلا جفونيَ أجفانُ

وله :

اتأذن لي اتي العقيق اليمانيا ... أسائلُهُ ما للمغاني ومااليا
وسلْ دارهم بالحزْن أقفر إنني ... تركتُ الهوى يقتادُ فضلَ زماميا
فيا مكْرَعِ الوادي أما فيك شرْبَةٌ ... لقد سال فيك الماءُ أزرقَ صافيا
ويا شجرات الجزع هل فيك وقفةٌ ... فقد فاء فيكِ الفيءُ أخضرَ ضافيا

وقد جرى في هذا الميدان فأحسن كلَّ الإحسان .

---

(1) المشهور « في ملح شعراء أهل الأندلس » .

(2) لم يفتتحه بترجمة ابن الصائغ ، لان ترجمته تقع في أواخر المطمح ص : 397 .

ـ 891 ـ

الفضل بن إسماعيل التميمي أبو عامر الجرجاني : أديب أريب فاضل لبيب، أحد أصحاب عبد القاهر الجرجاني النحوي ، وكان مليح الخط صحيح الضبط رائق النظم فصيح النثر جيد التصنيف حسن التأليف ، ذكره محمد بن محمود في « كتاب سر السرور » فقال : رباع الفضل بتصانيفه عامرة ، ورياض الأدب بكلماته ناضرة ، فكأنّ الربيع فضلةٌ من بدائعها ، والزهرَ ضَرّةٌ لروائعها ، وشعره يُطرقُ السحر بين يديه ، وتهتف الملح بحفافيه ، تقرأ آياتُ الإحسان من أبياته ، وتخفق عذباتُ الابداع من راياته ، وله تصنيفات باسم الشيخ الأجل عبد الحميد أهداها إليه بغزنة فأشرقت بها أرجاؤها ، وأغدقت أنواؤها . منها : كتاب البيان في علم القران . وكتاب عروق الذهب من أشعار العرب . وكتاب سلوة الغرباء وغيرها .

وقال عبد الغافر في « كتاب السياق » : الفضل بن إسماعيل التميمي الشيخ أبو عامر الجرجاني النحوي الكاتب الأديب الشاعر من أفاضل عصره ، وأفراد دهره ، حسن النظم والنثر ، متين في الفضل ، كتب مدةً للشيخ الرئيس أبي المحاسن الجرجاني وغيره ، وصحب الكتّاب والمشايخ ، سمع الحديث من المشايخ الذين سمعنا منهم مثل الشيخ أبي سعد ابن رامش وأبي نصر ابن رامش المقرىء وأبي بكر أحمد بن علي بن خلف الشيرازي وأبي القاسم إسماعيل بن زاهر النوقاني ، وسمع من الشيخ أبي بكر أحمد بن منصور بن خلف المغربي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ، وسمع من المشايخ الإسماعيلية وغيرهم في شبابه ، ولم يذكر وفاته لكنه كان قد مات في حياة عبد الغافر .

وكان ورد نيسابور واجتمع به الأديب يعقوب بن أحمد المذكور في بابه وسأله أن يكتب له بخطه في كتابه الذي سماه « جونة الند » وهو مجموع جمع فيه يعقوب من

891 ـ ترجمة أبي عامر الجرجاني في دمية القصر 1 : 568 (وعليه يعتمد الباخرزي في رواية كثير من الشعر الذي دونه في كتابه) ومختصر السياق الأول: 75 ب ، والثاني 121 والوافي للصفدي (ح) (وفيه منتخبات لم يوردها ياقوت) وبغية الوعاة 2 : 245 وطبقات المفسرين 2 : 32 أما كتاب سر السرور فمنه نقول في بغية الطلب (انظر مثلاً 4 : 293 ، 6 : 312 ، 314) .

أشعار نفسه وغيره من أهل عصره ومن تقدمه ، وظفرت أنا بأصل يعقوب الذي بخطه وفيه بخط أبي عامر الذي لا أرتاب به ما نقلته بصورته بعد أن أسقطت بعض النظم ، وأما النثر فلا ، وهذا نسخة خطه : سألني الشيخ الجليل الأديب ـ أدام الله نعمته ـ أن أكتب له في هذا الدفتر شيئاً من هاذوري ، فترجحتُ بين صوارفَ تنهاني عن الاجابة ستراً لعورتي ، ودواعٍ تحثني على امتثال رسمه إظهاراً لطاعتي ، وأنا على كلّ حالٍ واثق بكرمه ، ساكن إلى حسن شيمه ، وعالم انه يحرصُ على إقالة عثرةِ الاخوان ، وستر عيوبهم بقدر الإمكان ، واللّهَ أسألُ أن يجبّر نقيصتنا بفضيلته ، ويمحو إساءتنا بحسنته ، فانه عليه قدير ، وها هو الهاذور :

بـاللّه يـا حتفي أمـا تستحي ... حـتى مـتى تُـوردنـي حَتْـفي
تـحلفُ لـي أنـكَ في كـفّي ... وعضّ كفي منـك في كـفي
وأنت يـا قلبي إلى كـم وكم ... تحيـلُ بـالـذنبِ على طـرفي

وأيضاً :

خَـدّهُ اليـاسمينُ والخطُّ فيـه ... سُنْبُـلٌ نـابتٌ على يـاسمينِ
سـمتـه قـبلةً فـقـال تحـرَّزْ ... بين صـدغيَّ عقـدتـا التنينِ

وأيضاً :

إذا حَفَـزَتْـكَ نـائبـةٌ لأمـرٍ ... فجئتَ إلى صغيـرٍ أو كبيـرِ
فـكـاثـره بهـزٍّ بعـد هـزٍّ ... فـإن الزبـدَ بالمخضِ الكثيرِ

وأيضاً في الرئيس أبي الفضل أدام اللّه علوه :

تـولّى الغـانيـات فليس عنـدي ... لهنَّ سوى هـوى أُخفي وأُبـدي
رأيـن الشيبَ ألبسـني قـتيـراً ... على حـدّ البلى فنقضنَ عهـدي
وسـالـني الغيـورُ فكـلَّ يـومٍ ... يـوازن بـيـنـنـا ودّ بـودٍّ
وقنعني الـزمـانُ فـلستُ آسـى ... على فـوتِ الثـراءِ وأنت عنـدي
وكـلّ تعجبي طـولَ الـليـالي ... لـذلـةِ مـاجـدٍ يسعى لـوغـدِ
فشكـراً لـلإلـه فقـد كفـاني ... تـولّي غيـرِ عبـاس بن سعـدِ

لـه قلبي وخـالـصتي وودي — وفيـه تـردّدي وإليـه قـصـدي
ومنـه معيشتي وصـلاحُ حـالي — ومعصـوبٌ[1] بـه غـيّي ورشـدي
وكـلُّ النـاس يُشْـرِكُ في هـواه — وقـد أفـردتـه بهـوايَ وحـدي
فـان أفزعْ فكهفٌ عـلاه حِـرْزي — وان أعـطش فبحـرُ نـداهُ وردي
فضلتَ النـاسَ مـأثـرةً وفخـراً — وطلـتـهـمُ بـاحسـانٍ ومـجـد
ولمـا صرتُ عبـدك صار يـرضى — أنـو شـروانَ لـو أرضـاهُ عبـدي
أُدِلُّ عـليـكَ إدلالَ الـمـوالـي — فـلا نكـرٌ لـديـكَ ولا تعـدي
وتـلك مـزيّـةٌ لي لـيس تخـفى — ورثـتُ مكـانَها من أبي وجـدي
فعشْ ألفـاً معي في خيـر حـالٍ — وألفـاً بعـدهـا ألفـان بعـدي
فكـلّ النـاس دونـك آل قفـرٍ — يـغـرُّ بلمـعـةٍ من غـيـر رفـد
وأنت الفـردُ مكـرمـةً فكنْ لي — تـكنْ فـرداً بـلا شـكٍّ لـفـرد

وأيضاً :

نشـدُّ على المـوتِ مستبسلين — غـلاظ الـرقـابِ غـلاظ الكبـود
ونفتـرعُ البيضَ سـودَ القـرون — صُفْـرَ الترائب حُمْـر الخـدودِ

وله أيضاً :

عـذيريَ من شـاطرٍ أغضبـوهُ — فـجـرَّدَ لي مـرهـفـاً بـاتـكـا
يقـولُ أنـا لـكَ يـا ابن الـوكيـلِ — وهـل لي رجـاءٌ سـوى ذلكـا

أيضاً :

إنـي بـليـتُ بـشـادنٍ — بـلواه عنـدي تُـشْـتَـخَـبُ
فـإذا بـلوتُ طـبـاعـه — فالماءُ يُشْـرَبُ وهو عـذبُ
وإذا نـضـوتُ ثـيـابـه — فـاللوزُ يُقْشَـرُ وهـو رطبُ
وقـصـار وصـفـي أنـه — فيمـا أحبّ كمـا أحـبّ

---

(1) م : ومنصوب .

وأيضاً :

قد ضاق صدري من صدور زماننا فهمُ جماعُ الشرِّ بالاجماعِ
يتضارطون فان شكوتُ ضراطهم شفعوا سماعَ الضَّرْطِ بالاسماعِ
هـذا يفرقعُ في الضراط وذاكمُ يرمي بمثلِ حجارةِ المقلاعِ
ومن البليـة أن تعاشـرَ معشراً يتضارطون الدهرَ بالايقاعِ

وله :

مللتُ مكافحةَ الحادثاتِ وكنتُ بها معجباً عاجبا
وحيرني الدهر حتى نشدتُ حماري وكنتُ لـه راكبا

وأيضاً :

اصبحتَ مثلَ عطاردٍ في طبعه[1] إذ صرتَ مثلَ الشمسِ في الإشراقِ
فلذاك ما ألقاك يوماً واحداً إلا قضيتَ عليَّ بالاحراقِ

الشيخ الجليل الأديب ، أدام الله نعمته ، وأنعم عليّ بقراءة ما علقه عن دفتري عليّ ، والله يمتعه به وبفضله ، ويقر عين العلم بحراسته ، وسمع معه ابنه الشيخ الفاضل أبو بكر الحسن ، والفقيه الفاضل العالم أبو المجد محمد بن أبي القاسم ، أبقاهما الله ، وكذلك سمعوا جميعاً ما أبنته من هاذوري بخطي . وكتب الفضل بن إسماعيل أبو عامر الجرجاني ومن خطه نقلت : كتب إليّ الكيا الأجل أبو الفتح رحمه الله :

أبا عامرٍ إن الرتائم إنما تُذكّر بالأمر العبامَ المغمَّرا
ولكنْ من عيناه درج فؤادِهِ فليس بمحتاجٍ إلى أنْ يُذَكّرا

وكتب أيضاً إليَّ الشيخ الإمام أبو بكر عبد القاهر[2] :

ما أبو عامرٍ سوى اللطف شيءٌ إنـه جملةٌ كما هو روحُ

---

(1) الوافي : في وصفه .
(2) م : إلى الشيخ . . أبي بكر . وقد ذكر الصفدي البيتين ونسبهما لعبد القاهر وقال : قال عبد القاهر الجرجاني يصف أبا عامر الجرجاني المذكور .

كـلّ مـا لا يلوحُ من ســرّ معنى   عـنــد تـفـكـيــره فـليس يـلوحُ

قال المؤلف : هذا آخر ما نقلته من خط أبي عامر رحمه الله .

وله من التصانيف : كتاب عروق الـذهب في الشعر واختيـاره . كتاب قـلائد الشرف في الشعر أيضاً . كتاب البيان في علم القرآن . كتاب سلوة الغرباء .

ونقلت من خط الأديب يعقوب بن أحمد النيسابوري وتصنيفه رقعةً كتبها الشيخ الفقيه الجليل أبو عامر الفضل بن إسماعيل الجرجاني ، أدام الله تأييده ، إلى الشيخ الرئيس الشهيد أبي المحاسن سعد رحمه الله ، قال يعقوب : وكتبتها من خطه إبان مقدمه نيسابور في شعبان سنة ثمان وخسمين وأربعمائة : أنا في هذه السنة ـ أطال الله بقاء الشيخ ـ من الاختلال والتكشف، والاعتلال والتشعث، على صورة أستحيي من عرضها وآنف من شرحها ، وقد رحل عامتها بما أشكر الله تعالى عليه ، وأدّرع الصبر في كل ما يمتحن عباده به ، وأُعملُ الحيلة من الآن في استقراض ما عسى أن يبلغني المحل، ولكن من يقرض أبا فرعون[1] بعد وقوفه بالأبواب مع العصا والجراب؟ وأسأل الله تعالى السلامة ثم أسأل سيدنا أن ينظر واحدة فيما أقول من قبل ان يعضل الداءُ فلا ينفع الدواء ، ويعظم النقب فلا ينجع الهِناء ، وان يجعلّ عنوان بره أن لا يرى تعليق هذه الرقعة ضراعة أو رقاعة ، فما في شرط الحكمة أن أكتم عنه متربة ، وأتضوّر جوعاً وَمَسْغَبة ، ولولا مكاني من خدمته ، ومكاني من شفقته ، لكان استفاف المَلّةِ أحبَّ إليّ من اظهار الخَلّة والسلام .

ومن « كتاب مرو » لأبي سعـد السمعاني لأبي عـامـر الفضـل بن إسـمـاعيـل الجرجاني التميمي يصف الهر :

إنّ لي هـرةً خضبتُ شَـوَاهــا   دون ولـدانِ منزلي بـالـرقـون

ثم قلدتهـــا لخــوفي عليـهـــا   وَدَعــاتٍ تــردُّ شــرَّ العيــون

كـلَّ يـوم أعـولهـا قَبْـلَ أهلي   بـــزلالٍ صـــافٍ ولحـم سمين

وهي تِلعــابــةٌ إذا مــا رأتني   عـابسَ الـوجـه وارم العـرنين

فتغنّي طـوراً وتـرقصُ طــوراً   وَتـلْهّى بـكــلّ مــا يلهـيـنــي

---

(1) أبو فرعون الساسي أحد المكدين .

لا أريدُ الصلاةَ ان ضاجعتني ... عند برد الشتاءِ في كانونِ
وإذا ما حَكَكْتُها لحستني ... بلسانٍ كالمبرد المسنونِ
وإذا ما جفوتُها استعطفتني ... بأنينٍ من صوتها ورنينِ
وإذا ما وترتها كشفتْ لي ... عن حرابٍ ليست متاعَ العيونِ
أملحُ الخلقِ حين تلعبُ بالفا ... ر فتلقيه في العذاب المهينِ
وإذا مات حسُّهُ أنْشَرَتْهُ ... بشمالٍ مكروبةٍ أو يمينِ
وتصاديه بالغفول فإن را ... م انجحاراً عَلَتْهُ كالشاهينِ
وإذا ما رجا السلامةَ منها ... عاجلته ببطشة[1] التنينِ
وكذاك الأقدار تفترس المر ... ءَ وتغتاله بقطع الوتينِ
بينما كان في نشاط وأنسٍ ... إذ سقاه ساقٍ بكاسِ المنونِ

ويروى له :

عُلِّقتها بيضاءَ طامثةَ الحشا ... تَسْبي القلوبَ بحسنها وبطيبها
مثل الشقائق في احمرارِ خدودها ... للناظرين وفي اسودادِ قلوبها

وله :

وقد يستقيمُ المرءُ فيما ينوبُهُ ... كما يستقيم العودُ في عَرْكِ أُذْنِهِ
ويرجحُ من فضلِ الكلام إذا مشى ... كما يرجحُ الميزانُ من فضلِ وزنه

- 892 -

الفضل بن إبراهيم بن عبد الله الكوفي أبو العباس النحوي المقرىء : أخذ القراءة عن أبي الحسن علي بن حمزة الكسائي ، وقرأ الكسائي على عيسى بن عمر الهمداني عن حمزة الزيات ، ولا أعرف من حاله أكثر من هذا ، وله اختيارٌ في أحرف يسيرة ، وإنما ذكرته لأنه يعرفُ بالنحوي .

---

892 - بغية الوعاة 2 : 244 (عن ياقوت) والوافي (خ) وطبقات ابن الجزري 2 : 8 .

(1) م : بنشطة ، وأثبت ما في الوافي .

ـ 893 ـ

الفضل بن الحباب بن محمد بن شعيب بن صخر الجمحي: يكنى أبا خليفة من أهل البصرة .

قال أبو الطيب اللغوي[1] : هو ابن أخت محمد بن سلام الجمحي ، من رواة الأخبار والأدب والأشعار والأنساب ، مات في شهر ربيع الأول من سنة خمس وثلاثمائة بالبصرة ، وكان قد ولي القضاء بالبصرة ، وكان أعمى ، روى عن خاله كتبه فأكثر وعن غيره ، وروى له من الكتب كتاب طبقات شعراء الجاهلية . كتاب الفرسان . وكان شاعراً ، فمن شعره ما أنشده محمد بن عمر بن عثمان البغدادي عنه :

قالوا نراك تطيلُ الصمتَ قلتُ لهم ... ما طولُ صمتيَ من عِيٍّ ولا خَرَسِ
لكنه أحمدُ الأمرين عاقبةً ... عندي وأبعدُهُ من منطقٍ شكس
أأنشرُ البزَّ فيمن ليس يعرفه ... أو أنثر الدرَّ للعميانِ في الغلس
قالوا نراك أديباً لستَ ذا خَطَلٍ ... فقلت هاتوا أروني وَجْهَ مقتبس
لو شئتُ قلتُ ولكن لا أرى أحداً ... يروي الكلامَ فأعطيه مَدَى النفس

وقد روي من جهة أخرى أن الأبيات لابن دريد ، لما نزل سيراف سئل أن يجلسَ للقراءة عليه فأبى ذلك إذ لم يكنْ هناك من يساوي أن يجلس له ، فكتب هذه الأبياتَ في قبلةِ مسجدِ سيراف وانصرف .

---

893 ـ ترجمة أبي خليفة في أخبار القضاة 2: 182 والفهرست: 126 وأخبار أصبهان 2: 151 وطبقات الزبيدي: 182 وتاريخ أبي المحاسن: 215 وطبقات الحنابلة 1: 249 وإنباه الرواة 3: 5 وتذكرة الحفاظ: 670 وعبر الذهبي 2: 130 وسير الذهبي 14: 7 وميزان الاعتدال 3: 350 والوافي للصفدي (خ) ونكت الهميان: 226 ومرآة الجنان 2: 246 وطبقات ابن الجزري 2: 8 والبداية والنهاية 11: 128 والبلغة: 183 ولسان الميزان 4: 438 وطبقات الحفاظ: 292 وبغية الوعاة 2: 245 والنجوم الزاهرة 3: 193 والشذرات 2: 246 وانظر مقدمة طبقات ابن سلام بتحقيق العلامة الكبير الصديق الأستاذ محمود محمد شاكر .

(1) مراتب النحويين : 67 .

نقلت من خط أبي سعد السمعاني باسناد له قال : أُلْقِيَتْ رقعةٌ إلى أبي خليفة الفضل بن الحباب القاضي فيها :

قل للحكيم أبي خليفَهْ   يا زينَ شيعةِ أبي حنيفَهْ
إني قصدتك للذي   كاتمتُ من حَذَرٍ وخيفه
ماذا تقولُ لِطَفْلَةٍ   في الحسنِ منزلها شريفهْ
تصبو إلى زيْنِ الورى   من غيرِ ما بأسٍ عفيفه

فقرأ الرقعة ثم كتب على ظهرها :

يا مَنْ تكامل ظرفها   حالُ الهوى حالٌ شريفه
إن كنت صادقةَ الذي   كاتمتِ من حَذَرٍ وخيفه
فلك السعادةُ والشها   دةُ والجلالةُ يا شريفه
هذا النصاحُ بعينه   وبه يقول أبو حنيفه

نقلت من خط الامام الحافظ حقاً ، صديقنا ومفيدنا أبي نصرٍ عبد الرحيم بن النفيس بن وهبان من « كتاب الارشاد في معرفة علماء الحديث » تصنيف الخليل بن عبد الله بن أحمد الحافظ القاضي ، أنشدني الصاحب إسماعيل بن عباد الوزير ، أنشدني أبي ، أنشدني أبو خليفة لنفسه :

شيبانُ والكبشُ حدثاني   شيخانِ باللّه عالمانِ
قالا إذا كنتَ فاطمياً   فاصبرْ على نكبةِ الزمان

قال : إني سألت أبا خليفةَ عن الكبش من هو ، قال : أبو الوليد الطيالسي ، وشيبان هو ابن فرُّوخ الأُبُلّي . قال الخليل ، قلت لعبد الله بن محمد : هذا يدل على أن أبا خليفة كان يميل إلى التشيع ، فقال : نعم .

قرات بخط أبي سعد أيضاً باسناد له إلى أبي سهل هارون بن أحمد بن هارون الاستراباذي قال : أنشدنا الفضل بن الحباب الجمحي القاضي لنفسه :

ومتعبِ السَّفْرِ مرتاحٍ إلى بلدٍ   والموتُ يرصدُهُ في ذلك البلدِ
وضاحكٍ والمنايا فوق هامتِهِ   لو كان يعلمُ غيباً ماتَ من كمدِ

آمالُهُ فوق ظهر النجم شامخةٌ والموتُ من تحت إطْلَيْه على الرصد
من كان لم يُعْطَ علماً في بقاءِ غدٍ ماذا تفكّرُهُ في الرزق بعد غد

قرأت في « كتاب هراة » للفامي قال : روي عن محمد بن إبراهيم بن عبدويه ابن سدوس بن علي أبي عبد الله المسندي أنه قال : كنا عند أبي خليفة القاضي بالبصرة فدخل عليه اللص داره ، فصاح ابنه باللص ، فخرج أبو خليفة إلى صحن الدار فقال : أيها اللص مالك ولنا ؟ إن أردت المال فعليك بفلان وفلان ، إنما عندنا قمطران : قمطر فيه أحاديث وقمطر فيه أخبار ، إن أردتَ الحديثَ حدثناك عن أبي الوليد الطيالسي وأبي عمر الجوصي وابن كثير وهو محمد ، وإن أردت الأخبار أخبرناك عن الرياشي عن الأصمعي ومحمد بن سلام ، فصاح ابنه : إنما كان كلباً ، فقال : الحمد للّه الذي مسخه كلباً وردَّ عنا حرباً .

وذكر التنوخي هذه الحكاية وقال في اخرها : فقال له غلامه : يا مولاي ليس إلا الخير إنما هو سنور ، فقال أبو خليفة : الحمد لله الذي مسخه هرًّا وكفانا شرًّا .

قال المؤلف : ومثل هذه الحكاية تحكى عن أبي حية النميري ، مشهورة عنه ، وقال في آخرها : الحمد للّه الذي مسخه كلباً وردنا حرباً[1] .

وقرأت في كتاب أبي عليّ التنوخي[2] حدثني أبي رضي الله عنه أن صديقاً لأبي خليفة القاضي اجتاز عليه راكباً وهو في مسجده فسأله أن ينزل عنده فيحادثه ، فقال : أمضي وأعود ، فقال له أبو خليفة : إيحاشك فقد وإيناسك وعد .

قال[3] : وكان أبو خليفة كثير الاستعمال للسجع في كلامه . وكان بالبصرة رجل يتحامق ويتشبّه به يعرف بأبي الرطل ، لا يتكلم إلا بالسجع هزلاً كله ، فقدمت هذا الرجلَ امرأته إلى أبي خليفة وهو يلي قضاء البصرة إذ ذاك ، وادعت عليه الزوجية والطلاق ، فأقر لها بهما ، فقال له أبو خليفة : أعطها مهرها ، فقال أبو الرطل : كيف أعطيها مهرها ، ولم تقلع مسحاتي نهرها ؟! فقال له أبو خليفة : فأعطها نصف

(1) انظر الحيوان للجاحظ 2 : 231 والقصة تروى عن عروة بن مرثد .
(2) نشوار المحاضرة 2 : 27 .
(3) نشوار المحاضرة 2 : 28 .

صداقها ، فقال : لا أو أرفعَ بساقها ، واضعه في طاقها . فأمر به أبو خليفةَ فصفع .

قال : وأخبرني غير واحد أن أبا الرطل هذا كان إذا سمع رجلاً يقول لا تنكر لله قدرةٌ قال هو : ولا للهندبا خضرة ، ولا للزردج[1] صفرة ، ولا للنخلة بُسْرة ، ولا للعصفر حمرة ، ولا للقفا نقرة .

حدث أبو علي التنوخي[2] ، حدثني أبو علي الحسن بن سهل بن عبد الله الايذجي ، وكان يخلف أبي على القضاء بايذج وعلى رامهرمز ثم لم يزل على الحكم ونادم أبا محمد المهلبي في وزارته فغلب عليه وعلا محله عنده، وتخالع وتهتك فيما لا يجوز للقضاة، وكان يدعى بالقضاء ويخاطبه أبو محمد في الوزارة في كتبه بسيدي القاضي ، وكان له محل مكين من الأدب، قال : وردت البصرة وأنا حديث السن لأكتب العلم وأتأدب ، فلزمني أبو عبد الله المفجع[3]، وكنت أقتصر عليه ، فكتب إليّ يوماً وقد قَرَصَ الهواء :

أيهذا الفتى وأنت فتى الـدهـر إذا عـزَّ أن يُقالَ فتى

طوبى لمن كان في الشتاء له كاسٌ وكيسٌ وكسوة وكسا

وكتب في الرقعة : وقد بقيتْ كافُ أخرى لولا أني أحبُّ تقليلَ المؤونة عليك لذكرتها ـ يعني الكس ـ فبعث إليه بجميع ما التمسه .

قال التنوخي[4] : وحدثني قال : كان أبو خليفة القاضي صديقاً لأبي وعمي أيام وفد إلى كور الأهواز في فتنة الزنج ، فلما قدمت إلى البصرة قدمتها مع أبي ، فأنزلنا أبو خليفة داره وأكرمنا ، وأمكنني من كتبه ، فكنتُ أقرأ عليه كلَّ ما أريد وأسمع كيف شئت وأكتبُ وأنسخُ لنفسي ، وأصوله لي مبذولة ، فإذا كان الليل جلسنا وتحادثنا فربما أحببتُ القراءة عليه فيجيبني ، فإذا أضجرته يقولُ : يا بني روِّحني ، فأقطعُ القراءة ، وإذا استراح أخرج من كمه دفتراً من ورق أصفر فيقول : اقرأ عليَّ منه فإنه خطي ، وما

(1) هو زهر الزعفران ويكتب أيضاً « الزرتك » .

(2) نشوار المحاضرة 3 : 287 .

(3) م : المسمعي .

(4) نشوار المحاضرة 3 : 289 .

تقرأه عليّ فهو من خط غيري ، فكنت أقرأ عليه منه ، وكان فيه ديوان عمران بن حطان . فكان يبكي على مواضع منه ، فأنشدته ليلةً القصيدةَ التي فيها البيتان المشهوران[1] :

يا ضربةً من تقيّ ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره يوماً فأحسبُهُ أوفى البرية عند الله ميزانا

فبكى عليهما لما انتهيت إليهما حتى كاد يعمى ، فاستطرفتُ ذلك وعجبتُ منه ، فلما كان من الغد اجتمعتُ مع المفجّع فحدثته بذلك ، واغتررت به للأدب واستكتمته إياه ، فأشاعه وأذاعه وعمل :

أبو خليفةَ مطويٌّ على دَخَن للهاشميين في سرّ وإعلان
ما زلت أعرفُ ما يُخْفي وأنكره حتى اصطفى شعر عمرانٍ بن حطان

وأنشدنيها لنفسه وأنشدها غيري ، فكتبها عنه بعض أهل الأدب في رقعة لطيفة وجعلها في مقلمته ، وحضرنا عند أبي خليفةَ في مجلس عام ، فنفض الرجل مقلمته وقد أُنسي ما فيها فسقطت الرقعة ، وانصرف الناس ، ووجدها أبو خليفة وقرأها فاستشاط وقال : ابن الايذجي قبّحه الله وترّحه أشاط بدمي ، عليَّ بأبي العباس الساعةَ ، يعني والدي ، فجاءه وحدثه الحديث ، فوقعتُ في ورطة وكادت الحال أن تنفرج بيني وبين أبي ، ومنعني أبو خليفة القراءة واحتشمني ، فحملتُ إليه ثيابا لها قدر وأهديتُ إليه من مأكل الجند واعتذرتُ إليه فرجع إليَّ وقبل عذري وعاود تدريسي ومكنني من القراءة عليه ، فقرأت « كتاب الطبقات » وغيره مما كان عنده ، وقال : لا أظهر الرضى عنك أو تكذبَ نفسك ، ففعلت ذلك ، وأعطيت المفجع ثوبا دبيقيا حتى كفّ عن إنشاد الأبيات ، وجحدها واعتذر إلى أبي خليفة .

قال وقال أبي على عقيب هذا[2]: أكثر رواة العرب فيما بلغني عنهم إما خوارج وإما شعوبية ، كأبي عبيدة معمر بن المثنى وأبي حاتم سهل السجستاني وفلان وفلان وعدد جماعة .

---

(1) ديوان شعر الخوارج : 164 (وفيه تخريج) .
(2) نشوار المحاضرة 3 : 291 .

وقرأت بخطّ ابن مختار اللغوي المصري : أبو خليفة الفضل بن الحباب اشترى جاريةً فوجدها خشنة فقال : يا جارية هل من بُزَاق أو بصاق أو بساق ـ العرب تنقل السين صاداً أو زاياً فتقول أبو الصقر والزقر والسقر ـ فقالت : الحمد لله الذي ما أماتني حتى رأيت جِرِي قد صار ابنَ الأعرابيّ تُقرأ عليه غرائبُ اللغة[1] .

ـ 894 ـ

الفضل بن خالد أبو معاذ النحوي المروزي مولى باهلة : روى عن عبد الله بن المبارك وعبيد بن سليم روى عنه محمد بن علي بن الحسن بن شقيق وأهل بلده ، مات سنة إحدى عشرة ومائتين ، ذكر ذلك الحاكم بن البيع في « تاريخ نيسابور » . قال الأزهري : ولأبي معاذ كتاب في القرآن حسن .

قلت : وقد روى عنه الأزهري في « كتاب التهذيب » فأكثر ، وذكره محمد بن حبّان في « تاريخ الثقات » في الطبقة الرابعة بمثل ذلك سواء ، ولعلَّ الحاكم عنه نقل .

ـ 895 ـ

الفضل بن صالح العلوي الحسني النحوي أبو المعالي اليماني : مات في سنة نيف وثمانين وأربعمائة قاله عبد الغافر ، قال : وحضر نيسابور وسمع الحديث من مشايخنا الذين رأيناهم ، ولا شك أنه سمع في أسفاره الكثير[2] .

---

894 ـ ترجمته في التهذيب للأزهري 1 : 25 والوافي للصفدي (خ) وبغية الوعاة 2 : 245 .

895 ـ ترجمته في الوافي للصفدي (خ) وبغية الوعاة 2 : 246 ؛ والمؤلف ينقل عن السياق ، انظر المنتخب (الثاني) الورقة : 122 ، ونسبته عند الصفدي « اليمامي » .

(1) فات المؤلف هنا ذكر الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي (انظر إنباه الرواة 3 : 6) .

(2) م : الكتب ، والتصويب عن السياق .

ـ 896 ـ

الفضل بن عمر بن منصور بن علي أبو منصور : يعرف بابن الرائض الكاتب، من أهل باب الأزج ، كان حافظاً لكتاب الله ، قرأ بالعشر على عليّ بن عساكر البطائحي ، وخطه غاية في الجودة على طريقة ابن هلال بن البواب ، ولذلك أوردناه في هذا الكتاب . بلغني أن مولده في سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة ومات في جمادى الآخرة سنة تسع وستمائة .

ـ 897 ـ

الفضل بن محمد بن أبي محمد اليزيدي : يكنى أبا العباس ، وقد ذكرنا نسبه ونسب أهله والسبب الذي لأجله سموا اليزيديين في باب جده أبي محمد يحيى بن المبارك . وكان الفضل أحد الرواة العلماء والنحاة النبلاء ، أُخذ عنه العلم الكثير ورواه من جهة الجم الغفير ، ومات فيما ذكره ابن النديم سنة ثمان وسبعين ومائتين .

حدث المرزباني عن الصولي عن أحمد بن يزيد المهلبي قال قال إبراهيم بن المدبر : اجتمع عندي يوماً الفضل اليزيدي والبحتري وأبو العيناء ، فجلس الفضل يلقي على بعض فتياننا نحواً ، فقال له أبو العيناء : هذا بابي وباب الوالدة حفظها الله[1] ، فغضب الفضل وانصرف . وخرج البحتري إلى سامرا من بغداد وكتب إليّ شعراً أوله[2] :

ذكرتنيك روحةٌ للشمولِ

وهجا فيها الفضل فقال :

جُلُّ ما عنده التردّدُ[3] في الفا ... عل من والديه والمفعولِ

---

896 ـ ترجمة ابن الرائض في الوافي للصفدي (خ) وتاريخ الذهبي (601 ـ 610) ص : 306 ـ 307 .

897 ـ ترجمة الفضل اليزيدي في الفهرست: 56 (وانظر ص: 158 أيضاً) ومعجم المرزباني: 186 وطبقات الزبيدي: 86 وإنباه الرواة 3 : 7 والوافي للصفدي (خ) وبغية الوعاة 2 : 246 .

....

(1) في القصة حذف ، يظهر بعد أسطر .

(2) ديوان البحتري 3 : 1815 وعجز البيت : أوقدت غلتي وهاجت غليلي .

(3) الديوان : التعمّق .

قال إبراهيم : فأمرت أن يكتب جواب الكتاب ويوجه إليه بمائة دينار ، ودخل أبو العيناء فأقرأته الشعر فقال : أعطني نصفَ المائة فانه هجاه والله بكلامي فأخذ خمسين ، ووجهت إلى البحتري بخمسين وعرَّفته الخبر ، فكتب إليَّ ، صدق والله ما بنيتُ أبياتي إلا على معناه .

وحدث المرزباني في « كتاب المعجم » قال : كتب الفضل بن محمد بن أبي محمد اليزيدي إلى أبي صالح ابن يزداد، وكان يداعبه وجرت بينهما جفوة :

آسْتَحي مِن نفسكَ في هجري ... واعرفْ بنفسي أنت لي قدري

واذكر دخولي لكَ في كلِّ ما ... يجملُ أو يقبح من أمرِ

قد مرَّ شهران ولم ألقكم ... لا صبرَ لي أكثرَ من شهرِ

وحدث ابن ناقيا في « كتاب ملح الممالحة » قال ، قال الفضل بن محمد اليزيدي : كان محمد بن نصر بن منصور بن بسام الكاتب أسرى منزلاً وآلةً وطعاماً وعبيداً ، وكان ناقصَ الأدب ، وكنت أختلفُ إلى ولده وولد عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم ليقرءوا عليَّ الأشعار ، وكان عبد الله بن إسحاق سرياً جاهلاً ، فدخلتُ يوماً والستارةُ مضروبة ومحمد بن بسام وعبد الله بن إسحاق يشربان وأولادهما بين أيديهما وكانوا قد تأدبوا وفهموا ، فغنِّيَ بشعر جرير :

ألا حيِّ الديارَ بِسُعْدَ إني ... أحبُّ لحبِّ فاطمةَ الديارا

فقال عبد الله بن إسحاق : لولا جهلُ العرب ما كان ذكر لِسُعْدَ هاهنا ، فقال محمد بن بسام : لا تفعل يا أخي فانه يقوّي معدتهم ويصلح أسنانهم . قال الفضل اليزيدي فقال لي علي بن محمد بن نصر : باللّه يا أستاذ اصفعهما وابدأ بأبي .

قال المؤلف : أراد بسعد هاهنا اسمَ موضع معروف .

وكتب الحمدوني إلى الفضل :

يا أبا العباس إنا ... في نعيمٍ وسرورِ

ولدينا أسعدُ الأمّـةِ في كلِّ الأمورِ

ما لنا عيبٌ سوى بُعْـدِكَ فامننْ بحضورِ

فأجابه : سمعنا وأطعنا .

- 898 -

الفضـل بن محمد بن علي بن الفضـل القصباني ، أبـو القـاسم النحـوي البصري : كان واسعَ العلم غزيرَ الفضل اماماً في علم العربية ، وإليه كانت الرحلة في زمانه ، وكان مقيماً بالبصرة ، مات في سنة أربع وأربعين وأربعمائة في أيام القائم ، وأخذ عنه أبو زكرياء يحيى بن التبريزي وأبو محمد الحريري . وله تصـانيف : منها كتاب في النحو . وكتاب في حواشي الصحاح . وكتاب الأمالي . وكتاب في أشعار العرب ومختارها كبير وسمه بالصفوة .

قال القاسم بن محمد بن الحريري صاحب المقامات : أنشدنا شيخنا أبو القاسم القصباني النحوي لنفسه :

في الناسِ من لا يرتجى نَفْعُهُ		إلا إذا مُسَّ بـاضـرارِ
كـالعودِ لا يُـطْمَـعُ في ريحـه		إلا إذا أُحْـرِقَ بـالـنـارِ

898 ـ ترجمته في إنباه الرواة 3 : 9 والوافي للصفدي (خ) وبغية الوعاة 2 : 246 والبلغة : 184 .

حرف القاف

- 899 -

قابوس بن وشمكير بن زيار الديلمي الملقب بشمس المعالي: من الملوك، وكان صاحب جرجان وطبرستان، وكان أبوه وشمكير وعمه مرداويج ملوك الري واصبهان وتلك النواحي، لأن أول من ملك من الديلم ليلى بن النعمان فاستولى على نيسابور في أيام نصر بن أحمد الساماني، وقام بعده أسفار بن شيرويه، وكان مرداويج بن زيار أحد قواده، فخرج عليه فحاربه فظفر به مرداويج فقتله وملك مكانه، وعمل لنفسه سريراً من ذهب فجلس عليه، واشترى عبيداً كثيرة من الأتراك، وجعل يقول: أنا سليمان وهؤلاء الشياطين، وكان فيه ظلم وجبروت فدخل عليه غلمانه الأتراك فقتلوه في الحمام. وكان بنو بويه من أتباعه فولاهم ولاية استظهروا بها عليه وحاربوه حتى ملكوا.

وأما هو فلما مات ولّت الديلم عليهم أخاه وشمكير، فاستولى على جرجان وطبرستان، ودامت الحرب بينه وبين ركن الدولة أبي علي ابن بويه نيفاً وعشرين سنة، وركب في أخر أيامه فرساً له فعارضه خنزير فشبَّ به الفرس وهو غافل عنه فسقط على دماغه فهلك. وكتب ابن العميد عن ركن الدولة كتاباً يقول فيه: الحمد لله الذي أغنانا بالوحوش، عن الجيوش.

---

899 - ترجمة قابوس وأخباره في كتب التاريخ مثل ذيل تجارب الأمم وابن الأثير والعتبي وابن العبري وانظر المنتظم 7: 264 وابن خلكان 4: 79 ويتيمة الدهر 4: 59 والنجوم الزاهرة 4: 233 والوافي للصفدي (خ). وانظر الحكاية رقم: 13 في الباب 44 ورقم 16 في الباب العشرين ورقم 38 في الباب الثاني والأربعين من كتاب قابوسنامه تاليف حفيده عنصر المعالي بن إسكندر بن قابوس.

وقام بعده ابنه أبو منصور بهستون بن وشمكير مقامه وتوفي سنة سبع وستين وثلاثمائة ، وكان عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو بن ركن الدولة أبي علي زوج ابنة بهستون ، فنفذ معزّ الدولة إلى المطيع وسأله أن ينفذَ إليه الخلعَ والعهدَ على جرجان وطبرستان ففعل ذلك ولقبه ظهير الدولة ، ووصله ما نفذ إليه في جمادى الأولى سنة ستين وثلاثمائة ، فزين بلاده للرسول ونزل عن سريره عند وصول الخلع إليه ونثر عليه النثارَ العظيم ، ونفذ للمطيع لله في جواب اللقب ستين ألف دينار عيناً وغير ذلك من الثياب والخيل .

ولما توفي خلف أخوه قابوس بن وشمكير ، ونفذ إليه الطائع لله الخلعَ والعهدَ على طبرستان وجرجان ، ولقبه شمس المعالي ، وكان فاضلاً أديباً مترسلاً شاعراً ظريفاً ، وله رسائل بأيدي الناس يتداولونها ، وكان بينه وبين الصاحب ابن عباد مكاتبة . مات سنة ثلاث وأربعمائة ، وكان فيه عسف وشدة ، فسئمه عسكره فتغيروا عليه وحسَّنوا لابنه منوجهر حتى قبض على أبيه ، وقالوا له : إن لم تقبض أنت عليه وإلا قتلناه ، وإذا قتلناه فلا نأمنك على نفوسنا فنحتاج أن نُلحِقَكَ به ، فوثب عليه وقبض عليه وسجنه في القلعة ومنعه ما يتدثر به في شدة البرد ، فجعل يصيح : أعطوني ولو جُلَّ دابة ، حتى هلك ، وكان حكم على نفسه في النجوم أن منيته على يد ولده ، فأبعد ابنه دارا لما كان يراه من عقوقه ، وقرَّب ابنه منوجهر لما رأى من طاعته ، وكانت منيته بسببه ، ثم إن منوجهر قتل قتلته وكانوا ستة تواطأوا عليه ، فقتل خمسة وهربَ السادس إلى خراسان ، فقبضه محمود بن سبكتكين وحمله إليه وقال له : إنما فعلتُ هذا لئلا يتجرأ أحد على قتل الملوك ، فقتل الآخر .

ثم مات منوجهر سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة فقام ابنه انوشروان بن منوجهر مقامه ، وتوفي انوشروان سنة خمس وثلاثين وأربعمائة .

ثم ولي ابنه حسان بن أنوشروان .

ومن شعر قابوس بن وشمكير[1] :

---

(1) اليتيمة 4 : 61 .

خطراتُ ذكرك تستثيرُ صبابتي[1] فـأحسّ منهـا في الفؤاد دبيبـا
لا عضـوَ لي إلا وفيه صبـابتي فكـأنَّ أعضـائي خُلِقْـنَ قلوبـا

ومن رسائله ما كتب به إلى بعض إخوانه : كتبتُ ، أطال الله بقاءَ مولاي ، وما في جسمي جارحةٌ إلا وهي تودّ لو كانت يداً تكاتبه ، ولساناً يخاطبه ، وعيناً تراقبه ، وقريحةٌ تعاتبه ، بنفسٍ ولهى ، وبصيرة وَرْهَى ، وعين عَبْرَى ، وكبد حَرّى ، منازعةً إلى ما يقرّب منه ، وتمسكاً بما يتصل عنه ، ومثابرةً على أمل هو غايته ، وتعلقاً بحبل عهدٍ هو نهايته ، وخاطري يميل نحوه ، ونفسي تأملُ دنوّه ، وترجو وتقول أتراه ، بل لعله وعساه ، يرقّ لنفس قد تصاعد نَفَسها ، ويرحم روحاً قد فارقها روحها ومؤنسها ، وكيف بقلبه لو عاين صورةً هذه صورتها ، وشاهد مهجةً هذه جملتها ، فليرفق جُعِلْتُ فداه بمن عاند برحاً عظيماً ، وكابد قَرْحاً أليماً ، وليرقّ لكبد قذفها البعاد ، وعينٍ أرّقها السهاد ، وأحشاءٍ محرقة بنار الفراق ، وأجفان مقروحةٍ بدمعهـا المهراق ، وقلب في أوصابه متقلّب ، ولب في عذابه معذّب ، فلو أني أُسْعِدْتُ فأُعطيتُ الرضى ، وخيرت فاخترت المنى ، لتمنيتُ أن أتصوّر صورتك ، وأطالـعَ طلعتك ، وأمثّـل لها مثـالي لتراه ، فأخبرَها بِكُنْهِ حالي ومعناه ، لترفق لازالة ما أزلّه الدهرُ إليّ ، ولتتلطف لإماطةِ ما أماطه عليّ ، وأشكو بعضَ ما نابني من نوائبه وغوائله ، وأطلقني من أشراكه وحبائله .

وكان قد تمت عليه نكبةٌ أخرجته من مقرّ عزه وموطن ملكه ، فشتته عن الأوطانِ وألحقته بخراسان ، فأقام بها برهةً من الزمان إلى أن أسفر صُبْحُهُ ، وفاز بعد الخيبة قِدْحُهُ ، وتحرج الزمانُ من جوره عليه ، فردَّ ملكه إليه ، فقال في حال نكبته[2] :

قـل للذي بصروفِ الـدهرِ عيّـرنـا هل عانـد الدهـرَ إلا مَنْ له خَـطَرُ
أمـا ترى البحـرَ يطفـو فوقـه جيَفٌ ويستقـرُّ بـأقصـى قعـرِهِ الـدررُ
فان تكنْ عبثت[3] أيدي الزمانِ بنا ونـالنـا من تـأذي بؤسِـهِ ضـررُ

(1) اليتيمة : مودتي .
(2) يتيمة الدهر 4 : 61 .
(3) اليتيمة : نشبت .

وله :

بـالله لا تنهضي يا دولـةَ السِّفَلِ وقصّري فَضْلَ ما أرخيتِ من طِوَلِ
أسرفتِ فاقتصدي جاوزتِ فانصرفي عن التهـوّرِ ثم امشي على مَهَـلِ
مخـدَّمـون ولم تُخْـدَمْ أوائلهـم مخـوَّلـون وكـانـوا أرذلَ الخـول

فأما أبو الحسن علي بن بويه فإنه لما مات أخوه في سنة ثلاث وسبعين استدعاه ابن عباد وأقامه مقام أخيه ، وأما قابوس فإنه لما تطاولت مدته ولم ير عند السامانيـة ناصراً قصد أطرافَ بلاده ، فتجمعت إليه الجيوش وعاد إلى بـلاده وقاتـل المستولي عليها حتى عاد إلى سرير ملكه بعد ثماني عشرة سنة .

وذكر أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني في رسالة له سماها « التعلل بإجالة الوهم في معاني منظوم أولي الفضل »[1] قال : وكنت أستحسنُ من شمس المعالي قـابوس إعـراضه عن إنشـاد مدائحـه في وجهه وبين يـديه ، وكـان يـطلق للشعـراء المجتمعين على بـابه في النيـروز والمهرجـان مقداراً من البرّ ، ويرسم لأبي الليث الطبري توزيعَهُ عليهم بحسب رتبهم ، فإنهم قومٌ مستميحون بما يتفاضلون فيه ، لكني لا أستجيز سماعَ أكاذيبهم التي أعرفُ من نفسي خلافَها وأتحرز بذلك من الاستغبان .

ولقـابوس فصـل يعزّي : حَشْـوُ هذا الـدهر ـ أطـال الله بقاء مـولاي ـ أحزان وهموم ، وصفوه من غير كَدَرٍ معـدوم ، فما أولاه ـ أيـده الله ـ بأن يتـأمل أحـواله ، ويستشفَّ ضروبَهُ وأحكامه ، فإن وجد أحداً سلم من وَجْدٍ أو عريَ من فقد لقي خلاف المعهود ، وحقَّ له التأسي على المفقود ، وإن علم أن الخلق فيه شَرع ، وأن الباقي للماضي تبع ، قدَّم من السلوة والصبر ، ما لا بدَّ من المصير إليه اخر الأمر ، ليحصل له الثواب والأجر ، والسلام .

قال أبو حيان ، قال لي البديهي : مدحت وشمكير بمدائح فاحت رياها شرقاً وغرباً وبعداً وقرباً ، فما أثابني عليها إلا بشيء يسير ، وقصده بعض الأغتام من الجبال

(1) ينقل عنها أيضاً ابن العديم في بغية الطلب 1 : 36 .

فمدحه بقصيدةٍ ركيكة غير موزونة تعلُّقها بالهجاءِ أكثرُ من تعلقها بالمديح ، فأعطاه ما أغناه وأعقابه بعده ، فشكوت الى ابن ساسان ذلك فقال لي : إفراطُ العلم مضرٌّ بالجد ، والجدّ والعلم قلما يجتمعان ، والكدّ للعلم والجد للجهل ، وأنشأ يقول :

إن المقاديرَ إذا ساعدتْ ... ألحقتِ العاجزَ بالحازمِ

وللصاحب يهجو قابوس :

قد قبس القابساتِ قابوسُ ... ونجمه في السماءِ منحوسُ

وكيف يُرْجَى الفلاحُ من رجلٍ ... يكونُ في آخرِ اسمه بوس

فأجابه قابوس :

من رام أن يهجو أبا قاسمٍ ... فقد هجا كلَّ بني آدمِ

لأنه صُوِّرَ من مضغةٍ ... تجمعتْ من نُطَفِ العالم

قال أبو سعد الآبي في « تاريخه » : في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعمائة كانت الأخبار تواترت بموت قابوس بن وشمكير ، ثم ورد الخبر بأنه لم يمت ولكنه نكب وأزيل عن الملك ، وذلك أنه كان قد أسرف في القتل وتجاوز الحد في سفك الدماء ، ولم يكن يعرفُ حدًا في التأديب وإقامة السياسة غيرَ ضرب الأعناق وإماتة الأنفس ، وكان يأتي ذلك في الأقرب فالأقرب والأخصّ فالأخص من الجند والحاشية ، حتى أفنى جميعهم وأتى على جلهم ، وأذل الخيل وأصناف العسكر للرعية وجرأهم عليهم ، ولم يتظلّم أحدٌ من أهل البلد من واحد من أكابر عسكره إلا قتله وأتى على نفسه من غير أن يتفحصَ عن الشكوى أصحيحةٌ أم باطلة ، فتبرم به عسكره وحاشيته وخافوا سطوته ولم يأمنوا ناحيته ، فمشى بعضهم إلى بعض وتمالأوا عليه وتعاهدوا وتحالفوا ، وخفي الأمر لأنه كان خرج إلى حصنٍ بناه وسماه شمراباذ ، وعزم القوم أن يتسلقوا عليه ويغتالوه ، وقد واطأهم على الأمر جميعُ من كان معه في الحصن ، فتعذّر عليهم الصعودُ إليه والهجومُ عليه ، وعلموا أنهم لو قد أصبحوا وقد عرف الخبر لم ينجُ منهم أحد ، فنعوه إلى الناس وذكروا أنه قد قضى نحبه ، فانتهبت اصطبلاته وسيقت دوابه وبغاله ، ولم يقدرْ هو على مفارقة الموضع لاعواز الظهور التي تحمل وتنقل عليها

خزائنه ، وكان عنده وزيره أبو العباس الغانمي ، فاتهمه بممالأة القوم فأوقع به وقتله . وخاطبَ العسكرُ من ذلك الموضع ومن جرجان منوجهرَ ، وكان إذ ذاك مقيماً بطبرستان ، فاستدعوه وكتبوا إليه بالحضور وأنه متى تأخر قدَّموا غيره ، فبادر إليهم فقلدوه الأمر ، وبلغ ذلك قابوس وقد تفرق عنه من غدر به ، فجمع أمراء الرستاق وفارق المكان ، وصحبه طائفة من العرب وغيرهم من الجند ، وخرج إلى بسطام مع خزائنه وأسبابه ، وتبعه منوجهر ابنه مع العسكر فحصره ، وامتنع هو عليه ، ثم أمكن من نفسه عند الضرورة ، فقبض عليه وحمل الى بعض القلاع . وتقرر أمر ابنه منوجهر ولُقِّبَ بفلك المعالي ، وكان أبوه يلقب شمس المعالي ، ثم ورد الخبر في جمادى الآخرة بصحة موت قابوس ، وأقام التعزية في ممالكه عنه ، وكان موته في مجلسه بقلعة جناشك . وذكر أنه اغتيل وحمل تابوته إلى جرجان ودفن في مشهد عظيم كان بناه لنفسه وأنفق عليه الأموال العظيمة وبالغ في تحصينه وتحسينه .

- 900 -

القاسم بن أحمد بن الموفق أبو محمد الأندلسي اللورقي : يلقب علم الدين ، مولده فيما أخبرني عن نفسه في حدود سنة إحدى وستين وخمسمائة ، وهو إمام في العربية وعالم بالقرآن والقراءة ، اشتغل بالأندلس في صباه ، وأتعب نفسه حتى بلغ من العلم مناه ، فصار عيناً للزمان ينظر به إلى حقائق الفضائل ، فما من علم إلا وقد أخذ منه بأوفر نصيب وحصل منه على أعلى ذروة ، وكنت لقيته بمحروسة حلب في سنة ثماني عشرة وستمائة ففزت من لقائه بالأمنية ، واقتضبتُ من فوائده كلَّ فضيلةٍ شهية ، وحدثني أنه قرأ القرآن بمرسية من بلاد الأندلس على الشيخ أبي عبد الله

900 ـ ترجم له الصفدي في الوافي 2 : 102 باسم محمد بن أحمد بن الموفق بن جعفر ، وكنيته أبو القاسم ، وأحال على هذه الترجمة في باب « القاسم بن أحمد » وهو باسم القاسم في بغية الوعاة 2 : 250 وفي طبقات ابن الجزري 2 : 15 . (ويذكر الصفدي أنه توفي سنة احدى وستين وستمائة ودفن بمقابر باب توما بدمشق) وله أيضاً ترجمة في ذيل الروضتين : 227 وكرر المقري ترجمته في النفح 2 : 50 ، 137 (وفي الموضع الثاني نسب خطأ المريني وهو المرسي) وعقد الجمان (648 ـ 666) ص : 368 والبداية والنهاية 13 : 241 .

محمد بن سعيد بن محمد المرادي المرسي وعلى أبي الحسن علي بن يوسف بن الشريك الداني بمرسية ، وببلنسية على أبي عبد الله محمد بن أيوب بن محمد بن نوح الغافقي الفقيه وعلى الشيخ المقرىء أبي العباس أحمد بن علي بن محمد بن عون الله الأندلسي ، وقرأ النحو على أبي الحسن علي بن الشريك المذكور وابن نوح المذكور . ثم خرج الى مصر في سنة إحدى وستمائة ، فقرأ بها القرآن على الشيخ أبي الجود غياث بن فارس بن مكي اللخمي ، وبدمشق على الشيخ الامام تاج الدين أبي اليمن الكندي ـ قرأ عليه القرآن جميعه بكتاب « المهج » تصنيف أبي محمد المقرىء وكتاب سيبويه وكثيراً من كتب الأدب ، وسمع منه أكثر سماعاته كـ « تاريخ الخطيب » « والحجة » و « أدب الكاتب » وغير ذلك ، وكان وروده إلى دمشق سنة ثلاث وستمائة ، وببغداد على الشيخ أبي البقاء الحسين بن عبد الله العكبراوي ، وسمع الحديث على جماعة منهم .

وأما معرفته بالفقه والأصول وعلوم الأوائل كالمنطق وغيره فهو الغاية فيه .

وله من التصانيف : كتاب شرح المفصل في عشر مجلدات . وكتاب في شرح قصيدة الشاطبي . وكتاب شرح مقدمة الجزولي مجلدان .

وأنشدني قال أنشدني تاج الدين أبو اليمن لنفسه رحمه الله :

تركتُ قيامي للصديق يزورني ... ولا عذرَ لي إلا الاطالةُ في عمري

ولو بلغوا من عشر تسعين نصفها ... تبيَّنَ في تركي القيامَ لهم عذري

ـ 901 ـ

القاسم بن إسماعيل أبو ذكوان الراوية : قال محمد بن إسحاق النديم : قال أبو سعيد يعني السيرافي : وقد كان في أيام المبرد جماعة نظروا في « كتاب سيبويه » ولم تكن لهم نباهته منهم أبو ذكوان القاسم بن إسماعيل . ولأبي ذكوان كتاب معاني

901 ـ ترجمة أبي ذكوان الراوية في أخبار النحويين البصريين : 80 والفهرست: 65 وإنباه الرواة 3 : 10 والوافي للصفدي (خ) وبغية الوعاة 2 : 251 وعنون الزبيدي له ترجمة (ص 183) ولم يترجم له .

الشعر رواه عنه ابن درستويه ، ووقع أبو ذكوان إلى سيراف[1] أيام الزنج ، وكان علامة أخبارياً قد لقي جماعةً من أهل العلم ، وكان التوزي زوج أم أبي ذكوان .

ـ 902 ـ

قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح بن عطاء البياني أبو محمد ، مولى الوليد بن عبد الملك : إمام من أئمة العلم حافظ مكثر مصنف ، كان أصله من بيانه وسكن قرطبة وبها مات سنة أربعين وثلاثمائة عن سن عالية ، ويقال إنه لم يسمع منه شيء قبل موته بسنتين.

ذكره الحميدي فقال : سمع محمد بن وضاح ومحمد بن عبد السلام الخشني وجماعة ، ورحل فسمع إسماعيل بن إسحاق القاضي وأبا اسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذي والحارث بن أبي أسامة وأبا قلابة الرقاشي وعبد الله بن مسلم بن قتيبة وأحمد بن زهير بن حرب وأبا بكر ابن أبي الدنيا وذكر جماعة ثم قال : وغيرهم .

وصنف كتباً منها : كتاب الحمر[2] ، وكتاب في أحكام القرآن على أبواب كتاب إسماعيل بن إسحاق القاضي . وكتاب المجتبى على أبواب كتاب ابن الجارود المنتقى ـ قال أبو محمد علي بن أحمد[3] : وهو خير منه انتقاء وأنقى حديثاً وأعلى سنداً وأكثر فائدة . وله كتاب في فضائل قريش . وكتاب في الناسخ والمنسوخ . وكتاب في غرائب حديث مالك بن أنس مما ليس في الموطأ . وكتاب في الأنساب في

902 ـ ترجمة قاسم بن أصبغ في ابن الفرضي 1 : 406 وجذوة المقتبس: 311 وبغية الملتمس رقم: 1298 وترتيب المدارك 5 : 180 وتذكرة الحفاظ: 853 وعبر الذهبي 2 : 254 وسير الذهبي 15 : 472 ومرآة الجنان 2 : 333 والديباج المذهب 2 : 145 والوافي للصفدي (خ) ولسان الميزان 4 : 458 وطبقات الحفاظ: 352 وبغية الوعاة 2 : 251 والشذرات 2 : 357 .

(1) م : السيرافي ـ وهو خطأ واضح .

(2) هكذا ورد هنا ، وفي الوافي وبغية الوعاة : كتاب الخمر ، وأحسبه خطأ ، ولعله : كتابه « المخرج » على كتاب أبي داود ، ولم يذكره الحميدي .

(3) هذه هي رواية ابن حزم التي ينقلها الحميدي ، وأصلها في رسالته في فضل الأندلس (رسائل ابن حزم 3 : 179) .

غاية الحسن والايعاب . وكان من الثقة والجلالة بحيث اشتهر أمره وانتشر ذكره وروى عنه جماعة من أهل بلده وغيرهم .

ـ 903 ـ

قاسم بن ثابت السرقسطي : ذكره الحميدي فقال : هو مؤلف كتاب غريب الحديث[1] رواه عنه ابنه ثابت وله فيه زيادات وهو كتاب حسن مشهور ، وذكره أبو محمد علي بن أحمد وأثنى عليه وقال : ما شآه أبو عبيد إلا بتقدم العصر .

ـ 904 ـ

القاسم بن الحسين بن محمد أبو محمد الخوارزمي : صدر الأفاضل حقاً ، وواحد الدهر في علم العربية صدقاً ، ذو الخاطر الوقاد ، والطبع النقاد ، والقريحة الحاذقة ، والنحيزة الصادقة . برع في علم الأدب ، وفاق في نظم الشعر وَنَثْرِ الخطب ، فهو إنسانُ عينِ الزمان ، وغرة جبهة هذا الأوان .

سألته عن مولده فقال : مولدي في الليلة التاسعة من شعبان سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، وحضرت في منزله بخوارزم فرأيت منه صدراً يملأ الصدر ذا بهجة سنية ، وأخلاقٍ هنية ، وبشر طلق ، ولسان ذلق ، فملأ قلبي وصدري ، وأعجز وصفه نظمي ونثري ، واستنشدته من قبله فأنشدني لنفسه بمنزله في خوارزم في سلخ ذي القعدة سنة ست عشرة وستمائة :

---

903 ـ ترجمته في ابن الفرضي 1 : 402 وجذوة المقتبس: 312 (وبغية الملتمس رقم: 1300) وطبقات الزبيدي: 284 (في ترجمة أبيه ثابت) وإنباه الرواة 3 : 12 وفهرسة ابن خير: 191 ـ 194 والديباج المذهب 2 : 141 والوافي للصفدي (خ) وبغية الوعاة 2 : 252 وانظر أيضاً رسائل ابن حزم 2 : 180 وترجمة ثابت في سير الذهبي 14 : 562 فقد ترجم له في درجها ، وكذلك ترتيب المدارك 5 : 249 (وكانت وفاته بسرقسطة سنة: 302) .

904 ـ له ترجمة في الوافي للصفدي (خ) وفيه اعتماد على ياقوت ؛ وانظر بغية الوعاة 2 : 252 ـ 253 .

(1) هو المسمّى بكتاب الدلائل مما لم يذكره أبو عبيد ولا ابن قتيبة (في غريب الحديث) وكان القالي يقول فيه : ما أعلم وضع في الأندلس مثل كتاب الدلائل وانظر ما كتبه الدكتور الفحام عنه (مطبوعات المجمع: 1976) .

يا زمرةَ الشعراء دعوةَ نـاصحٍ ... لا تأملوا عند الكـرام سماحـا
إن الكرامَ بأسرهم قد أغلقـوا ... بابَ السماح وضيَّعوا المفتاحا

ورأيته شيخاً بهيَّ المنظر حسنَ الشيبة كبيرها سميناً بديناً عاجزاً عن الحركة ، وكان له في حلقه حوصلة كبيرة ، وقلت له : ما مذهبك ؟ فقال : حنفي ، ولكن لست خوارزمياً ، لست خوارزمياً ، يكررها ، إنما اشتغلت ببخارى فأرى رأيَ أهلها ، نفى عن نفسه أن يكون معتزلياً ، رحمه الله .

قال : وسألني قاضي القضاة بخوارزم أن أنشىء له أبياتاً يكتبها على جدرانِ دارٍ استحدث بناءها فقلت :

من كـان يفخرُ بـالبنيـانِ والشَّرَفِ ... فليس فخري بغيرِ المجدِ والشَّرَفِ
ما قيمةُ الـدار لولا فضـلُ ساكنِها ... وأيّ وزنٍ بـدون الـدرِّ للصـدف
إن كـان يعجبني خُشْبٌ مُسَنَّـدةٌ ... فلستُ أكرمَ نجلٍ من بني خلف
قد صحَّ لي بـاتفاق النـاسِ كلهم ... روايةُ العدلِ والانصافِ عن سلفي
إني لمن معشـرٍ كـانت معـايشهم ... بـالقصدِ أما عطايـاهم فبـالسـرف
قـومٌ متى طلعت ليـلاً مـآثـرهم ... رأيتَ بدرَ الدجى في زيٍّ منخسف
بـدولـة الملكِ الميمـونِ طـائـرُهُ ... أنّى تـوجهتُ فـالإقبـال مكتنفي

وأنشدني لنفسه :

أيـا سـائلي عن كُنْـهِ عليـاه إنـه ... لأُعـطيَ مـا لم يُعْـطهُ الثقـلانِ
فمن يَـرَهُ في منـزلٍ فكـأنمـا ... رأى كـلَّ إنسـانٍ وكـلَّ مكـان

وأنشدني لنفسه في أبناء شيخ الإسلام الرستاني ، ورستان من قرى مرغينان ، ومرغينان من بلاد فرغانة :

فـديتُ إمامـاً صيغ من عـزةِ النفسِ ... أنـاملُهُ والسحبُ نـوعـانِ مـن جنسِ
أشـدَّ ارتيـاحـاً نحـو طلعـةِ معتفٍ ... من المفلس الخاوي اليدين إلى الفلس
وأفْقَـهُ في تـدريسـه من محـمـدٍ ... وأجـودُ مـن كعـبٍ وأخـطبُ من قس

مـنـاقـبُ لـو أنّ الـحـرابـيَّ مـرةً بصرن بها استنكفن عن خدمةِ الشمس
ويغـدو على طِـرْفٍ من الشقـر كلما رأتـه إمـاءُ الـحـيِّ وافتْـهُ لـلقـبس
على سابحٍ من خلقةِ الوهم طالعٍ وأهـونُ شـيءٍ عـنـده دَرَكُ الأمس
فتى ساومتـه خلقه وهـو فـاغـمٌ ولا فغمة المسكِ الخرائد للعـرس
لـه الصفـوُ من ودي وإخـوتـه الألى غَـدَوْا من سهام الـزيغ للدين كـالترس
لفتيانِ صدقٍ ما اقْتَنَوْا طـولَ عمرهم سوى البحثِ والافتاءِ والـوعظِ والدرس
لأربعـةٍ شـادوا الهـدى بعـد شيخهم فقـد بُنِيَ الاسـلام منهم على خمس
بنـورٍ إلـهـيٍّ عـليـهـمْ وزهـدِهِـمْ وعـلمهـمُ أضحـوا مـلائكـةَ الانس
فعـاشوا لتـرشيـح الهـدى ويـراعهم بصـائبـة الاحكـام يقـطرُ في الـطرس

وقال بعض الفضلاء الخراسانية في الامام صدر الأفاضل يمدحه :

إن للعـالمين فـخـراً وزينـاً وجمـالاً يجـلُّ عن كـلِّ شَيْنِ
بـفتىً وافـر العـلوم نَقّـابٍ مـثله مـا رأيتُ قطّ بعيـنـي
ليس ذاك الفـتى الـمبـرّز إلا أفضل الناس قاسم بن الحسين

وحدثني صدر الأفـاضل [قـال] ، قال بعض الفضـلاء العراقيـة فيّ وهو من أصحابي :

يـقـولـون إنّ الأصـمـعـيَّ لـبـارعٌ وبـالنحـو والآداب والـشعـرِ عـالـمُ
كـذا ابنُ دريـدٍ والخـليـلُ وجـاحظٌ وكـلٌّ لـدرٍّ العلم والـفضـلِ نـاظـم
فقلتُ أجلْ قد جـلَّ في الناس شأنهم وأفضـلُ منهم صَدْرُ خـوارزمَ قـاسم[1]

وأنشدني صدر الأفاضل لنفسه :

أتحمـلُ منّي نحو ذيّـالِكَ الرّشـا سـلاماً كصـدغيه وحـالي مُشَـوَّشـا
وإني لوجدي أستضيءُ لدى الحمى بشعلةِ أنفـاسي إذا الليـلُ أغـطشـا
ويـرحمني العـذّالُ حتى يقـول لي أمَـوْقِـدُ نـارٍ بين جنبيـك أم حشـا

(1) اقرأ : خارزم (باللفظ الأصلي) ليصحّ الوزن .

وهـل تـردُ الجـرعـاة مني بجنّـةٍ … على طرفيها رونقُ العهـدِ قد مشى
وإنيَ قـد كتَّمْتُ سـرّي وإنـمـا … بـرغميَ صَوْبُ المـدمعين به فشـا
كما أن صدر الشرق أخفى سخاءه … ولكنـه بِشْـرُ الجـبيـنِ بـه وشى
متى جُحِـدتْ نُعماه أنهض جـودُهُ … شهوداً من الإحسان لا تقبلُ الرشا
وإن هـزَّه الإطـراءُ ثم تبجست … أيـاديـه لم يسكـرْ لـه فقـد انتشى
أيلحقـه الـوهمُ القـطوفُ إذا سعى … لإدراكِ غـايـاتِ العـلا متكمشـا
لـك المنهل المسكيُّ مـا زال نَقْعُهُ … يعلّلُ صـلاّ في يمينـك أرقـشـا
فيلفظ في منســابـه من لـعـابـه … حتوفاً وأرزاقـاً على حسب ما تشـا

وهي أطول من هذا .

وحدثني الإمام صدر الأفاضـل قال : كتب إليّ الصـوفي المعروف بـالصواب يسألني عن بيت حسان بن ثابت وهو :

فمن يهجـو رسـولَ اللّه منكم … ويمــدحــهُ وينصــرُهُ سَــواءُ

وقولِهِمْ بأن فيه ثلاثة عشر مرفوعاً فأجبته :

أفـدي إمامـاً وميضُ البـرقِ منصـرعٌ … من خلف خاطره الـوقّادِ حين خـطا
يبغي الصـوابَ لـدينـا من مَبـاحثِـهِ … أما درى أنّ ما يعـدو الصوابَ خـطا

الذي يحضرني في هذا البيت من المرفوعات اثنا عشر فمنها قوله فمن يهجو فيه ثلاثة مرفوعات المبتدأ والفعل المضارع والضمير المستكن ، ومنها المبتدأ المقدر في قوله ويمدحه ، المعنى ومن يمـدحه فيكـون هاهنـا على حسب المثال الأول ثـلاثة مرفوعات أيضاً ، ومنها المرفوعان في قوله وينصره أحدهما الفعل المضـارع والثاني الضمير المستكن ، ومنها المرفوعات الأربعة في قوله سواء ، اثنان من حيث أنه في مقام الخبرين للمبتدأين واثنان آخران من حيث أن في كلّ واحد ضميراً راجعـاً إلى المبتدأ ، فهذا يا سيدي جهد المقل ، وغير مرجوّ قطع المدى من الكلّ ، فليعذرني سيدي ـ قبل الله معاذيره ـ من المرفوع الثالث عشر ، فإنه لعمري قد استكنّ واستتر

حتى لا أعرف له عيناً، وكيف يعرف له وجار وقد صار أغرب من العنقاء، وأشد عوزاً من الوفاء .

وأنشدني صدر الأفاضل لنفسه :

سرى ناشداً أنسي قضيبٌ من الآسِ فناولني الصهباءَ والشهدَ في كاسِ
وأرشدني وهناً لتقبيلِ خاله وميضُ ثناياه وشعلةُ أنفاسي
ولو لم يكن يُلْقي على جمرِ خدِّهِ من الطرَّةِ السوداءِ ظُلَّةَ أنفاسِ
إذن لأضاء الليلَ حتى انجلت لنا هواجسُ تخفيهن أفئدة الناس

وكتب الإمام صدر الأفاضل إلى بعض أصدقائه : كتابي إلى المجلس الرفيع جمال الحرمين إمام الفريقين يديم الله رفعته ثم يديم ، وينيم عنه طوارقَ الحدثان ثم ينيم ، وأنا إليه كالصادي إلى قعقعة الحمد ، وبجماله [مشغوف] كهو بجمال المجد ، لا أروي إلا عن فضله وأفضاله ، ولا أرتوي إلا من وِرْدِهِ وزلاله ، ولا أتحسر إلا على ليال وشيتها بجواره ، ثم طرزتها بحواره :

إذا ذكرتها النفس باتت كأنها على حدّ سيفٍ بين جنبيّ يُنْتَضَى
تولّى الصبا والمالكيةُ أعرضتْ وزال التصابي والشبابُ قد انقضى .

رفع اللّه البين من البين ، حتى أرى نُضاره في قميصٍ من اللجين .

ومن إنشائه إلى الدار العزيزة ببغداد حرسها الله تعالى : راياتُ مولانا الصوّامِ القوّامِ أمير المؤمنين وإمام المتقين وخليفةِ ربّ العالمين ، الإمام الذي ليس للتابعين غيره إمام ، ولا دون عتبته متمسكٌ واعتصام ، هي التي لم أزل أدعو الله أن يعقد بعذَباتها النصر ، ويجعل من أشياعها الذئبَ والنسر ، تسايرها الآمال ، وتحل حيثما رفعت الآجال ، وتحتف بها الجدود ، وترفرف عليها السعود ، وهذا دعاءٌ لو سكتُّ كُفيته ، وأملٌ وإن لم أسأله فقد أُوتيته ، مُنَى العبدِ أن يسعى إلى المواقف المقدسة مَسْعَى القلم ، يحبو على رأسه لا على القدم ، ليشمَّ بثراها الثريّ ، لخلخة المسك الذكيّ ، ويعفّر بها جبينَهُ وأنفه ، ويجيلَ في مسارحِ الحمدِ طَرْفَه ، ويستلمَ عتبةً بها

التفّ الثقلان ، ودانت لها الأيام بعد جِران . لكن الحوادث قلما توافقه ، والأيام تشاكسه في ذلك وتضايقه ، وظني بأن الله سوف يديل[1] .

ولما ورد الرسم ـ اعلى نور الله به مشارقَ الأرض ومغاربها ـ تلقاه العبدُ بالتعظيم والاجلال ، ووضعه على قمة الامتثال ، وفضَّ ختامه عن الدرِّ المكنون ، بل أناسيِّ العيون ، وعن مشمولٍ من الروض مجنوب[2] ، وَكَلِمٍ على صفحاتِ الدهر مكتوب ، فما زالت أعضاؤه تودُّ أن تكونَ شفاهاً تقبله ، وخواطرَ تتأمله ، تمنياً يلذّ به المستهام ، ويحلو له الغرام . ثم استدعى الأرامل والأيامى فأعطاهم ، واستحضر المساكين واليتامى فأغناهم ، وأنحى على ما ملكت يمينه من العبيد والأسرى ، فأعتقهم وأطلقهم شكراً ، وسأل الله تعالى أن يديمَ أكنافَ العرصة الفيحاء ، مُرْتَعاً للعزَّةِ القعساء ، إن شاء الله تعالى :

سنا جبينك مهما لاح في الظُّلَمِ ... بتنا نطالعُ منه نسخةَ الكرمِ

إن يزرعِ الناسُ في أخلاقهم كرماً ... فالبذرُ من جودك الطنّان بالديم

تبدو على أشقرٍ خُضْرٍ حوافره ... بحراً يلاطم أمواجاً على ضرم

تشمُّ عندك صيدُ العجم لخلخةً ... من الرغام بآنافٍ من القمم

كادت لحبّك تأتي وهي ساعيةٌ ... على الرؤوس بدون الساق كالقلم

من ظنَّ غيرَ نظام الملك ذا كرم ... نادى به لؤمه «استسمنت ذا ورم»[3]

لما أنشدني هذا البيت قال لي : من نظام الملك ؟ قلت : أنت حرسك الله قائلُ الشعر تسألني عن ممدوحك ؟ فقال لي متبسماً : لستَ تعرفه ؟ قلت : لا والله ؛ قال : ولا أنا شهد الله أعرفه ، لأني ما تعرضتُ لمدح أحدٍ قط ، ولا رغبتُ في جداه ، ولا أعرف أحداً أفضل عليَّ إلا مرةً واحدةً فإن الغربة أحوجتني إليه ، فلعن اللّه الغربة . قلت له : وكيف ذلك ؟ قال : إني مضيت إلى بخارى طالباً للعلم وقاصداً للقراءة على الرضى ، فاجتمع إليّ أولاً صدرجهان وغيره ، فقد أنسيت القصة ، فلما حذقوا الأدب

(1) م : يريك ، وهو خطأ ، وهذا عجز بيت قد انسيت صدره .

(2) المشمول : الذي هبت عليه الشمال والمجنوب الذي هبت عليه الجنوب .

(3) هذا يرد مورد المثل (سرح العيون: 332) .

برني بسبعين ديناراً ركنية ووعدني بوعودٍ جميلة ، ولولا الحاجةُ والغربةُ ما قبلتها منه ، ولقد عرض عليَّ الشهاب الحوقي[1] ، وهو أحد صدور خوارزم المتقربين من السلطان ، على أن ينصبَ لي منصباً ومجلساً بطراحةٍ سوداء إلى جانبه ويعطيني كل شهر عشرة دنانير لأقرأ الأدب فلم أفعل ، قلت : فمن أين مادة الحياة ؟ قال لي : خلَّفَتْ لي والدتي قدراً يسيراً لا يقنع بمثله إلا أصحاب الزوايا فأنا أنفقه بالميسور ، وأتلذذ بالغنى عن الجمهور ، وأنا أقول الشعرَ والنثرَ تطرباً لا تكسباً ، وأستعير اسماً لا أعرفه :

أفديك ذا منظرٍ بالبشرِ ملتحفٍ	عن اليمينِ وللإقبالِ مبتسمِ
يسدُ الجلال وشتَّ في لوح جبهته	«والناسُ من خَوَلي والدهر من خدمي»
ولو أنافَ على هام السها وطني	لما لوتْ نحوه أجيادَهَا هممي
على الندى وقفتْ أيامه وعلى	نشرِ المحامدِ منه ألسنُ الامم
ما جئتُ أخدمُهُ إلا وقد سحقت	يد تلطفه عطراً من الشيم
زفَّ الندى نحوه بكراً مخدرةً	لولاه زُفَّتْ إلى كُفءٍ[2] من العدم
يريه شعري نجومَ الليلِ طالعةً	والنيرين معاً من مشرقِ الكلم
لا زال مثلَ هلالِ العيد حَضْرَتُهُ	في الحسنِ واليمنِ والإقبال والشمم
وعاش للملك يحميه وينصرُهُ	فالملك من دونه لحمٌ على وضم
ودام كاليمِّ للعافين ملتطماً	بنانُهُ وهو مرشوفٌ بكل فم

وله من التصانيف : كتاب المجمرة في شرح المفصل صغير . وكتاب السبيكة في شرحه أيضاً وسط . وكتاب التجمير في شرح المفصل أيضاً بسيط . كتاب شرح سقط الزند . كتاب التوضيح في شرح المقامات . كتاب لهجة الشرع في شرح ألفاظ الفقه . كتاب شرح المفرد والمؤلف . كتاب شرح الأنموذج . كتاب شرح الأحاجي لجار الله . كتاب خلوة الرياحين في المحاضرات . كتاب عجائب النحو . كتاب السر

---

(1) كذا وردت النسبة ولعلها : « الخرقي » .

(2) م : كفن ، وهو خطأ .

في الاعراب . كتاب شرح الأبنية . كتاب الزوايا والخبايا في النحو . كتاب المحصل للمحصلة في البيان . كتاب عجالة السفر في الشعر . كتاب بدائع الملح . كتاب شرح اليميني للعتبي .

ـ 905 ـ

القاسم بن سلام أبو عبيد : كان أبوه رومياً مملوكاً لرجل من أهل هراة ، وكان أبو عبيد إمامَ أهلِ عصره في كلّ فن من العلم ، وولي قضاء طرسوس أيام ثابت بن نصر بن مالك ولم يزل معه ومع ولده . ومات سنة ثلاث عشرين ومائتين أو أربع وعشرين أيام المعتصم بمكة ، وكان قصدها مجاوراً في سنة أربع عشرة ومائتين ، وأقام بها حتى مات عن سبع وستين سنة . وأخذ أبو عبيد عن أبي زيد الأنصاري وأبي عبيدة معمر بن المثنى والأصمعي وأبي محمد اليزيدي وغيرهم من البصريين ، وأخذ عن ابن الأعرابي وأبي زياد الكلابي ويحيى بن سعيد الأموي وأبي عمرو الشيباني والفراء والكسائي من الكوفيين ، وروى الناس من كتبه المصنفة نيفاً وعشرين كتاباً في القرآن والفقه واللغة والحديث .

وقال أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي في « كتاب مراتب النحويين » : وأما أبو عبيد القاسم بن سلام فإنه مصنِّفٌ حَسَنُ التأليف ، إلا أنه قليلُ الرواية يقتطعه عن اللغة علومٌ افتنَّ فيها ، وأما كتابه المترجم بالغريب المصنف فإنه اعتمد فيه على كتاب عمله رجل من بني هاشم جمعه لنفسه ، وأخذ كتب الأصمعي فبوّب ما فيها وأضاف إليه شيئاً من علم أبي زيد الأنصاري وروايات عن الكوفيين ؛ وأما كتابه في غريب

905 ـ ترجمة أبي عبيد في المعارف: 549 وطبقات ابن سعد 7: 355 ومراتب النحويين: 93 وطبقات الزبيدي: 217 والفهرست: 78 وتاريخ بغداد 12: 403 وطبقات الشيرازي: 26 وطبقات الحنابلة 1: 259 ونزهة الالباء: 93 وإنباه الرواة 3: 12 وابن خلكان 4: 60 وتذكرة الحفاظ: 417 وعبر الذهبي 1: 392 وسير الذهبي 10: 490 وميزان الاعتدال 3: 371 ومرآة الجنان 2: 83 وطبقات السبكي 2: 153 والبداية والنهاية 10: 291 والعقد الثمين 7: 23 والوافي للصفدي (خ) وطبقات ابن الجزري 2: 17 وتهذيب التهذيب 8: 315 وبغية الوعاة 2: 253 والشذرات 2: 54 واشارة التعيين: 61 .

الحديث فإنه اعتمد فيه على كتاب أبي عبيدة في غريب الحديث ، وكذلك كتابه في غريب القرآن منتزع من كتاب أبي عبيدة ، وكان مع هذا ثقةً ورعاً لا بأس به ولا بعلمه ، [ولعله] سمع من أبي زيد شيئاً ، وقد أُخِذَتْ عليه مواضعُ في « غريب المصنف » . وكان ناقصَ العلم بالإعراب . وروي أنه قال : عملتُ كتابَ « غريب المصنف » في ثلاثين سنة ، وجئت به إلى عبد الله بن طاهر فأمر لي بألف دينار .

وذكره الجاحظ في « كتاب المعلمين » وقال : كان مؤدباً لم يكتب الناسُ أصحَّ من كتبه ولا أكثر فائدة ، وبلغنا أنه إذا ألف كتاباً حمله إلى عبد الله بن طاهر فيعطيه مالاً خطيراً ، فلما صنف « غريب الحديث » أهداه إليه فقال : إن عقلاً بعث صاحِبَهُ على عَمَلِ هذا الكتاب لحقيقٌ إلا يُحْوَجَ إلى طلب معاش ، وأجرى له في كل شهر عشرة آلاف درهم . وسمعه منه يحيى بن معين ، وكان ديناً ورعاً جواداً . وسير أبو دلف القاسم بن عيسى إلى عبد الله بن طاهر يستهدي منه أبا عبيد مدة شهرين فأنفذه ، فلما أراد الانصراف وصله أبو دلف بثلاثين ألف درهم فلم يقبلها وقال : أنا في جنبة رجل لا يحوجني إلى غيره ، فلما عاد أمر له ابن طاهر بثلاثين ألف دينار فاشترى بها سلاحاً وجعله للثغر . وخرج إلى مكة مجاوراً في سنة أربع عشرة ومائتين فأقام بها إلى أن مات في الوقت المقدم ذكره .

وقال إسحاق بن راهويه : يحب الله الحقّ ، أبو عبيد أعلم مني ومن أحمد بن حنبل ومن محمد بن إدريس الشافعي . قال : ولم يكن عنده ذاك البيان إلا أنه إذا وَضَعَ وَضَّح[1] .

ولما قدم أبو عبيد مكة وقضى حجه أراد الانصراف ، فاكترى إلى العراق ليخرج في صبيحة غد ، قال أبو عبيد : فرأيتُ النبيَّ ﷺ في النوم وهو جالسٌ على فراشه وقومٌ يحجبونه والناسُ يدخلون إليه ويسلّمون عليه ويصافحونه ، قال : فلما دنوتُ لأدخلَ مع الناس مُنِعْتُ ، فقلت لهم : لم لا تخلّون بيني وبين رسول الله ﷺ ؟ فقالوا : أي والله لا تدخل إليه ولا تسلم عليه وأنت خارجٌ غداً إلى العراق ، فقلت لهم : فإني لا أخرج إذن ، فاخذوا عهدي[2] ثم خَلّوا بيني وبين رسول الله ﷺ ، فدخلتُ وسلمت

(1) م : وضع .
(2) م : عبدي ، والتصويب عن المصادر .

وصافحت ، فلما أصبح فاسخَ كَرِيَّهُ وسكنَ مكةَ حتى مات بها ودفن في دور جعفر .

وقال عبد الله ابن طاهر : علماء الإسلام أربعة عبد الله بن عباس في زمانه ، والشعبي في زمانه ، والقاسم بن معن في زمانه ، وأبو عبيد القاسم بن سلام في زمانه ، ثم قال يرثيه :

يا طالبَ العلم قد ماتَ ابنُ سلّام وكان فارسَ علمٍ غيرَ محجامِ

كان الذي كان فيكم ربعَ أربعةٍ لم نلقَ مثلَهُمُ إستارَ أحكامِ

استار أي أربعة .

وحدث أبو بكر الزبيدي قال ، قال علي بن عبد العزيز ، قال عبد الرحمن اللحنة صاحب أبي عبيد قال : قيل لأبي عبيد وقد اجتاز على دار رجل من أهل الحديث كان يكتبُ عنه الناسُ وكان يُزَنُّ بشرّ : إن صاحب هذه الدار يقول : أخطأ أبو عبيد في مائتي حرف من « المصنف » فقال أبو عبيد (ولم يقع في الرجل بشيء مما كان يعرف به) : في « المصنف » مائة ألف حرف فلو لم أخطىء في كل ألف حرف إلا حرفين ما هذا بكثير مما استدرك علينا ، ولعل صاحبنا هذا لو بدا لنا فناظرناه في هاتين المائتين بزعمه لوجدنا لها مخرجاً .

وحدث عن عباس الخياط قال : كنت مع أبي عبيد فاجتاز بدار إسحاق الموصلي فقال : ما أكثرَ علمه بالحديث والفقه والشعر مع عنايته بالعلوم ، فقلت له : إنه يذكرك بضدِّ هذا ، قال : وما ذاك ؟ قلت : إنه يزعم أنك صحّفت في « المصنف » نيفاً وعشرين حرفاً ، فقال : ما هذا بكثير ، في الكتاب عشرة آلاف حرف مسموعة يُغْلَط فيها بهذا اليسير ، لعلّي لو ناظرتُ فيها لاحتججتُ عنها ، ولم يذكر إسحاق إلا بخير .

قال الزبيدي : ولما اختلفت هاتان الروايتان في العدد امتحنت ذلك في المصنف فوجدت فيه سبعة عشر ألف حرف وتسعمائة وسبعين حرفاً .

وحدث موسى بن نجيح السلمي قال : جاء رجل إلى أبي عبيد القاسم بن سلام فسأله عن الرباب فقال : هو الذي يتدلى دون السحاب ، وأنشد لعبد الرحمن بن حسان :

كأنَّ الربابَ دُوَيْنَ السحابِ نعامٌ تعلَّقَ بالأرجلِ

فقال : لم أردْ هذا ، فقال الرباب اسم امرأة ، وأنشد :

إن الـذي قسم المـلاحـة بيننا وكسـا وجوهَ الغـانيـاتِ جمـالا

وهب المـلاحـةَ للربـاب وزادهـا في الوجه من بعد الملاحةِ خالا

فقال : لم أرد هذا أيضاً ، فقال : عساك أردت قول الشاعر :

ربـابُ ربَّـةُ الـبـيـتِ تصبُّ الخـلَّ في الـزيتِ

لـهـا سبـعُ دجـاجـاتٍ وديـكٌ حسن الـصـوتِ

فقال : هذا أردت ، فقال : من أين أنت ؟ قال : من البصرة ، قال : على أيِّ شيء جئت ، على الظهر أو في الماء ؟ قال : في الماء . قال : كم أعطيتَ الملاح ؟ قال : أربعة دراهم ، قال : اذهب استرجع منه ما أعطيته وقلْ : لم تحملْ شيئاً فعلامَ تأخذُ مني الأجرة ؟

قـال محمد بن إسحـاق النديم : ولأبي عبيـد من التصانيف : كتـاب غـريب المصنف . كتاب غريب الحديث . كتاب غريب القرآن . كتاب معاني القرآن . كتاب الشعراء . كتاب المقصور والممدود . كتاب القراءات . كتـاب المذكـر والمؤنث . كتاب الأموال . كتاب النسب . كتاب الأحداث . كتاب الأمثال السائرة . كتاب عدد آي القرآن . كتاب أدب القاضي . كتاب الناسخ والمنسوخ . كتاب الأيمان والنذور . كتاب الحيض . كتاب فضائل القرآن . كتاب الحجر والتفليس . كتاب الطهارة ، وله غير ذلك من الكتب الفقهية .

قال علي بن محمد بن وهب المسعريّ عن أبي عبيد القاسم بن سلام قـال : سمعته يقول : هذا الكتاب يعني « غريب المصنف » أحبُّ إليَّ من عشرة آلاف دينار ، فاستفهمته ثلاث مرات فقال : نعم هو أحبّ إليّ من عشرة آلاف دينار .

وقال أبو العباس أحمد بن يحيى : قدم طاهر بن عبد الله بن طاهر من خراسان وهو حدث في حياة أبيه يريدُ الحج ، فنزل في دار إسحاق بن إبراهيم ، فوجَّهَ إسحاقُ إلى العلماء فأحضرهم ليراهم طاهر ويقرأ عليهم ، فحضر أصحابُ الحديث والفقه ، وأحضر ابن الأعرابي وأبو نصر صاحب الأصمعي ، ووجه إلى أبي عبيـد القاسم بن سلام في الحضور فأبى أن يحضر وقال : العلم يُقْصَدُ ، فغضب إسحـاق من قولـه

ورسالته . وكان عبد الله بن طاهر يجري له في الشهر ألفي درهم ، فقطع إسحاق عنه الرزق وكتب إلى عبد الله بالخبر ، فكتب إليه عبد الله : قد صدق أبو عبيد في قوله وقد أضعفتُ له الرزق من أجل فعله ، فأعطِهِ فائِتَهُ وأدرَّ عليه بعد ذلك ما يستحقه .

- 906 -

القاسم بن علي بن محمد بن عثمان بن الحريري ، أبو محمد البصري : من أهل بلدٍ قريبٍ من البصرة يسمى المشان ، مولده ومنشؤه به ، وسكن البصرة في محلة بني حرام ، وقرأ الأدب على أبي القاسم الفضل بن محمد القصباني البصري بها ، ومات ابن الحريري في سادس رجب سنة ست عشرة وخمسمائة ومولده في حدود سنة ست وأربعين وأربعمائة عن سبعين سنة في خلافة المسترشد ، وبالبصرة كانت وفاته .

وكان غاية في الذكاء والفطنة والفصاحة والبلاغة ، وله تصانيف تشهد بفضله وتقرّ بنبله ، وكفاه شاهداً « كتاب المقامات » التي أبرّ بها على الأوائل وأعجز الأواخر ، وكان مع هذا الفضل قذراً في نفسه وصورته ولبسته وهيئته قصيراً دميماً بخيلاً مبتلىً بنتف لحيته .

قال العماد في «كتاب الخريدة»[1] : لم يزل ابنُ الحريريّ صاحبَ الخبر بالبصرة في ديوان الخلافة ، ووجدت هذا المنصبَ لأولاده إلى آخر العهد المقتفوي .

أخبرني عبد الخالق بن صالح بن علي بن زيدان المسكي المصري بها في سنة اثنتي عشرة وستمائة في صفر قال : حدثنا الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد المسعودي البندهي ـ قال : وكان يكتب هو بخطه الفنجديهي ،

906 ـ ترجمة الحريري في المنتظم 9 : 241 والشريشي 1 : 3 ونزهة الألباء : 262 وأنساب السمعاني واللباب (الحريري) وإنباه الرواة 3 : 23 والخريدة (قسم العراق 4 : 599) وابن خلكان 4 : 63 وعبر الذهبي 4 : 38 وسير الذهبي 19 : 460 وتذكرة الحفاظ : 1257 ومراة الجنان 3 : 213 ومرآة الزمان : 67 والوافي للصفدي (خ) وطبقات السبكي 7 : 266 والأسنوي 1 : 429 والبداية والنهاية 2 : 191 والنجوم الزاهرة 5 : 235 وبغية الوعاة 2 : 257 ومعاهد التنصيص 3 : 270 والشذرات 4 : 50 .

(1) الخريدة 4 : 601 .

قال : وهي قرية من قرى مرو الشاهجان ـ قال : سمعت الشيخ الثقة أبا بكر عبد الله بن محمد بن محمد بن أحمد النقور البزاز ببغداد يقول ، سمعت الرئيس أبا محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري صاحب المقامات يقول : أبو زيد السروجي كان شيخاً شحاذاً بليغاً ومكدياً فصيحاً ، ورد علينا البصرة فوقف يوماً في مسجد بني حرام فسلّم ثم سأل الناس ، وكان بعضُ الولاةِ حاضراً والمسجدُ غاصٌّ بالفضلاء فأعجبتهم فصاحته وحسنُ صياغةِ كلامه وملاحته ، وذكر أَسْرَ الروم ولده ، كما ذكرناه في المقامة الحرامية وهي الثامنة والأربعون ، قال : واجتمع عندي عشيةَ ذلك اليوم جماعةٌ من فضلاءِ البصرةِ وعلمائها ، فحكيت لهم ما شاهدتُ من ذلك السائل وسمعتُ من لطافة عبارته في تحصيل مراده ، وظرافةِ إشارته في تسهيلِ إيراده ، فحكى كلٌّ واحدٍ من جلسائه أنه شاهد مِنْ هذا السائل في مسجده مثلَ ما شاهدت ، وأنه سمع منه في معنى آخر فصلاً أحسن مما سمعت ، وكان يغيّر في كلّ مسجدٍ زيَّهُ وشكله ، وَيُظْهِرُ في فنونِ الحيلةِ فضلَه ، فتعجبوا من جريانه في ميدانه ، وتصرفه في تلونه وإحسانه ، فأنشأتُ المقامةَ الحرامية ثم بنيت عليها سائر المقامات وكانت أولَ شيءٍ صنعته .

قال المؤلف : وذكر ابن الجوزي في تاريخه مثلَ هذه الحكاية ، وزاد فيها أنّ ابنَ الحريري عرض المقامة الحرامية على أنوشروان بن خالد[1] وزيرِ السلطان فاستحسنها وأمره أن يضيفَ إليها ما يشاكلها فأتمها خمسينَ مقامة .

حدثني من أثق به أن الحريريَّ لما صنع المقامة الحرامية وتعانَى الكتابة فأتقنها وخالط الكتّاب أصعدَ إلى بغداد ، فدخل يوماً إلى ديوان السلطان وهو مُنْغَصٌّ بذوي الفضل والبلاغة محتفلٌ بأهل الكفاية والبراعة ، وقد بلغهم ورودُ ابنِ الحريري ، إلا أنهم لم يعرفوا فضله ، ولا اشتهر بينهم بلاغته ونبله ، فقال له بعض الكتاب : أيّ شيء تتعانى من صناعة الكتابة حتى نباحثك فيه ؟ فأخذ بيده قلماً وقال : كلّ ما يتعلق بهذا ، وأشار إلى القلم ، فقيل له : هذه دعوى عظيمة ، فقال : امتحنوا تخبروا ،

(1) يلقب شرف الدين استوزره السلطان محمود فأقام في الوزارة نحو عشرة أشهر ثم استعفى منها وعزل نفسه وعاد إلى بغداد سنة 522 ثم أعيد الى الوزارة أيام السلطان مسعود ثم عزله سنة 530 وولى بعده أبا البركات الدركزيني (صفحات متفرقة من ابن الأثير جـ 10 ، 11) .

فسأله كلّ واحد عما يعتقد في نفسه إتقانه من أنواع الكتابة ، فأجاب عن الجميع أحسنَ جواب ، وخاطبهم بأتمِّ خطاب حتى بهرهم ، فانتهى خبره إلى الوزير أنوشـروان بن خالد فأدخله عليه ، ومال بكلّيته إليه ، وأكرمه وأدناه[1]، فتحادثا يوماً في مجلسه حتى انتهى الحديث إلى ذكر أبي زيد السروجي المقدَّم ذكره ، وأورد ابنُ الحريريّ المقامةَ الحرامية التي عملها فيه ، فاستحسنها أنوشروان جداً وقال : ينبغي أن يضافَ إلى هذه أمثالها ، وينسجَ على منوالها عدة من أشكالها ، فقال : أفعلُ ذلك مع رجوعي إلى البصرةِ وتجمّع خاطري بها ، ثم انحدر إلى البصرة فصنع أربعين مقامة ، ثم أصعد إلى بغداد وهي معه وعرضها على انوشروان فاستحسنها ، وتداولها النـاس ، واتهمه من يحسده بأن قال : ليست هذه من عمله لأنها لا تناسبُ رسائله ولا تشاكلُ ألفاظـه ، وقالوا : هذا من صناعة رجلٍ كان استضاف به ومات عنـده فادَّعـاها لنفسـه ، وقال آخرون : بل العرب أخذت بعضَ القوافل ، وكان مما أُخِذَ جرابُ بعض المغاربة وباعه العربُ بالبصرة ، فاشتراه ابنُ الحريري وادعاه ، فان كان صـادقاً في أنهـا من عمله فليصنع مقامةً أخرى ، فقال : نعم سأصنع ، وجلس في منزله ببغداد أربعين يوماً فلم يتهيأ له ترتيبُ كلمتين والجمعُ بين لفظتين ، وسوَّد كثيراً من الكاغد فلم يصنع شيئاً ، فعاد إلى البصرة والناسُ يقعون فيه ويعيطون[2] في قفاه كما تقول العامة، فما غاب عنهم إلا مديدةً حتى عمل عَشْرَ مقاماتٍ وأضافها إلى تلك ، وأصعد بها إلى بغداد ، فحينئذ بان فضله وعلموا أنها من عمله .

وكان مبتلىً بنتفِ لحيته ، فلذلك قول ابن جكينا فيه :

شيـخٌ لنا من ربيعةِ الفَـرَسِ ينتفُ عثنـونَـهُ من الهَـوَسِ
أنـطقـه اللّه بـالمشانِ وقـد ألجمـه في العراقِ بـالخرسِ

وقرأت بخط صديقنا الكمال عمـر بن أبي بكر الـدباس رحمـه الله ، حدثني علي بن جابر بن هبة الله[3] بن علي حاكم ساقية سليمان قال : حدثني والدي جابر بن هبة الله أنه قرأ على القاسم بن علي الحريري المقامات في شهور سنة أربـع عشرة وخمسمائة ، قال : وكنت أظن أن قوله :

(1) م : وناداه ، ولعلها « ونادمه » . (2) م : ويغيطون . (3) سيرد من بعد : جابر بن زهير .

يـا أهـل ذا المغنى وقيتمْ شَـرًّا ولا لـقيتـمْ مـا بقـيتـم ضُـرًّا

قـد دفـع الليـلُ الـذي اكفهـرَّا إلـى ذَراكـم شـعـثـاً مـغـبـرّا

أنه « سغباً معترًّا » فقرأت كما ظننت سغباً معتراً ، ففكر ساعة ثم قال : والله لقد أجدتَ في التصحيف فانه أجود ، فربَّ شعثٍ مغبرّ غير محتاج ، والسغب المعتر موضعُ الحاجة ، ولولا أنني قد كتبتُ خطي إلى هذا اليوم على سبعمائة نسخة قرئتْ عليَّ لغيرتُ الشعث بالسغب والمغبر بالمعتر .

قال مؤلف الكتاب : ولقد وافق كتابَ المقاماتِ من السعد ما لم يوافقْ مثلَهُ كتاب ألبتّة[1]، فانه جمع بين حقيقة الجودة والبلاغة، واتسعت له الألفاظ، وانقادت له وفودُ البراعة حتى أخذ بأزِمَّتهـا وملك ربقتها ، فاختار ألفاظها وأحسن نسقها ، حتى لو ادَّعى بها الاعجاز لما وجد من يدفع في صدره ولا يردُّ قوله ولا يأتي بما يقاربها فضلاً عن أن يأتي بمثلها ، ثم رزقت مع ذلك من الشهرة وَبُعْدِ الصيتِ والاتفاق على استحسانها من الموافق والمخالف ما استحقت وأكثر .

ومن عجيب مـا رأيته[2] وشـاهـدتـه أني وردت آمـد في سنـة ثـلاث وتسعين وخمسمائة وأنا في عنفوان الشباب وريعه ، فبلغني أن بهـا علي بن الحسن بن عنتر المعروف بالشميم الحلي ، وكان من العلم بمكانٍ مكين ، واعتلق من حباله بـركنٍ ركين ، إلا أنه كان لا يقيم لأحد من أهل العلم المتقدمين ولا المتأخرين وزناً ، ولا يعتقد لأحد فضيلة ، ولا يقرُّ لأحدٍ باحسانٍ في شيء من العلوم ولا حُسْنٍ ، فحضرتُ عنده وسمعتُ من لفظه إزراءه على أولي الفضل ، وتنديـدَهُ بالمعيب عليهم بـالقول والفعل ، فلما أبرمني وأضجر ، وامتدَّ في غيه وأصحر ، قلت له : أما كان في من تقدم على كثرتهم وَشَغَفِ الناس بهم عندك قطُّ مجيد ؟! فقال : لا أعلم إلا أن يكون ثلاثة رجال : المتنبي في مديحه خاصة ولو سلكت طريقه لمـا برز عليّ ولسقتُ فضيلتـه نحوي ونسبتُها إليّ ، والثاني ابن نباتة في خُطَبه وان كانت خطبي أحسنَ منها وأسيرَ وأظهرَ عند الناس قاطبة واشهر ، والثالث ابن الحريري في مقاماته ؛ قلت : فما منعك

---

(1) م : إليه .

(2) راجع ما تقدم في ترجمة علي بن الحسن بن عنتر ، رقم : 742.

أن تسلك طريقته وتنشىءُ مقاماتٍ تُخْمِدُ بها جمرته وتملك بها دولته ؟ فقال : يا بني الرجوعُ إلى الحقّ خيرٌ من التمادي في الباطل ، ولقد أنشأتها ثلاثَ مراتٍ ثم أتأملها فأسترذلها ، فأعمد إلى البركة فأغسلها ، ثم قال : ما أظنُّ الله خلقني إلا لاظهار فضل الحريري . وَشَرَحَ مقاماته بشرحٍ قُرِىءَ عليه وأُخِذَ عنه .

وكتب ابن الحريري إلى سديد الدولة في صدر كتاب :

وما نـومـةٌ بعـد الضحى لمسهَّـدٍ زَوَى همُّهُ بالليل عن جفنه السِّنَهْ

بـأحلى من البشـرى بـأنّ ركـابكم ستسري إلى بغداد في هـذه السنهْ

وقرأتُ في كتاب لبعض أدباء البصرة ، قال الشيخ أبو محمد حرس الله نعمته معاياةً :

ميم مـوسى من نـون نصـر فَفَسِّـرْ أيهـذا الأديـب مـاذا عـنـيـتْ

تفسيره ميم الرجل إذا أصابه الموم وهو البرسام ، ويقال إنه أشد الجذريّ ونون نصر : حوت نصر ، والنون السمكة ، يعني أنه أكل سمكة نصر فأصابه الموم . وله في مثله :

بـاء بكـر بـلام ليلى فمـا ينـفـكُّ منهـا إلا بعينٍ وهـاءِ

باء أي أقرَّ ، واللام الدرع ، فلما أقر لليلى به ألزمته فلا ينفك منها إلا بعين أي بالدرع بعينه وها أي خُذِي .

حدثني أبو عبد الله الدبيثي ، قال حدثني أبو الحسن علي بن جابر ، حدثني أبي أبو الفضل جابر بن زهير قال : حضرنا مع ابن الحريري في دعوة لظهير الـدين ابن الوجيه رئيسِ البصرةِ في ختان ابنـه أبي الغنائم ، وكـان هناك مغنٍّ يُعـرَفُ بمحمدٍ المصري وكان غايةً في امتداد الصوت وطيب النغمة فغنى :

بـالـذي ألهمَ تعـذيـبي ثنـايـاك العـذابـا

مـا الـذي قـالتـه عينـا كَ لـقـلبي فـأجـابـا

فطرب الحاضرون وسألوا ابن الحريري أن يزيد فيها شيئاً فقال :

قـل لمن عَـذَّبَ قلبي وهـو محبـوبٌ محـابى

والذي إن سمته الوصـلَ تـغـالى وتـغـابى

ثم البيتان ، فاستحسنها الجماعة وأقسموا على المغني أن لا يغنيهم غيرها ، فمضى يومهم أجمع بهذه الأبيات . وأنشد أيضاً للحريري :

لا تَخْطُوَنَّ إلى خط ولا خطأ   من بعد ما الشيبُ في فوديك قد وخطا
وأيّ عذرٍ لمن شابت ذوائبُهُ   إذا سعى في ميادين الصبا وخطا

ومن شعره :

خذ يا بنيّ بما أقولُ ولا تَزُغْ   ما عشتَ عنه تعشْ وأنتَ سليمُ
لا تغترِرْ ببني الزمانِ ولا تقلْ   عند الشدائدِ لي أخٌ ونديم
جربتهم فإذا المعاقرُ عاقرٌ   والآلُ آلٌ والحميم حميم

ولابن الحريري من التصانيف : كتاب المقامات . كتاب درة الغواص في أوهام الخواص . كتاب ملحة الاعراب ، وهي قصيدة في النحو . كتاب شرح ملحة الإعراب . كتاب رسائله المدونة . كتاب شعره.

حدثني أبو عبد الله محمد بن سعيد بن الدبيثي قال ، سمعت القاضي أبا الحسن علي بن جابر بن زهير يقول ، سمعت أبي أبا الفضل جابر بن زهير يقول : كنت عند أبي محمد القاسم بن الحريري البصري بالمشان أقرأ عليه المقامات ، فبلغه أن صاحبه أبا زيد المطهر بن سلام البصري الذي عمل المقامات عنه قد شرب مسكراً ، فكتب إليه وأنشدناه لنفسه :

أبا زيدٍ اعلمْ أنّ من شربَ الطلا   تدنَّسَ فافهمْ سرَّ قولي المهذبِ
ومن قبل سميت المطهّرَ والفتى   يُصَدِّقُ بالأفعال تسميةَ الأب
فلا تَحْسُها كيما تكونَ مطهراً   والا فغيِّر ذلك الاسمَ وآشربِ

قال : فلما بلغه الأبيات أقبل حافياً إلى الشيخ أبي محمد وبيده مصحف ، فأقسم به ألا يعود إلى شرب مسكر ، فقال له الشيخ : ولا تحاضر من يشرب .

حدثني ابن الدبيثي قال ، وأنشدني ابن جابر قال ، أنشدني أبو عبد الله محمد بن الحسن بن المنقبة الفقيه بالرحبة لنفسه يعارض أبا محمد ابن الحريري في بيتيه اللذين قال فيهما : أسكتا كل نافث وأمنا أن يُعَزَّزا بثالث :

ملامة الوكعاءِ بين الورى أحسنُ من حرٍّ أتى مَلأمَهْ
فمه اذا استجديتَ عن قولِ لا فالحرُّ لا يملأُ منها فمه

نقلت من خط أبي سعد السمعاني ، أنشدنا أبو القاسم عبد الله بن القاسم بن علي بن الحريري ، أنشدني والدي لنفسه ، وهو مما كاتب به شيخَ الشيوخ أبا البركات إسماعيل بن أبي سعد :

سلامٌ كأزهارِ الربيع نضارةً وحسناً على شيخ الشيوخ الذي صفا
ولو لم يَعُقْنِي الدهرُ عن قَصْدِ ربعه سعيتُ كما يسعى الملبي الى الصفا
ولكن عداني عنه دهرٌ مكدِّرٌ ومن ذا الذي واتاه من دهره الصفا

ومن خطه : أنشدني أبو العباس أحمد بن بختيار بن علي الواسطي ، أنشدنا القاسم بن علي الحريري لنفسه :

أَخمدْ بحلمك ما يذكيه ذو سَفَهٍ من نار غيظك واصفحْ إن جنى جاني
فالحلم أفضلُ ما ازدان اللبيبُ به والأخذُ بالعفوِ أحلى ما جنى جاني

وكتب ابن الحريري الى سديد الدولة محمد بن عبد الكريم الأنباري كتاباً على يد ولده قال فيه : كتب الخادمُ وعنده من تباريح الأشواق إلى الخدمة ما يَصْدَعُ الأطواد ، فكيف الفؤاد ، ويوهي الجبال ، فكيف البال ، ولكنه يستدفع الخوف بسوف ، ويبرد حر الأسى بعسى ، وهو على جمعهم إذا يشاء قدير :

ألا ليتَ شعري والتمني خُرافةٌ وإن كان فيه راحةٌ لأخي الكَرْبِ
أتدرون أني مذ تناءَتْ دياركم وشطَّ اقترابي من جنابكم الرحب
أكابدُ شوقاً ما يزال أواره يقلّبني بالليل جنباً إلى جنب
وأسكبُ للبين المشتتِ مدمعاً كأن عَزَاليها انْتُرِينَ من السحب
وأذكرُ أيام التلاقي فأنثني لتذكارها بادي الأسى ذاهبَ اللبّ
ولي حَنَّةٌ في كلِّ وقتٍ إليكمُ ولا حنةَ الصادي إلى البارد العذب
فوالله إني لو كتمتُ هواكمُ لما كان مكتوماً بشرقٍ ولا غرب
ومما شجا قلبي المعنّى وشفّه رضاكم باهمال الاجابة عن كتبي

على أنني راض بمـا تـرتضـونـه وأفخـرُ بـالإعتـاب فيكمْ وبـالعتب
ولما سرى الـوفدُ العـراقيُّ نحوكم وأعوزني المسرى إليكم مع الركب
جعلتُ كتـابي نـائبـاً عن ضـرورةٍ ومن لم يجـدْ مـاءً تيمم بـالتـرب
وأنفذتُ أيضاً بضعـةً من جوارحي تنبئكم مشـروحَ حـالي وتستنبي
وقلتُ لـه عنـد الـوداع وقـلبُـهُ شجٍ وأبوه الشيـخُ مكتئبُ القلب
ألا آبشرْ بما تحظى به حين تجتلي محيا سديدِ الدولةِ الماجـدِ الندب
ولستُ أرى إذكـاركم بعد خبـركم بمكـرمـةٍ حسبي اهتـزازكمُ حسبي

هذه على عاهتها بنت ساعتها ، فإن حظيتْ منه بالقبول المأمول ، فيـا بشرى للحامل والمحمول ، وإن لُمِحَتْ لمحةَ المستثقِل ، فيا خيبـةَ المرسَـل والمرسِـل ، والسلام .

ومن رسائل ابن الحريري رسالة التزم في كلِّ كلمةٍ منها السين نظماً ، كتبها على لسان بعض أصدقائه يعاتب صديقاً له أخلَّ به في دعوة دعا غيره إليها ، وكتب على رأسها[1] : باسم القدوس أستفتح ، وباسعاده أستنجح ، سجية سيدنا سيف السلطان سدة سيدنا الاسفهسلار السيد النفيس سيد الرؤساء حُرِسَتْ نفسه ، واستنارت شمسه ، وبسق غرسه ، واتسق أنسه ، استمالة الجليس ، ومساهمة الأنيس ، ومؤاساة السحيق والنسيب ، ومسـاعـدة الكسيـر والسليب ، والسيادةُ تستـدعي استـدامـةَ السنن ، والاستحفاظُ بالرسم الحسن ، وسمعتُ بالأمس تَدَارُسَ الألسنِ سلاسةَ خندريسـه ، وسلسالَ كؤوسه ، ومحاسنَ مجلسِ مسرَّته ، وإحسانَ مُسْمِعَةِ ستارتـه ، فاستسلفتُ الاستـدعاءَ ، وسـوفت نفسي بالاحتسـاء[2] ، ومؤانسة الجلسـاء ، وجلست أستقري السبـلَ الاسراء ، وتـوسمت أستطلع الـرسل ، وأستـطرف تناسي رسمي ، وأسـامـرُ الوسواسَ لاستحالةِ وسمي :

وسيفُ الســلاطيـنِ مستــأثـرٌ بأُنْسِ السَّماعِ وحسـوِ الكؤوسِ

(1) الخريدة 4 : 616 .
(2) الخريدة : فاستسلفت السراء وتوسمت الاستدعاء وسوفت نفسي بالاحتساء . . .

سلاني وليس لباسُ السلو ينـاسبُ حُسْنَ سمـاتِ النفيس
وسنَّ تنـاسيَ جُـلاَّسِهِ وأسوا السجايا تناسي الجليس
وسرَّ حسودي بطمسِ الرسومِ وطمسُ الرسومِ كَرَمْسِ النفوس
وأسكرني حسرةً واستعاض لقسوته سكرةَ الخندريس
وساقى الحسامَ بكاسِ السلاف وأسهمني بعبوسٍ وبوس
سأكسوه لبسةَ مستعتبٍ وألبسُ سربالَ سالٍ يؤوس
وأسطرُ سيناته سيرةً تسير أساطيرها كالبسوس

وحسبنا السلام رسول الاسلام .

وكتب إلى أبي [محمد] طلحة بن النعماني الشاعر لما قصده إلى البصرة يمدحه ويشكره ويتأسف على فراقه[1] : بإرشاد المنشىء أنشىء شغفي بالشيخ ، شمس الشعراء ، رِيشَ معاشُهُ ، وفشا رياشُهُ ، وأشرق شهابه ، واعشوشبت شعابه ، يشاكلُ شغف المنتشي بالنشوةِ ، والمرتشي بالرشوة ، والشادن بشرخ الشباب ، والعطشانِ بِشَمِ الشراب . وشكري لتجشمه ومشقته ، وشواهد شفقته ، يشابه شكر الناشد للمنشد ، والمسترشد للمرشد ، والمستشعر للمبشر ، والمستجيش للجيش المشمر ، وشعاري إنشادُ شعره ، وإشجاء المكاشر والمكاشح بنشره ، وشغلي إشاعةُ وشائعه ، وتشييد شوافعه ، والإشادة بشذوره وشنوفه ، والمشورة بتشييعه وتشريفه ، وأشهد شهادةً تشدد المقشر المكاشف والمشنع الكاشف لانشاؤه ومشاهدته تدهش الشائب والناشي ، وتلاشي شعر الناشي ، ولمشافهته تباشير الرشد ، واشتيار الشهد ، ولمشاحنتُهُ تُشْقِي المشاحنَ وَتَشينُ المشاين ، ولمشاغبته تشظي الأشطان ، وتشيط الشيطان ، فشرفاً للشيخ شرفاً ، وشغفاً بِشِنشِنته شغفاً :

فأشعاره مشهورةٌ ومشاعرُهْ وعشرتُهُ مشكورةٌ وعشائرُهْ
شأى الشعراءَ المشمعلّين شعره فشانيه مشجوُّ الحشا وَمُشاعره
وشوَّه ترقيشَ المرقشِ شعره فأشياعُهُ يشكونه ومعاشره

(1) الخريدة 4: 619 .

وشاق الشبابَ الشمَّ والشيبَ وشيُهُ ... فمنشوره بُشْرَى المشوقِ وناشره
شكورٌ ومشكورٌ وحشوُ مُشاشِهِ ... شهامةُ شمّيرٍ يطيشُ مشاجره
شقاشقُهُ مخشيّةٌ وَشَباتُه ... شَبَا مشرفيٍّ جاش للشرِّ شاهره
شفى بالأناشيد النشاوَى وشفَّهم ... فمشفيه مستشفٍ وشاكيه شاكره
ويشدو فيهتشُّ الشحيحُ لشدوه ... وَيَشْعَفُهُ إنشادُهُ فيشاطره
تجشَّم غشياني فشرَّدَ وحشتي ... وبشَّرَ ممشاه ببشرٍ أُباشره
سأنشده شعراً تَشَرَّقُ شمسُهُ ... وأشكره شكراً تشيعُ بشائره

وأشهد شاهد الأشياء ، ومشبع الأحشاء ، ليشعلنّ شواظَ اشتياقي شَحَطُه ، وليشعثنَّ شَمْلَ نشاطي نَشَطه ، فناشدتُ الشيخ أيشعرُ باستيحاشي لشسوعه ، وإجهاشي لتشييعه ، ووشايتي بنشيده الموشيّ ، وتشكلي شَخْصَهُ بالإشراق والعشي ، حاشاه تعشيه شُبْهةٌ وتغشاه ، فليستشفّ شرحَ شجوي بشطونه ، وليرشّحني لمشاركةِ شجونه ، وليشغلني بتمشية شؤونه ، وليشدَّ جاشي ، ويشارف انكماشي ، عاش منتعشَ الحُشاشة ، مستشريَ البَشاشة ، مشحوذَ الشفار ، منتشرَ الشرار ، شتاماً للأشرار ، شحّاذاً بالأشعار ، يشرخُ ويحوش ، ويقنفش[1] المنقوش ، بمشية الشديد البطش ، الشامخ العرش ، وتشريفه لبشير البَشَر ، وشفيع المحشَر ، اهـ .

وله من المقامات[2] :

وأحوى حوى رقّي برقةِ لفظه ... وغادرني إلفَ السهادِ بِغَدْرِهِ
تصدَّى لقتلي بالصدودِ وإنني ... لفي أَسْرِهِ مذ حاز قلبي بأسره
أصدّقُ منه الزورَ خوفَ ازوراره ... وأرضى استماعَ الهُجْرِ خشيةَ هَجْرِهِ
وأستعذبُ التعذيبَ منه وكلّما ... أجَدَّ عذابي جدَّ بي حبُّ بره
تناسَى ذِمامي والتناسي مَذَمَّةٌ ... وأحفظَ قلبي وهو حافظُ سره
له منّيَ المدحُ الذي طاب نشرُهُ ... ولي منه طيُّ الودّ من بعد نشره
وإني على تصريفِ أمري وأمره ... أرى المر حلواً في انقيادي لأمره

(1) الخريدة : وينقش .

(2) الخريدة 4 : 624 .

وقال الرئيس أبو الفتح هبة الله بن الفضل بن صاعد بن التلميذ الكاتب : كان الشيخ الأجل الامام الأوحد أبو محمد القاسم بن علي بن الحريري رضي الله عنه الامام المشهور الفضل من أعيان دهره وفريد عصره ، وممن لحق طبقة الأوائل ، وغبّر عليهم في الفضائل ، وكانت بيني وبينه مكاتبةٌ قديمة في سنة خمس وتسعين وأربعمائة عند ابتدائه حمل المقامات التي أنشأ ، ولما وقع الاجتماع به في سنة أربع وخمسمائة ببغداد ، وسماعها منه عدة دفعات ، جاريته وسألته أن ينظم في النحو مختصراً يحفظه المبتدئون ، فشرع في نظم هذه الأرجوزة ، وأملى عليَّ منها أبواباً يسيرة ، وانحدر من غير إتمامها واستعاد مني ما أملاه ليحرره ، فكاتبته دفعات أقتضيه بها وأذكره بانفاذها وإنفاذ كتابه « درة الغواص في أوهام الخواص » فكتب إليّ جوابين نسخة الأول منهما :

وصل من حضرة سيدنا ـ أطال الله بقاءه ومدَّته وحرس عزه ونعمته ، وضاعف سعادته وكبت حسدته ـ كتابٌ كريم ، مُودَعه طَوْلٌ جسيم ، وفي ضمنه در نظيم ، فابتهجت بتناوله ، وقررت عيناً بتأمله ، وتذكرت الأوقات التي أسعد الدهر فيها برؤيته ، وأحظى باجتلاء فضله وروايته ، وشكرت الله على ما يوليه من حسن صنعه ، وسألته جلَّتْ عظمته أن يجعل النعمةَ راهنةً بربعه ، والسعادةَ جاذبةً أبداً بِضَبْعه ، وسررتُ بما بشرني به من نجابة السيد الرئيس الولد النفيس ـ أمتع الله ببقائه وأتاح لي تجدد الانس بلقائه ـ ولم أستبعد أن يقمر هلاله بل يبدر ، ولا استبدعتُ أن يورق غصن دوحته الزكية ويثمر ، والله تعالى يمليه أطولَ الأعمار ، في رفاهة الأسرار ، ومواتاة الأقدار ، حتى يعاين أسباطه ، ويضاعف باجتماعهم وتضاعفهم بحوزته اغتباطه . فأما الملحة إن أمكن تنفيذها مع أحد المترددين إلى هذا المكان لألحق بها الزيادة وأهذبها كما يطابق الارادة أوعز به . وأما «درّة الغوّاص في أوهام الخواص» فأرجو أن يُنْسَأ[1] الاصعاد إلى بغداد لتصفحها من البدء وكأن قد ، وإلى أن يسهلَ المأمول من الالتقاء ، فما أولى همته الكريمة بإتحافي بالأنباء ، وانهاضي بما يسنح من الأوطار والأهواء ، ورأيه أعلى إن شاء الله .

نسخة الكتاب الثاني وهو المُنْفَذُ مع « المُلْحَةِ » المذكورة :

---

(1) م : ينشيء .

لئن كـانت الأيـامُ أحسنَّ مـرةً ... إليَّ لقـد عـادتْ لـهنَّ ذنـوبُ

إذا فكرت ـ أطال الله بقاء سيدنا وضاعف سعادته وكبت حسدته ـ فيما كان سمح به الزمـانُ من تلك الملاقـاةِ الحلوة ، وإن كانت أقـلَّ من الحسوة ، أعـظمت قيمةَ حسناه ، ووجدتها أحلى إسعافٍ وأسناه ، ثم إذا فكرتُ فيما أعقب من الفرقة ، وألهب في الصدر من الحرقة ، وجدته كمن رجع في المنحةِ ، وَطَمَسَ الفرحةَ بالترحة ، ولولا تعلّة القلب المشجوّ ، بالتلاقي المرجوّ ، لذاب من اتقـاد الشوق ، ولقـال : « شبَّ عمرو عن الطوق». وفي لوامح تلك الألمعية ، ما يغني عن تبيان تلك الطوية ، وكان وصل من حضرته ـ أنّسها اللّه تعالى ـ ما أعرب فيه عن كريم عهده ، وتباريح وجده ، فلم أستبدعْ العذوبةَ من ورده ، ولا استغربتُ ما تولى من بره وحُسْنِ عهده ، وبمقتضى هذه الأوامرِ ، والطَّوْلِ المتناصر ، انعكافي على الشكر ، واعترافي بعوارفـه الغُرّ . فـأما استطلاعُ « ملحة الاعراب » المشتبهة بالسراب ، فقد آثرت خزائنه ـ عمرها الله تعالى ـ بمسودتها ، على شَعَثِ[1] بنيتها وَشَوَهِ خلقتها، ولو لم تَعْرِضْ حادثة العرب ، العائقة عن كل أرب ، لزففتها كما تُزَفّ العروس المقيَّنة ، والخِطْبُ المزينة ، غير أني أرجو أن ترزقَ حظوةَ القباح ، وألا تجبه بالذمّ الصراح ، ولكتبه ـ حرس الله نعمته ـ عندي موقع أنفس التحف ، وشكري على التكرّم بها شكرُ من اتَّشَحَ بها والتحف ، وسيدنا أمين الدولة رئيس الحكماء ، مخدوم بأفضل دعاء ، وأطيب ثناء وسلام ، ولرأيه ـ أدام الله نعمته ـ في الإيعاز بالوقوف على ما شرحته، وتمثل ما أوضحته، علوه إن شاء الله تعالى.

نسخة كتاب كتبه ابن الحريري إلى أبي الفتح ابن التلميذ قبل اللقاء :

جـزى اللّه خيـراً والجـزاءُ بكفّـهِ ... بني صـاعدٍ أهـلَ السيـادةِ والمجـدِ
همُ ذكـروني والـمهـامِـهُ بيـنـنـا ... كما ارفضَّ غيثٌ من تهامةَ في نجد

لو أخذت في وصف شغفي بمناقب سيدنا ـ أطال الله بقاءه وأدام علاءه وحرس نعماءه وكبت حساده وأعداءه ـ وما أنا بصدده من مدح سؤدده ، وشرح تطوّله وتودده ، لكنتُ بمثابة المغتَرّيـن ، في محاولةِ عددِ رمـل يبرين ، لكنني راجٍ أن أحـظى من ألمعيته الثاقبة ، وبصيرته الصائبة ، بما يمثل له عقيدتي ، ويطلعه على نخيلةِ مودتي،

(1) م : شعب .

وما أملك في مقابلة مفاتحته التي أخلصت له إيجاب الحق ، وفضيلة السبق ، إلا الثناءَ الذي أتلو صحائِفَهُ، والدعاءَ الذي أقيم في كلّ وقتٍ وظائفه. والله سبحانه يحسن توفيقي لما يشيّدُ مباني المودة ، التي أعتدها أفضلَ معاني[1] العدة. ثم إني لفرط اللهج باستملاء فضائله النيرة ، واستطلاع محاسنه المسيّرة ، أسائل عن خصائصه الركبان ، وأطربُ بسماعها ولا طربَ النشوان .

ولما حضر الشيخ الأديب الرئيس أبو القاسم بن الموذ ـ أدام الله تمكينه ـ ألفيته موالياً مغالياً ، وداعيةً إليه وداعياً ، فازددت كلفاً بما وعيته منه ، وشغفاً بما استوضحته عنه . واستدللتُ على كمالِ سيدنا باستخلاص شكرِ مثله ، وتحققتُ وفورَ أفضاله وفضله ، فافتتحت المكاتبة بتأدية هذه الشهادة ، واستمداد سُنّة المواصلة المعتادة ، والتكرمة التي تقتضيها بواعث السيادة . ولرأيه في الوقوفِ على ما كتبته ، والتطولِ فيه بما توجبه أريحيتُهُ ، علوه ، إن شاء الله تعالى .

وكتب إلى سديد الدولة رسالة صدَّرها بهذين البيتين :

عنـدي بشكـركَ نـاطقـانِ فـواحـدٌ ... آثـارُ طَـوْلِـكَ واللسـانُ الثـاني
ومـجـالُ مِنَّتِـكَ التـي أوْلَيْتَنـي ... في الشكرِ أفصحُ من مجال لساني

وصدَّر رسالة أخرى إليه بهذه الأبيات :

أهنّيـك بـل نفسي أهنّـي بمـا سنّى ... لـك الله من نيـلِ المنى وبمـا أسنَى
شكـرتُ زمـاني بعـدمـا كنتُ عـاتبـاً ... عليـه لمـا أسـدى إليك من الحسنى
وأيـقنـتُ إذ واتـاك أنْ قـد تيـقّـظت ... لارضـاء أهـلِ الأرض مقلتـه الـوسنى
ففخـراً بمـا في عـظم فخـرك شبهـه ... ولا لـك شِبْـهٌ في الأنـام إذا قسنـا
جمـالَ الـورى مُلّيتَ تشـريفـك الـذي ... أفـاض عليـك الصيتَ والعـزَّ والحسنى
ومـن عجـب أني أهـنيـك بـالـذي ... أهنّى بـه لـكن كـذا سَنّ من سنـا

وكتب إلى المؤيد أبي إسماعيل الطغرائي يهنئه بولاية الطغرائي في سنة تسع وخمسمائة ، فأجابه الطغرائي بجواب هذا نسخته[2] :

---

(1) م : مقاني .

(2) لم ترد في ديوانه .

ما الروضُ أضحكتِ السحابُ ثغورَهُ ... وأفاحَ أنفاسُ الصبا منثورَهُ
يوماً بأبهجَ من كتابٍ نَمْنَمَتْ ... يمناك يا شرفَ الكفاةِ سطوره
وافى إليَّ فتهتُ حين رأيته ... تيهَ المولّى إذ رأى منشوره
فلثمتُهُ عشراً ولو قبَّلتُهُ ... ألفاً وألفاً لم أوفِّ مهوره
وفضضتُهُ عن لؤلؤٍ ولو آنه ... للسمط زان فصولَهُ وشذوره
وأجلتُ منه الطَّرْفَ فيما راقه ... وأتاح للقلب الكئيب سروره
قسماً لأنت الفردُ في الفضلِ الذي ... لولاك أطفأتِ الجهالةُ نوره
منكَ امترى لما ارتضعتَ لبانَهُ ... وبك ازدهى لما احتلبتَ شطوره
فاسلم له حتى تُجدِّد ما عفا ... منه وتجبرَ وَهْنَهُ وكسوره
واعذرْ وليَّكَ إنْ تقاصَر سَعْيُهُ ... واغفرْ له تقصيرَهُ وقصوره

وصل من المجلس السامي المؤيدي ـ ضاعف الله علوه ، وأضعف عدوه ، وأكمل سعوده ، وأكمد حسوده ـ كتابٌ اتسم بالمكرمة الغراء ، وابتسم عن التكرمةِ العذراء ، فخلته كتابَ الأمان من الزمان ، وتلقيته كما يتلقى الانسانُ صحيفةَ الاحسان ، وقابلتُ ما أُودع من البر ، والطَّوْلِ المُبِرّ ، بالشكر الذي هو جَهْدُ المقلّ ، ونسكُ المستقلّ ، ووجدت ما ألحف من التجميل ، وأتحفَ من الجميل ، ما كانت أطماعي تتوق إليه ، وآمالي تحوم حواليه ، إذ ما زلت منذ استمليتُ وصفَ المناقب المؤيدية ، ورويتُ خبرها عن الراوية الشريفة الشرفية ، أبعثُ قلمي على أن يفاتح ، وأن يكون الرائد لي والماتح ، وهو ينكصُ نكوصَ الهَيُوبَة ، وينكلُ نكولَ الهامِ عن الضريبة ، فأكابد لإحجامه الأسى ، وأزجي الأيام بلعلَّ وعسى ، إلى أن بديت ، وهديت وأُريت ، كيف يحيي الله من يميت ، فلم يبق بعد أن أنشط العقال ، واستدعي المقال ، إلا أن أنقل الحشفَ إلى هَجَر ، وأزفَّ الهشيمَ إلى الشجر ، فأصدرتُ هذه الخدمة المتشحةَ بالخجل ، المرتعشة من الوجل ، وأنا معترفٌ بسالف التقصير ، ومعتذر عنه باللسان القصير ، فإن قُرِّبَتْ عند الوصول ، وَقُرِنَتْ بحظوةِ القبول ، فذلك الذي كانت تتمنّى ، وحق لي ولها أن تُهَنّى ، وإن ألغيت إلغاءَ الحوارِ في الدية ، وَنُدِّدَ بمفاضحها في الأندية ، فما هُضِمَتْ فيما قوبلتْ ، ولا ظُلِمَتْ إذ ما

قُبِلَتْ ، على أنَّ لكلِّ امرىء ما نوى ، وأن تعفوا أقربُ للتقوى . وإن كان وَضَحَ اجتهادي فيما وقف من الوطر ، الذي تأكَّدَ فيه اعتراض القدر ، وانتقاصُ النظر ، فيا بَرْدَها على الكبد ، وَبُشْرَى خادِمِهِ المجتهد . ثم إن استخدمت بعد في خدمة واجتهدت، وانتهزت فرصةَ فريضتها ولو جاهدت، فللرأي الشريف في الإمام بتحسين ما يُتَأمل ، وتحقيق ما يؤمل ، مزيد السموّ ، إن شاء الله تعالى .

- 907 -

القاسم بن فيره بن أبي القاسم أبو محمد الرعيني ثم الشاطبي المقرىء : كان فاضلاً في النحو والقراءة وعلم التفسير ، له لحديث رسول الله ﷺ نَظْمُ قصيدةٍ من خمسمائة بيت في كتاب التمهيد لابن عبد البر ، وكان شعره عقداً صعباً لا يكاد يفهم ، من ذلك قوله :

يلومونني إذ ما وجدتُ ملائما ... وما لي مليمٌ حين سمتُ الأكارما
وقالوا تعلَّمْ للعلوم نفاقها ... بسحرِ نفاق يستخفّ العزائما

وهي قصيدة طويلة .

وله :

بكى الناسُ قبلي لا كمثلِ مصائبي ... بدمع مطيع كالسحابِ الصوائبِ
وكنا جميعاً ثم شتتَ شملنا ... تفرُّقُ أهواءٍ عراضَ المواكبِ

وله قصيدة نظم فيها « المقنع » لأبي عمرو الداني في خط المصحف .

وكان رجلاً صالحاً صدوقاً في القول مجدًا في الفعل ، ظهرت عليه كرامات الصالحين كسماع الأذان بجامع مصر وقت الزوال من غير مؤذن ولا يسمع ذلك إلا عباد الله الصالحون . وكان يعذل أصحابه على أشياء لم يطلعوه عليها ، وكان مولده في سنة

907 - ترجمة ابن فيره (Ferro) الشاطبي في تكملة ابن الأبار وتكملة المنذري (رقم: 237) وذيل الروضتين: 7 وابن خلكان 4: 71 وعبر الذهبي 4: 273 وسير الذهبي 21: 261 والوافي للصفدي (خ) ونكت الهميان: 228 وطبقات السبكي 7: 270 والأسنوي 2: 113 والبداية والنهاية 13: 10 وطبقات الجزري 2: 20 وبغية الوعاة 2: 260 والنفح 1: 339 والشذرات 4: 301 .

ثمـان وثلاثين وخمسمـائة . ومـات رحمه الله يـوم الأحد بعـد صلاة العصـر الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة تسعين وخمسمائة ، ودفن في مقبرة البيساني بسارية مصر بعد أن أضر .

أخذ القراءة عن الشيخين الإمامين أبي الحسن علي بن هذيـل وأبي عبد الله محمد بن أبي العاص النفري[1] .

قال الشيخ الإمام علم الدين أبو الحسن علي بن محمد السخاوي تلميذه وشارح قصيدته ، وقد وصف دينه وورعه وصلاحه ، ثم قال : وذكرتُ له يوماً جامع مصر وقلت له : قد قيل إن الأذان يُسْمَعُ فيه من غير المؤذنين ولا يُدْرَى ما هو ، فقال : قد سمعته مراراً لا أحصيها عند الزوال .

وقال لي يوماً : جَرَتْ بيني وبين الشيطان مخاطبة فقال : فعلتَ كذا فسأهلكك ، فقلت له : والله ما أبالي بك .

وقال لي يوماً : كنتُ في طريق وتخلّف عني من كان معي وأنا على الدابة وأقبل اثنان فسبّني أحدهما سبًّا قبيحاً ، فأقبلت على الاستعاذة ، وبقي كذلك ما شاء الله ، ثم قال له الآخر : دعه . وفي تلك الحال لحقني من كان معي فأخبرته بذلك فطلب يميناً وشمالاً فلم يجد أحداً .

وكان رحمه الله يعـذل أصحابه في السرّ على أشيـاء لا يعلمها منهم إلا الله عز وجل ، وكان يجلس إليه من لا يعرفه فلا يرتابُ به أنه يبصر لأنه لذكائه ، لا يظهر منه ما يظهرُ من الأعمى في حركاته .

ـ 908 ـ

القاسم بن القاسم بن عمر بن منصور الواسطي أبو محمد : مولده بـواسط العراق في سنة خمسين وخمسمائة في ذي الحجة ، ومات بحلب في يوم الخميس

908 ـ ترجمته في إنباه الرواة 3 : 31 وابن الشعار 5 : 573 والوافي للصفدي (خ) والفوات 3 : 192 وبغية الوعاة 2 : 260 .

(1) قد تقرأ « النفزي » إذ أضاف الصفدي إليها « المغربي » .

رابع ربيع الأول سنة ست وعشرين وستمائة ، أديب نحوي لغوي فاضل أريب ، له تصانيف حسان ومعرفة بهذا الشان .

قرأ النحو بواسط وبغداد على الشيخ مصدق بن شبيب ، واللغةَ على عميد الرؤساء هبة الله بن أيوب ، وقرأ القرآن على الشيخ أبي بكر الباقلاني بواسط ، وعلى الشيخ علي بن هياب الجماجمي بواسط أيضاً ، وسمع كثيراً من كتب اللغة والنحو والحديث على جماعة يطول شرحهم عليَّ : منهم أبو الفتح محمد بن أحمد بن بختيار المانداثي وأحمد بن الحسين بن المبارك بن نَغُوبَا ، سمع عليه المقامات عن الحريري ، فانتقل من بغداد إلى حلب في سنة تسع وثمانين وخمسمائة فأقام بها يقرىء العلم ويفيد أهلها نحواً ولغةً وفنون علوم الأدب .

وصنّف بها عدة تصانيف وهي على ما أملاه عليَّ هو بباب داره من حاضر حلب في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وستمائة : كتاب شرح اللمع لابن جني . كتاب شرح التصريف الملوكي لابن جني أيضاً . كتاب فعلت وأفعلت بمعنى على حروف المعجم . كتاب في اللغة لم يتم إلى هذه المدة . كتاب شرح المقامات على حروف المعجم ترتيب العزيزي . كتاب شرح المقامات آخر على ترتيب المقامات . كتاب شرح المقامات آخر على ترتيب آخر . كتاب خطب قليلة . كتاب رسالة فيما أخذ على ابن النابلسي الشاعر في قصيدة نظمها في الامام الناصر لدين الله أبي العباس صلوات الله عليه أولها : الحمد لله على نعمه المتظاهرة ، والصلاة على خير خلقه محمد وعترته الطاهرة ، وبعد فإنه لما أخرت الفضائل عن الرذائل ، وقدمت الأواخرُ على الأوائل ، ونبذ عهدُ القدماء ، وجُهِلَ قدرُ العلماء ، وصار عطاء الأموال باعتبار الأحوال لا باختيار الأقوال ، وظهر عظيم الاجلال بالأسماء لا بالأفعال ، علمت أن الأقدار هي التي تعطي وتمنع ، وتخفض وترفع ، فأخملتُ عند ذلك من ذكري وقدري ، وأخفيتُ من نظمي ونثري . « ولأمرٍ ما جدع قصير أنفه »[1] .

(ومن شعر نفسه) :

وما لي إلى العلياءِ ذنبٌ علمتُهُ ولا أنا عن كسبِ المحامدِ قاعدُ

---

(1) هذا مثل يتصل بقصة الزباء ، وكيف احتال عليها قصير بجدع أنفه ، انظر أمثال الضبي : 146 .

وقلتُ أصبرُ على كيدِ الزمان وكدّه ، فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمرٍ من عنده :

فلو لم يعلُ إلا ذو محلٍّ   تعالى الجيشُ وانحطَّ القتامُ[1]

إلى أن بلغني ممن يعوّل عليه ، وَيُرْجَعُ في القول إليه ، عن بعض شعراء هذا الزمان ، ممن يُشار إليه بالبنان ، أنه أُنْشِدَ عنده بيتٌ للوليد[2] ، يشهد له بالفصاحة والتجويد ، وهو قوله :

إذا محاسنيَ اللائي أُدِلُّ بها   صارتْ ذنوبي فقلْ لي كيفَ أعتذرُ

فقال مقالَ المفتري ، كم قد خرينا على البحتري ، فصبرتُ قلبي على أذاته ، وأغضيتُ جفني على قَذاته ، حتى ابتدرني بالبادرة ، التي يقصّر عنها لسانُ الحادرة . فلو كان النابلسيّ ، كابن هانيءٍ الأندلسي ، لزلزلت الأرضُ زلزالها، وأخرجَتِ الأرضُ أثقالها . فيا للّه العجب متى أشرفت الظلمة على الضياء ، أو علت الأرضُ على السماء ، وأين السها من القمر ؟ وكيف يضاهى الغُمْر بالغَمَر ؟ فإنّا للّه وأفوض أمري إلى اللّه ، أفي كل سحابة أراع برعد ، وفي كل وادٍ بنو سعد[3] :

وإني شقيٌّ باللئام ولا ترى   شقياً بهم إلا كريمَ الشمائلِ

لقد تحككتِ العقربُ بالأفعى ، واستنّتِ الفِصالُ حتى القَرْعَى[4] .

وطاولتِ الأرضُ السماءَ سفاهةً   وفاخرتِ الشهبَ الحصى والجنادلُ[5]

وما ذلك التيه والصلف ، والتجاوزُ للحدّ والسرف ؟ إلاّ لأنه كلما جرَّ جريراً[6] ، اعتقد أنه قد جَرَّ جريرا ، وكلما ركب الكُمَيْتَ ، ظنَّ أنه قد ارتكب الكميت ، وكلما أعظم من غير عظم ، وأكرم من غير كرم ، شمخ بأنفه وطال ، وتطاول إلى ما لن ينال ، وزعم أنه قد بلّد لبيداً ، وعبّد عبيداً ، ولا واللّه ليس الأمرُ كما زعم ، ولا الشعرُ كما نظم ، ولكنها المكارمُ السلطانية الملكية الظاهرية التي نَوَّهَتْ بذكره فسترها ، ورفعتْ

---

(1) البيت للمتنبي ، ديوانه : 92 .

(2) يعني البحتري ، والبيت في ديوانه 2 : 954 .

(3) في كل واد بنو سعد ، مثل : انظر أمثال الضبي : 50 وجمهرة العسكري 1 : 61 .

(4) هذا مثل أيضاً ، انظر فصل المقال : 402 .

(5) البيت للمعري ، انظر شروح سقط الزند : 537 .

(6) الجرير : الحبل .

من قدره فَكَفَرَها ـ بقوله ما أذكره إذا انتهيت إليه. ولما طلب العبد كراعاً، فأعطي ذراعاً[1]، خرج على من يعرفه، وبهرج على من يكشفه، فقلت: لا مخبأ بعد بُوس، ولا عطرَ بعد عروس[2]:

وما أنا بالغيرانِ من دونِ جاره إذا أنا لم أصبح غيوراً على العِلْمِ

وقصدت قصيداً من شعره، يزعم أنها من قلائدِ دُرِّه، قد هذَّبها في مدة سنين، ومدح بها أمير المؤمنين، وقال فيها: فانظرْ لنفسك أي دُرٍّ تنظم:

فكان لعمري ناظماً غيرَ أنه كحاطب ليلٍ فاته منه طائلُ

«فواعجبا كم يدَّعي الفضلَ ناقصٌ ووا أسفا كم يظهر النقصَ فاضل»[3]

وتتبعت ما فيها من غلطاته، وأظهرتُ ما خفي فيها من سقطاته، ولبست له جلد النمر، واندفقت عليه كالسيل المنهمر، بعد أن كتبها بخطه، وزيَّنها بإعرابه وضبطه:

وابنُ اللبونِ إذا ما لُزَّ في قَرَنٍ لم يستطعْ صوْلةَ البُزْلِ القناعيسِ[4]

فوجدته قد أخطأ منها في واحدٍ وعشرين مكاناً، عَدِمَ فيها تمكناً من العلم وإمكاناً، فمنها ستة عشر موضعاً توضحها الكتابة والنظر، ومنها خمسة توضحها المجادلة والنظر، فهذا من جيِّد مختاره، وما يظهر على اختياره، وان وقع إليَّ شيء من مزوَّق شعره، أو مُنَوَّقٍ مستعاره، لأعصبنّه فيه عَصْبَ السَّلَمةِ، ولأعذِّبنه تعذيبَ الظُّلَمة:

فإن قلتمُ إنا ظلمنا فلم نكنْ بدأنا ولكنّا أسأنا التقاضيا

ولو أنه اقتصر على قصوره، وأنفق من ميسوره، وستر عِواره، ولم يبدِ شِواره، لطويته على غَرِّه، ولم أنبّهْ على عارهِ وَعَرِّه، فان «من سلك الجَدَدَ أمِنَ العثار»[5] وسلم من سالم النقع المثار، ولكن كان «كالباحث عن حتفه بظلفه»[6] فلحق

(1) أصل المثل: إن يعط العبد كراعاً يتسع ذراعاً، أمثال الضبي: 149.

(2) هذا مثل، انظر فصل المقال: 436 والمثل فيه: لا مخبأ لعطر بعد عروس.

(3) هذا بيت للمعري، انظر شروح سقط الزند: 528.

(4) البيت لجرير، ديوانه (التجارية: 1353): 323.

(5) هذا مثل، انظر فصل المقال: 315.

(6) هذا مثل، انظر معجم الأمثال العربية 1: 138 (كالباحثة عن حتفها بظلفها) ولسان العرب: (بحث).

﴿ بالأخسرين أعمالاً الذين ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ﴾ (الكهف: 103) وخطؤه في هذه القصيدة ينقسم قسمين: قسم فاته فيه أدبُ الدرس فيقسم أيضاً قسمين قسمٌ لفظي وقسم معنوي، فأما القسم اللفظي فانه ينقسم أيضاً قسمين قسمٌ لغويّ وقسم صناعي، فأما القسم اللغوي فانه كذا وكذا، لم يحتمل هذا المختصر ذكره.

وأنشدني لنفسه من قصيدة[1]:

ديباجُ وجهك بالعِذارِ مُطَرَّزُ ... برزتَ محاسنُهُ وأنت مُبَرِّزُ
وبدتْ على غصن الصبا لك روضةٌ ... والغصنُ ينبتُ في الرياض ويغرزُ
وجنتْ على وَجَناتِ خدك حمرةٌ ... خجلَ الشقيقُ بها وحار القرمزُ
لو كنتَ مدعياً نبوةَ يوسفٍ ... لقضى القياس بأن حسنك معجزُ

وأنشدني لنفسه من قصيدة[2]:

زَهَرُ الحُسْنِ فوقَ زَهْرِ الرياضِ ... منه للغصن حمرةٌ في بياضِ
قد حمى وَرْدَهُ ونرجسه الغضُّ سيوفٌ من الجفون مواضي
فإذا ما اجتنيتَ باللحظ فاحذر ... ما جنت صحةُ العيونِ المراضِ
فلها في القلوب فتكةُ باغٍ ... رُوِيَتْ عنه فتكةُ البرّاضِ
وإذا فَوَّقَتْ سهاماً من الهُدْ ... بِ رمينَ السهامَ بالأغراضِ
واغتنم بهجةَ الزمان وبادر ... شمسَ أيامه الطوالِ العراضِ
بشموسِ الكؤوسِ تحتَ نجومٍ ... في طلوعٍ من أفقها وانقضاضِ
واجلُ من جوهرِ الدنانِ عروساً ... نطقتْ عن جواهرِ الأعراضِ
كلما أُبْرِزَتْ أَرَتْكَ لها وجـ ... ـهَ انبساطٍ يعطيك وجهَ انقباضِ
فعلى الأفقِ للغمام ملاءٌ ... طَرَّزتها البروقُ بالايماضِ
وكأن الرعودَ إرزامُ نوقٍ ... فُصِلَتْ دونها بناتُ المخاضِ

(1) وردت في الوافي والفوات.
(2) انظر المصدرين السابقين.

أو صهيلُ الجيادِ للملك الـظا ... هـر تسري بـالجحفلِ النهـاضِ

وأنشدني لنفسه يهجو ابن النابلسي [الشاعر][1] :

لا تـعـجـبنَّ لـمـدلـويـــــه إذا بـدا شبهَ المـريضِ

قـد ذاب من بَخَـرٍ بـفيــــه بدا من الخلقِ البغيضِ

وَتَـكَسَّـرَتْ أسـنـانـه ... بالعضِّ في جُعْسِ القريضِ

وتـقـطعـت أنـفـاسُـهُ ... عَـرَضاً بتقـطيع العـروضِ

وأنشدني لنفسه يهجو ابن النابلسي المذكور[2] :

يـا من تـأمـل مـدلـويــــه وشـكَّ فيما يسقمهْ

انـظر إلى بَخَـرٍ بـفيــــه ومـا أظنّـك تفهمـهْ

لا تـحـسـبـنَّ بـأنـه ... نَـفَسٌ يـغـيـره فـمـهْ

لـكـنـمـا أنـفـاسـه ... نتنت بشعـرٍ ينـظمـهْ

وأنشدنا لنفسه في ذي الحجة سنة عشرين وستمائة بحلب[3] :

أرى بغضي على الجهـلاء داءً ... يمـوتُ ببعضـه القلبُ العليـلُ

فهم مَـوْتَى النفـوسِ بغيـر دفنٍ ... وأحـيـاءٌ عـزيـزهـم ذلـيـلُ

يُـغَـطّون السـمـاءَ بكـلِّ كـفٍّ ... لهـا في الطول تقصيرٌ طويـلُ

وَيُبْـدُون الـطلاقـةَ من وجـوهٍ ... كمـا يبدو لـك الحجـرُ الصقيـلُ

إذا قـامـوا لمجـدٍ أقـعـدتهم ... مسـالكُ مـا لهم فيهـا سبيـلُ

وإن طلبـوا الصعـودَ فمستحيـلٌ ... وان لـزمـوا النـزولَ فمـا يـزولُ

كذاك السَّجْلُ في الدولابِ يعلو ... صعـوداً والصعـودُ لـه نـزولُ

وأنشدنا لنفسه بالتاريخ[4] :

لنـا صـديقٌ بـه انقبـاض ... ونحـن بـالبسط نسـتـلذُّ

---

(1) م : المذكور ، وانظر الوافي والفوات .

(2) انظر المصدرين السابقين .

(3) بعضها في المصدرين السابقين .

(4) انظر الوافي والفوات .

لا يعـرفُ الفتحَ في يـديـه — إلا إذا مـا أتـاه أخـذ
فكفـه «كيف» حين يعـطي — شيئـاً وبعد العـطاء «منذ»

وأنشدني لنفسه أيضاً[1] :

لا تـردْ من خيار دهـرك خيراً — فبعيـدٌ من السـرابِ الشـرابُ
رونقٌ كـالحباب يعلو على الكا — سِ ولكن تحت الحَباب الحِبابُ
عـذبتْ في النفاق ألسنـةُ القو — م وفي الألْسُنِ العِذابِ العَذابُ

وأنشدني لنفسه أيضاً موشحة على طريقة المغاربة[2] :

فـي زهـرةٍ وطـيـبِ — بستاني من أوجهٍ ملاحْ
أجـلو على الـقضـيـبِ — ريحاني والوردَ والاقاحْ
مـا روضـةُ الـربيعْ — فـي حُلّةِ الـكمـالْ
تـزهـو على ربيـعْ — مَـرَّتْ بـه الشمـالْ
في الحسن كالبديعْ — بـالحسنِ والجمـالْ
نـاهيـكَ من حـبيـب — نشوان بالدلِّ وهو صاحْ
إن قـلت والـهـيـبـي — حَيّـاني من ثغـره بـراحْ
كـم بتُّ والـكؤوسْ — تُجْلَى مِنَ الـدنـانْ
كـأنـهـا عـروسْ — زُفّـتْ من الـجنـانْ
تبـدو لنـا الشمـوس — منهـا على البنـانْ
لـم أخشَ مـن رقيـبِ — ينهاني ألهو إلى الصباحْ
مـع شـادنٍ ربـيـبِ — فتـانٍ زُنْدِي لـه وشـاحْ
خيلُ الصبا بـركضِ — تجـري مـع الغـواهْ
في سُنّتي وفـرضي — لا أبتـغـي سـواهْ

(1) وردت في المصدرين السابقين .
(2) وردت هذه الموشحة في الوافي والفوات .

وحجتي لعرضي ... ما تنقلُ الرواهْ
عن عاقلٍ لبيب ... أفتاني أنَّ الهوى مباحْ
والرشفُ من شنيب ... ريانِ ما فيه من جناحْ

وأنشدني لنفسه موشحة[1] :

أي عنبريةْ في غلائل الغَلَسْ ... من زبرجديةْ تُنْبِهُ[2] النَّفَسْ
جادها الغمامُ ... فانتشى بها الزَّهَرْ
وابتدا الكمامُ ... أعيناً بها سهرْ
وشدا الحمامُ ... حين صَفَّقَ النهرْ
وارتدت عشيّه كملابس العُرُسْ ... حللاً سنيّه ما دنت من الدَّنَسْ
واملأ الكؤوسا ... فضةً على الذهب
واجلها عروسا ... تُوِّجَتْ من الشهب
تطلع الشُّموسا ... في سنا من اللهب
فلها مزيه في الدجى على القَبَسْ ... بحلى شهيّه كمحاسنِ اللَّعَسْ
يخبرُ سناها ... عن تطايرِ الشررْ
فاز مَنْ جناها ... من قلائدِ الدّررْ
فإذا تناهى ... في الخلائقِ الغررْ
قلت ظهريه أُظْهِرَتْ لملتمس ... من علا أبيّةْ ما تُنال بالخُلَسْ

وأنشدني لنفسه أيضاً :

لا خير في أوجه صباحِ ... تُسْفِرُ عن أنفسٍ قباحِ
كالجرح يُبْنَى على فسادٍ ... بظاهرِ ظاهرِ الصلاحِ
فقلْ لمن مالُهُ مصونٌ ... أصِبْتَ في عرضِكَ المباحِ

(1) أوردها في الوافي .
(2) الوافي : تنبيه .

وأنشدني أيضاً لنفسه :

جدّ الصبا في أباطيلِ الهوى لعبُ وراحةُ اللهو في حكم النهى تَعَبُ
وأقربُ الناسِ من مجدٍ يؤثله من أبعدته مرامي العزمِ والطلبُ
وقادها كظلام الليل حاملةً أهلّةً طلعتْ من بينها الشهب
منقضّةً من سماءِ النقع في أُفُقٍ شيطانُهُ بغمام الدرعِ محتجبُ
واسودَّ وجهُ الضحى مما أشار به وأشرقَ الأبيضان الوجه والنسب
في موقف يسلبُ الأرواح سالبها حيث المواضي قواضٍ والقنا سُلُبُ
لا يُرهب المرءُ ما لم تبد سطوته لولا السنانُ استوى الخطيّ والقصب
إن النهوضَ إلى العلياء مكرمةٌ لها التذاذان مشهودٌ ومرتقب
والملك صنفان : محصولٌ وملتمَسٌ والمجد نوعان : موروثٌ ومكتسب
والناس ضدان : مرزوقٌ ومحترم تحت الخمول ومغصوبٌ ومغتصب
والطاهرُ النفسِ لا ترضيه مرتبةٌ في الأرض إلا إذا انحطت لها الرتب
والفضلُ كسبٌ فمن يقعدْ به نَسَبٌ ينهضْ به الأفضلان العلم والحسب
للّه درُّ المساعي ما اسْتُدِرَّ بها خِلْفُ السيادةِ إلا أمكن الحلبُ
وحبذا همةٌ في العزم ما انتدبت لمبهم الخطبِ إلا زالت الحجبُ
وموطناً يُسْتَفادُ العزّ منه كما أفادت العزَّ من سلطانها حلبُ

ومنها :

مؤيدُ الرأي والرايات قد أَلِفَتْ ذوائبَ القوم من راياتها العذبُ
إن نازلوه وقد حقَّ النزالُ فَمِنْ أنصاره الخاذلان الجبنُ والرعبُ
أو كاتبوه فخيلٌ من كتائبه تجيبُ لا المخبران الرسلُ والكتب
مغاورٌ ينهبُ الأعمارَ ذابلُهُ في غارةِ الحرب والأموالُ تنتهبُ
في جحفلٍ قابلوا شمسَ النهار على مثلِ البحار بمثلِ الموج يضطرب
حتى كأنَّ شعاعَ الشمسِ بينهمُ فوق الدُّرُوع على غدرانها لهب

ما أنكر الهامُ من أسيافه ظبةً ... وإنما أنكرتْ أسيافَهُ القُربُ
ما يدفعُ الخطبَ إلا كلّ مندفعٍ ... في مدحه الأفصحان الشعرُ والخطبُ
ومن إذا ما انتمى في يومِ مفتخَرٍ ... أطاعه العاصيان العجم والعربُ

وأنشدني من قصيدة لنفسه أيضاً :

أفي البانِ أنْ بان الخليطُ مُخَبِّرُ ... عسى ما انطوى من عهدٍ لمياءَ يُنْشَرُ
نعم حركاتٌ في اعتدالِ سكونها ... أحاديثُ يرويها النسيم المعطرُ
يودُّ ظلامُ الليلِ وهو مُمَسَّكٌ ... لذاذتها والصبحُ وهو مزعفرُ
أحاديثُ لو أن النجوم تمتعتْ ... بأسرارها لم تدرِ كيف تُغوِّرُ
يموتُ بها داءُ الهوى وهو قاتلٌ ... ويحيا بها مَيْتُ الجوى وهو مقبرُ
فيا لنسيمٍ صحتّي في اعتلاله ... وصحوي إذا ما مر بي وهو مُسْكرُ
كأن به مشمولةً بابليةً ... صَفَتْ وهي من غُصْنِ الشمائلِ تعصرُ
إذا نشأت مالت بلبك نشوةً ... كما مال مهزوزٌ يُماحُ ويمطرُ

وقال يمدح الوزير جمال الدين القاضي الأكرم أبا الحسن علي بن يوسف بن ابراهيم الشيباني القفطي من صعيد مصر ويلتمس منه أن يرتبه في خدمة[1] :

يا سيدي قد رُميتُ من زمني ... بحادثٍ ضاق عنه محتملي
وأنت في رتبةٍ إذا نظرتْ ... إليَّ صار الزمانُ من قبلي
والنظمُ والنثرُ قد أجدتهما ... فيكَ فلا تتركِ الإجادةَ لي
فداكَ قومٌ إذا وقفتُ بهم ... رأيتني واقفاً على طللِ
تشغل أموالهم مساعيَهم ... فهم عن المكرماتِ في شغلِ
تحمي حماها أعراضهم فإذا ... ماتت حماها سُورٌ من البَخَلِ
معاولُ الذمّ فيه عاملةٌ ... إعمالها في مغائرِ الجبلِ

(1) من الواضح أن القفطي في ترجمته للواسطي يستثقله كثيراً ويورد أمثلة من جهله ، ويراه امرءاً كثير الإعجاب بنفسه ، مستهتراً بالخمر واتخاذ علوج ليسوا بحسان الخلق ، وأنه يرتاد محالَّ الفسوق .

نعلُكَ تاجٌ إذا رفعتهمُ ... لرأسِ حافٍ منهم ومنتعل
فاسمع حديثي فلي مغازلةٌ ... تبثُّ شكوى في موضع الغزل
قد كنتُ في راحةٍ مكمَّلَةٍ ... أحيي المعالي بميّتِ الأمل
أرفلُ في عزةِ القناعة في ... ذيلٍ على النائبات منسدل
فعندما طالت البطالةُ بي ... وصار لي حاجةٌ إلى العمل
قال أناس نبّه لها عمراً ... فقلت حسبي رأي الوزير علي

يعني عمر بن الوبار أحد حجاب أتابك طغرل شهاب الدين الخادم المستولي في أيامنا على حلب وقلعتها :

قد بتُّ من وعده على ثقةٍ ... أمنتُ في حَلْيها من العَطَلِ
فالأكرم ابن الكرام لو سبقتْ ... وعوده بالشباب لم يَحُلِ
يفرّ من وعده المطالُ كما ... تفرُّ آراؤه من الزلل
أخلاقه حلوةُ المذاقِ فلو ... شبهتها ما ارتضيتُ بالعسل
بمنطقٍ لو سَرَتْ فصاحته ... في اللُّكْنِ لاستعصمتْ من الخطل
تمجُّ أخلاقه إذا كتبت ... ماء المنى من أسنةِ الأَسل
وان سطَتْ في ملمة نسيتْ ... صفّين منها ووقعةُ الجمل
تنظم درّاً على الطروس كما ... يُنْظَمُ درّ الحليّ في الحلل
مبيّنٌ علمَهُ لسائله ... مَسائلاً أشكلتْ على الأول
لكلّ علم في بابه عَلَم ... يهدي إلى قبلةٍ من القبل
أيّ جمال ما فيه أجمله ... على وجوه التفصيل والجمل
جلّ الذي أظهرتْ بدائعُهُ ... منه معاني الرجالِ في رجل

ـ 909 ـ

القاسم بن محمد بن بشار الأنباري أبو محمد والد أبي بكر محمد بن الأنباري : كان محدثاً أخبارياً ثقة صاحبَ عربية ، أخذ عن سلمة بن عاصم وأبي عكرمة الضبي ؛ مات سنة أربع وثلاثمائة غرة ذي القعدة ، وقال ثابت بن سنان : مات في صفر سنة خمس وثلاثمائة ، ومن خطه نقلت .

قال محمد بن إسحاق : وله من التصانيف : كتاب خلق الإنسان . كتاب خلق الفرس . كتاب الأمثال . كتاب المقصور والممدود . كتاب المذكر والمؤنث . كتاب غريب الحديث . كتاب شرح السبع الطوال ، رواها أبو غالب ابن بشران عن علي بن كردان عن أبي بكر أحمد بن محمد بن الجراح الخراز عن أبي بكر عن أبيه .

ومما يروى لابن الأنباري هذا :

إني بأحكامِ النجومِ مكذِّبٌ ... ولمدعيها لائمٌ ومؤنّبُ

الغيبُ يعلمه المهيمنُ وحدَهُ ... وعن الخلائق أجمعينَ مغيّب

اللّه يُعطي وهو يمنعُ قادراً ... فمن المنجمُ ويحه والكوكبُ

قرأت في « كتاب الفهرست » الذي تممه الوزير الكامل أبو القاسم المغربي ولم أجد هذا في النسخة التي بخطّ المصنف أو قد ذهب عن ذكري قال : ذكر أبو عمر الزاهد قال ، أخبرني أبو محمد الأنباري قال : قدمت الى بغداد ، ومحمد صغير ، وليس لي دار ، فبعث بي ثعلب إلى قوم يقال لهم بنو بدر فأعطوني شيئاً لا يكفيني وذكروا « كتاب العين » فقلت : عندي كتاب العين ، فقالوا لي : بكم تبيعه ؟ فقلت : بخمسين ديناراً ، فقالوا لي : قد أخذناه بما قلت إن قال ثعلب إنه للخليل ، قلت ، فإن لم يقل إنه للخليل بكم تأخذونه ؟ قالوا : بعشرين ديناراً ، فأتيت أبا العباس من فوري فقلت له : يا سيدي هب لي خمسين ديناراً ، فقال لي : أنت مجنون ، وهذا تأكيد ، فقلت له : لست أريد من مالك ، وحدثته الحديث ، قال : فأكذب ؟ قلت :

909 ـ ترجمة ابن الأنباري أبي محمد في الفهرست: 81 وطبقات الزبيدي: 208 ومراتب النحويين: 97 وإنباه الرواة 3: 28 وتاريخ بغداد 12: 440 والوافي للصفدي (خ) وبغية الوعاة 2: 261 .

حاشاك ولكن أنت أخبرتنا أن الخليل فرغ من باب العين ثم مات فاذا حضرنا بين يديك للحكومة ضع يدكَ على ما لا تشكُّ فيه ، فقال : تريد أن أنجش لك ؟ قلت : نعم ، قال : هاتهم فبكروا وسبقوني وحضرت فأخرجوا الكتاب وناولوه وقالوا : هذا للخليل أم لا ؟ ففتح حتى توسَّطَ باب العين وقال : هذا كلام الخليل ثلاثاً ، قال : فأخذت خمسين ديناراً .

- 910 -

القاسم بن محمد الديمرتي أبو محمد الأصبهاني : من قرية من قراها يقال لها ديمرت ، روى عن إبراهيم بن متّويه الأصبهاني . وقال حمزة : أبو محمد القاسم الديمرتي لغوي نحوي عني في صغره بتصحيح كتب وقراءاتها ثم هو منتصب منذ أربعين سنة تقرأ عليه الكتب.

وحدث أبو نصر منصور بن أحمد بن محمد بن الشيرازي خازن كتب عضد الدولة ومعلم ولده صمصام الدولة وقاضي فارس وأعمالها قال : أنشدنا أبو محمد القاسم بن محمد الديمرتي لنفسه وقد سئل أن يجمع الشعراء العشرة :

الأصلُ أن تُحْكِمَ شعرَ العَشَرَهْ ... أشعارَ قومٍ في زمان لم تَرَهْ

أشعار بشرٍ ولبيدٍ وعدي ... نعم والأعشى وعبيد الأسدي

حتى إذا أحكمت شعر النابغة ... [.................]

فابتد في شعر امرىء القيس ... فالفخرُ في ذاك وشعرِ أوسِ

وابتدر القومَ وفيهم طَرَفَهْ ... وكلّ ما قال زهيرٌ في صفه

قال المؤلف : وهذا شعر هذا العلامة كما ترى في غاية الركاكة والرداءة ولم يستطع تصريعَ البيت الذي فيه ذكر النابغة.

قال محمد بن إسحاق : وله من الكتب : كتاب تقويم الألسنة . كتاب العارض في الكامل . كتاب تفسير الحماسة . كتاب غريب الحديث . كتاب الابانة .

---

910 ـ ترجمة الديمرتي في الفهرست: 94 وأخبار اصبهان 2: 163 وإنباه الرواة 3: 30 والوافي للصفدي (خ) وبغية الوعاة 2: 263 .

قال حمزة : وله كتب كبار وصغار فمن كبار كتبه : كتاب الصفات . كتاب تفسير ضروب المنطق . كتاب سماه كتاب تهذيب الطبع يشتمل على قطعة كبيرة من نوادر اللغة .

ذكره أبو نعيم في « تاريخ أصبهان » فقال : القاسم بن محمد الديمرتي الأديب أبو محمد روى عن إبراهيم بن متويه وإسحاق بن جميل ومحمد بن سهل بن الصباح .

ـ 911 ـ

القاسم بن محمد بن رمضان أبو الجود النحوي العجلاني : كان في عصر أبي الفتح ابن جني وفي طبقته ، وهو بصري . قال محمد بن إسحاق : وله من الكتب : كتاب المختصر للمتعلمين . كتاب المقصور والممدود . كتاب المذكر والمؤنث . كتاب الفرق .

ـ 912 ـ

القاسم بن محمد بن مباشر الواسطي أبو نصر النحوي : لقي ببغداد أصحابَ أبي علي ، وتنقَّل في البلاد حتى نزل مصر فاستوطنها فقرأ عليه أهلها ، وأخذ عنه أبو الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ وبه تخرَّجَ وزوجه من أخته ، وكان ابن بابشاذ يخدمه وبه انتفع ، ومات بمصر.

وله من الكتب : كتاب شرح اللمع . كتاب في النحو ، رتبه على أبواب الجمل وشرح من كلِّ باب مسألة .

ـ 913 ـ

القاسم بن معن المسعودي : هو أبو عبد الله القاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله ﷺ ابن غافل بن حبيب بن

911 ـ ترجمته في الفهرست: 92 وإنباه الرواة 3 : 27 والوافي للصفدي (خ) وبغية الوعاة 2 : 262 .

912 ـ ترجمته في الوافي للصفدي (خ) وبغية الوعاة 2 : 262 .

913 ـ ترجمة القاسم المسعودي في طبقات ابن سعد 6 : 267 وطبقات الزبيدي : 133 والفهرست: 76 ونور

شمخ بن فار[1] بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، من أهل الكوفة ، وكان فقيهاً على رأي أبي حنيفة ولقيه ، وكان عالماً ولي القضاء بالكوفة ومات سنة خمس وسبعين ومائة ، خرج مع بعض أسباب الرشيد إلى الرَّقةِ فمات في رأس عين.

وقال أحمد بن كامل القاضي: مات القاسم بن معن في سنة ثمان وثمانين ومائة. قال المرزباني والأول أصحّ . وقال عبد الله بن جعفر : من علماء الكوفة بالعربية والفقه والشعر والأخبار والنسب القاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود الهذلي صاحب رسول الله ﷺ وكان فقيهاً محدثاً قاضياً ، وله في اللغة : كتاب النوادر . كتاب غريب المصنف . وكتب في النحو ومذهب متروك . وكان الليث بن المظفر صاحب الخليل بن أحمد أحدَ من أخذ عنه النحو واللغة وروى عنه وأدخل في كتاب الخليل من علم القوم شيئاً كثيراً فأفسد الكتاب بذلك ، إلا أن القاسم من المحدّثين والفقهاءِ والزهادِ والثقات ، ولم يكن له بالكوفة في عصره نظيرٌ ولا أحدٌ يخالفه في شيء يقوله ، والفراء كثير الرواية عنه.

وحدث محمد بن سعد قال : القاسم بن معن يُكْنَى أبا عبد الله ، ولي قضاء الكوفة ولم يرزق عليه شيئاً حتى مات ، وكان عالماً بالحديث والفقه والشعر والنسب وأيام الناس ، وكان يقال له شعبيّ زمانه وكان ثقةً سخياً .

وقال أحمد بن كامل : كان القاسم بن معن الهذلي قاضي الكوفة ، وكان من أصحاب أبي حنيفة الأثبات في النقلِ ، الرِّفعاءِ في اللغة والفقه.

وحدث حماد بن إسحاق الموصلي قال : سمعت محمد بن كناسة قال ، سمعت القاسم بن معن يقول : دخلت على عيسى بن موسى فقال لي : ما بعثتُ إليكَ إلا

القبس : 279 وإنباه الرواة 3 : 30 وسير الذهبي 8 : 170 وعبر الذهبي 1 : 268 وتهذيب التهذيب 8 : 338 والجواهر المضية 1 : 412 والوافي للصفدي (خ) وبغية الوعاة 2 : 263 والنجوم الزاهرة 2 : 48 والشذرات 1 : 286 .

(1) م : فاد .

لخير ، قال : فهان والله في عيني حتى جلستُ واحتبيت في مجلسه ، فقال لي : تحتبي في مجلسي؟! يا غلام حُلَّ حبوته ، قال قلت : لا عدمتُ تقويمَ الأمير ، قال : بعثتُ إليك لأولّيكَ القضاء ، قلت : لا أفعل ، قال : إن أبيت ضربتك خمسة وسابعين سوطاً . قال قلت : لا يجيء من بعد إلا سابعين، قال قلت : وإن لم أفعل فعلت ؟ قال : نعم ، قال قلت ، فذا إليّ .

وحدث الهيثم بن عدي قال : استقضى المنصور على الكوفة بعد عبد الرحمن بن أبي ليلى شريكَ بن عبد الله النخعي فلم يزلْ قاضياً حتى كانت خلافة الرشيد فاستقضى نوح بن دراج .

وحدث المرزباني عن علي بن صالح عن القاسم بن معن قال : عُدْتُ خشافاً في مرضه الذي مات فيه فقال لي : يا أبا عبد اللّه ما أشوقني إليك ، ولو كان لي نهوض خرجتُ إليك ، ولولا أن بيتي قد آلى فأكرس لأحببتُ أن تدخله (يريد بالموالاة البعر بعر الشاء ، وأكرس من الكرس وهو السرجين ، قال العجاج :

يا صاح هل تعرفُ رسماً مُكْرِسَا)

وكان خشاف من علماء أهل الكوفة باللغة . وحدث عن سليمان بن أبي شيخ قال ، قال ابن حبيبات الكوفي للقاسم بن معن المسعودي القاضي[1] :

يا أيها العادِلُ الموفَّقُ والـ ... ـقاسمُ بين الأراملِ الصَّدَقَهْ

ماذا ترى في عجائزٍ رُزُحٍ ... أمسين يشكون قلةَ النفقَهْ

ما إن لهنَّ الغداةَ من نَشَبٍ ... يُعْرَفُ الا قطيفةٌ خَلَقَهْ

بناتُ تسعين قد خَرِفْنَ فما ... يَفْصِلْنَ بين الشواءِ والمرقَهْ

فهنَّ لولا انتظارهن دنا ... نيرَكَ قُطِّعْنَ بَعْدُ في السرقَهْ

قال فقال القاسم : العجبُ أنه يوجب علينا دنانير ولا يوجب دراهم ، قال : وأعطاه ثلاثة دنانير .

---

(1) نور القبس : 281 .

- 914 -

قتادة بن دعامة السدوسي أبو الخطاب: وكان أكمه ولد أعمى ، وكان أبوه أعرابياً ولد بالبادية ، وأمه سُرِّية من مولَّدات الأعراب ، وكان يقولُ بشيءٍ من القدر ثم رجع عنه ، ويقال أيضاً إنه كان ذا علم في القرآن والحديث والفقه.

قال الأصمعي : وقتادةُ حاطبُ ليلٍ من الطبقة الثالثة من النابغين[1] بالبصرة ؛ مات بالبصرة سنة سبع عشرة ومائة في أيام هشام بن عبد الملك وأخذ القراءة عن الحسن البصري وابن سيرين.

عن التوزي عن أبي عبيدة قال : ما كنا نفقدُ في كلِّ أيامٍ راكباً من ناحية بني أمية ينيخُ على باب قتادة يسأله عن خَبَرٍ أو نسبٍ أو شعر ، وكان قتادة أجمعَ الناس.

ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه الأصمعي عن محمد بن سلام الجمحي عن عامر بن عبد الملك المسمعي قال : لقد كان الرجلان من بني مروان يختلفان في بيت شعر فيرسلان راكباً إلى قتادة يسأله ، قال : ولقد قدم عليه رجلٌ من عند بعضِ الخلفاء من بني مروان فقال لقتادة : من قتل عمراً وعامراً[2] ؟ فقال : قتلهما جحدر بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة . قال فشخص بها ثم عاد إليه فقال : أجل قتلهما جحدر ولكن كيف قتلهما جميعاً ؟ فقال : اعتوراه فطعن هذا بالسنان وهذا بالزجّ فعادَى[3] بينهما.

914 ـ طبقات ابن سعد 7: 229 والمعارف: 462 والمعرفة والتاريخ 2: 227 ونور القبس (صفحات متفرقة) وطبقات الشيرازي: 89 وإنباه الرواة 3: 35 وأنساب السمعاني (السدوسي) وابن خلكان 4: 85 وتذكرة الحفاظ: 122 وسير الذهبي 5: 268 وميزان الاعتدال 3: 385 وعبر الذهبي 1 : 146 والوافي للصفدي (خ) ونكت الهميان: 230 والبداية والنهاية 9: 313 وطبقات ابن الجزري 2: 25 ومرآة الجنان 1 : 251 وتهذيب التهذيب 8: 351 والنجوم الزاهرة 1: 276 والشذرات 1: 153 .

(1) لعل الصواب : التابعين .
(2) هما تغلبيان قتلا يوم قضة ، ويسمى يوم تحلاق اللمم (وخبره في أيام العرب) .
(3) عادى : والى ، أي قتلهما ولاءً .

قال أبو يحيى الساجي حدثنا نصر بن علي الجهضمي مولاي عن خالد بن قيس قال ، قال قتادة : ما نسيت شيئاً قط ، ثم قال : يا غلامُ ناولني نعلي ، قال : نعلك في رجلك[1] .

ـ 915 ـ

قُثَم بن طلحة بن علي بن محمد بن علي بن الحسن الزينبي أبو القاسم : يعرف بابن الأتقى ، وهو لقب أبيه طلحة . تولى قثم نقابة العباسيين مرتين : أولاهما في أيام المستضيء بأمر الله في سنة ست وستين وخمسمائة وعزل في ذي الحجة سنة ثمان وستين ، والثانية في صفر سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة في أيام الناصر وعزل في سابع عشر ذي الحجة سنة تسعين ، وولي بعد ذلك حجابة باب النوبي يوم الخميس خامس عشر ذي القعدة سنة ستمائة فوقعت فتنة ببغداد بين أهل باب الأزج والمأمونية ، فركب ليسكِّنَ الفتنةَ فلم تسكنْ فأخذ بيده حربةً وحمل على إحدى الطائفتين ونادى يا لهاشم ، وتداركه الشحنة حتى سكنت الفتنة ، فعيب عليه وقيل أردت خرْق الهيبة ، لو ضربك أحدُ العوام فقتلك ؟! فعزل عن حجبة الباب في ثالث عشر شهر رمضان سنة إحدى وستمائة ولم يُستخدم بعد ذلك .

وكان فيه فضل وتميّز ومعرفة بالعلم وحرص عليه جداً خصوصاً ما يتعلق بالأنساب والأخبار والأشعار ، وجمع في ذلك جموعاً بأيدي الناس ، وكتب الكثير بخطه المليح ، إلا أنّ خطّه لا يخلو من السقط مع ذلك . وسمع الحديث من أبي عبد الله الحسين بن عبد الرحمن الغزي وأبي بكر أحمد بن المقرب الكرخي وأبي الفتح محمد بن عبد الباقي بن سليمان وغيرهم ، وسئل عن مولده فقال في سابع محرم سنة خمس وخمسين ومات في سادس رجب سنة سبع وستمائة .

---

915 ـ ترجمته في تكملة المنذري 2 : 206 (وفيه تخريج) والوافي (خ) .

(1) فاته هنا ذكر قتيبة بن مهران الكوفي النحوي (انظر انباه الرواة 3 : 37) .

- 916 -

قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب أبو الفرج : كان نصرانياً وأسلم على يد المكتفي بالله ، وكان أحد البلغاء الفصحاء والفلاسفة الفضلاء وممن يشار إليه في علم المنطق ، وكان أبوه جعفر ممن لا يُفَكَّرُ فيه ولا علم عنده .

وذكر أبو الفرج ابن الجوزي في تاريخه : قدامة بن جعفر بن قدامة أبو الفرج الكاتب ، له كتاب في الخراج وصناعة الكتابة ، وقد سأل ثعلباً عن أشياء . مات في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة في أيام المطيع . وأنا لا أعتمد على ما تفرَّد به ابن الجوزي لأنه عندي كثيرُ التخليطِ ، ولكنّ آخر ما علمنا من أمر قدامة أن أبا حيان ذكر أنه حضر مجلس الوزير الفضل بن جعفر بن الفرات وقت مناظرة أبي سعيد السيرافي ومتّى المنطقي في سنة عشرين وثلاثمائة[1] .

قال محمد بن إسحاق : وله من الكتب : كتاب الخراج تسع منازل كان ثمانية منازل فأضاف إليه تاسعاً[2] .

كتاب نقد الشعر[3] . كتاب صابون الغم . كتاب صرف الهم . كتاب جلاء الحزن . كتاب درياق الفكر . كتاب السياسة . كتاب الردّ على ابن المعتز فيما عاب به أبا تمام . كتاب حشو حشاء الجليس . كتاب صناعة الجدل . كتاب الرسالة في أبي علي ابن مقلة وتعرف بالنجم الثاقب . كتاب نزهة القلوب وزاد المسافر . كتاب زهر الربيع في الأخبار .

---

916 ـ ترجمة قدامة في الفهرست: 144 والمنتظم 6: 363 والنجوم الزاهرة 3: 297 والوافي (خ) .

(1) انظر الامتاع والمؤانسة 1: 108 وفيه أن المجلس انعقد سنة ست وعشرين وثلاثمائة .

(2) نشر بعضه ملحقاً بكتاب ابن خرداذبه (ليدن 1889) ثم نشر بن شمش المنزلة السابعة مصورة وترجمها إلى الانجليزية (ليدن 1965) ونشر د . محمد حسين الزبيدي المنازل من 5 ـ 8 (بغداد 1979) واستخرج د . مصطفى الحياري مادة السياسة ثم الدواوين منه ونشرها 1981 ، 1986 ونشر د . طلال جميل رفاعي المنزلة الخامسة (مكة 1987) وفي الوقت نفسه صوره فؤاد سيزكين (فرنكفورت 1986) .

(3) طبع عدة مرات بمصر ، ثم حققه بونيبكر ، ليدن (1956) .

وبلغني عن بعض متعاطي علم الأدب أنه شرح « كتاب المقامات الحريرية » فقال عند قوله : « ولو أوتي بلاغة قدامة » أن قدامة بن جعفر كان كاتباً لبني بويه ، وجهل في هذا القول ، فان قدامة كان أقدمَ عهداً ، أدرك زَمَنَ ثعلب والمبرد وأبي سعيد السكري وابن قتيبة وطبقتهم ، والأدبُ يومئذٍ طريء ، فقرأ واجتهد وبرع في صناعتي البلاغة والحساب ، وقرأ صدراً صالحاً من المنطق ، وهو لائحٌ على ديباجةِ تصانيفه وإن كان المنطقُ في ذلك العصر لم يتحررْ تحريرَهُ الآن ، واشتهر في زمانه بالبلاغة ونقد الشعر ، وصنَّف في ذلك كتباً منها « كتاب نقد الشعر » له ، وقد تعرض ابن بشرٍ الآمدي إلى الردِّ عليه فيه ، وله كتاب في الخراج رتبه مراتب وأتى فيه بكلِّ ما يحتاج الكاتبُ إليه وهو من الكتب الحسان ، إلى غير ذلك من الكتب . ولم يزل يتردد في أوساط الخدم الديوانية بدار السلام إلى سنة سبع وتسعين ومائتين ، فإن الوزير أبا الحسن ابن الفرات لما توفي أخوه أبو عبد الله جعفر بن محمد بن الفرات في يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة سبع وتسعين ومائتين وكان أسنَّ من أخيه أبي الحسن ابن محمد الوزير بثلاث سنين ردَّ ما كان إليه من الديوان المعروف بمجلس الجماعة إلى ولده أبي الفتح الفضل بن جعفر وإليه ديوان المشرق ، ثم ظهر له بعد ذلك اختلالٌ من النواب فولّاه لولده أبي أحمد المحسّن ، واستخلف المحسنُ عليه القاسمَ بن ثابت ، وجعل قدامة بن جعفر يتولّى مجلس الزمام في هذا الديوان ، وبانت عند ذلك صناعة المحسّن ، وأثار من جهةِ العمالِ أموالاً جليلة .

ـ 917 ـ

قعنب بن المحرّر الباهلي أبو عمرو الراوية : من أهل البصرة المكثرين ، وكان أبو هفان يتردد إليه فأخذ عنه ثم وجد عليه فهجاه .

حدث قعنب قال : دخلتُ على سعيد بن سَلْمٍ الباهلي وهو يضحكُ ، فسألته عن سبب ذلك فقال : جاءتني جاريةٌ ليست عندي كغيرها فغمزتني فانتشرتُ فقلت : ادعي لي فلانةَ لجاريةٍ كنت أهواها ، فقالت : لا والله ، فقلت : ولم ؟ قالت : لأنك

---

917 ـ نور القبس : 219 (وفيه قعنب بن المحرز) .

تروي عن النبي ﷺ من أحيا أرضاً مواتاً فهي له ، وقد أحييتُ أنا هذا فهو لي ، فواقعتها وما كنتُ فعلتُ ذلك قبل وَقَرُبَتْ من قلبي .

وحدث أبو العيناء قال : كان قعنب الباهلي قد تعشّقَ فتىً من فتيانِ المهالبة ، واتصل بأبيه وبخادم له ، ثم نذر به فدعاه الفتى وقد جمع له عدةً من المهالبة ومواليهم إلى بستان له ، فأكلوا وشربوا ثم حملهم على قعنب فهتكوا ستره ، فقال أبو العالية الشاميّ :

نبئتُ أنَّ المرءَ قعنبْ دمرت[1] عليه بنو المهلبْ
بأسنةٍ تدعُ الكميَّ وأنفُهُ دامٍ مُتَرَّبْ
فتجلَّتِ الغمَّى وكلّ سلاحهم بدمٍ مخضّبْ

قال أبو العيناء : فحدث بهذا الحديث الأصمعي بحضرتي ، فذهبتُ أذبُّ عن قعنب تقرّباً إلى الأصمعي للباهلية بينهما ، فقال الأصمعي : اسكت يا بنيّ فقد بلغني أنه لُقِيَ بِكَمَرٍ ككيزانِ الفقّاع عندها إرزاز .

وقال عبد الصمد بن المعذل في قعنب[2] :

أراكِ اللّه يا ذلفاءُ ما قد لَقِيهِ قعنبٌ يومَ الهنيَّهْ
غدا يبغي النكاحَ فعاد فيه أيورٌ كالعصيِّ مهلبيّه
تشقّقَ دُبْرُهُ ويقولُ هذا جزاء ذوي التلوُّطِ بالنسيّه

وحدث عمر بن محمد الفقيه قال : سمعت محمد بن عثمان بن أبي شبيبة يقول : سمعت عمي القاسم بن أبي شبيبة يعاتب قعنب بن المحرر في شربه النبيذ ويقول له : قد كبرتَ وشختَ فلو تركته ، فقال له قعنب : يا أبا محمد لم تجد وقتاً تعاتبني فيه إلا أيام الورد ؟!

(1) دمر عليه : دخل بدون إذن . ودغر عليه : حمل .
(2) وردت في شعر عبد الصمد : 202 (عن معجم الأدباء) .

ـ 918 ـ

قُنْبُل بن عبد الرحمن بن محمد بن خالد بن سعيد بن جرجة المكي : قال أبو علي الأهوازي ، سمعت أبا عبد الله محمد بن أحمد العجلي المقرىء بالبصرة يقول : هو أبو عمر قنبل بن عبد الرحمن ، وقنبل لقب غلب عليه ، وإنما سُمّيَ بذلك لأنه كان يستعملُ دواءً يقال له قنبيل يُسْقَى للبقر معروف عند العطارين لمرضٍ كان به فسمي بذلك . وقيل بل هو من قوم يقال لهم القنابلة من أهل مكة ، ولو كان كذلك لقيل له قنبلي . مات في سنة احدى وتسعين ومائتين في أيام المكتفي عن ست وتسعين سنة لأن مولده في سنة خمس وتسعين ومائة في أيام الأمين ، وكان قد قطع الاقراء قبل موته بعشر سنين . قرأ على عبد الله بن كثير وكان من جلة أصحابه ومن جهته انتشرت قراءته ، وكان قنبل يلي الشرطة بمكة وكان لا يليها إلا أهل العلم والفضل لتقوم بواجباتها ، وكان ابن مجاهد يزعم أنه قرأ عليه ، وكان ابن شنبوذ يدفع ذلك ، وكان ابن مجاهد يقول : قرأتُ على قنبل ولا يقول قرأت القرآن من أوله إلى آخره عليه .

حدث ابن طرّادة الحلواني قال : سألت أبا الحسين ابن المنادي وقلت له : إن ابن مجاهدٍ يزعم أنه قرأ على قنبل وابن شنبوذ في سنة واحدة ، في سنة تسع وسبعين ومائتين، [فقال: كنا] نحن على نية القراءة على قنبل فوجدناه قد اختل واضطرب وخلط في القراءات ، فأما أنا فلم أقرأ عليه ولا حرفاً واحداً ، وأما ابن مجاهد فانه قرأ عليه بعض القرآن فخلّط عليه فترك القراءة ، وأخرج له تعليق ابن عون الواسطي عنه وكان معه فقرأه عليه إلى آخره . وأما ابن شنبوذ فانه جاور سنتين بمكة وقرأ عليه ختمتين ، فقول ابن مجاهد قرأت عليه يصدق ، يعني بعض القرآن ، وقول ابن شنبوذ لم يقرأ عليه يصدق ، يعني القرآن كله لم يقرأه عليه .

---

918 ـ ترجم له ابن الجزري في طبقات القراء 2 : 165 باسم «محمد بن عبد الرحمن المخزومي» وانظر الوافي للصفدي 3 : 226 وسير الذهبي 14 : 84 (وفيه تخريج) .

حرف الكاف

****

- 919 -

كامل بن الفتح بن ثابت بن سابور ، أبو تمام الضرير : من أهل بادرايا ، سكن بغداد ، وكان أديباً فاضلاً ذكياً جداً ، قرأ فنونَ العلم وحفظ الأشعارَ والأخبارَ وأخذ أهلُ الأدبِ ببغداد عنه علماً كثيراً ، وكان متهماً في دينه . مات سنة ست وتسعين وخمسمائة وكان يسكن بابَ الأزج ، وصاهر بني زهمويه الكتّاب ، وله ترسل وشعر ، وقد سمع شيئاً من الحديث من أبي الفتح علي بن علي بن زهمويه ، وقيل إنه كان يدخل على الناصر ويحاضره ويخلو معه وانه علّمه علمَ الأوائل وهوّنَ عليه علم الشرائع والله أعلم ، ومن شعره :

وفي الأوانسِ من بغـدادَ آنسـةٌ ... لهـا من القلب ما تهـوى وتختارُ
سـاومتها نفثةً من ريقهـا بـدمي ... وليس إلا خفيّ الـطرفِ سمسـارُ
عند العذولِ اعتـراضاتٌ ولائمـةٌ ... وعنـد قلبي جـوابـاتٌ وأعـذارُ

- 920 -

كلاب بن حمزة العقيلي أبو الهيذام اللغوي : قال محمد بن إسحاق النديم : هو من أهل حران أقام بالبادية ، وقيل إنه كان معلماً ودخل الحضرة أيام القاسم بن

---

919 - ترجمة أبي تمام الضرير في إنباه الرواة 3 : 41 والوافي للصفدي (خ) ونكت الهميان : 231 والفوات 3 : 217 وبغية الوعاة 2 : 266 .

920 - ترجمته في الفهرست : 91 ومعجم المرزباني : 248 والوافي للصفدي (خ) وبغية الوعاة 2 : 266 .

عبيد الله بن سليمان ومدحه ، وكان عالماً بالشعر ، وخطُّهُ معروفٌ ، وخلط المذهبين ، وكان أبو الحسين محمد بن محمد بن لنكك البصري الشاعر مولعاً بهجوه ، وكان أبو الهيذام قد ورد البصرة ، فمن قول ابن لنكك فيه :

نفسي تقيك أبا الهيذامِ كلَّ أذىً — إني بكلِّ الذي ترضاهُ لي راضي
ما بال جعسك مركوماً على ذكري — يا أكرمَ الناسِ من باقٍ ومن ماضي
ما كان أيري فقيهاً إذ ظفرتَ به — فكيف ألبسته دنيَّةَ القاضي

ووجدتُ بخط أبي أحمد عبد السلام بن الحسين البصري اللغوي ما صورته :

مسطحٌ أصدرَ عُكْلاً وله — ضَغَثٌ تشجذُ قيظَ بنَ فخز

هذا البيت لأبي الهيذام كلاب بن حمزة العقيلي جمع فيه حروف المعجم فجعل ما لا ينقط في الصدر وما ينقط في العجز ، أنشدنيه جماعةٌ من أهل العلم منهم أبو الحسن علي بن الحسين الآمدي النحوي رحمه الله .

وذكره المرزباني في « كتاب المعجم » فقال : أبو الهيذام كلاب بن حمزة العقيلي محدث ، وهو القائل يرثي أبا أحمد يحيى بن علي المنجم ومات سنة ثلاثمائة من قصيدة :

لقد عاش يحيى وهو محمودُ عيشةٍ — ومات فقيداً[1] واحدَ العلمِ والجودِ
فإن كان صرفُ الدهرِ خلَّى كنوزَهُ — وأفقدنا منه بأنفسِ مفقودِ
فما زال حكمُ البيضِ والسودِ نافذاً — بحكم الردى في أنفسِ البيضِ والسودِ
فللثكل تُرْجي حَمْلَها كلُّ حاملٍ — وللموت يغذو والدٌ كلَّ مولودِ

قال محمد بن إسحاق النديم : وله من الكتب : كتاب جامع النحو . كتاب الأراكة . كتاب ما يلحن فيه العامة .

وأنشد الخالدي في « كتاب الديرة » لأبي الهيذام :

سقياً لحرانَ إنه بلدٌ — أصبح للهو وهو مضمارُ

(1) المعجم : وكان مفيداً .

بقيعةٍ سجسجٍ تخرِّقها ومن حواشي الرياضِ أنهار

يشرعُ فيه من الصنوبرِ والـ ـعرعر والزورفين أشجارُ[1]

في يوم باعوثهمْ وقد نشروا الـ ـصلبانَ والمسلمون نُظَّارُ

فمن مهاةٍ هناك هبِّلَةٍ[2] ومن غزالٍ عليه زنارُ

أزحمُ هذا وتلك تزحمني وفي الحشا والفؤادِ إسعارُ

فعارضتني هناك شاطرةٌ منهم بها في الذراع أسوارُ

تقولُ لي والدلالُ يصرعها أنحن يا مسلمون كفارُ

فقلتُ يا غايتي ويا أملي بل أنتم المؤمنون أخيارُ

أطلبُ منها بذاك تقربةً والشعراءُ الخبَّاثُ فجارُ

فرقَّ لي قلبها وملتُ بها في ديرِ زكى ونعمتِ الدارُ

تقولُ لي عند وقتِ مُنْصَرَفي إنك من بعدها لغدارُ

حللتَ عَقْدَ الأمانِ منك لنا فما لعقدٍ لديكَ إمرارُ

لا أنسَ يومي من الفتاة لدى الـ ـديرين والمشركون حُضَّارُ

فقلتُ قد كان ذاك عن خطأ لا قَوَدٌ عندنا ولا ثارُ

أستغفرُ الله ثم أسأله الـ ـتَّوْبَ فلي بالذنوبِ إقرارُ

قرأت في جزازة عتيقة أملاها أبو الهيذام كلاب بن حمزة العقيلي ما صورته : قال أبو الهيذام : كتبت إلى أبي الحسن محمد بن عبد الوهاب الزينبي الهاشمي بالبصرة بما توهَّم أنه مديحٌ له وهو :

اسلمْ على الدهرِ يا أبا حسنٍ وعِشْ على ما تودُّ ألفَ سَنَهْ

فأنت عندي حليفُ ضدٍّ سوى غيرِ حليفِ الشمائلِ الحسنه

وأنت سلمٌ لحربِ سلمِ عدى حربِ عداةِ اللئام والخونه

يعجبُ منك الكرامُ أعجبَ ما يدعو به الله عاقِلٌ فتنه

(1) م : أسحار .

(2) هبلة : سمينة .

فهو يرى فرقةَ الفراقِ لما يخشى من الخير غايةَ الأمَنه
إذا بنورِ الهدى توسّم إعـ ـراضَ معاريضِ دهرِهِ الدّرِنَهْ
كم سائلٍ عنك يا محمد لا يأذنُ خلقٌ لجابتي اذنه
ألقيتُ في روعه جوابَ فتىً لو غبنَ الدهرُ عاقلاً غبنه
إن قلت شَرْوَى أبي حسن للعرضِ بالمالِ أصونُ الصَّوَنَهْ
سنته غُرَّةٌ وناصيةٌ للزينبيين فاجتنبْ سَنَنه
لا سيما وهو قلقلٌ ذَهِنٌ يهربُ من رجمِ ذهنِهِ الشطنه
قد كان بالأمس قال لي وجرى ذكرُ شقيٍّ خَسرَمْتُهُ وسنه
بعداً وسحقاً لمن يُشَرَّفُ بالمـ ـدح ولم يعطِ شاعراً ثمنه
وكيف تحتالُ فيه إن خَزَنَ الـ ـنذلُ وأعطاك خازناً رسنه
فقلتُ أبدى بكلِّ سيئةٍ من مدحه في هجائه حسنه
لعل ربَّ العبادِ يغفرُ بالـ ـعفو أباطيلَ مدحه اللحنه
كقاتلِ الصيد وهو في حَرَمِ الـ ـله يجازي الحمارَ بالبَدَنَهْ
والثورَ بالثور والغزالةَ بالـ ـشاةِ وجفراً بالأرنبِ الأرِنَهْ
أليس هذا الجزاء أثقلَ إذ أحضرَ للوزن والحساب زنه
ولا تطعْ في السماح مُتَّهماً أخلاقُهُ بالسِّفالِ ممتحنه
فأنت من أسرةٍ مفضَّلةٍ على كرامِ الأخلاقِ مؤتمنه
والزينبيون معشرٌ زهرٌ لا سرَّ يُلْفَى وهم له خزنه
غير سوى ضدٍّ غير غيرهم أيديهمُ بالسماح مرتهنه
فلا تضعْ يا ابن خيرهمْ أملي فيك فَعُقْبَى الفعالِ مختزنه

ـ 921 ـ

بنت الكنيري : حدث أبو نصر قال: ومن طريف ما شاهدته أنا أنه كان في الجانب الشرقيّ بمدينة السلام امرأة تعرف ببنتِ الكنيري ، وكانت نهاية في الفضل ولها أخ غايةٌ في الجهل ، وكانت حسنةَ المعرفةِ بالنحو واللغة ولها تصانيف فيهما تُعْرَفُ بها ، واختصما في ميراث والدهما فطال التنازعُ بينهما وحضرا يوماً مجلسَ والدي ، وزاد الكلامُ بينهما ونقص ، فاغتاظ والدي من تفيهقها وحوشيٍّ كلامها ومن سَقَطِهِ وعاميته في مناقضتها ، ففطنتْ لذلك فقالت : أغاظَ سيدنا الشيخ ، أيده الله ، ما يرى مني ومن هذا الأخ أصلحه الله ؟ قال : كلا إن شاء الله ، ولكن جرِّدي الدعوى فإنه أقربُ للانجاز ، فقالت : لي ـ أيد الله الشيخ ـ في ذمته اثنان وعشرون ديناراً مطيعية سلامية ، فقال له : ما الذي تقول ؟ فقال : أما لها عندي اثنان ، وسكت ورام أن يقول مثلما قالت فلم يقدر ، فقال : بالله يا سيدي كيف قالت فقد والله صدعتنا ، فقال له : فضولك ، قُلْ كما تحسن ، وضحك أهلُ المجلسِ وصار طَنْزاً واندفعتِ الخصومةُ ذلك اليوم .

ـ 922 ـ

كلثوم بن عمرو العتابي الشاعر: قد ذكرنا أخباره مستوفاة في كتابنا « أخبار الشعراء » ، وأما نسبه فهو كلثوم بن عمرو بن أيوب بن عبيد بن حبيش بن أوس بن مسعود بن عبد الله بن عمرو الشاعر بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل، وعمرو بن كلثوم المذكور في أجداده هو شاعر السبع الطوال ، وكنية العتابي أبو عمرو ، وأصله من الشام من أرض

---

921 ـ لم أعثر على ترجمة لها .

922 ـ ترجمة العتابي في الفهرست : 134 ـ 135 وطبقات ابن المعتز: 261 والأغاني 13: 107 والشعر والشعراء: 740 وكتاب بغداد: 69 ، 87 ـ 89 ومعجم المرزباني: 244 والوزراء والكتاب: 181 والموشح: 449 والبيان والتبيين 1: 51 وتاريخ بغداد 12: 488 ومروج الذهب 4: 216 ، 308 ـ 310 واللباب 2: 118 وابن خلكان 4: 122 والوافي للصفدي (خ) والفوات 3: 219 .

قنسرين ، صحب البرامكة ثم صحب طاهر بن الحسين وعلي بن هشام القائدين . وكان حسنَ الاعتذار في رسائله وشعره يشبَّهُ في المحدَثين بالنابغة في الجاهلية ، فمن ذلك قوله في جعفر بن يحيى وقد كان بلغ الرشيدَ عنه ما أهدرَ به دمه فخلصه جعفر فقال فيه[1] :

ما زلتُ في غَمَرَاتِ الموتِ مُطَّرحاً يضيقُ عني فسيحُ الرأي من حيلي

فلم تزلْ دائباً تسعَى بلطفكَ لي حتى اختلستَ حياتي من يَدَيْ أجلي

قال محمد بن إسحاق النديم : وكان العتابي أديبا مصنفاً وله من الكتب : كتاب المنطق . كتاب الآداب . كتاب فنون الحكم . كتاب الخيل لطيف . كتاب الألفاظ رواه أبو عمر الزاهد عن المبرد عنه .

قال العتابي[2] : وقفتُ بباب المأمون أنتظر من يستأذنُ لي عليه ، فإذا أنا بيحيى بن أكثم ، فقلت : استأذن لي على أمير المؤمنين ، قال : لست بحاجب ، قلت : صدقت ولكنك ذو فضل وذو الفضلِ معوان ، قال : سلكتَ بي غيرَ سبيلي ، قلت : إن الله أتحفك بجاهٍ وهو عليكَ مقبلٌ بالزيادة إن شكرتَ وبالتغيير إن كفرت ، وأنا لنفسك خيرٌ منكَ لها أدعوك إلى زيادة النعمة وبقائها عليك فتأباها ، فدخل على المأمون وحكى له ما جرى بيني وبينه فاستحسنه وأذن لي .

قال جحظة في « أماليه »[3] : كلم العتابي يحيى بن خالد في حاجة له كلمات قليلة ، فقال له يحيى : لقد نزر كلامك اليوم وقلّ ، فقال له : وكيف لا يقلّ وقد تكنفني ذلُّ المسألة وحيرة الطلب وخوف الرد ، فقال له يحيى : لئن قلَّ كلامك لقد كثرت فوائده .

وقال في « أماليه » قال العتابي : لو سكتَ من لا يعلم عما لا يعلم سقط الاختلاف .

ومن شعره[4] :

ولو كان يستغني عن الشكرِ ماجدٌ لعزة ملكٍ أو علوِّ مكانِ

---

(1) معجم المرزباني والأغاني 13 : 118 وشعره : 411 .
(2) الأغاني : 113 ـ 114 .
(3) الأغاني : 112 .
(4) الفوات : 220 وشعره : 417 .

لمـا أمـر اللّٰه الـعبـادَ بـشكـرهِ فقـال اشكـروا لي أيهـا الثقـلان

قال الحسن بن وهب : بلغ العتابيَّ أن عمرو بن مسعدة ذكره عند المأمون بسوء فقـال[1] :

قـد كنت أرجو أن تكـونَ نصيـري وعلى الـذي يبغي عليَّ ظهيـري
وطفقتُ آمـلُ مـا يُـرَجَّى سَيْبُـهُ حـتـى رأيـتُ تـعـلقـي بـغـرور
فحضـرتُ قبـرك ثم قلتُ دفنتـه ونفضتُ كفّي من ثـرى المقبـور
ورجعتُ مفترياً على الأملِ الذي قـد كـان يشهـدُ لي عليكَ بـزور

فبلغ الشعر عمراً فركب من وقته إلى العتابي في موكبه حتى اعتذر إليه .

قال مالك بن طوق للعتابي[2] : أما ترى عشيرتك ـ يعني بني تغلب ـ كيف تُدِلُّ عليَّ وتستطيل وأنا أصبر ؟ فقال العتابي : أيها الأمير إن عشيرتك مَنْ أحسنَ عشرتك ، وانَّ ابنَ عمك من عمَّكَ خيرُه ، وإن قريبك من قَرُبَ منك نفعه ، وإن أحبَّ الناسِ إليك من كان أخفَّهم ثقلاً عليك ، وأنشده :

إنيْ بلوتُ النـاسَ في حـالاتهم وخبـرتُ ما وصلوا من الأنسـابِ
فـإذا القـرابـةُ لا تقـرِّبُ قـاطعـاً وإذا الـمـودةُ أوكـدُ الأسبـاب

وقيل للعتابي : لو تزوجتَ ، فقال : إني وجدتُ مكابدةَ العفة خيراً من الاحتيال لمصلحة العيال .

وما أحسنَ قولَ العتابيِّ وأحكَمَـهُ[3] :

لـومٌ يعيـذُكَ من سـوءٍ تقـارفُـهُ أبقى لعرضك من قـولٍ يداجيكـا
وقـد رمى بـكَ في تيهـاءَ مَهلكـةٍ مَنْ بات يكتمك العيبَ الذي فيكا

ومن منثور كلامه : أما بعد فإنه ما من مستخلص غضارةَ عيشٍ إلا من خلالِ مكروه ، ومن انتظر بمعاجلة الدَّرَكِ مواجلةَ الاستقصاء سلبته الأيامُ فرصتها .

(1) شعر العتابي : 400 .
(2) الأغاني : 116 وشعره : 387 .
(3) شعره : 411 .

وكتب إلى آخر : من اجتمع فيه من خلالِ الفضل ما اجتمع فيك ، وانحاز إلى نواحيك ، لم يخشَ المطنب في الثناء عليك أن يكون مفرطاً كما لا يأمن أن يكون مفرّطاً ، فالاعتراف بالعجز عن بلوغ استحقاقك من التقريظ أولى من الاطناب الذي غايته التقصير ومآله إلى الحشو .

ـ 923 ـ

كيسان بن المعرف النحوي أبو سليمان الهجيمي قالوا : كان يخرج معنا إلى الأعراب فينشدونا ، فيكتب في ألواحه غير ما[1] ينشدونا ، وينقل من ألواحه إلى الدفاتر غير ما فيها ، ثم يحفظ من الدفاتر غير ما نقله إليها ، ثم يحدِّث بغير ما حفظ .

وذكر أبو الطيب في « كتاب مراتب النحويين » عن الأصمعيّ قال : كيسانُ ثقة ليس بمتزيد ، وقد أخذ عن الخليل .

وحدث أبو العيناء قال ، قال كيسان لخلف الأحمر : يا أبا محرز المخبّل كان شاعراً أو من بني ضبة ؟ فقال : يا مجنون صحّح المسألةَ حتى يصحَّ الجواب .

وحدث أبو حاتم قال : قال أبو زيد يوماً في مجلسه ، وكانت العرب تقول : ليس لحاقنٍ رأي ، فقال كيسان : ولا لمنعظ ، فقال أبو زيد : ما سمعناه ولكن اكتبوه فإنه حق .

وكان كيسان من الطياب المزاحين ، قال أبو زيد : جاء صبي إلى كيسان يقرأ عليه شعراً حتى مرَّ ببيت فيه ذكر العيس ، قال : الابل البيض التي[2] يخلط بياضها حمرة ، قال : وما الابل ؟ قال : الجمال ، قال : وما الجمال ؟ فقام على أربع ورغا في المسجد وقال : الذي تراه طويل الرقبة وهو يقول بوع .

---

923 ـ ترجمته في مراتب النحويين : 139 وطبقات الزبيدي : 178 وإنباه الرواة 3 : 38 (وقال ان اسمه معرف بن دهشم) والوافي للصفدي (خ) وبغية الوعاة 2 : 267 وإشارة التعيين : 271 .

(1) م : عما .

(2) م : الذي .

وحدث المبرد عن التوزي قال : حبس عيسى بن سليمان الهاشمي كيسان ، وكان أحدَ الطيّاب ، وكان أبو عبيدة يعبثُ به كثيراً ، فشفع فيه أبو عبيدة إلى الأمير فأمر بإخراجه فقال للجلاوزة : من أخرجني ؟ قالوا : تكلّم فيك شيخٌ مخضوب ، فقال : أمه زانية إن برح من الحبس ، أحبيسُ ظلمٍ وطليقُ ذلّ ، لا يكونُ ذلك أبداً .

وقرأت في « كتاب التصحيف » لحمزة الأصبهاني ، قال الرياشي[1] : سمعت كيسان يقول : كنت على باب أبي عمرو بن العلاء ، فجاء أبو عبيدة فجعل ينشد شعراً لأبي شجرة ، وهو قوله :

ضنَّ علينا أبو عمروٍ بنائِلِهِ   وكلّ مُخْتَبَطٍ يوماً له وَرَقُ

ما زلت يضربني حتى جذبت له   وحال من دون بعض البغية الشفق

فقلت : جذبت جذبت ، وضحكت ، فغضب وقال : كيف هو؟ فقلت : إنما هو خذيت ، فانخزل وما أحار جواباً (خذيتُ من قولك خذيَ البازي إذا ثبتَ على يد البازيار) .

قال أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش ، حدثني أبو العباس ثعلب : قرأ بعضُ أصحابِ الأصمعي عليه شعرَ النابغة الجعدي حتى انتهى إلى قوله :

إنك أنت المحزونُ في أثَرِ الحـيِّ   فإن تنوِ نيُّهمْ تُقِمِ

قال الأصمعي : معناه وإنْ تنوِ نيُّهم تُقِمْ صدورَ الإبل وتظعن نحوهم ، كما قال الآخر .

أقم لها صدورها يا بسبسُ

فقال كيسان : كذبتَ ، أما إنك قد سمعتَ من أبي عمرو بن العلاء ولكن أنسيت ، إنما أراد أنهم قد نووا فراقك فذهبوا وتركوك فإن تنوِ لهم مثلَ ما نووا فيك من القطيعة تقم في دارك ومكانك ولا ترحل نحوهم ولا تطلبهم كما قال الآخر :

إذا اختلجتْ عنكَ النوى ذا مودّةٍ   قَرُبْنَ بقطّاعٍ من البينِ ذا شَعْبِ

---

(1) التنبيه على حدوث التصحيف : 57 .

أذاقتك مرَّ العيشِ أو متَّ حسرةً كما مات مسقيُّ الضَّياحِ على ألبِ[1]

ألب يألب ولاب يلوب واحد . يقول : إذا باعدتْ بيني وبين من أحبّ قربن ـ يعني ابلي ـ قربت إلى منزلي ووطني ومياهي ولم أتبع من فارقني لأني صبور على الفراق جلدٌ متعود لذلك ، فقطّاع يعني نفسه هو القطاع لأني أقطع من قطعني ، وأذاقتك من تحبّ وهي التي فارقتها فأنت وإن كنتَ كذا وعلى هذه الحال فأنت صبور قويّ على القطع . وكما قال الراعي[2] :

وإلفٍ صبرتُ النفسَ عنه وقد أرى غداةَ فراقِ الحيِّ ألا تلاقيا

وقد قادني الجيرانُ حيناً وَقُدْتُهُمْ وفارقتُ حتى ما تحنّ جماليا

ـ 924 ـ

الكيّس النمريّ النسّاب : الكيس لقب ، واسمه زيد بن الحارث بن حارثة بن هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عوف بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعميّ بن جديلة ؛ فعوف بن سعد بن الخزرج هو أخو عامر الضحيان ، هذا قول الكلبي .

وقال غيره : اسم الكيس زيد بن حارثة بن زيد مناة بن تميم بن هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر الضحيان رهط نتلة بنت جناب بن كليب بن مالك بن عمرو بن عامر بن زيد مناة بن عامر الضحيان ، ولدت لعبد المطلب العباس ومرار ابني عبد المطلب ؛ قال مسكين الدارمي يخاطب عبد الرحمن بن حسان بن ثابت مفتخراً[3] :

924 ـ ذكره ابن النديم: 102 في من روى عنه عبيد بن شرية .

(1) الضياح : السم يمزج بالماء ، وفي م : الصباح ، وفي اللسان (ألب) :

وحلّ بقلبي من جوى الحب ميتة كما مات مسقي الضياح على ألب

(2) ديوان الراعي (فايبرت) : 290 وشعر الراعي (القيسي وناجي) : 253 .

(3) من قصيدة له طويلة في ديوانه : 59 ـ 67 وانظر البيان والتبيين 1 : 351 .

وحكّمْ دغفلاً وارحلْ إليه ولا تدع المطيَّ من الكلالِ
وعند الكيِّس النمريِّ علمٌ ولو أمسى بمنخرق الشمالِ

وقيل مصعب بن الكيس هو النساب وكان يعدل بدغفل ؛ قال الكميت[1] :

وما ابن الكيس النمري منكم وما أنتم هناك بدغفلينا

وقيل الكيس هو مالك بن شراحيل بن زيد بن الحارث بن حارثة بن هلال كلهم ينسب من عبيد إلى الكيس ، يعني كلهم نَسَّابٌ يعلم النسب .

(1) شعر الكميت 2 : 133 وانظر المستقصى في المثل « أعلم من دغفل » .

حرف اللام

****

ـ 925 ـ

لقيط بن بكير المحاربي : قال ابن حبيب في «كتاب جمهرة النسب» التي رواها عن ابن الكلبي وغيره : ومنهم يعني بني محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان : عائذ بن سعيد بن جندب بن جابر بن زيد بن عبد بن الحارث بن بغيض بن شكم بن عبد بن عوف بن زيد بن بكر بن عميرة بن علي بن حرب بن محارب ، وفد على رسول الله ﷺ، من ولده لقيط الراوية وكان صدوقاً ، ابن بكير ، وكان أيضاً عالماً صدوقاً ، ابن النضر بن سعيد بن عائذ بن سعيد ، وقد لقي هشامُ بنُ الكلبيِّ لقيطاً .

حدث المرزباني فيما أسنده إلى الخليل النوشجاني قال ، قال لي الجهمي : كان لقيط المحاربيّ من رواة الكوفة ، وكان سيء الخُلُق . قال الصولي : ويكنى أبا هلال ومات في سنة تسعين ومائة في خلافة الرشيد .

وقال عبد الله بن جعفر : أخبرني ابن مهديّ والسكري قالا : للقيط كتاب مصنّف في الأخبار مبوّب في كلِّ فنٍّ من الفنون كتاب مفرد ، فمنها ومن أحسنها كتابه في النساء وهو عندي رواية عنهما عن العمري عنه . وله كتاب السمر . كتاب الخُرّاب واللصوص . كتاب أخبار الجن . وأخذ العلم عن لقيطٍ جماعةٌ من أعيانهم ، منهم ابنُ الأعرابيّ .

وحدث المرزباني فيما رفعه إلى لقيط بن بكير المحاربي قال : أمر المهدي الناس سنة ستين ومائة بصوم ثلاثة أيام لبطءِ المطرِ ليستسقي ، فلما كان في اليوم الثالث من الليل طرق الناسَ ليلتهم كلُّها ثلجٌ ملأ الأرضَ ، فقال لقيط :

---

925 ـ ترجمة لقيط في نور القبس: 291 والفهرست: 106 والوافي للصفدي (خ) .

يـا إمامَ الهـدى سقينا بـك الغيـــــثَ وزالـت عنّـا بـكَ الـلأواءُ

وهي أبيات طويلة .

وقال لقيط في ذلك أيضاً :

لما استغاثَ بكَ العبادُ بجهدهم   متـوسّلينَ إلى إلـهِ النـاسِ
أسقـاهمُ بكَ مثلمـا أسقـاهمُ   صوبَ الغمام بجـدِّكَ العباس
فـأتتهمُ لما دعـوتَ سمـاؤهم   منهلّةً بـالـواكفِ الـرجّـاس
العدلُ منه سقاهمُ وجميلُ مـا   تُـوليهِ ذا الإيحـاشِ والايناس
فـإذا أمرتَ فبـالانابـةِ والهدى   وإذا وزنتَ وزنتَ بـالقسطاس

قال : ودخل لقيط على الرشيد وهو ولي عهد وقد اشتكى فأنشد :

مـا بـالُ نـومِـكَ أمسى لا يؤاتيكـا   كـأنَّ في الجفن شـوكـاً بات يُقْـذِيكَـا
من غيـر سُقْمٍ ولا عـشقٍ أرقـتَ لـه   إلا لأنَّ قيـلَ أمسى الجودُ مـوعـوكـا
وقيـل هـارون أمسى شـاكيـاً وَصِبـاً   فقلتُ نـفسـيَ يـا هـارونُ تفـديكـا
مـا كنتُ أحسبُ جـوداً يشتكي نَهَكـاً   حتى رأيـتُ وليَّ الـعهـدِ منـهـوكـا
فبتُّ مـرتـفقـاً أرعـى الـنجـومَ إلـى   أن جـاوب الـديـكُ فينـا سُحْـرَةً ديكـا
فـكم وكـم ليَ مـن نَـذْرٍ سـأنـجـزه   إن كنتَ عـوفيتَ قـد أوجبْتُـهُ فيكـا
حـجّ وصـومٌ وعـتقٌ لـن أخيسَ بـه   فمـا تـركتُ لنفسي الـيـومَ مملوكـا
سـعـدٌ عـتـيـقٌ وبـنـتـاه وأمـهـمـا   كـانـوا وأعجبْ بهم عنـدي ممـاليكـا
تـوقّـعـوني كـأنـي قـد حـذيتكـمُ   سـودَ النعـالِ وأهـديتُ المسـاويكـا

وحدَّث فيما أسنده إلى إسحاق الموصلي قال : كان لقيط بن بكير في جراية المهدي، وكان الذي وصله به أبو عبيد الله وزير المهدي، وكان أبو عبيد الله مائلاً إليه لعلمه بالشعر والأخبار ، فلما مات المهدي لزم الكوفة ؛ قال إسحاق فرأيته في سنة تسعين ومائة وهو ينشد قوماً شعراً له في الزهد وهو قوله :

عزفتُ عن الغـوايـةِ والمـلاهي   وأخلصتُ الـمتـابَ إلـى إلهـي

وغــرَّتـني لـيــالٍ كنـتُ فـيـهـا ... مــطيعــاً للشبــاب بــهِ أبــاهي
أجـاري الغيَّ في ميـدان لهـوي ... وقلبي عن طـريق الـرشـدِ لاهي
وألجمني المشيبُ لجـامَ تقـوى ... وركنُ الشيب بادي العيبِ واهي
ومن لم يـكفِـهِ الـعــذَّالَ عــزمٌ ... فليس لــه على عَــذْلٍ تنـاهي

قال : وكان ذلك من آخر شعره وفي آخر زمانه ، ثم توفي في هذه السنة .

وحدث مما رفعه إلى ابن المدوّر قال : سألتُ ابن الأعرابي عن لقيط بن بكير وموته فقال : مات في آخر أيام الرشيد وهو أزهدُ الناس ، وكان من دعائه : اللهم اغفر لي فإن حسناتي لو كانت مثلَ حسناتِ جميع خلقك لعلمتُ أني لا أستحقُّ الجنةَ إلا بفضلك ، ولو كانت عليَّ سيئاتهم جميعاً ما يئستُ من عفوك .

ـ 926 ـ

لــوط بن مخنف الأزدي : هـو لـوط بن يحيى بن مخنف بن سليمـان بن الحارث بن عوف بن ثعلبة بن عامر بن ذهل بن مازن بن ذبيان بن ثعلبة بن سعد مناة بن غامد ، واسم غامد عمر ، ابن عبد الله بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد ، يكنى أبا مخنف ، ومخنف بن سليمان من أصحاب علي بن أبي طالب عليه السـلام ، وقد روى عن النبي ﷺ . مـات لوط سنـة سبع وخمسين ومائة ، وكـان راويةً أخبـارياً صـاحبَ تصانيفَ في الفتـوح وحروب الاسـلام . قال يحيى بن معين : هو كوفيٌ وليس حديثه بشيء .

وجدت بخط أحمد بن الحارث الخراز ، قال العلماء : أبو مخنف بأمر العراق وفتوحها وأخبارها يزيد على غيره ، والمدائني بأمر خراسان والهند وفارس ، والواقدي

926 ـ ترجمة أبي مخنف في الفهرست: 105 ومعجم الطوسي رقم: 575 والوافي للصفدي (خ) وميزان الاعتدال 3 : 419 ـ 420 ولسان الميزان 4 : 492 والفوات 3 : 225 ورجال النجاشي : 245 ومجمع الرجال 5 : 80 وبروكلمان ، التاريخ 1 : 65 والتكملة عليه 1 : 101 ولفلهاوزن دراسة عنه وانظر الموسوعة الإسلامية (بالإنجليزية) ط 2 (2 : 140) .

بالحجاز والسير ، وقد اشتركوا في فتوح الشام .

قال محمد بن إسحاق : ولأبي مخنف من الكتب : كتاب الردة . كتاب فتوح الشام . كتاب فتوح العراق . كتاب الجمل . كتاب صفين . كتاب النهروان . كتاب الغارات . كتاب الخرّيت بن راشد وبني ناجية . كتاب مقتل علي كرم الله وجهه . كتاب مقتل حجر بن عدي . كتاب مقتل محمد بن أبي بكر والأشتر ومحمد بن أبي حذيفة . كتاب الشورى ومقتل عثمان رضي الله عنه . كتاب المستورد بن علّفة . كتاب مقتل الحسين بن علي عليهما السلام . كتاب المختار بن أبي عبيد . كتاب وفاة معاوية وولاية ابنه ووقعة الحرة وعبد الله بن الزبير . كتاب سليمان بن صرد وعين الوردة . كتاب مرج راهط ومقتل الضحاك بن قيس الفهري . كتاب مصعب بن الزبير والعراق . كتاب مقتل عبد الله بن الزبير . كتاب مقتل عمرو بن سعيد بن العاص . كتاب حديث باخمرا ومقتل ابن الأشعث . كتاب نجدة الحروريّ . كتاب الأزارقة . كتاب حديث روستقباذ . كتاب شبيب الحروريّ وصالح بن المسرح . كتاب المطرف بن المغيرة . كتاب دير الجماجم وخلع ابن الأشعث . كتاب يزيد بن المهلب ومقتله بالعقر . كتاب خالد القسري ويوسف بن عمر وموت هشام وولاية الوليد . كتاب زيد بن علي . كتاب يحيى بن زيد . كتاب الضحاك الخارجي . كتاب الخوارج والمهلب بن أبي صفرة .

ـ 927 ـ

الليث بن المظفر : كذا قال الأزهري في مقدمة كتابه « الليث بن المظفر » ، وقال ابن المعتز في « كتاب الشعراء » من تصنيفه : الليث بن رافع بن نصر بن سيار .

قال الأزهري : ومن المتقدمين الليث بن المظفر الذي نحل الخليلَ بن أحمد تأليف « كتاب العين » جملةً لينفّقَ كتابه باسمه ويرغّب فيه من حوله ، وأثبت لنا عن

---

927 ـ ترجمة الليث في مقدمة التهذيب للأزهري 1 : 28 وطبقات ابن المعتز : 97 (في ترجمة الخليل بن أحمد) وسقط « رافع » من نسبه عنده وعند القفطي 3 : 42 ومراتب النحويين : 31 ونور القبس : 59 (في ترجمة الخليل) وانظر ص : 279 (حيث سماه الليث بن المظفر) والوافي للصفدي (خ) وبغية الوعاة 2 : 270 والبلغة : 194 .

إسحاق بن إبراهيم الحنظلي الفقيه أنه قال : كان الليث رجلاً صالحاً ومات الخليل ولم يفرغ من « كتاب العين » فأحبَّ الليثُ أن ينفّق الكتابَ كلَّهُ فسمّى لسانهُ الخليلَ فإذا رأيتَ في الكتاب « سألتُ الخليل » أو « أخبرني الخليل » فإنه يعني الخليل نفسَهُ ، قالَ : وإذا قال « قال الخليل » فإنه يعني لسانَ نفسه . قال : وإنما وقع الاضطراب فيه من خليل الليث . قال : وأخبرني المنذري أنه سأل ثعلباً عن « كتاب العين » فقال : ذاك كتاب ملىء غدد ، قال : وهذا لفظ أبي العباس وحقُّهُ عند النحويين ملآن غدداً ولكن كان أبو العباس يخاطبُ العامةَ على قَدْرِ فهمهم .

قلت : ليس هذا بعذرٍ لأبي العباس فإنه لو قال : ملآن غدداً لم يخفَ معنى الكلام على صغار العامة فكيف وفي مجلسه الأئمة من أهل العلم ثم سائله الذي أجابه ليس بتلك الصورة ، وإنما عذره أنه كان لا يتكلّفُ الاعرابَ في المفاوضة وهي سُنّةُ جِلّةِ العلماء . وأراد في جراب العين[1] حروفاً كثيرة قد أُزيلت عن صورها ومعانيها بالتصحيف والتغيير فهي تضرُّ حافظها كما تضرّ الغدد آكلها .

قال أبو الطيب اللغوي : مصنف « كتاب العين » الليث بن المظفر بن نصر بن سيار ، رُوِيَ ذلك عن أبي عمرَ الزاهد قال : حدثني فتىً قدم علينا من خراسان وكان يقرأ عليَّ « كتاب العين » قال أخبرني أبي عن إسحاق بن راهويه قال : كان الليث بن المظفر بن نصر بن سيار صاحب الخليل رجلاً صالحاً ، وكان الخليلُ قد عمل من « كتاب العين » باب العين فأحبَّ الليث أن ينفّقَ سوقَ الخليل ثم ذكر كما ذكر الأزهري .

وحدث عبد الله بن المعتز في « كتاب الشعراء » عن الحسن بن علي المهلبي قال[2] : كان الخليل منقطعاً إلى الليث بن رافع بن نصر بن سيار ، وكان الليث من أكْتَبِ الناسِ في زمانه ، بارعَ الأدب بصيراً بالشعر والغريب والنحو ، وكان كاتباً للبرامكة وكانوا معجبين به ، فارتحل إليه الخليلُ وعاشره فوجده بحراً فأغناه وأحبَّ الخليلُ أن يُهْديَ إليه هدية تشبهه ، فاجتهد الخليلُ في تصنيف « كتاب العين » فصنّفَهُ

(1) التهذيب : وأراد أن في كتاب العين .

(2) الرواية عند ابن المعتز عن محمد بن المهلبي ، وفي نقل ياقوت تصرف في غير موطن .

له وخصَّه به دونَ الناس وحبَّره وأهداه إليه ، فوقع منه موقعاً عظيماً وَسُرَّ به وعوَّضه عنه ماثة ألف درهم واعتذر إليه ، وأقبل الليث ينظرُ فيه ليلاً ونهاراً لا يملُّ النظرَ فيه حتى حفظ نصفه ، وكانت ابنة عمه تحته ، فاشترى الليثُ جاريةً نفيسةً بمال جليل ، فبلغها ذلك فغارت غَيْرَةً شديدةً فقالت : واللّه لأغيظنّه ولا أبقي غاية فقالت : إن غظته في المال فذاك ما لا يبالي به ، ولكني أراهُ مكباً ليله ونهاره على هذا الدفتر ، والله لأفجعنّه به ، فأخذتْ الكتابَ وأضرمتْ ناراً وألقتْهُ فيها ، وأقبل الليثُ إلى منزله ودخل إلى البيتِ الذي كان فيه الكتاب ، فصاح بخدمه وسألهم عن الكتاب فقالوا : أخذته الحرة ، فبادر إليها وقد علم من أين أُتي ، فلما دخل عليها ضحك في وجهها وقال لها : رُدِّي الكتابَ فقد وهبتُ لكِ الجارية وحرَّمتها على نفسي ، وكانت غَضْبَى ، فأخذت بيده وأدخلته [البيت الذي أحرقته فيه ، وفيه] رماده ، فَسُقِطَ في يدِ الليث ، فكتب نصفَهُ من حفظه وجمع على الباقي أدباءَ زمانِهِ وقال لهم : مثِّلوا عليه واجتهدوا ، فعملوا هذا النصفَ الذي بأيدي الناسِ ، فهو ليس من تصنيف الخليل ولا يَشُقُّ غبارَه ، وكان الخليلُ قد مات .

وجدت على ظهر جزء من « كتاب التهذيب » لأبي منصور الأزهري :

ابنُ دريدٍ بقرهْ وفيه عُجْبٌ وَشَرَهْ
ويدعي بجهله وَضْعَ كتاب الجمهره
وهو كتابُ العين إ لا أنه قد غيره

. . .

الأزهريّ وَزَغَهْ وحمقه حمقُ دُغَهْ
ويدَّعي بجهله كتابَ تهذيب اللغة
وهو كتابُ العين إ لّا أنه قد صبغه

. . .

في الخارزنجي بَلَهْ وفيه حمقٌ وَوَلَهْ
ويدَّعي بجهله وضعَ كتابِ التكمله
وهو كتابُ العين إ لّا أنه قد نقله

[حاشية : دغة بنت مغنج يضرب بها المثل في الحمق ، زوجت وهي صغيرة في

بني العنبر فحملت ، فلما ضربها المخاض ظنت أنها تحتاجُ إلى الخلاء فبرزت إلى بعض الغيطان ووضعت ذا بطنها ، فاستهلّ الوليدُ فجاءت منصرفة وهي لا تظن إلا أنها أحدثت ، فقالت لأمها : يا أمتاه وهل يفتح الجعر فاه ؟ قالت : نعم ويدعو أباه ، فَسُبَّ بنو العنبر به وسموا بنو الجعراء ، ولها حماقات كثيرة][1] .

قرأت بخط أبي منصور الأزهري في « كتاب نظم الجمان » تصنيف أبي الفضل المنذري : نصر بن سيار كان والي خراسان ، والليث بن المظفر بن نصر صاحب العربية وصاحب الخليل بن أحمد هو [ابن] ابنه ، حدث عنه قتيبة بن سعيد ، سمعتُ محمد بن إبراهيم العبدي يقول ، سمعت قتيبة يقول : كنتُ عند ليث بن نصر بن سيار فقال : ما تركتُ شيئاً من فنون العلم إلا نظرتُ فيه إلا هذا الفن وما عجزتُ إلا أني رأيتُ العلماء يكرهونه ، يعني النجوم .

سمعت محمد بن سعيد القزاز قال : نصر بن سيار والي خراسان المحمول إليه رأسُ جهم ، وكان نصر من تحت يدي هشام بن عبد الملك ، وكان بمرو ، وكان سلم بن أحوز والي بلخ والجوزجان من [تحت] يده ، وهو الذي قتل يحيى بن زيد بن علي بن الحسين وجهم بن صفوان الذي ينسب إليه مذهب جهم ووجّه برأسيهما إلى مرو إلى نصر بن سيار ، فنُصِبا على باب قُهَنْدَز مرو ، فكان سلم بن أحوز يقول : قتلت خير الناس وشر الناس .

قال المنذري : وسمعت محمد بن إبراهيم العبدي قال : سمعت أبا رجاء قتيبةَ يقول : دخل الليثُ بن نصر بن سيار على علي بن عيسى بن ماهان وعنده رجل يقال له حماد الخزربك ، فجاءه رجلٌ فقصّ رؤيا رآها لعلي بن عيسى ، فهمّ حماد أن يعْبُرَهَا فقال ليث : كفَّ فلستَ هناك . فقال علي : يا أبا هشام وتعبرها ؟ قال : نعم وأنا أعْبَرُ أهلِ خراسان . فكانت الرؤيا كأنَّ علي بن عيسى مات وحُمِل على جنازة وأهلُ خراسانَ يتبعونه ، ثم انقضَّ غرابٌ من السماءِ ليحمله فكسروا رجل الغراب . فقال

(1) انظر المثل أحمق من دغة في كتب الأمثال : أمثال الضبي : 171 ـ 172 وفصل المقال : 183 والدرة الفاخرة: 145 و « معنج » ضبطها صاحب الفاخر: 24 بالعين المهملة .

الليث : أما الموتُ فبقاء ، وأما الجنازة فهو سرير وملك ، وأما ما حملوك فهو ما علوتهم وكنتَ علي رقابهم ، وأما الغرابُ فهو رسول ، قال الله تعالى ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ ﴾ (المائدة: 31) يقدم فلا ينفذ أمره . فما مكثوا إلا يومين أو ثلاثة حتى قدم رسولٌ من عند الخليفة في حملِ عليّ بن عيسى ، فاجتمع قوادُ خراسانَ فأثنوا عليه خيراً ولم يتركوه يُحْمَلُ وقالوا : يُخشى انتقاضُ البلاد فبقي .

قال المنذري : هو الليث بن المظفر بن نصر بن سيار صاحبُ العربية وكان له ابن يقال له رافع ؛ سمعتُ بعضَ أصحابي قال ، سمعت محمد بن إسحاق السرّاج قال ، سمعت إسحاق بن راهويه قال : سألت رافع بن الليث بن المظفر عن قول النبي ﷺ : كلُّ مسكرٍ حرام ، أيقعُ على جميع المسكر ، يعني جميعَ ما يُسْكِرِ منه من قليله وكثيره أم على الشربة التي تسكرك ؟ فقال : بل على جميع ما يُسْكِرُ منه من قليله وكثيره إذا أسكر كثيره فقليله بمنزلته ، ولو كان عنى الشربةَ التي تسكرك لقال : كل سُكْرٍ حرام .

قال ابن المنذري : وبلغني أنّ المظفر بن نصر مرَّ به عَنَاقٌ وابنه الليث قد حضره ، فقال له وأراد أن يخبره : ما هذا ؟ فقال : بُز بالفارسية ، فقال : لأسيرنَّكَ إلى حيثُ لا تعرف بُز ، فسيره إلى البادية ، فمكث فيها قريباً من عشر سنين أو أكثر ، ففيها تأدَّبَ ثم رجع ، فعجب أهله من كثرة أدبه . هذا آخر ما كتبته من خط الأزهري وكتاب المنذري .

وحدث الحاكم أبو عبد الله بن البَيِّع في « كتاب نيسابور » عن العباس بن مصعب قال : سئل النضر بن شميل عن الكتاب الذي يُنْسَبُ إلى الخليل بن أحمد ويقال له « كتاب العين » فأنكره ، فقيل له : لعلَّه ألفه بعدك فقال : أوَ خرجتُ من البصرة حتى دفنتُ الخليلَ بن أحمد .

وحدث أبو الحسن علي بن مهدي الكسروي ، حدثني محمد بن منصور المعروف بالراح المحدث ، قال قال الليث بن المظفر بن نصر بن سيار : كنت أصيرُ إلى الخليل بن أحمد فقال لي يوماً : لو أن إنساناً قصد وألَّفَ حروفَ ا ب ت ث على ما أمثّله لاستوعب في ذلك جميعَ كلام العرب ، وتهيأ له أصلٌ لا يخرجُ منه شيء البتة ،

فقلت له : وكيف يكون ذلك ؟ قال يؤلفه على الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي فانه ليس يُعْرَفُ في كلام العرب أكثر منه . قال الليث : فجعلت أستفهمه ويصفُ لي ولا أقفُ على ما يصف ، فاختلفتُ إليه في هذا المعنى أياماً ثم اعتلّ وَحججْتُ فما زلتُ مشفقاً عليه وخشيتُ أن يموتَ في علته فيبطلَ ما كان يشرحه لي ، فرجعتُ من الحج وصرتُ إليه فإذا هو قد ألف الحروف كلَّها على ما هي في الكتاب وكان يملي عليَّ ما يحفظ ، وما شكَّ فيه يقولُ لي سَلْ عنه ، فإذا صحَّ فأثْبِتْهُ ، إلى أن عملتُ الكتاب .

حرف الميم

****

ـ 928 ـ

المبارك بن الحسن بن أحمد بن علي بن فتحان بن منصور الشهرزوري أبو الكرم المقرىء : إمام في القراءات عالم بها ؛ مات فيما ذكره أبو سعد عن ابن حرز في الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة خمسين وخمسمائة ، ودفن في دكة بشر الحافي بباب حَرْب ببغداد إلى جنبِ أبي بكر الخطيب ، قال : وكتب عنه ، وذكر أن مولده في سابع عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وستين وأربعمائة . قال : وكان يسكنُ دارَ الخلافة ببغداد مما يلي باب العامة شيخٌ صالح ديِّن خيِّر قيِّمٌ بكتاب الله عالمٌ باختلاف الروايات والقراءات ، وصنف فيها « كتاب المصباح في القراءات » وهو حَسَنُ السيرةِ جيِّدُ الأخذِ على الطلاب ، له رواياتٌ عالية ، سمع الحديث من أبي الفضل أحمد بن الحسن بن جيرون الأمين وغيره .

ـ 929 ـ

المبارك بن سعيد بن الحمامي المؤدب ، أبو الفرج المؤدب : كان يسكن قَرَاحَ بني رَزِين من بغداد ، وله به مَكْتَبٌ يعلِّم فيه الصبيانَ ، وكان أديباً فاضلاً وشيخاً صالحاً تخرَّجَ به خلقٌ كثير ، وكان محمودَ السيرة مشكوراً عند الناس ، وكان ذا هيبةٍ[1]

---

928 ـ ترجمته في الأنساب 7 : 420 والمنتظم 10 : 164 ومعرفة القراء الكبار 2 : 413 وتذكرة الحفاظ : 1292 وسير الذهبي 20 : 289 وعبر الذهبي 4 : 141 والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد : 222 ومرآة الجنان 3 : 296 وطبقات ابن الجزري 2 : 38 والشذرات 4 : 157 .

929 ـ لم أجد له ترجمة .

(1) م : وكان داهية .

على الصبيان ، وكان أولادُ الأكابر يقصدون مكتبه من جميع بغداد لما شاع من خيره وصلاحه ، أدركتُ زمانه ورأيتُ مَكْتَبَهُ وكان مكتباً حفيلاً مزدحماً إلا أنني لم أُلْفِهِ[1] شيئاً ، وكان يكتبُ خطاً حسناً معروفاً عند الناس مرغوباً فيه . مات فيما بلغني في جمادى الآخرة سنة ثمانين وخمسمائة ، وكان له ابن على سيرته في الصلاح والدين والخير قام مقامه في مكتبه وخلفه بعده في مكتبه[2] ، وكان اسمه أيضاً المبارك مات سنة ثمان وثمانين وخمسمائة .

ـ 930 ـ

المبارك بن الفاخر بن محمد بن يعقوب أبو الكرم النحوي ، اخو أبي عبد الله الحسين بن محمد المعروف بالبارع الدباس لأمه : ولد سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ومات في ذي القعدة سنة خمسين وخمسمائة ، ودفن بباب حرب . سمع الحديثَ من أبي الطيب الطبري والجوهري[3] وغيرهما ، وكان قيماً بالنحو عارفاً باللغة ، قال أبو الفرج : غير أن مشايخنا جرّحوه ؛ كان أبو الفضل ابن ناصر سيءَ الرأي فيه يرميه بالكذب والتزوير قال : وكان يدّعي سماع ما لم يسمعه ، ولما مات دفن بمقبرة باب حرب . وقرأ النحوَ على ابن برهان الأسدي . وله من الكتب : كتاب المعلم في النحو . كتاب نحو العرف . كتاب شرح خطبة أدب الكاتب .

وجدت بخط السمعاني مولده على ما تقدم ، فان صحَّ ذلك لا يصحُّ أخذُهُ النحوَ عن ابن برهان لأن ابن برهان مات سنة ست وخمسين وأربعمائة ، بل إن كان سمع منه شيئاً جاز ذلك ، ثم لما وردت إلى مرو نظرت في « كتاب المذيل » للسمعاني وقد ألحق بخطّه في تضاعيف السطور بخط دقيق : قرأتُ بخطِّ والدي رحمه الله : سألتُ

930 ـ ترجمة المبارك بن الفاخر في إنباه الرواة 3 : 256 (وجعل وفاته سنة خمسمائة) والمنتظم 9 : 154 (وفيات خمسمائة) ومرآة الجنان 3 : 162 والنجوم الزاهرة 5 : 195 وإشارة التعيين : 296 .

(1) م : لم ألقه

(2) وخلفه بعد في مكتبه : ترديد للعبارة السابقة .

(3) يعني من القاضي أبي الطيب طاهر بن عبد الله الطبري وأبي محمد الحسين بن علي الجوهري .

المباركَ بن الفاخر عن مولده فقال ولدت في سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ، قلت : فإذا صحت هذه الرواية فقد صحَّ أخذه عن ابن برهان . وكان والد السمعاني قد لقي ابنَ الفاخر وأخذ عنه ، وحكى عنه شيئاً من النحو واللغة .

رأيت بخط الشيخ أبي محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن الخشاب رحمه الله : حكى لي محمد بن محمد بن قزما الاسكافي عن شيخنا أبي الكرم المبارك بن فاخر بن يعقوب النحوي المعروف بابن الدباس أنه كان يكرم المترددين إليه لطلب العلم بالقيام لهم في مجلسه ، وكان الشيخ أبو زكريا يحيى بن علي يأبى ذلك وينكره عليه وعلى غيره ممن يعتمده ، وينشد :

قَصَّرَ بالعلم وأزرى به من قام في الدرسِ لأصحابِهِ

قال الشيخ أبو محمد : ولعمري إن حرمةَ العلم آكدُ من حرمة طالبه ، وإعزازَ العلم أبعثُ لطلبه ، وبحسب الصبر على مرارة طلبه تحلو ثمرةُ مكتسبه . وكان الشيخ أبو الكرم ابن الدباس رحمه الله يجمع إلى هذا التساهل في الخطاب إذا أخذ خطه على ظهر كتاب ، ويقصدُ بذلك اجتذابَ الطلاب ، لأن النفوسَ تميلُ إلى هذا الباب ، وحال أبي علي رحمه الله في عكس هذه الحال معلومةٌ متعارَفَةٌ يأثِرُهَا أصحابُهُ عنه ، وكان أمره مع العالَم في ذاك على حدٍّ سواء من ملك وسوقة وعالم ومتعلم ، ونحن نسأل الله العونَ على زمن نحن فيه . آخر ما فيه من خطِّ ابن الخشاب .

- 931 -

المبارك بن المبارك بن المبارك أبو طالب الكرخي بن أبي البركات الفقيه الشافعي صاحب أبي الحسن ابن الخلّ : مات في ثامن ذي القعدة سنة خمس وثمانين وخمسمائة ، أدركتُ زمانه ولقيتُ ببغداد أوانه، إلا أنني لم أره لصغر السنِّ حينئذ

931 ـ ترجمة أبي طالب الكرخي في تكملة المنذري (رقم: 89) وسير الذهبي 21: 224 (وينقل عن ابن النجار والموفق عبد اللطيف) وعبر الذهبي 4: 257 ومختصر ابن الدبيثي 3: 177 والوافي للصفدي (خ) وطبقات السبكي 7: 275 وطبقات الاسنوي 2: 353 والبداية والنهاية 12: 334 والنجوم الزاهرة 6: 110 والشذرات 4: 284 وإشارة التعيين: 282 .

والاشتغال في ذلك الزمان بغير هذا الشان .

كان رحمه الله فاضلاً زاهداً عابداً ورعاً إماماً أوحدَ زمانِهِ في حُسْنِ الخط على طريقة علي بن هلال بن البوّاب . سمعتُ جماعةً يحكون أنه لم يكتب أحدٌ قبله ولا بعده مثلَهُ في قَلَم الثلث ، حتى رأيت من يغالي فيه فيقول : إنه كتب خيراً من ابنِ البوّاب ، وكان ضنيناً بخطه جدًّا فلذلك قلَّ وجوده ، كان إذا اجتمع عنده شيء من تجويداته يستدعي طستاً ويغسله ، فأما إذا استُفْتي فانه كان يكسرُ قلمه ويجهد في تغيير خطه ، وكان أحدَ الشهود المُعدَّلين . تفقه على أبي الحسن ابن الخلّ ولازمه مدةً حتى صار بارعاً في الفقه وصارت له معرفة بالمذهب ولسان تام في الخلاف ، شهد عند قاضي القضاة أبي القاسم الزينبي في تاسع جمادى الآخرة سنة ثلاثين وخمسمائة ، ولم يزل على ذلك إلى أن عَزَلَ نفسه عن تحمل الشهادة وأدائها قبل موته بمدة مديدة ، ولم يَدَعِ الطيلسانَ ، وتولّى التدريسَ بمدرسة كمال الدين أبي الفتوح حمزة بن علي بن طلحة الرازي التي بباب العامة المحروس بعد وفاة شيخه أبي الحسن ابن الخل المدرّس كان بها ، ثم تولّى تدريسَ النظامية وَذِكْرَ الدرس بها في تاسع صفر سنة إحدى وثمانين وخمسمائة وأضيف إليه التقدمُ بالرباط الجديد المجاور لتربة الجهة الشريفة السلجوقية المعروف بالأخلاطية عند مشهد عون ومعين بالجانب الغربي ، وانتقل إلى هناك وسكن الدارَ المجاورةَ للرباط المذكور ، وكان يعبرُ إلى الجانبِ الشرقيِّ ويذكرُ الدروسَ بالنظامية ويعودُ إلى منزله بالجانب الغربي ، وكان له قبولٌ عند الخاصِّ والعامِّ وجاهٌ عند أرباب الولايات ، وهو الذي تولّى خدمةَ الأمير أبي نصر محمد وأبي الحسن علي ابني مولانا الناصر لدين الله أمير المؤمنين خلّد الله سلطانَهُ في تعليم الخط ، وسمع الحديثَ من ابن الحصين وقاضي البيمارستان وشيخه ابن الحاج وغيرهم ، وحدث عنهم ، ثم خرج من منزله لصلاةِ العصر بالرباط الجديد المذكور ، وكان يؤمُّ فيه ، فلما توجَّهَ للصلاةِ عرضت له سَعْلَةٌ وتتابعتْ فوقع إلى الأرض وَحُمِلَ إلى منزله فمات لوقته في الوقت المقدَّم ذكره ، وصلّيَ عليه في غده ، واجتمع له خلقٌ عظيم ، ودفن بتربة الجهة السلجوقية المجاورةِ للرباط ، وهو فيما يقال ابن اثنتين وثمانين سنة .

ـ 932 ـ

المبارك بن المبارك بن سعيد بن الدهان ، أبو بكر الضرير النحوي المعروف بالوجيه : من أهل واسط ، قدم بغداد مع أبيه في صباه فأقام بها إلى أن مات في السادس عشر من شعبان سنة اثنتي عشرة وستمائة رحمه الله ، ودفن بالوردية ، ومولده في سنة اثنتين وخمسمائة ، وهو شيخي الذي به تخرجت وعليه قرأت ، وهو قرأ بواسط على أبي سعيد نصر بن محمد بن سلم المؤدب وغيره ، وأدرك ببغدادَ ابنَ الخشّابِ فأخذ عنه ، ولازم الكمالَ أبا البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري النحوي وقرأ عليه وتلمذ له فهو أشهرُ شيوخه ، وسمع تصانيفه ، وسمع الحديثَ من طاهر بن محمد المقدسي ، وتولّى تدريسَ النحوِ بالنظامية سنين فتخرج عليه جماعةٌ كثيرة منهم الحسن بن الباقلاوي الحلّي والموفّقُ عبدُ اللطيفِ بن يوسف البغدادي والمنتجب سالم بن أبي الصقر العروضي وغيرهم . وكان رحمه اللّه قليلَ الحظّ من التلامذة يتخرجون عليه ولا يَنْتَسِبُونَ إليه ، ولم يكن فيه عيبٌ إلا أنه كان فيه كَيْسٌ ولين، وكان إذا جلس للدرس يقطعُ أكثرَ وقته بالأخبارِ والحكايات وإنشادِ الأشعار حتى يسأمَ الطالبُ وينصرفَ عنه وهو ضجر وينقم ذلك عليه ، وكان يحسن بكلِّ لغةٍ من الفارسية والتركية والحبشية والرومية والأرمنية والزنجية ، فكان إذا قرأ عليه عجميٌّ واستغلق عليه المعنى بالعربية فهّمه إياه بالعجمية على لسانه ، وكان حسنَ التعليم طويلَ الروح كثيرَ الاحتمالِ للتلامذة ، وكان شاعراً مجيداً أنشدني لنفسه كثيراً من شعره ، منه في التجنيس :

ولو وقعتْ في لجةِ البحرِ قطرةٌ ... من المزن يوماً ثم شاءَ لمازَهَا
ولو مَلَكَ الدنيا فأضحى ملوكُهَا ... عبيداً له في الشرقِ والغرب ما زَهَا

932 ـ ترجمة ابن الدهان الضرير في إنباه الرواة 3: 254 ومرآة الزمان: 573 وقلائد الجمان لابن الشعار 6: 22 وتكملة المنذري (رقم 1421) وذيل الروضتين: 90 وابن خلكان 4: 152 وسير الذهبي 22: 86 وعبر الذهبي 5: 43 والوافي للصفدي (خ) ونكت الهميان: 233 وطبقات السبكي 5: 148 والبداية والنهاية 13: 69 وطبقات ابن الجزري 2: 41 والنجوم الزاهرة 6: 214 وبغية الوعاة 2: 273 والشذرات 5: 53 .

وكان قد فُوِّض إلى عضد الدولة أبي الفتوح ابن الوزير عضد الدين ابن رئيس الرؤساء أمرَ المخزنِ المعمور والأعمالِ التي كانت مُفَوَّضَةً قبله إلى ابن ناصر في عاشر شعبان سنة خمس وستمائة وخُلع عليه في باب الحجرة الشريفة ، وهو موضع لا يُخْلَعُ فيه إلا على الوزراء ، وركب منه والعالَمُ بين يديه ليمضي إلى منزله ، فعثرتْ به فرسه وسقط من عليها ، ثم ركبها سالماً من ساعته ، فأكثر الناسُ القولَ في الطيرة من هذا ، فقال الوجيه وأنشدنيه لنفسه :

لا تعـذلِ الفرسَ التي عثـرتْ ... بكَ أمسِ قبل سماعِكَ العُـذْرا
قـالـتْ مقـالاً لـو علمتَ بـه ... لم تُـولِهَـا هَـجْـراً ولا هُجْـرا
لـمـا رأى الأمـلاكُ أنَّ عـلى ... سرجي فتىً أعلى الورى قـدرا
رفـعت يـدي حتـى تُـقـبـلهـا ... شغفـاً بها فَـوَهَتْ يدي الأخـرى

ثم لم يلبث المذكورُ إلا يسيراً حتى عُزِلَ وأُلزِمَ بيته .

وأنشدني الوجيه أيضاً لنفسه :

لستُ أستقبحُ اقتضاءَكَ بالوعـــــدِ وإن كنتَ سيدَ الكرمـاءِ
فـإلهُ السمـاءِ قـد ضَمِنَ الـرز ... قَ عليـه وَيُقْتضَى بـالـدعـاء

وأنشدني الوجيه أيضاً لنفسه في التجنيس :

لا راح مُسْتَرْفِدِي جـذلانَ من صَفَدي ... يـومـاً ولا عـزَّ بي في مشهـدٍ جـاري
إن لـم تكبَّ على الأذقـانِ أوجـههـم ... سيـوفُ قـومي بسيـلٍ من دمٍ جـاري

وحدثني الوجيه رحمه الله قال : دخلت يوماً إلى فخر الدين أبي علي الحسن ابن هبة الله بن الدوامي ، وهو مَنْ علمت أدباً وفضلاً وحسنَ بشر وكرم سجية ، فجلسنا نتذاكرُ الشعراءَ إلى أن انتهى بنا الكلام إلى البحتري ، فأنشد قوله في الفتح بن خاقان[1] :

هبِ الدارَ ردَّتْ رَجْعَ مـا أنت قـائِلُهْ ... وأبـدى الجـوابَ الـربعُ عمـا تسـائِلُهْ

(1) ديوان البحتري 3 : 1610 وما بعدها .

إلى قوله :

ولما حضرنا سُدَّةَ الإذْنِ أُخِّرَتْ ... رجالٌ عن البابِ الذي أنا داخِلُهْ
بدا ليَ محمودُ السجيةِ شُمِّرَتْ ... سرابيلُهُ عنه وطالتْ حمائله
كما انتصبَ الرمحُ الردينيُّ ثُقِّفتْ ... أنابيبُهُ للطعنِ واهتزَّ عامله
فكالبدرِ وَافَتْهُ لوقتٍ سعودُهُ ... وتمَّ سناهُ واستهلتْ منازله
فسلمتُ واعتاقتْ جنانيَ هيبةٌ ... تنازعني القولَ الذي أنا قائله
فلما تأملتُ الطلاقةَ وانثنى ... إليَّ ببشرٍ آنَسَتْنِي مخايله
دنوتُ فقبلتُ الندى من يدِ امرئٍ ... جميلٍ محياهُ سباطٍ أنامله
صَفَتْ مثل ما يصفو المدامُ خلالُهُ ... ورقَّتْ كما رقَّ النسيمُ شمائله

فهشَّ الجميع وأخذ كلٌّ منهم يصف حُسْنَ ألفاظها ورشاقةَ معانيها وجودةَ مقاصدها ، وجعلوا يقولون هذا هو السهل الممتنع والفضل المتسع والديباج الخسرواني والزهر الأنيق ، وأطنبوا في ذلك وحقّ لهم ، فقلت ارتجالاً :

لمن تنظم الأشعارُ والناس كلهم ... سواسيةٌ إلا امرؤ أنا جاهلُهْ
ولو علموا أن اللُّهى تفتح اللُّها ... دروا أنَّ ذا الشعرَ ابنُ خاقانَ قائله

وكان الوجيه قد التزم سماحة الأخلاق وَسَعَةَ الصدرِ فكان لا يغضبُ من شيء ، ولم يُرَ من أحدٍ قطّ حردان ، وشاع ذلك عنه وبلغ ذلك بعض الخلفاء[1]، فقال: ليس له من يغضبه ، ولو أُغْضِبَ لغضب ، وخاطروه على أن يغضبه فجاءه فسلَّم عليه ثم سأله عن مسألةٍ نحوية فأجابه الشيخ بأحسن جواب ودلَّه على محجة الصواب فقال له : أخطأت فأعاد الشيخ الجواب بألطف من ذلك الخطاب وسهَّلَ طريقته وبيَّنَ له حقيقته ، فقال له : أخطأت أيها الشيخ ، والعجبُ ممن يزعم أنك تعرفُ النحو وَيُهْتَدَى بك في العلوم ، وهذا مبلغُ معرفتك ، فلاطفه وقال له : يا بنيَّ لعلك لم تفهم الجوابَ ، وإن أحببتَ أن أعيدَ القولَ عليكَ بأبينَ من الأول فعلتُ ، قال له : كذبتَ لقد فهمتُ ما قلتَ ، ولكن لجهلك تحسب أنني لم أفهم ، فقال له الشيخ وهو يضحك : قد عرفتُ

(1) كذا ولعلها : الخلعاء .

مرادك ، ووقفتُ على مقصودك ، وما أراك إلا وقد غُلِبْتَ ، فأدْ ما بايعتَ عليه فلستَ بالذي تغضبني أبداً ، وبعد يا بنيَّ فقد قيل إن بقّةً جلستْ على ظهر فيل ، فلما أرادت أن تطيرَ قالت له : استمسك فإني أريدُ الطيران ، فقال لها الفيل : والله يا هذه ما أحسستُ بكِ لما جلستِ فكيف أستمسكُ إذا أنت طرتِ ؟! والله يا ولدي ما تُحْسِنُ أن تسألَ ولا تفهمُ الجوابَ فكيف أستفيد منك ؟

وحدثني محب الدين محمد بن النجار قال : حضر الوجيه النحوي بدار الكتب التي برباط المأمونية ، وخازنُها يومئذ أبو المعالي أحمد بن هبة الله ، فجرى حديثُ المعرّي ، فَذَمَّهُ الخازنُ وقال : كان عندي في الخزانة كتابٌ من تصانيفه فغسلته ، فقال له الوجيه : وأيُّ شيءٍ كان هذا الكتاب ؟ قال : كان كتابَ نقض القرآن ، فقال له : أخطأت في غسله ، فعجب الجماعةُ منه وتغامزوا عليه ، واستشاط ابنُ هبة الله وقال له : مثلك يَنْهَى عن مثل هذا ؟ قال : نعم لا يخلو أن يكونَ هذا الكتاب مثلَ القرآن أو خيراً منه أو دونه ، فإن كان مثله أو خيراً منه وحاشَ للّه أن يكونَ ذلك فلا يجبُ أن يُفَرَّطَ في مثله ، وإن كان دونه وذلك ما لا شكَّ فيه فتَرْكُهُ معجزةٌ للقران فلا يجب التفريط فيه ، فاستحسن الجماعةُ قوله ووافقه ابنُ هبةِ اللّه على الحقِّ وسكت .

وكان الوجيه رحمه الله حنبلياً ثم صار حنفياً ، فلما درّس النحو بالنظامية صار شافعياً ، فقال فيه المؤيد أبو البركات محمد بن أبي الفرج التكريتي ثم البغدادي ، وكان أحدَ تلامذته ، وسمعتُهُ من لفظه غير مرة :

ألَا مُبْلِغٌ عنّي الوجيهَ رسالةً ... وإن كان لا تُجْدي إليه الرسائلُ
تمذهبتَ للنعمان بعد ابنِ حنبلٍ ... وذلك لما أعوزتك المآكلُ
وما اخترتَ دينَ الشافعي تديّناً ... ولكنما تهوى الذي هو حاصل
وعما قليلٍ أنت لا شكَّ صائرٌ ... إلى مالكٍ فافطنْ لما أنا قائل

وأنشدني الوجيه لنفسه في التجنيس :

أطلتُ ملامي في اجتنابي لمعشرٍ ... طغامٍ لئامٍ جودُهُمْ غيرُ مُرْتَجَى
ترى بابَهُمْ لا باركَ اللّه فيهمُ ... على طالبِ المعروف إن جاء مرتجا
حموا مالهم والدينُ والعرضُ منهمُ ... مباحٌ فما يخشونَ من هجوِ من هجا

إذا شرعَ الأجوادُ في الجودِ منهجاً ... لهم شَرّعوا في البخلِ سبعين منهجا

وأنشدني الوجيه النحوي لنفسه يمدحُ أبا الفضل مسعود بن جابر صاحب المخزن :

ما مرَّ يومٌ ولا شهرٌ ولا عيدُ ... فاخضرَّ فيه لنا من وصلكم عودُ

عودوا تَعُدْ بكمُ الأيامُ مشرقةً ... وإن أبيتم ففي الأسقام لي عودوا

كم ذا التجني وكم هذا الصدودُ صِلُوا ... مَنْ حَظُّهُ منكمُ همٌّ وتسهيد

لو تسألوا كيفَ حالي بعد بُعْدِكُمُ ... فالحالُ شاهدةٌ والسقمُ مشهود

لولا التعللُ بالآمالِ متُّ أسىً ... يفنى الزمانُ وما تفنَى المواعيد

ولو شكوتُ الذي ألقى بحبكمُ ... إلى الجلاميدِ رقَّتْ لي الجلاميد

يا هذهِ ما أنامُ الليلَ من وَلَهي ... كأنما حاجبي بالجفنِ معقود

قلَّ اصطباري وزاد الوجدُ بي فأنا ... بكِ الشقيُّ وغيري منك مسعود

تلذّ في حبكِ الأيامُ لي وأَرَى الـ ... ـتعذيبَ عَذباً به والقلبُ مجهود

كأنّكِ المجدُ أو بذلُ الندى وأنا ... في فرطِ حُبّكِ فخرُ الدينِ مسعود

مولىً إذا السحبُ ضَنَّتْ بالحيا فله ... في الخلقِ بحرٌ عظيمُ الريِّ مورود

وله مطلع قصيدة في ابن جابر أيضاً :

يا مَنْ أقام قيامتي بقوامِهِ ... وأطال تعذيبي بطولِ مِطَالِهِ

أمِطِ اللثامَ عن العذارِ تُقِمْ به ... عند العذولِ عليك عُذْرَ الواله

وارفقْ ببالِ في هواك معذّبٍ ... بجفاك ما خَطَرَ السلوُّ بباله

طُبِعَ الحبيبُ على الملالِ وليته ... يوماً يميلُ إلى ملالِ ملاله

لو كنتَ تسمعُ ما أقولُ وقولَهُ ... لعجبتَ من ذلّي له ودلاله

شدَّ الرحالَ فحلَّ عقدَ تصبري ... لما سَرَتْ أجماله بجماله

أنشدني الحافظ أبو عبد الله محمد بن النجار صديقنا حرسه الله قال ، أنشدني شيخنا الوجيه النحوي لنفسه :

أرفعُ الصوتَ إن مررتُ بدارٍ ... أنتِ فيها إذ ما إليكِ وصولُ

وأحبي مَنْ ليس عنـدي بـأهـلٍ   أن يُحَيَّـا كي تسمعي مـا أقـولُ

وكان ملازماً لدار الوزير عضد الدين أبي الفرج ابن رئيس الرؤساء ويبيت ويصبحُ يقرىء أهله ، ونال من جهته ثروةً ، فحدثني عز الدين أبو الحسن علي بن محمود بن محمد المعروف بالسرخسي النحوي قال ، حدثني الوجيه قال : اقترحتْ عليَّ بعض حظايا الوزير أن أعمل أبياتاً تكتبها على قميصٍ أصفر ، فعملت :

انـظرْ إلى لابسي وانـظرْ إليَّ وكـنْ   من مثـلِ مـا حـلَّ بي منه على خَـطَرِ
هـذا اصفـراري يـراهُ النـاظـرون ومـا   في القلبِ من حُبّه يَخْفى على البصـر
أمـوتُ في خَلْعِـهِ بـالليـلِ لي كمـداً   لـولا انتـظارُ وصـالٍ منه في السحـر
أقـولُ عـجبـاً إذا مـا رام يـلبسـني   مـا كنتُ أطمـعُ أن أعلو على القمـر

ونقشتها على القميص ، ورآه الوزير عليها فنلتُ منه بذلك السبب خيراً كثيراً .

- 933 -

المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني أبو السعادات الملقب بمجد الدين المعروف بابن الأثير ، والأثير هو أبو محمد: محمد بن عبد الكريم من أهل جزيرة ابن عمر : مات فيما حدثني به أخوه عز الدين أبو الحسن علي بن محمد في يوم الخميس سلخ ذي الحجة سنة ست وستمائة ؛ قال : ومولده في أحد الربيعين سنة أربع وأربعين وخمسمائة بالجزيرة وانتقل إلى الموصل في سنة خمس وستين ولم يزل بها إلى أن مات .

قال المؤلف : وكان عالماً فاضلاً وسيداً كاملاً قد جمع بين علم العربية والقرآن

933 - ترجمة أبي السعادات ابن الأثير في إنباه الرواة 3:257 وقلائد الجمان لابن الشعار 6: 29 وتكملة المنذري (رقم: 1129) وذيل الروضتين: 69 والجامع المختصر 9: 299 وابن خلكان 4: 141 وتلخيص مجمع الآداب (رقم: 439) وسير الذهبي 21: 488 وعبر الذهبي 5: 19 وطبقات الأسنوي 1: 130 وطبقات السبكي 5: 153 والبداية والنهاية 13: 54 والوافي للصفدي (خ) وبغية الوعاة 2: 274 والشذرات 5: 22 ، وكتابه جامع الأصول مطبوع وكذلك غرائب الطوال ، وكتاب المرصع (البنين والبنات والآباء والأمهات . . .) وكتاب النهاية في غريب الحديث .

والنحوِ واللغةِ والحديثِ وشيوخِهِ وصحَّته وَسَقَمِهِ والفقه ، وكان شافعياً ، وصنَّف في كلِّ ذلك تصانيفَ هي مشهورةٌ بالموصل وغيرها .

حدثني أخوه أبو الحسن قال : قرأ أخي الأدبَ على ناصح الدين أبي محمد سعيد بن الدهان البغداديّ وأبي بكر يحيى بن سعدون المغربي القرطبي وأبي الحزم مكي بن الريان بن شبّة الماكسي النحوي الضرير ، وسمع الحديثَ بالموصل من جماعةٍ منهم الخطيب أبو الفضل ابن الطوسي وغيره ، وقدم بغدادَ حاجاً فسمع بها من أبي القاسم صاحب ابن الخلّ وعبد الوهاب بن سكينة ، وعاد إلى الموصل فروى بها وصنَّف ووقف دارَهُ على الصوفيةِ وجعلها رباطاً .

وحدثني أخوه أبو الحسن قال : تولى أخي أبو السعادات الخزانةَ لسيف الدين الغازي بن مودود بن زنكي ، ثم ولاه ديوانَ الجزيرة وأعمالها ، ثم عاد إلى الموصل فناب في الديوان عن الوزير جلال الدين أبي الحسن علي بن جمال الدين محمد بن منصور الأصبهاني ، ثم اتصل بمجاهد الدين قايماز بالموصل أيضاً فنال عنده درجة رفيعة ، فلما قُبِضَ على مجاهد الدين اتصل بخدمة أتابك عز الدين مسعود بن مودود إلى أن توفي عز الدين ، فاتصل بخدمة ولده نور الدين أرسلان شاه فصار واحدَ دولته حقيقةً بحيث إن السلطانَ كان يقصدُ منزله في مهامّ نفسه لأنه أُقعِد في آخر زمانه ، فكانت الحركة تصعبُ عليه ، فكان يجيئه بنفسه أو يرسل إليه بدر الدين لؤلؤ الذي هو اليوم أمير الموصل .

وحدثني أخوه المذكور قال : حدثني أخي أبو السعادات قال : لقد ألزمني نور الدين بالوزارة غيرَ مرةٍ وأنا أستعفيه حتى غضب منّي وأمر بالتوكيل بي ، قال : فجعلتُ أبكي ، فبلغه ذلك فجاءني وأنا على تلك الحال فقال لي : أبلغ الأمرُ إلى هذا ؟ ما علمتُ أنّ رجلاً ممن خلق الله يكرهُ ما كرهتَ ، فقلت : أنا يا مولانا رجل كبير ، وقد خدمتُ العلمَ عمري واشتُهِرَ ذلك عنّي في البلاد بأسرها ، واعلم أنني لو اجتهدت في إقامة العدل بغاية جهدي ما قدرتُ أؤدي حقه ، ولو ظُلِمَ أكّار في ضيعةٍ من أقصى أعمالِ السلطان لَنُسِبَ ظلمه إليّ ، ورجعتَ أنت وغيرُكَ باللائمةِ عليّ ، والملكُ لا يستقيمُ إلا بالتسمح في العسف وأخذِ هذا الخلق بالشدة ، وأنا لا أقدر على ذلك ، فأعفاه ، وجاءنا إلى دارنا فخبرنا بالحال ، فأما والده وأخوه فلاماه على الامتناع فلم يؤثر

اللومُ عنده أسفاً ، وذكر ذلك في قصةٍ طويلةٍ بتفاصيلها إلا أن هذا الذي ذكرته هو معناها .

وحدثني عز الدين أبو الحسن قال : حدثني أخي أبو السعادات رحمه الله قال : كنتُ أشتغلُ بعلم الأدب على الشيخ أبي محمد سعيد بن المبارك بن الدهان النحوي البغدادي بالموصل ، وكان كثيراً ما يأمرني بقول الشعر وأنا أمتنعُ من ذلك ، قال : فبينا أنا ذاتَ ليلةٍ نائم رأيت الشيخَ في النوم وهو يأمرني بقول الشعر ، فقلت له : ضعْ لي مثالاً أعمل عليه فقال :

جُبِ الفلا مُدْمناً إنْ فاتَكَ الظفرُ ... وخُدَّ خَدَّ الثرَى والليلُ معتكرُ

فقلت أنا :

فالعزُّ في صَهَواتِ الخيلِ مركبُهُ ... والمجدُ ينتجه الإسراءُ والسهرُ

فقال لي : أحسنتَ هكذا فقل ، فاستيقظتُ فأتممتُ عليها نحو العشرين بيتاً .

وحدثني عز الدين أبو الحسن قال : كتب أخي أبو السعادات إلى صديق له في صدر كتاب ، والشعر له :

وإني لمهدٍ عن حنينٍ مبرِّحٍ ... إليكَ على الأقْصى من الدار والأدنى

وإن كانتِ الأشواقُ تزدادُ كلما ... تناقصَ بعدُ الدار واقترب المغنى

سلاماً كنشرِ الروضِ باكَرَهُ الحيا ... وهبَّتْ عليه نسمةُ السَّحَر الأعلى

فجاء بمسكيِّ الهوا متحلِّياً ... ببعض سجايا ذلك المجلس الأسمى

وأنشدني عز الدين قال ، أنشدني أخي مجد الدين أبو السعادات لنفسه :

عليكَ سلامٌ فاح من نَشْرِ طيبه ... نسيمٌ تولى بثَّهُ الرندُ والبانُ

وجازَ على أطلالِ ميٍّ عشيةٌ ... وجاد عليه مُغْدقُ الوبل هتَّانُ

فحملته شوقاً حَوَتْهُ ضمائري ... تميدُ له أعلامُ رضوى ولُبنانُ

واستنشدته شيئاً آخر من شعره فقال : كان أخي قليلَ الشعر لم يكن له به تلك العناية ، وما أعرف الآن له غير هذا ، فقلت له : فأمِلَّ عليَّ تصانيفه ، فأملى عليّ : كتاب البديع في النحو نحو الأربعين كراسة وقفني عليه فوجدته بديعاً كاسمه سلك فيه

مسلكاً غريباً وبوبّه تبويباً عجيباً . كتاب الباهر في الفروق في النحو أيضاً . كتاب تهذيب فصول ابن الدهان . كتاب الإنصاف في تفسير القرآن أربع مجلدات . كتاب الشافي وهو شرح مُسْنَدِ الشافعي أبدعَ في تصنيفه فذكر أحكامه ولغته ونحوه ومعانيه نحو مائة كراسة . كتاب غريب الحديث على حروف المعجم أربع مجلدات . كتاب جامع الأصول في أحاديث الرسول عشر مجلدات جمع فيه بين البخاري ومسلم والموطأ وسنن أبي داود وسنن النسائي والترمذي عمله على حروف المعجم ، وشرح غريب الأحاديث ومعانيها وأحكامها ووصف رجالها ونبه على جميع ما يحتاج إليه منها . قال المؤلف : أقطع قطعاً أنه لم يُصَنَّفْ مثله قط ولا يصنف . وله رسائل في الحساب مُجَدْوَلات . كتاب ديوان رسائله . وكتاب البنين والبنات والآباء والأمهات والأذواء والذوات مجلد . كتاب المختار في مناقب الأخيار أربع مجلدات ، إلى غير ذلك .

ـ 934 ـ

مبشر بن فاتك أبو الوفاء الأمير : أحد أدباء مصر العارفين بالأخبار والتواريخ المصنفين فيها ، وكان في أيام الدولة المصرية في أيام الظاهر والمستنصر . وله من التصانيف : كتاب سيرة المستنصر ثلاث مجلدات ، وله تواليف في علوم الأوائل ، وملك من الكتب ما لا يحصى عدده كثرةً .

ـ 935 ـ

مجالد بن سعيد بن عمير الهمداني : روى عن الشعبي فأكثر ، وروى عنه الهيثم بن عدي ، مات في سنة احدى وأربعين ومائة وكان رواية للأخبار والأنساب والأشعار ، وهو عند أصحاب الحديث ضعيف .

934 ـ ترجمته في عيون الانباء 2 : 98 وتاريخ الحكماء للقفطي : 269 والوافي للصفدي (خ) وانظر مقدمة « مختار الحكم » . وذكر الصفدي أنه اشتغل بصناعة الطب ولازم ابن رضوان ، وكتب بخطه من تصانيف المتقدمين ، وبعد وفاته عمدت زوجته إلى كتبه فألقتها في بركة وسط داره لأنه كان يشتغل بها عنها ، ومن تلاميذه سلامة بن مبارك بن رحمون .

935 ـ ترجمة مجالد في الوافي للصفدي (خ) وقال : روى له الأربعة وروى له مسلم مقروناً ونقل عن ياقوت انه توفي سنة أربع وأربعين ومائة .

ـ 936 ـ

مجاهد بن جبر القارىء ، وقيل مجاهد بن جبير مولى عبد الله بن السائب ، وقيل مولى قيس بن السائب المخزومي : من كبار التابعين يكنى أبا الحجاج ، مات سنة أربع ومائة ، وقيل سنة ثلاث عن ثلاث وثمانين سنة من عمره . سمع ابن عباس وجابراً وأبا هريرة وأبا سعيد الخدري وأبا ريحانة وعبد الله بن عمر وغيرهم . أخذ القراءة عن عبد الله بن عباس وعن عبد الله بن أبي ليلى وقرأ على علي بن أبي طالب وأُبَيّ بن كعب رضي الله عنهم ، روى عنه الأعمش والليث بن أبي سليم والحكم ومنصور بن نجيح وغيرهم .

وقال مجاهد : عرضتُ القرآنَ على ابن عباس ثلاثينَ عرضةً . قال مجاهد : وكنت أُصحبُ ابنَ عمر في السفر فكنتُ إذا أردت أن أركبَ يأتيني فيمسك ركابي فإذا ركبتُ سوّى عليّ ثيابي ، قال مجاهد : فجاءني مرةً فكأني كرهتُ ذلك ، فقال : يا مجاهد إنك ضيّقُ الخلق . نقلتُ ذلك كله من « كتاب الأمالي » لأبي بكر محمد بن منصور السمعاني .

وقرأت بخط أبي سعد باسناد رفعه إلى مجاهد أنه قال : انطلق غلامٌ من بني إسرائيل بفخّ فنصبه منتبذاً عن الطريق ، فجاء عصفورٌ فوقع قريباً منه وأنطق الله العصفورَ وأفهم الفخ ، فقال العصفور : مالي أراك منتبذاً عن الطريق ؟ قال : اعتزلتُ شرورَ الناس ، قال : فمالي أراك نحيفاً ؟ قال : أنهكتني العبادة ، قال : فما هذه الحبة في فيك ؟ قال : أرصدُ بها مسكيناً أو ابن سبيل ، قال : فانا مسكينٌ وابن سبيل ، قال : فدونكها ، قال : فوثب العصفور فأخذ الحبةَ ، فوثب الفخّ فوقع في عنقه ، فجعل العصفور يقولُ عيق عيق ، وعزةِ ربي لا غرّني بعدها قارىء مُراءٍ ابداً . قال مجاهد : وهذا مثل قرائين مرائين يكونون آخر الزمان .

---

936 ـ ترجمة مجاهد في طبقات ابن سعد 5 : 466 والمعارف: 444 والمعرفة والتاريخ 1 : 711 وحلية الأولياء 3 : 279 وطبقات الشيرازي : 69 وتذكرة الحفاظ: 86 وسير الذهبي 4 : 449 وعبر الذهبي 1 : 125 والبداية والنهاية 9 : 224 والعقد الثمين 7 : 132 والوافي للصفدي (خ) وطبقات ابن الجزري (رقم: 2659) وتهذيب التهذيب 10 : 42 وطبقات الحفاظ للسيوطي: 35 والشذرات 1 : 125 .

وذكر ابن عفير قال : قدم عمرو بن العاص بعد فتحه مصر على عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قَدْمَتَيْنِ استخلف في إحداهما زكريا بن الجهم العبدري على الجند ومجاهد بن جبر مولى بني نوفل بن عبد مناف على الخراج (وهو جدّ معاذ بن موسى النفاط أبي إسحاق بن معاذ الشاعر) فسأله عمر من استخلفتَ ؟ فذكر له مجاهد بن جبر ، فقال له عمر : مولى ابنة غزوان ؟ قال : نعم إنه كاتب ، فقال عمر : إن العلم ليرفعُ صاحبه . (وبنت غزوان هي أختُ عتبةَ بن غزوان ، وقد شهد عتبة بدراً ، وكان حليفَ بني نوفل بن عبد مناف). قال : وخطة مجاهدِ بن جبر دارُ صالحٍ صاحبِ السوق .

- 937 -

مجاهد بن عبد الله العامري أبو الجيش الموفق مولى عبد الرحمن الناصر بن المنصور محمد بن أبي عامر أمير الأندلس : مات بدانية في سنة ست وثلاثين وأربعمائة ، وأصله مملوك رومي من مماليك ابن أبي عامر . كان من أهل الأدب والشجاعة والمحبة للعلوم وأهلها . نشأ بقرطبة وكانت له همة وَجَلَادةٌ وجرأة ، فلما جاءت أيام الفتنة وتغلبت العساكرُ على النواحي سار هو في من تبعه إلى الجزائر التي في شرق الأندلس وهي دانية ومنورقة (بالنون) ، ودانية هي ذاتُ خِصبٍ وسعة ، فغلب عليها وحماها ، وقصد إلى سردانية في قصةٍ ذكرتها في التاريخ الذي سميته « المبدأ » . وكان من الكرماء على العلماء يبذلُ لهم الرغائبَ خصوصاً على القراء حتى صارت دانيةُ مَعْدِنَ القراء بالغرب . وهو الذي بذل لأبي غالب تمام بن غالب ألفَ دينار ليزيدَ اسمه في ديباجة كتابه كما ذكرنا في باب تمام[1] ، وفيه يقول أبو العلاء صاعد بن

937 - ترجمة مجاهد العامري في جذوة المقتبس: 331 (وبغية الملتمس رقم: 1379) وأعمال الاعلام: 217 والبيان المغرب 3: 155 والوافي للصفدي (خ) وتاريخ ابن خلدون 4: 164.

(1) انظر الترجمة رقم : 269 .

الحسن اللغوي وقد استماله بخريطةِ مالٍ ومركبٍ أهداهما إليه ، قصيدةً أولها :

أتتني الخـريـطةُ والمـركبُ ... كمـا اقترن السعـدُ والكـوكبُ

وَحَطَّ بـمـيـنـائِـهِ قِـلْعَـهُ ... كمـا وَضعتْ حَمْلَها المقربُ

على ساعـةٍ قـام فيهـا الثنـاءُ ... على هـامةِ المشتـري يخطبُ

مجاهدُ رضتَ إبـاءَ الشُّموسِ ... فـأصحبَ ما لم يكنْ يُصحبُ

فقلْ واحتكم لي فسمعُ الزمانِ ... مصيـخٌ إليـك بمـا تـرغبُ

وقد ألف مجاهد كتاب عروض يدلُّ على قوته فيه ، ومن أعظم فضائله تقديمه للوزير أبي العباس أحمد بن رشيق وتعويله عليه وَبَسْطُ يدهِ في العدل .

- 938 -

المحسن بن إبراهيم بن هلال بن زهرون الصابىء أبو علي بن أبي إسحاق صاحب الرسائل ، ووالد هلال بن المحسن صاحب التواريخ والرسائل : كان أديباً فاضلاً بارعاً قد لقيَ الأدباءَ والعلماء وأخذ عنهم كأبي سعيد السيرافي وأبي علي الفارسي وأبي عبيد الله المرزباني . مات في ثامن محرم سنة احدى وأربعمائة عن ابنه هلال، وله شعر حسن من مثله، وكان بوجهه شامةٌ حمراء فكان يُعْرَفُ بصاحب الشامة، وابنه هلال بن المحسن أعلى منزلةً منه . ومات هذا على دين أبيه ، وأما ابنه فأسلم على ما ذكرته في بابه . وكان لأبي إسحاق ابنٌ آخر يقال له أبو سعيد سنان ليس بالنبيه وآخرُ كنيته أبو العلاء صاعد ، ومات أبو سعيد سنان في حياة أبيه في رجب سنة ثمانين . ولما قُبِضَ على أبيه أبي إسحاق قُبِضَ معه على ولديه أبي عليّ هذا وأبي سعيد . فحدث أبو الحسين هلال قال حدثني أبو عليّ والدي قال : أمر عضد الدولة أبا القاسم المطهر بن عبد الله وزيره وقال له : أفرجْ عن [ابن] أبي إسحاق صاحب الشامة فان له قديمَ خدمةٍ ، فتقدم بذاك ، فثقل على أبي سعيد أخي إطلاقي من دونه ودمدم على والدنا دمدمةً قال له عندها : أيّ أمر لنا يا بني في نفوسنا أم أيّ ذنب لي

938 ـ ترجمة المحسن الصابىء في الوافي للصفدي (خ) وعرضاً في ترجمة أبيه في سير الذهبي 16 : 524 .

فيما لطف به لأخيك وَحُرِمْتَهُ ؟ ثم عدل إلى مسألتي أن أخرجَ أسبوعاً ويخرجَ أسبوعاً ويقع بيننا مناوبة في ذاك ، فامتنعتُ وأبيتُ ورفقَ بي رفقاً استحييتُ معه وأجبت ، فكتب أبو إسحاق إلى أبي القاسم المطهر :

ابناي عيناي كفَّ الحبسُ لحظَهما ... وعزَّ حسُّهما عن منظرِ النورِ
أطلقتَ لي منهما عيناً وقد بقيتْ ... عينٌ فصرتُ من الابنين كالعورِ
فسوِّ بينهما في فكِّ أسرهما ... مستوفراً منهما من أجر مأجورِ
يفديك بالأنفسِ اللاتي مَننْتَ بها ... أبوهما وهما من كلِّ محذورِ

فقال المطهر : الأمر إلى الملك فهو الذي رسم لي إطلاقَ ولدك صاحب الشامة ، ولو كنتُ مستطيعاً للجمع بينهما لفعلت ، بل لم أقنع حتى تكونَ أنت المطلق فعاوده وشكره وقال : إذا كان قد أخذ في تخلية واحدٍ فيجوز أن يتناوبا في الخروج ، وفسح المطهر في ذلك .

قال أبو علي: وكانت خدمتي التي رعاها الملك عضدُ الدولة أن أبا طاهر ابن بقية لما أفرج عن أبي إسحاق والدي بعد القبض عليه عقيبَ خروج عضدِ الدولة من مدينة السلام استحلفه على أن يُعَرِّفَهُ ما يردُ عليه من كتبه ويسلّم إليه مَنْ يجيئه من رسله ، فاتفق أن جاء أبو سعد المدبر إليه بكتاب من عضد الدولة وعمل على تسليمه ، فاجتهدتُ به ألاّ يفعل ، فخاف وأشفق ولم يقبل ، وحمله إلى ابن بقية فتقدم باعتقاله بعد أن ضَرَبَهُ وقرّره ، وشقَّ ذلك عليّ لما يراعى من عواقبه ، وحملني الشبابُ ونزقه والاغترارُ وبواعثه على أن قمتُ ليلاً وحملتُ معي خمسين درهماً في صرَّةٍ وعشرين درهماً في صُرَّةٍ أخرى وجئتُ إلى الحبس متنكراً وعلى رأسي مِنْشَفَةٌ وقلتُ للسجّان : هذه عشرون درهماً خذها ومكّني من الدخولِ على هذا الجاسوس وأجتمعُ معه وأخاطبه وأخرج ، فاخذها وأدخلني ، وجئتُ إلى أبي سعد وتوجعتُ له مما حصل فيه ، ووعدته بما أستطيعه من المعاونةِ على خلاصه ، ثم قلت له : وأنت غريبٌ وربما احتجتَ إلى شيءٍ وهذه خمسون درهماً اصرفها في نفقتك واستعنْ بها على أمرك ، فشكرني وانصرفت ، وأظنُّه ذكر ذلك لعضد الدولة عند خلاصه وعوده إليه ، فحصل لي في نفسه ما كانت هذه الحال ثمرته .

قرأت بخط أبي علي المحسّن في مجموعٍ جمعه لولده هلال ما هذا صورته : لبعض المحدثين في عصرنا (وعلى الحاشية بخطّ ابنه هلال : هذه الأبيات لأبي المحسن بن إبراهيم بن هلال رحمه الله) :

أأهجو مجوسياً لو أنّي أمرتُهُ ... بنيكِ آمّه جهراً إذاً ما تأثّما
إذا ذُكِرَتْ يوماً له ريعَ قلبُهُ ... وأنعظَ مشتاقاً إليها متيما
يحنُّ إليها حَنَّتَين لأنه ... يكونُ لها بعلاً وكان لها ابنما
قضاها رضاعَ الثدي منه بأيره ... ففرَّ لها فرجاً وفرَّتْ له فما
فان طَرِّقَتْ بالحملِ يوماً فانما ... يكونُ أخاً وابناً له كلما انتمى
ينيكُ الأقاصي والأداني محللاً ... بذلك ما كان الإلهُ محرما
إذا ما ذوو الأديان صلّوا لربّهم ... تقدَّمَ يَهْذِي في الصلاةِ مزمزما
ويخرجُ مما كُلِّفوا من مشقَّةٍ ... ويحتسبُ اللذاتِ أجراً ومغنما

وكتب أبو علي إلى أبيه في بعض نكباته :

لا تأسَ للمالِ إن غالَتْهُ غائلةٌ ... ففي حياتك من فقْدِ اللهى عِوَضُ
إذ أنت جوهرنا الأعلى وما جَمَعَتْ ... يداك من طارفٍ أو تالدٍ عَرَضُ

فأجابه أبو إسحاق بأبيات ذكرتها في بابه فأغنى .

قرأت بخط أبي علي المحسن ، أنشدني القاضي أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي رحمه الله :

الجودُ والغولُ والعنقاءُ ثالثةٌ ... أسماءُ أشياءَ لم تُخْلَقْ ولم تَكُنِ

وأنشدني :

ألهى بني جُشَمٍ[1] عن كل مكرمةٍ ... قصيدةٌ قالها عمرو بن كلثومِ
يفاخرون بها مذ كان أولهم ... يا للرجال لفخرٍ غيرِ مسئومِ

وأنشدني في المعنى :

(1) الرواية المشهورة : بني تغلب .

كأن وجوهَ شمّاسِ بنِ لأيٍ ... من السوءات ملبسةٌ عصيما
إذا ذكروا الحطيئةَ لم يعدُّوا ... حديثاً بعد ذاك ولا قديما

وأنشدني :

أيا ابنَ صليبا أين طِبُّكَ والذي ... به كنتَ تشفي مَنْ به مثلُ دائكا
أأنكرتَ مما قيل ما قد عرفته ... بغيرك أم آثرتهم بشفائكا
بل الموتُ ميقاتُ النفوسِ متى يحنْ ... فَدَاءُ الذي داويته في دوائكا

ومن خط أبي علي المحسن قال : سألت القاضي أبا سعيد السيرافي رحمه الله عن الأخبار التي يرويها عن أبي بكر ابن دريد وكنت أقرأها عليه : أكان يمليها من حفظه ؟ فقال : لا ، كانت تجمع من كتبه وغيرها ثم تقرأ عليه . وسألت أبا عبد الله محمد بن عمران المرزباني رحمه الله عن ذلك فقال : لم يكنْ يمليها من كتابٍ ولا حفظ ولكن كان يكتبها ثم يخرجها إلينا بخطه فإذا كتبناها خَرَّقَ ما كانت فيه .

وقرأت بخط أبي علي المحسن : لأبي الحسن محمد بن عبد الله بن سكرة الهاشمي إليّ يتقاضاني دفتراً أعطانيه :

كنتَ يا سيدي استعرتَ كتاباً ... ليَ فيه قصائدُ للخليعِ
في الربيع الماضي وهذا ربيعٌ ... فتفضَّلْ بردِّهِ يا ربيعي
تغتنمْ مدحتي وإن جُدْتَ أيضاً ... لي بفلسين لم يكن ببديعِ
يا جميلَ الصنيع لِمْ قد تغيرتَ وعاملتني بسوءِ الصنيعِ
مَنْ عَذيري يا آلَ زهرونَ منكم ... من تراه يُطْفي لهيبَ ضلوعي
لستَ في المنع بالملوم تعلمتَ من السيدِ الجليلِ الرفيعِ
كنتُ أعددتكم لنائبةِ الدهرِ وللحادثِ الملمِّ الفظيعِ
ورجوتُ الغنى فخاب رجائي ... لم يخبْ فيك أنت بل في الجميع
واقريضي واخيبتي واعنائي ... واضنائي واذّلتي واخضوعي
واشبابي الذي تقضّى ضياعاً ... واسهادي وافقدَ طيبِ هجوعي

واشقائي من ذلِّ بختي عليكم ... مَنْ إليكم يا قومُ كان شفيعي
كنتُ أبكي منكم فلما نكبتم ... قمتُ أبكي لكم فعزَّتْ دموعي

قال أبو علي : وكنتُ مع أبي الحسن ابن سكرةَ على المائدةِ فحمل بعض الغلمان غضارةً فيها مَضيرةٌ ، فاضطربت يدُهُ وانقلب شيءٌ منها على ثياب أبي الحسن ، فادَّعى عليه أنه ضرط وهجاه بأبياتٍ لم يبقَ في حفظي منها غير بيتين وهما :

قليلُ الصواب كثيرُ الغلطْ ... شديدُ العثارِ قبيحُ السَّقطْ
جنى بالمضيرةِ ما قد جنى ... ولم يَكْفِهِ ذاكَ حتى ضرط

- 939 -

المحسّن بن الحسين بن علي [بن] كوجك أبو القاسم الأديب: من أهل الفضل ، وكان الغالبَ عليه الوراقةُ ، ويقولُ الشعرَ ، وخطُّهُ معروفٌ مرغوب فيه يُشْبِهُ خطَّ الطبري .

قال أبو محمد أحمد بن الحسين بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الروذباري في « تاريخه الذي أُلِّفَ بمصر » : وفي شوال سنة ست عشرة وأربعمائة مات أبو القاسم المحسن بن الحسين العبسي الأديبُ الوراق ، سمع من أبي مسلم محمد بن أحمد كاتب ابن حنزابة ، وسمع معه أخوه علي بن الحسين ، وكان أبوه أيضاً من أهل الفضل وله شعر ذكرته في ترجمة ابنه الآخر علي بن الحسين .

وقرأت في « كتاب الشام » : المحسن بن علي بن كوجك أبو عبد الله من أهل الأدب ، أملى بصيدا حكاياتٍ مُقَطَّعةً بعضها عن ابن خالويه ، روى عنه أبو نصر طلاب قال : أنبأنا عبد الله بن أحمد بن عمر ، قال أخبرنا أبو نصر ابن الحسين بن محمد بن أحمد بن طلاب ، قال أملى علينا الأستاذ أبو عبد الله المحسن بن علي بن كوجك بصيدا وقرأته عليه في سنة أربع وتسعين وثلاثمائة ، أنشدنا لبعضهم :

---

939 ـ ترجمة ابن كوجك في إنباه الرواة 3 : 273 والوافي للصفدي (خ) ومختصر ابن منظور 24 : 110 .

ودَّعـك الحسنُ فهو مـرتحـلُ وانصـرفتْ عن جمـالِـكَ المقـلُ
ومـتَّ من بعـد مـا أمتَّ وأحـيـيتَ وكـلُّ الأمـورِ تَنْـتَـقِـلُ
كم قـائـلٍ لي وقـد رأى كَلَفي فيـكَ ووجـدي فقـال مكتهـل
يـرحـمـك اللّه يـا غـلامُ إذا قـال لـك العـاشقـون يـا رجـل

قال ابن طلاب : وحضرنا معه يوماً في محرس غرق[1] بمدينة صيدا وفيه قبة فيها مكتوبٌ أسماءُ مَنْ حضرها وأشعارٌ من جملتها :

رحم اللّه من دنـا لأنـاسٍ نـزلوا هـا هنا يـريدون مصـرا
فَـرَّقَتْ بينهم صروفُ الليـالي فـتخـلُّوا عن الأحبـةِ قسـرا

فقال له قائل من جماعتنا : إن المائدة لا تقعدُ على رِجْلَين ولا تستقر إلا على ثلاثة ، فأجِزْ لنا هذين البيتين بثالث ، فأطرق ساعة ثم قال : اكتبوا :

نـزلـوا والثيـابُ بيضٌ فلمـا أَزِفَ البينُ منهمُ صِـرْنَ حمرا

قال ابن طلال : وكان بين الأستاذ وبين رجل كاتب لبني بزال[2] إِحَنٌ وملاحاة[3] مستهجنـةٌ أوقعتْ بينهما العـداوةَ بعد وَكِيـدِ الصداقـة ، وكان هـذا الرجـلُ يقال لـه أبو المنتصر مبارك الكاتب ، فهجاه الأستاذ بأشعارٍ كثيرة وجمعها في جزءٍ وكتب على ظهر هذا الجزء شعراً له وهو :

هــذا جــزاءُ صـديقٍ لم يَـرْعَ حقَّ الصداقَـهْ
سـعـى عـلى دمِ حـرٍّ مُـحَـرَّمٍ فـأراقـهْ

قال وأنشدنا لنفسه فيه أيضاً :

مبـاركُ بـورِكَ في الـطولِ لـكْ فـأصبحتَ أطـولَ من في الفلكْ
ولـولا انحنـاؤك نلتَ السـمـاء ولـكـنَّ ربـك مـا عـدَّلَـكْ

---

(1) الانباه : عرف .
(2) المختصر : نزال .
(3) م والمختصر : وبلاغات ، والتصويب من اقتراح محقق م .

- 940 -

المحسن بن علي بن محمد بن داود بن الفهم التنوخي أبو علي القاضي، وقد مر ذكر أبيه علي بن محمد وابنه علي بن المحسن في مواضعهما. مات لخمس بقين من محرم سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ومولده سنة تسع وعشرين وثلاثمائة بالبصرة، وكانت وفاته ببغداد، وله من التصانيف: كتاب الفَرَج بعد الشدة ثلاث مجلدات. كتاب نِشْوار المحاضرة اشترط فيه أنه لا يضمنه شيئاً نقله من كتابٍ، أحد عشر مجلداً، كلُّ مجلد له فاتحة بخطبة.

قال غرس النعمة: صنف أبو علي المحسن «كتاب نشوار المحاضرة» في عشرين سنة أولها سنة ستين وثلاثمائة. وذيله غرس النعمة بكتاب سماه «كتاب الربيع» قال: ابتدأته في سنة ثمان وستين وأربعمائة.

وليَ القضاء بعدة نواحٍ؛ حكى عن نفسه أنه في سنة ثلاث وستين وثلاثمائة كان متولي القضاء بواسط، وقال في موضع آخر من كتابه: حضرتُ أنا مجلس أبي العباس ابن أبي الشوارب قاضي القضاة إذ ذاك، وكنتُ حينئذٍ أكتُبُ له على الحكم والوقوف بمدينة السلام مضافاً إلى ما كنتُ أخلفه عليه بتكريت ودقوقاء وخانيجار وقصر ابن هبيرة والجامعين وسوراء وبابل والايغارين وخطرنية؛ وذكر قصة، وذكر في موضع آخر أنه [كان] يتقلد القضاء بعسكر مكرم في أيام المطيع لله وعز الدولة ابن بويه.

وقد ذكر أبو الفرج الشلجي أنه تقلد القضاة بالأهواز نيابةً عن القاضي أبي بكر ابن قريعة، وقد ذكرتُ ذلك في خبر الشلجي.

قال أبو الفرج: وحدثني أبو علي التنوخي القاضي قال: لما قلدني القاضي أبو بكر ابن قريعة قضاءَ الأهواز خلافةً له كتب إلى المعروف بابن سركر الشاهد، وكان

940 - ترجمة المحسن التنوخي في اليتيمة 2: 346 وتاريخ بغداد 13: 155 والمنتظم 7: 178 وابن خلكان 4: 159 وسير الذهبي 16: 524 وعبر الذهبي 3: 27 والوافي للصفدي (خ) والنجوم الزاهرة 4: 168 والجواهر المضية 3: 422 والشذرات 3: 112 وانظر مقدمة نشوار المحاضرة ومقدمة الفرج بعد الشدة.

خليفتَهُ على القضاء قبلي ، كتاباً على يديَّ وَعَنْوَنَهُ : إلى المخالفِ الشاقِّ ، السيءِ الأخلاق ، الظاهر النفاق ، محمد بن إسحاق .

وذكره الثعالبي فقال[1] : هلال ذلك القمر ، وغصن ذلك الشجر ، الشاهد العدل لمجد أبيه وفضله ، والفرعُ المشيد[2] لأصله ، والنائب عنه في حياته ، والقائم مقامه بعد وفاته ، وفيه يقول أبو عبد الله الحسين بن الحجاج[3] :

إذا ذُكِرَ القضاةُ وهم شهودٌ ... تخيرتُ الشبابَ على الشيوخِ
ومن لم يرضَ لم أُصْفَعْهُ إلاّ ... بحضرةِ سيدي القاضي التنوخي

قال : وأخبرني أبو نصر سهل بن المرزبان أنه رأى ديوانَ شعره ببغداد أكبر حجماً من ديوانِ شعرِ أبيه ، ومما علق بحفظ أبي نصر من شعره قوله في معنى طريف لم يُسْبَقْ إليه[4] :

خرجنا لنستسقي بِيُمْنِ دعائِهِ ... وقد كاد هُدْبُ الغيم أن يبلغَ الأرضا
فلما ابتدا يدعو تَقَشَّعَتِ السما ... فما تمَّ إلا والغمامُ قد انفضا

قال : وأنشدني غيره له ، وأنا مرتابٌ به لفرط جودته وارتفاعه عن طبقته[5] :

أقولُ لها والحيُّ قد فطنوا بنا ... وما ليَ عن أيدي المنونِ براحُ
لَمَا ساءني أن وشَّحتني سيوفُهُمْ ... وأنكِ لي دونَ الوشاحِ وشاحُ

وأنشد لنفسه في « كتاب الفرج بعد الشدة »[6] :

لئن أَشمتَ الحسادَ صَرْفِي ورحلتي ... فما صَرَفُوا فضلي ولا ارتحلَ المجدُ

---

(1) اليتيمة 2 : 346 .
(2) اليتيمة : المثيل .
(3) وردا في عدد من المصادر المذكورة آنفاً .
(4) اليتيمة 2 : 347 .
(5) المصدر السابق .
(6) اليتيمة (نفسه) وانظر الفرج بعد الشدة 5 : 50 ؛ قال الشعر لما صرف في الدفعة الأولى من تقليده القضاء بالأهواز ، وشمت به بعض أعدائه .

مقـامٌ وتـرحـالٌ وقبضٌ وبسـطةٌ كـذا عادةُ الـدنيا وأخـلاقُها النُّكْـدُ

قرأت في « كتاب الوزراء » لهلال بن المحسن[1] : حـدث القاضي أبـو علي قال : نزل الوزير أبو محمد المهلبي السـوسَ فقصدتُـهُ للسلام عليه وتجديـد العهد بخدمته ، فقال لي : بلغني أنك شهدتَ عند ابن سيار قاضي الأهواز ، قلت : نعم ، قال : ومن ابنُ سيار حتى تشهدَ عنده ، وأنت ولدي وابن أبي القاسم التنوخي أستاذ ابن سيار ؟ قلت : إلا أن في الشهادةِ عنده مع الحداثة جمالاً (وكانت سنّي يومئذٍ عشرين سنة) ، قال : وَجَبَ أن تجيء إلى الحضرة لأتقدَّمَ إلى أبي السائب قاضي القضـاة بتقليدك عملاً تقبلُ أنت فيه شهوداً ، قلت : ما فات ذاك إذا أنعم سيدنا الوزيرُ به ، وسبيلي إليه الآن مع قبول الشهادة أقرب ، فضحك وقال لمن كان بين يديه : انظروا إلى ذكائه كيف اغتنمها . ثم قال لي اخرجْ معي إلى بغداد ، فقبَّلتُ يده ودعوتُ له ، وسار من السوس إلى بغداد ، ووردتُ إلى بغداد في سنة تسع وأربعين وثلاثمائة ، فتقدم إلى أبي السائب في أمري بما دعاه إلى أن قلَّدني عملاً بسقي الفرات ، وكنت ألازمُ الوزير أبا محمد وأحضرُ طعامه ومجالس أنسه ، واتفق أن جلس يوماً مجلساً عاماً وأنا بحضرته ، وقيل له : أبو السائب في الدار ، قال : يدخل ، ثم أومأ إليَّ بأن أتقدمْ إليه ، فتقدمت ومدَّ يده ليسارّني فقبلتها فمدَّ يدي وقال : ليس بيننا سر ، وإنما أردتُ أن يدخلَ أبو السائب فيراكَ تسارّني في مثلِ هذا المجلس الحافل ، فلا يشكّ أنك معي في أمرٍ من أمور الدولة ، فيرهبك ويحشمك ويتوفر عليك ويكرمك ، فإنه لا يجيء إلا بالرهبة ، وهو يبغضك بزيادة عداوة كـانـت لأبيك ، ولا يشتهي أن يكـون له خلفُ مثلك ، وأخذ يوصل معي في مثل هذا الفنِّ من الحديث إلى أن دخل أبو السائب ، فلما رآه في سرار وقف ولم يحبَّ أن يجلسَ إلاّ بعد مشاهدة الوزير له تقرباً إليه وتلطفاً في استمالة قلبه ، فإنه كان إذ ذاك فاسد الرأي فيه ، فقال الحاجبُ لأبي السائب : يجلس قاضي القضاة ، وسمعه الوزير فرفع رأسه وقال له : اجلسْ يا سيدي ، وعاد إلى سراري وقال لي : هذه أشدُّ من تلك ، فامضِ إليه في غدٍ فسترى ما يعاملك به ، وقطع السرارَ وقال لي ظاهراً : قم فامض فيما أنفذتك فيه وعُدْ إليَّ الساعة بما تعمله ،

(1) نقلها محقق النشوار 4: 79 ـ 81 (عن معجم الأدباء) .

فوهَّم أبا السائب بذاك أننا في مهمّ ، فقمتُ ومضيتُ إلى بعض الحُجَرِ وجلستُ إلى أن عرفتُ انصرافَ أبي السائب ، ثم عدت إليه وقد قام عن ذلك المجلس . وجئت من غدٍ إلى أبي السائب فكاد يحملني على رأسه ، وأخذ يجاذبني بضروبٍ من المحادثة والمباسطة ، وكان [على] ذلك دهراً طويلاً .

قال القاضي أبو علي في « نشوار المحاضرة »[1] : حضر بين يديَّ رجلان بالأهواز فادَّعى أحدهما على الآخر حقًّا فأنكره ، فسأل غريمه إحلافَهُ فقال له : أتحلف ؟ فقال : ليس له عليَّ شيء فكيف أحلف ؟ لو كان له عليَّ شيء حلفتُ له وأكرمته .

حدث أبو علي قال : كنت جالساً بحضرة عضد الدولة في مجلس أنسه بنهاوند فغناه محمد بن كالة الطنبوري (شيخٌ كان يخدمه في جملة المغنين باقٍ إلى الآن) :

ذُدْ بماءِ المزنِ والعنبِ ... طارقاتِ الهمِّ والكُرَبِ
قهوةٌ لو أنها نَطَقَتْ ... ذَكَرتْ قحطانَ في العربِ
وهي تكسو كفَّ شاربها ... دستبانات من الذهبِ

فاستحسن الشعر والصنعة وسأل عنها فقال له ابن كالة : هذا شعرٌ غنَّتْ به مولانا سَلْمةُ بنتُ حُسْيَنة ، فاستعاده منها استحساناً له فسرقتُهُ منها . قال التنوخي : فقلتُ له أما الشعر فللخباز البلدي[2] ، وأظن أبا الحسن ابن طرخان قال لي إن الصنعةَ فيه لأبيه ، والمعنى حسن ولكنه مسروق ، فقال : من أين ؟ فقلت : أما البيت الثاني فمن قول أبي نواس[3] :

عتقت حتى لو اتصلتْ ... بلسانٍ صادقٍ وفمِ
لاحتبتْ في القوم ماثلةً ... ثم قَصَّتْ قصةَ الأممِ

ووصفها بالعتق والقدم كثير في القوم بأبلغَ من هذا البيت ، ولكن التشبيه في

(1) انظر 4 : 82 نقلاً عن ياقوت .
(2) هو محمد بن أحمد بن حمدان (اليتيمة 2 : 208) .
(3) ديوان أبي نواس : 207 (الحديثي) .

البيت الثالث هو الحسن ، وقد سرقه مما أنشدناه أبو سهل ابن زياد القطان ، قال أنشدنا يعقوب بن السكيت ولم يُسَمِّ قائلاً :

أقري الهموم إذا ضافت معتقةٌ حمراءَ يحدثُ فيها الماءُ تفويفا
تكسو أصابعَ ساقيها إذا مُزِجَتْ من الشعاع الذي فيها تطاريفا

وقد كشف أطال الله بقاءَ مولاي هذا المعنى من قال :

كأنَّ المدير لها باليمينِ إذا قام للسقي أو باليسارِ
تدرَّعَ ثوباً من الياسمين له فَرْدُ كمٍّ من الجلّنارِ

وكان أبو علي أحمد بن علي المدائني المعروف بالهائم الراوية قائماً في المجلس فقال : قد كشف معنى الأبيات الفائية سريّ الرفّاء حيث يقول في صفة الدنان[1] :

ومستسلماتٍ هززنا لها مداري القيانِ لسفكِ الدماءِ
وقد نظم العلجُ[2] أجسامها مع الخدرِ نظمَ صفوفِ اللقاء
تُمَدُّ إليها أكفّ الرجالِ فترجع مثلَ أكفِّ النساء

وكشف المعنى الثاني في الأبيات بقوله :

ازددْ من الراح وَزِدْ فالغيُّ في الراح رَشَدْ
يديرها ذو[3] غُنَّةٍ أغيد[4] يثنيه الغَيَدْ
مَدَّ إليها يدَهُ فالتهبت إلى العَضُدْ

قال القاضي التنوخي : فقلت له فأين أنت عما هو خير من هذا ، وهو قول ابن المعتز[5] :

---

(1) ديوان السري (ط . القدسي) : 7 .
(2) م : الصلح .
(3) م : ذا .
(4) م : وغد .
(5) ديوان ابن المعتز 3 : 231 .

تحسبُ الظبي إذا طاف بها ... قبل أن يسقيكها مختضبا

قال الهائم فقد قال بكارة الرُّسْعَنيّ :

وبكرٍ شربناها على الوردِ بُكْرَةً ... فكانت لنا ورداً إلى ضحوةِ الغدِ

إذا قام مبيضُ اللباسِ يديرها ... توهمته يسعى بِكُمٍّ موردِ

وقول أبي النضر النحوي[1] :

فلو رآني إذا اتكأتُ وقد ... مددتُ كفّي للهوِ والطربِ

يخالني لابساً مشهَّرةً ... من لازَوْردٍ يشفُّ عن ذهبِ

فبدأت أذكر شيئاً فقال الهائم : اصبر اصبر فها هنا ما لا يلحقه شعرُ أحدٍ كان في الدنيا قطّ حسناً وجودة ، وهو قولُ مولانا الملك من أبيات :

وشربُ الكأسِ من صهباءَ صرفٍ ... يفيضُ على الشروب يدَ النضار

فقطعت المذاكرة ، وأقبلت أعظّم البيتَ وأفخم أمره وأُفْرِطُ في استحسانه والاعتراف بأنني لا أحفظ ما يقاربه في الحسن والجودة فأذاكر به .

قال التنوخي[2] : وكنت بحضرته في عشية من العشايا في مجلس الأنس ، وكان هذا بعد خدمتي له في المؤانسة بشهور يسيرة ، فغُنِّيَ له من وراء ستارته الخاصة صوتٌ وهو :

نحن قومٌ من قريشٍ ... ما هممنا بالفِرارِ

وبعده أبيات بعضها ملحون وبعض جيد ، فاستملحَ اللحن وقال : هو شعر ركيك جدًّا فتعلمون لمن هو ولمن اللحن ؟ فقال له أبو عبد الله ابن المنجم : بلغني أن الشعر للمطيع لله وأن اللحنَ له أيضاً : فقال لي : اعمل أبياتاً تنقل هذا اللحن إليها في وزنها وقافيتها ، فجلست ناحيةً وعملت :

أيهذا القمرُ الطا ... لعُ من دارِ القمارِ

رائحاً من خُيَلاءِ الـ ... ـحسنِ في أبهى ازارِ

(1) هو محمد بن اسحاق بن أسباط الكندي .

(2) نقله محقق النشوار 4 : 86 (عن ياقوت) .

والـذي يـجنـي ولا يُتْـبِـعُ ذنـبـاً بـاعـتـذارِ
أنـا مـن هجـرك فـي بُعـدٍ عـلى قـربِ الـمـزار
أوضـحُ الـعـذرِ عـذارا ك عـلى خَـلْعِ الـعـذارِ

وعدتُ وأنشدته إياها في الحال فارتضاها وقال : لولا انه قد هجس[1] في نفسي أن أعمل في معناها لأمرتُ بنقل اللحن إليها ، ثم أنشدنا بعد أيام لنفسه :

نـحن قـومٌ نـحفظ الـعهـدَ عـلى بـعـد الـمـزار
ونـمـرُّ السـحب سَـحبـاً مـن أكـفٍّ كـالـبـحـارِ
أبـداً نـنـجـز لـلـضـيـف قـدوراً مـن نـضـار

وأمر جواريه بالغناء فيه . وأما أبياتي [فاني] تممتها قصيدة ومدحته بها وهي مثبتة في ديوان شعري .

قال[2] : وجلس عضد الدولة وقد تحولتْ له سنةٌ شمسيةٌ من يوم مولده على عادةٍ له في ذلك ، وكان عادته أنه إذا علم أنه قد بقي بينه وبين دخول السنة الجديدة ساعة أو أقل أو أكثر أن يأكل ويتبخر ويخرجَ في حال التحويل إلى مجلس عظيم قد عبي فيه آلات الذهب والفضة ليس فيه غيرهما ، وفيها أنواع الفاكهة والرياحين ، ويجلس في دَسْتٍ عظيم القيمة ، ويجيءُ المنجمُ فيقبِّلُ الأرض بين يديه ويهنئه بتحويل السنة ، وقد حضر المغنون وأخذوا مواضعهم وجلسوا ، وحضر الندماء وأخذوا مواقفهم قياما ، ولم يكن أحدٌ منهم يجلس بحضرته غيري وغير أبي علي الفسوي[3] وأبي الحسن الصوفي المنجم وأبي القاسم عبد العزيز بن يوسف صاحب ديوان الرسائل فانه كان يجلس ليوقِّعَ بين يديه . ويستدعى له إذا نشط [نبيذ] فيجعل بين يديه ويشرب منه أقداحاً[4]، ومن قبل أن يشرب يوقِّع بمال الصدقات فيخرج، والغناء يمضي، ثم يجيء المهنئون من أهل المجلس مثل رؤساءِ دولته ووجوهِ الكتّاب والعمال وكبار أهل البلد

(1) م : هجن .
(2) نقله محقق النشوار 4 : 88 عن ياقوت .
(3) هو أبو علي الفارسي الحسن بن أحمد النحوي المشهور .
(4) اقداحاً : وقعت بعد قوله « والغناء يمضي » .

من الأشراف وغيرهم فيدخلون إليه فيهنونه ، والشعراء فيمدحونه . فلما جلس ذلك اليوم على هذه الصفة قيل له إن الناسَ قد اجتمعوا للخدمة ، وفيهم أبو الحسن ابن أمّ شيبان وقد حضر ، فعجب من هذا ثم قال : أبو الحسن رجلٌ فاضل ، وليس هذا من أيامه ، وما حضر الا لفرط مـوالاته وانه ظن أنه يومٌ لاشُـرْبَ فيه لنـا ، وإن حجبناهُ غضضنا منه ، وان أوصلناه فلعله لا يحبُّ ذلك لأجلِ الغناء والنبيذ ، ولكن اخرجْ إليه يا فلان (لبعض من كان قائماً من الندماء) واشرحْ له صفةَ المجلس وما قلتُهُ من أمره ، وأدِّ الرسالةَ إليه ظاهراً ليسمعها الناسُ ، فان أحبَّ الدخولَ فأدْخِلْهُ قبلهم ، وان أراد الانصرافَ فلينصرف ، والناس يسمعون وقد علموا منزلته منا . فخرج الحاجب وأبلغ ذلك ، فدعا وشكر وآثر الانصرف فانصرف وهم جلوس يسمعون ، ثم قال لحاجب النوبة : اخرجْ وأدخل الناسَ ، وأبو الفرج محمد بن العباس بن فسانجِس وأخوه أبو محمد علي بن العباس يتقدمون الناسَ جميعَهُمْ لرئاستهم القديمة ، حتى دخلوا وقبلوا الأرضَ على الرسم في ذلك وأعطوه الدينار والدرهم ، ووقفوا وابتدأ الشعراء ، فكان أولَ من ينشده من الشعراء السلاميّ أبو الحسن محمد بن عبيد الله ، إلا أنه يريدُ منّي أن أنشده في الملأ شيئاً ، فانه كان يأمرني بذلك من الليل ، فأحضرُ وابتدىء فأنشده ، أو يحضر رجلٌ علويّ ينشد شعراً لنفسـه ، فَيُجْعَلُ عقيبي ، ثم ينشـدُ السلامي أبـو الحسن ، ثم أبو القاسم علي بن الحسن التنوخي الشاميّ من أهل معرة النعمان يُعْرَفُ بابن جلبات ، ثم يتتابعُ الشعراء . فلما انصرفـ الناسُ وتوسَّط الشرب جاءه الحاجب فقال : قد حضر أبو بكر ابن عبد الرحيم الفسوي ، وكان هذا شيخاً قد أقام بالبصرة وشهد عند القاضي بها ، وقد وفد إلى باب عضدِ الدولة قبل ذلك وأقام ، وكان خادماً له فيما يخدم فيه التجار ، يختصّه بعضَ الاختصاص ، فأقبل وكـان بين يدي الـدست التمري الذي يوضع بين يديّ في كلِّ يومٍ وفيه من الأشربةِ المحللة ما جَرَتْ عادتي بشربِ اليسير منه بين يدي عضد الدولة على سبيل المنادمة والمؤانسة والمباسطة ، وكان قد وسمني وألزمني ذلك بعد امتناعي منه شهوراً حتى قد ردَّني وأخافني ، فقال لي : يا قاضي إن هذا الرجلَ الذي استؤذن له عاميٌّ جاهلٌ بالعلم ، وإنما استخدمته رعايةً لحرماتٍ له عليَّ ، ولأنه كان يخدمُ أمي في البزّ ويدخلُ إليها باذنِ ركن الدولة لتقاه وأمانته فلا تستترُ عنه ، وهذا قبل أن أولد ، فلما ولدتُ كان يحملني على كتفه إلى

أن تَرَجَّلْتُ ، ثم صار يشتري البزَّ ويبيعه عليَّ ، واستمرتْ خدمتُهُ لحرمته ، وهو قاطنٌ بالبصرة ، ولعله يدخلُ فيرى ما بين يديك فيظنه خمراً ، فيرجع إلى البصرة فيخبرُ قاضيها وشهودها بذلك فَيُقْدَحُ فيك ، ومحله يوجبُ أن يكشف لك عذرك ، ولكنْ أزحِ الدستَ الذي بين يديك حتى يصيرَ بين يدي أبي عبد الله ابن المنجم (وكان أبو عبد الله بن إسحاق بن المنجم يجلس دوني بفسحةٍ في المجلس) فإذا دخل رأى الدست بين يديه دونك ، فلم يقدرْ على حكايةٍ يطعنُ بها عليك ، فقبَّلْتُ الأرضَ شكراً لهذا التطول في الإنعام ، وباعدتُ الدستَ إلى أبي عبد الله ، ثم قال : أدخلوه ، وشاهد المجلسَ وهنأ ودعا وأعطى ديناراً ودرهماً كبيرين فيهما عدةُ مثاقيل وانصرف .

قال أبو علي[1] : ويقربُ من هذا ما عاملني به الوزير أبو محمد المهلبي ، وذكر الحكاية التي سبق ذكرها آنفاً مع قاضي القضاة أبي السائب ، وحديثُ تقريبه منه ومسارَّته إياه في المحفل ليعظم بذلك قدره وتكبر منزلته في عين قاضي القضاة أبي السائب ، ولله درُّ القائل :

لولا ملاحظةُ الكبيرِ صغيرَهُ ماكان يُعْرَفُ في الأنامِ كبيرُ

قال الرئيس أبو الحسن هلال[2]: وفي شهر ربيع الأول سخط عضد الدولة على القاضي أبي علي المحسِّن بن علي التنوخي وأُلْزِمَ منزله وَصُرِفَ عما كان يتقلده ، وقسم ذلك على أبي بكر ابن أبي موسى وأبي بكر ابن المحاملي[3] وأبي محمد ابن عقبة وأبي تمام بن أبي حصين وأبي بكر ابن الأزرق[4] وأبي محمد ابن الجهرمي ، وكان السبب في ذلك ما حدثني به أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي قال ، حدثني القاضي أبو علي والدي قال : كنت بهمذان مع الملك عضد الدولة ، فاتفق أن مضيتُ يوماً إلى أبي بكر ابن شاهويه[5] رسولِ القرامطة والمتوسط بين عضد الدولة وبينهم ، وكان له صديقاً ، ومعي أبو علي الهائم ، وجلسنا نتحدثُ ، وقعد أبو علي [على]

---

(1) نقله أيضاً محقق النشوار 4: 90 .

(2) النقل مستمر 4 : 93 .

(3) أبو بكر أحمد بن أبي موسى (تاريخ بغداد 5 : 65) والحسين بن محمد بن المحاملي (8 : 101) .

(4) ابن الأزرق : يوسف بن يعقوب بن اسحاق التنوخي (المنتظم 6: 325) .

(5) أبو بكر محمد بن علي بن شاهويه (انظر صفحات متفرقة من تجارب الأمم) .

باب خركاه[1] كنّا فيه ، وَقُدِّمَ إليه ما يأكله فقال : اجعل لي أيها القاضي في نفسك المقامَ في هذه الشتوة في هذا البلد ، فقلت : لم ؟ فقال : إن الملك مدبّر في القبض على الصاحب أبي القاسم ابن عباد ، وكان قد ورد إلى حضرته بهمذان ، وإذا كان كذلك تشاغل بما تتطاول معه الأيام . وانصرفت من عنده فقال أبو علي الهائم : قد سمعتُ ما كنتما فيه ، وهذا أمر ينبغي أن تطويه ولا تخرج به إلى أحدٍ ولا سيما إلى أبي الفضل ابن أبي أحمد الشيرازي ، فقلت : أفعل ، ونزلتُ إلى خيمتي ، وجاءني من كانت له عادةٌ جارية بملازمتي ومواصلتي ومواكلتي ومشاربتي ، وفيهم أبو الفضل ابن [أبي] أحمد الشيرازي ، فقال لي أيها القاضي : أنت مشغولُ القلبِ فما الذي حدث ؟ فاسترسلتُ على أُنْسٍ كان بيننا وقلت : أما علمتَ أن الملك مقيمٌ وقد عمل على كذا في أمر الصاحب ، وهذا دليلٌ على تطاول السنة ؟ فلم يتمالك أن انصرف واستدعى ركابياً من ركابيتي وقال له : أين كنتم اليوم ؟ فقال : عند أبي بكر ابن شاهويه ، قال : وما صنعتم ؟ قال : لا أدري إلا أن القاضي أطال عنده الجلوس ، وانصرف إلى خيمته عنه ولم يمض إلى غيره ، فكتب إلى عضد الدولة رقعةً يقولُ فيها : كنتُ عند القاضي أبي علي التنوخي فقال كذا وكذا ، وذكر أنه قد عرفه من حيثُ لا يَشُكّ فيه ، وعرفت أنه كان عند أبي بكر ابن شاهويه ، وربما كان لهذا الحديث أصل ، وإذا شاع الخبر به وأُظْهِرَ السرُّ فيه فسد ما دُبِّرَ في معناه ؛ فلما وقف عضد الدولة على الرقعة وجم وجوماً شديداً ، وقام من سماطٍ كان قد عمله في ذلك اليوم على منابتِ الزعفران للديلم مغيظاً ، واستدعاني وقال لي : بلغني أنك قلتَ كذا وكذا حاكياً عن أبي بكر ابن شاهويه فما الذي جرى بينكما في ذلك ؟ قلت : لم أقلْ من ذلك شيئاً ، فجمع بيني وبين أبي الفضل بن أبي أحمد ، وواقفني وأنكرته ، وراجعني وكذبته ، وأحضر أبو بكر ابن شاهويه وسئل عن الحكاية فقال : ما أعرفها ولا جرى بيني وبين القاضي قولٌ في معناها ، وثقل على أبي بكر هذه المواقفة ، وقال : ما نعامل الأضياف بهذه المعاملة ، وسئل أبو علي الهائم عما سمعه فقال : كنت خارجَ الخركاه ، وكنتُ مشغولاً بالأكل وما وقفت على ما كانا فيه ، فَمُدّ وَضُرِبَ مائتي

---

(1) الخركاه : الخيمة الكبيرة .

مقرعة ، وأقيم فنفض ثيابه[1] ، وخرج أبو عبد الله [ابن] سعدان[2] وكان لي محباً فقال لي : الملك يقولُ لك : ألم تكنْ صغيراً فكبّرناك ، ومتأخراً فقدّمناك ، وخاملاً فنبّهنا عليك ، ومقتراً فأحسنّا إليك ، فما بالك جحدتَ نعمتنا وسعيتَ في الفساد على دولتنا ؟ قلت : أما اصطناعُ الملك لي فأنا معترفٌ به ، وأما الفسادُ على دولته فما علمتُ أنني فعلته ، ومع ذلك فقد كنت مستوراً فهتكني ومتصوّناً ففضحني وأدخلني من الشرب والمنادمة بما قدح فيّ ، فقال أبو عبد الله : هذا قول لا أرى الاجابة به لئلا يتضاعفَ ما نحن محتاجون إلى الاعتذارِ والتخلص منه ، ولكنني أقول عنك كذا وكذا ، بجوابٍ لطيف ، فاعرفه حتى إن سئلتَ عنه وافقتني فيه ، وتركني وانصرف ، وجلستُ مكاني طويلاً وعندي أنني مقبوضٌ عليّ ، ثم حملتُ نفسي على أن أقومَ وأسبرَ الأمرَ ، وقمت وخرجت من الخيمة ، فدعا البوابون دابتي على العادة ، ورجعتُ إلى خيمتي منكسرَ النفس منكسفَ البال ، فصار الوقتُ الذي أُدْعَى فيه للخدمة ، فجاءني رسول ابن الحلاج على الرسم ، وحضرتُ المجلس ، فلم يرفع الملك إليّ طَرْفاً ولا لوى إليّ وجهاً ، ولم يزل الحال على ذلك خمسة وأربعين يوماً ، ثم استدعاني وهو في خركاه ، وبين يديه أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف ، وعلى رأسه أبو الثناء شكر الخادم ، فقال : ويلك اصدقني عما حكاه أبو الفضل ابن أبي أحمد ، فقلت : كذبٌ منه ، ولو ذكرتُ لمولانا ما يقوله لما أقاله العثرة ، فقال : أو من حقوقي عليكم أن تسيئوا غيبتي وتتشاغلوا بذكري ؟ فقلت : أما حقوقُ النعمةِ فظاهرة ، وأما حديثك فنحن نتفاوضه دائماً ، فالتفت إلى أبي القاسم وقال : اسمع ما يقول ، فقال له بالفارسية ـ وعنده أنني لا أعرفها ـ : هؤلاء البغداديون مفتونون ومفسدون ومتسوقون ، وقال شكر : [الأمر] كذلك ، إلا أن التسوقَ[3] على القاضي لا منه ، ثم قال لي عضد الدولة : عرِّفنا ما قاله أبو الفضل ، قلت : هو ما لا ينطلق لساني به ، فقال : هاته ، وكان يحب أن تعادَ الأحاديث والأقاويل على وجهها من غير كناية عنها ولا

---

(1) زاد في تجارب الأمم (3 : 20) وقال : أكثر الله خيركم ، واتصل ذلك بعضد الدولة فأمر بضربه مائة مقرعة أخرى .

(2) أبو عبد الله العارض الحسن بن أحمد بن سعدان الذي حدثه التوحيدي بليالي الامتاع والمؤانسة .

(3) التسوق : الخوض في الشائعات وأمور الباطل .

احتشام فيها ، فقلت : نعم انك عند وفاة والدك بشيراز أنفذتَ من كرمان وأخذتَ جاريته زرياب ، وإن الخادم المُخْرَجَ في ذاك وافى ليلةَ الشهر ، فاجتهدت به أن يتركها تلك الليلة لتوفي أيامَ الحقِّ فلم يفعلْ ولا رعى للماضي حقاً ولا حرمة ، فقال : والله لقد أنكرنا على الخادم إخراجَهُ إياها على هذا الاعجال ، ولو تركها يوماً وأياماً لجاز ، وبعد فهذا ذنبُ الخادم ولا عَمَلَ لنا فيه ولا عيبَ علينا به ، ثم ماذا ؟ قلت : قال إن مولانا يعشق كنجك المغنية ويتهالكُ في أمرها ، وربما نهض إلى الخلاءِ فاستدعاها إلى هناك وواقعها ، فقال : إنا لله ، لعنكما الله ولا بارك فيكما ، ثم ماذا ؟ فأوردتُ عليه أحاديثَ سمعتها من غير أبي الفضل ونسبتها إليه وقلت : لم أعلم أنني أقوم هذا المقام فأحفظ أقواله ، وقد ذكر أيضاً هذا الأستاذ ـ وأومأتُ إلى أبي القاسم وأبي الريان وجماعة الحواشي ـ فقال : ما قال في أبي القاسم ؟ قلت : قال إنه ابتاع من ورثة ابن بقية ناحيةَ الزاوية من راذان[1] بأربعة آلاف درهم بعد أن استأذنك استئذاناً سَلَكَ فيه سبيلَ السخرية والمغالطة ، واستغلَّها في سنة واحدة نيفاً على ثلاثين ألف درهم ، وانه أعطى فلاناً وفلاناً ثمانية آلاف درهم على ظاهر البضاعة والتجارة فأعطاه نيفاً وستين ألف درهم ، فمات أبو القاسم عند سماعه ذلك ، وأوردت ما أوردته منه مقابلةً على ما ذكرني به . قلت : وقال في أبي الريان كذا وكذا ، لأمورٍ ذكرتُها ، وحضرتُ آخر النهار المجلسَ في ذلك اليوم على رسمي ، فعاود التقريبَ لي والإقبالَ عليَّ ، واتفق أنه سكر في بعض الأيام وولع بكنجك ولعاً قال لي فيه : وهذا من حديث أبي الفضل ، وأشار إليه ، فقلق أبو الفضل وَقَرُبَ مني ، وكنتُ أقعد ويقومُ[2] وقال لي : ما الذي أومأ إليَّ الملك فيه ؟ قلت : لا أدري فسله أنتَ عنه ، ثم رحلنا عائدين إلى بغداد ، فرآني الملك في الطريق وعليّ ثيابٌ حسنة وتحتي بغلة بمركب وجناغ[3] جواد[4] فقال لي : من أين لك هذه البغلة ؟ قلت : حملني عليها الصاحبُ أبو القاسم بمركبها وجناغها ، وأعطاني عشرين قطعة ثياباً وسبعة آلاف درهم ، فقال : هـذا قليل لـك منه مـع ما

---

(1) راذان : كورة في سواد بغداد .

(2) أي كان التنوخي أثناء منادمة عضد الدولة ممن يسمح لهم بالجلوس ، فأما أبو الفضل فكان يظل واقفاً .

(3) جناغ : ثوب مرصع يلقى فوق السرج .

(4) غيرها الأستاذ الشالجي إلى « جداد » ، بمعنى جدد .

تستحقه عليه ، فعلمت أنه اتهمني به وبأن خرجت بذلك الحديث إليه وما كنت حدثته به ، ووردنا إلى بغداد فحكى لي أن الطائع للّه متجافٍ عن ابنته المنقولة إليه ، وأنه لم يقربها إلى تلك الغاية ، فثقل ذلك عليه وقال لي : تمضي إلى الخليفة وتقول له عن والدة الصبية إنها مستزيدة لإقبال مولانا عليها وإدنائه إياها ويعودُ الأمرُ إلى ما يستقيمُ به الحال ويزولُ معه الانقباضُ ، فقد كنتَ وسيطَ هذه المصاهرة ، فقلت : السمعُ والطاعة ، وعدتُ إلى داري لألبس ثيابَ دار الخلافة فاتفق أن زلقتُ ووثئتْ رجلي ، فأنفذتُ إلى الملك أعرفه عذري في تأخري عن أمره ، فلم يقبله ، وأنفذَ إليَّ من يستعلم خبري ، فرأى الرسولُ لي غلماناً رُوقةً وفرشاً جميلاً ، فعاد إليه وقال له : هو متعالل وليس بعليل ، وشاهدته على صورة كذا وكذا ، والناسُ يَغْشَوْنَهُ ويعودونه ، فاغتاظ غيظاً مجدداً حرَّكَ ما في نفسه مني أولاً ، فراسلني بأن ألزمْ بيتك ولا تخرجْ عنه ولا تأذنْ لأحد في الدخول عليك فيه ، إلا نفر من أصدقائي استأذنت فيهم فاستثني بهم . ومضت الأيام ، وأنفذ إليَّ أبو الريان فطالبني بعشرة آلاف درهم وكنت استسلفتها من إقطاعي فأديتها إليه ، واستمر على السخط والصرف عن الأعمال إلى حين وفاة عضد الدولة .

وذكر غرس النعمة بن هلال ، حدثني بعض السادة الأصدقاء وأنسيته وأظنه أبا طاهر محمد بن محمد الكرخي قال : كانت بنت عضد الدولة لما زُفَّتْ إلى الطائع بقيت بحالها لا يقربها خوفاً أن تحملَ منه فتستولي الديلمُ على الخلافة ، وكان الطائع يحبّها حباً شديداً زائداً موفياً ، ويقفلُ عليها بابَ حجرتها إذا شرب ، ويقول للخدم : خذوا المفتاح ولا تعطونيه إذا سكرتُ ورمتُ الدخولَ اليها ولو فعلتُ مهما فعلت ، فاقسمُ باللّه لئن مُكِّنْتُ من ذلك لأقتلنَّ الذي يمكّنني منه ، فإذا سكر منعه السكرُ من التماسك ، وحمله الحبُّ والهوى على المضي إليها والدخول عليها ، فيجيء إلى بابها ويأمرُ بفتحه ويتهدّد ويتوعّدُ ولا يُقْبَلُ منه ولا يُقِرُّ له أحدٌ بمعرفة المفتاح أين هو ولا من هو معه إلى أن ينصرفَ أو ينام ، فذاك كان دأبه ودأبها . وتقدم عضد الدولة إلى أبي علي التنوخي في أواخر أيامه بأن يمضي إلى الطائع ويطارحه عن والدة الصبية في المعنى بما يستزيده فيه لها ويبعثه به عليها بأسباب يتوصّل إليها وأقوالٍ يصفها ويومىء إلى الغرض فيها رتّبها عضد الدولة ولقّنه إياها وفهّمه ، فقال : السمع والطاعة ،

ومضى إلى بيته ولم يَقْدُمْ على الطائع ، وخاف عضدَ الدولة إن خالف ما رسمه له ، فأظهر مرضاً وعاده أصدقاؤه منه ، واعتذر به إلى عضد الدولة ، فوقع لعضد الدولة باطنُ الأمر وأمر بعضَ الخدم الخواصّ بالمضي إلى التنوخي لعيادته وتعرُّفِ خبره وأن يخرجَ من عنده ويركبَ إلى أن يخرج من الدرب ثم يعود فيدخل عليه هاجماً ، فإن كان على حاله في فراشه لم يتغير له أمرٌ أعطاه مائتي دينار أصحبه إياها لنفسه وأظهر أنه عاد لأجلها لأنه أنسيها معه ، وإن وجده قاعداً أو قائماً عن الفراش قال له : الملكُ يقولُ لك لا تخرجْ عن دارك إلينا ولا إلى غيرنا وانصرف . قال الخادم : فدخلتُ إليه وهو في فراشه وعليه دثاره وخاطبته عن الملك ، فشكر وأعاد جواباً ضعيفاً لم أكد أفهمه ، وخرجت ثم عدتُ على ما رسم الملك ، فهجمتُ عليه فوجدته قائماً يمشي حول البستان ، فلما رآني اضطرب وتحير فقلت له : الملكُ يقول لك لا تبرحْ دارك لا إلينا ولا إلى غيرنا ، وخرجتُ ، فبقي على ذلك إلى أن مات عضد الدولة .

ـ 941 ـ

محمد بن آدم بن كمال أبو المظفر الهروي: ذكره عبد الغافر بن اسماعيل الفارسي في « السياق » وقال : مات بغتة سنة أربع عشرة وأربعمائة ، ودفن بمقبرة الحسين ، وقبره ظاهر بقرب قبر أبي العباس السراج . ووصفه فقال : الأستاذ الكامل الامام في الأدب والمعالي ، المبرز على أقرانه وعلى من تقدمه من الأئمة باستخراج المعاني وشرح الأبيات ، وله أمثال وغرائب التفسير بحيث يُضْرَبُ به المثل ، ومن تأمل فوائده في كتاب شرح الحماسة وكتاب شرح الاصلاح وكتاب شرح أمثال أبي عبيد وكتاب شرح ديوان أبي الطيب وغيرها اعترف له بالفضل والانفراد . وتتلمذ للأستاذ أبي بكر الخوارزمي الطبري ، وتفقه على القاضي أبي الهيثم ثم جدد الفقه على القاضي أبي العلاء صاعد ، وكان يقعد للتدريس في النحو وشرح الدواوين والتفسير وغير ذلك ، فأما الحديث فما أعلم أنه نُقِلَ عنه منه شيء لاشتغاله بما سواه لا لعدم السماع له .

941 ـ ترجمته في الوافي 1 : 333 والسياق (المنتخب 2 الورقة : 12) وبغية الوعاة 1 : 7 .

ـ 942 ـ

محمد بن أبان بن سيد بن أبان اللخمي ، أبو عبد الله القرطبي : كان عالماً باللغة والعربية حافظاً للأخبار والآثار والأيام والمشاهد والتواريخ أخذ عن أبي علي البغدادي وعن غيره ، ولي أحكام الشرطة وكان مكيناً عند المستنصر وألف له الكتب وكتب عنه ، وتوفي سنة أربع وخمسين وثلاثمائة .

ـ 943 ـ

محمد بن ابراهيم بن حبيب بن سمرة بن جندب بن هلال بن جريج بن مسرة بن حزن بن عمرو بن جابر بن ذي الرأسين ، واسمه خشين ، بن لأي بن عصيم بن شمخ بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، أبو عبد الله الفزاري : ولسمرة بن جندب صحبة بالنبي ﷺ ، وكان عبيد الله بن زياد يستعمله على شُرَطِ البصرة إذا قدم الكوفة ، وكان الفزاريّ هذا نحوياً ضابطاً جيدَ الخطّ ، أخذ عن المازني ، وحُكِيَ عنه أنه قال : قرأت « كتاب الأمثال » للأصمعي على الأصمعي ، ومن زعم أنه قرأه عليه غيري[1] فقد كذب .

قال المرزباني : كان محمد بن إبراهيم الفزاري الكوفي عالماً بالنجوم ، وهو الذي يقول فيه يحيى بن خالد البرمكي : أربعة لم يدرك مثلهم في فنونهم الخليل بن أحمد وابن المقفع وأبو حنيفة والفزاري .

---

942 ـ ترجمته في جذوة المقتبس: 381 (ابن سيد) وبغية الملتمس رقم: 1563 وفي الجذوة: 110 ترجمة لأحمد بن أبان بن سيد وكذلك في الصلة: 14 وبهذا الاسم ذكره ابن حزم انظر رسائله 2: 182 والوافي 1: 334 وبغية الوعاة 1: 7 (إلا أن وفاة أحمد كانت سنة 382 فلعلهما أخوان) .

943 ـ ترجمته في إنباه الرواة 3: 63 وتاريخ الحكماء: 177 والفهرست: 188 والوافي 1: 336 وبغية الوعاة 1: 9 وانظر سيزكين 6: 122 ـ 124 .

(1) م : غيره .

وقال جعفر بن يحيى : لم ير أبدع في فنه من الكسائي في النحو ، والأصمعي في الشعر ، والفزاري في النجوم ، وزلزل في ضرب العود.

وللفزاري القصيدة التي تقوم مقام زيجات المنجمين ، وهي مزدوجةٌ طويلةٌ تدخلُ مع تفسيرها [في] عشرة أجلاد أولها :

الحمـدُ للّهِ العليِّ الأعظمِ ... ذي الفضلِ والمجدِ الكبيرِ الأكرمِ

الواحدِ الفردِ الجواد المنعم

الخالقِ السبعِ العلى طباقا ... والشمسُ يجلو ضوؤها الأغساقا

والبدر يملا نوره الآفاقا

وهي هكذا ثلاثة أقفال ، ثلاثة أقفال .

ـ 944 ـ

محمد بن ابراهيم العوامي : قال ابن إسحاق : يعرف بالقاضي ، وكان صديقي ، وتوفي بعد الخمسين والثلاثمائة ، وله كتاب الاصلاح والايضاح في النحو .

ـ 945 ـ

محمد بن إبراهيم بن عمران بن موسى الجوزي الأديب، أبو بكر النحوي : من جوز فارس ، وكان من الأدباء المنقِّرين ، علامةٌ في معرفة الأنساب وعلوم القرآن ، نزل نيسابور مدةً وكثر الانتفاعُ به ، وسمع حماد بن مدرك وجعفر بن درستويه الفارسيين وأبا بكر محمد بن دريد وأقرانهم . قال الحاكم : وجاءنا نعيه من فارس سنة أربع وخمسين وثلاثمائة .

---

944 ـ ترجمة العوامي في إنباه الرواة 3 : 65 والفهرست: 94 وبغية الوعاة 1 : 17 .

945 ـ ترجمته في الوافي 2 : 7 وبغية الوعاة 1 : 24 .

ـ 946 ـ

محمد بن إبراهيم بن عبد الله ، أبو سعيد الأديب الرجل الصالح : درس الأدب على أبي حامد الخارزنجي ، وسمع أبا العباس ابن يعقوب وأبا بكر القطان وأبا عثمان البصري وَخُرِّجَتْ له الفوائدُ وحدَّث . ومات يوم الجمعة النصف من جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين وثلاثمائة ، ذكر ذلك كله الحاكم في « كتاب نيسابور » .

ـ 947 ـ

محمد بن إبراهيم بن الحسين بن محمد بن دادا الجرباذقاني ، أبو جعفر : ذكره أحمد بن صالح بن شافع في « تاريخه »[1] وقال : مات في حادي عشري ذي الحجة سنة تسع وأربعين وخمسمائة ، ووصفه فقال : رفيقنا الفقيه المحدث النحوي الأديب اللغوي الفرضي الكاتب العفيف ذو المواتّ والخصائص ، ولما مات صلّى عليه شيخنا أبو الفضل ابن ناصر ودفن في تربة استجدَّها أبو النجيب بظاهر التوثة ، وكنا نسمع معاً ، ولم أر له مثلاً زهداً وعلماً ونبلاً ، وصل الى بغداد سنة أربعين وخمسمائة واصطحبنا ، وكان متيقظاً زاهداً ورعاً ، وصنَّفَ كتباً في الفرائض وغيرها ، وكان شافعيَّ المذهب ، ولو عاش لكان صدر الآفاق ، ولقد فَتَّ في عضدي فقدُهُ وأثَّرَ عندي بُعدُه ، فعند الله نحتسبُ مصيبتنا فيه .

ـ 948 ـ

محمد بن ابراهيم بن خلف اللخمي الأديب أبو عبد الله، يعرف بابن

946 ـ ترجمته في بغية الوعاة 1 : 10 .

947 ـ سير الذهبي 20 : 251 (وأورد بعض ما قاله ابن شافع فيه) والوافي 1 : 347 وبغية الوعاة 1 : 10 والشذرات 4 : 154 .

948 ـ ترجمة ابن زروقة في إنباه الرواة 3 : 62 والوافي 1 : 356 وينقل المؤلف عن الصلة لابن بشكوال : 498 (وفيه ابن زرقة) .

(1) ترجمته في سير الذهبي 20 : 572 (وفي الحاشية تخريج كثير) وقال الذهبي : « علق تاريخاً على السنين ما بيَّضه » وتاريخه ذيل على تاريخ الخطيب إلى ما بعد 560 فذكر الحوادث والوفيات .

زروقة : قال ابن بشكوال : كان من أهل الأدب معتنياً بطلبه قديماً مشهوراً فيه وممن يقول الشعر الحسن . له تأليفان[1] في الأدب والأخبار ، قال ابن خزرج : قرأتهما عليه . ومن شيوخه أبو نصر النحوي وابن أبي الحباب وغيرهما ، وتوفي في حدود سنة خمس وثلاثين وأربعمائة وهو ابن سبع وستين سنة .

ـ 949 ـ

محمد بن إبراهيم بن أحمد البيهقي ، أبو سعيد : قال عبد الغافر : هو رجل فاضل متدين حسن العقيدة صنف في اللغة كتباً منها : كتاب الهداية . كتاب الغيبة . وكان ماهراً في ذلك النوع ، سمع الحديث من مشايخ نيسابور كالامام شيخ الاسلام الصابوني والامام ناصر المروزي .

ـ 950 ـ

محمد بن إبراهيم بن داود بن سليمان، أبو جعفر الأردستاني (وأردستان من نواحي أصبهان ، بليدة) : أديب فاضل ، حدث عن أحمد بن عبد الله النهرديري وأحمد بن محمد بن العباس الاسفاطي البصري ، وكتب عنه أحمد بن محمد الحداد[2] وغيره بأصفهان ، ذكره يحيى بن منده وقال : مات في ذي القعدة سنة خمس عشرة وأربعمائة .

ـ 951 ـ

محمد بن أحمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن

949 ـ ينقل ياقوت عن عبد الغافر الفارسي ولم أجد للبيهقي ترجمة في المنتخب .

950 ـ معجم البلدان (أردستان) .

951 ـ ترجمة أبي العبر (محمد بن احمد أو احمد بن محمد) في الوافي 2 : 41 والزركشي : 266 وتاريخ بغداد 5 : 40 وأشعار أولاد الخلفاء : 323 والأغاني 23 : 76 وطبقات ابن المعتز : 342 والفهرست : 169 والفوات 3 : 298 وتاج العروس (عبر) وقد عقد له الآبي في الكتاب السابع من « نثر الدر » باباً في نوادره .

(1) إنباه : تأليفات .

(2) معجم البلدان : الجرّاد .

العباس بن عبد المطلب الهاشمي: وقال المرزباني: هو أحمد بن محمد قتل في سنة خمسين ومائتين، في خلافة المستعين بالله، وكنيته أبو العباس، ويلقب بأبي العِبَر.

قال جحظة: لم أرَ قطُّ أحفظَ منه لكلِّ عين ولا أجود شعراً، ولم يكن في الدنيا صناعة إلّا وهو يعملها بيده حتى لقد رأيته يعجن ويخبز، وكان أبوه أحمد يلقب بالحامض، وكان حافظاً أديباً في نهاية التسنن، قتل بقصر ابن هبيرة وقد خرج لأخْذِ أرزاقه من هناك، سمعه قوم من الشيعة ينتقصُ عليّاً عليه السلام فرموا به من فوق سطح كان بائتاً عليه فمات في السنة المقدَّم ذكرها.

وذكره أبو الفرج الأصبهاني في «كتاب الأغاني» فقال: كان أبوه أحمد يلقب حمدون الحامض، ولد لمضي خمس سنين من خلافة الرشيد، والرشيد بويع في سنة سبعين ومائة، وعاش إلى أيام المستعين باللّه. وكان في أول أمره يسلك في شعره الجد ثم عدل الى الهزل والحماقة فنفق بذلك نفاقاً كثيراً وجمع به ما لم يجمعه أحدٌ من شعراء عصره المجيدين، ومن سائر شعره قوله:

بأبي من زارني مكتئباً   خائفاً من كل حسٍّ جَزِعا
رصد الخلوةَ حتى أمكنت   ورعَى السامرَ حتى هجعا
قمرٌ نَمَّ عليه حسنُهُ   كيف يُخفي الليلُ بدراً طلعا
ركبَ الأهوالَ في زورته   ثم ما سلَّم حتى ودعا

قال محمد بن إسحاق: وله من الكتب: كتاب جامع الحماقات وحاوي الرقاعات. كتاب المنادمة وأخلاق الرؤساء[1].

حدث أبو علي الحسين بن أحمد البيهقي السلامي، حدثني أبو أحمد الهذلي، قال حدثنا أبو عبد اللّه الشعيري، وكان شاعراً من أهل بغداد قال: اجتمعتُ مع جماعة من الشعراء في مجلسٍ نتناظر ونتناشد ونتساءل ونعدُّ شعراء زماننا فمر بنا أبو العبرطر[2] فقلنا: هذا أيضاً يعدُّ نفسه في الشعراء، فمال إلينا وقال: واللّه أشعرُ منكم

(1) ذكر له أيضاً: كتاب الرسائل. كتاب نوادره وأماليه. كتاب اخباره وشعره.
(2) كان يزيد في كنيته كل سنة حرفاً حتى أصبحت: أبو العبر طرد طيل طليري بك بك بك.

وأعلم ، فقلنا : قد اختلفنا في بيت فاشتبه علينا فهل نسألك عنه ؟ فقال : نعم ، فسألناه عن معنى هذا البيت :

عافتِ الماءَ في الشتاءِ فقلنا　　بَرِّديه تصادفيه سخينا

كيف تصادفه سخيناً إذا بردته ؟ فقال : أَخَفِيَ عليكم ؟ قلنا : نعم ، فقال : هو ليس من التبريد ، وإنما هو حرف مدغم ومعناه بل رِديه من الورود فأدغموا اللام في الراء كما قال الله تعالى : ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ (المطففين/14) وقوله : ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ (القيامة/28) قال : فاستحسنا ما فسَّره وأقررنا له بالفضل ، فقال : إني أسألكم بيتاً كما سألتموني ، أما ترون الى قول دغفل :

إنَّ على سائلنا أن نسألَهْ　　والعبءُ لا تعرفُهُ أو تحملَهْ

فقلنا : سل ، فقال : ما معنى قول القائل :

يا من رأى رجلاً واقفاً　　أحرقَهُ الحرُّ من البردِ

كيف يحرقه الحرّ من البرد ؟ قال : فاضطربنا في معناه فلم نخرجه ، فسألناه عنه ، فقال : هذا قولي ، وذلك أنني مررتُ بحدَّادٍ يبردُ حديداً ، فمسستُ تلك البرادةَ فأحرقت يدي ، وإنما البردُ مصدر بَرَدَ الحديدَ برداً وليس هو من الشيء البارد ، قال : فأقررنا بفضل معرفته ، فأنشأ يقول :

أقر الشعراءُ أني　　ومروا في الحرمرمْ
انهم عندي جميعاً　　. . . . . الغنمنمْ
فقطعتُ الرأس منهم　　ثم جلد القَدَدَمْدَمْ
فعملنا منه طبلاً　　من طبول الخَدَدَمْدَم
فضربنا به دمدم　　ثم دمدم ثم دمدم
عجباً يا قومُ مني　　كيف معكم كالململم

وقال المرزباني : أبو العبر أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب . وقال محمد بن داود : اسمه محمد بن أحمد ، وهو حمدون ، بن عبد الله بن عبد الصمد ، يكنى أبا العباس ، صاحب

الشعر الأحمق والكلام المختلق ، وهو أبرد الناس غير مدافع ، وربما قال شعراً صالحاً ، وهو القائل وأنشدناه الأخفش :

لو يكونُ الهوى بجسمٍ من الصخـــرِ على أنَّ فيه قلبَ حديدِ
فعلَ الحبُّ فيهما مثلَ ما يفـــعلُ شَعْرُ اللحى بوردِ الخدود

وله ورواه أبو الحسن علي بن العباس الرومي :

لو كنتَ من شيء خلافك لم تكنْ لتكونَ إلا مشجباً في مشجبِ
لو أن لي من جلدِ وجهك رقعةً لجعلتُ منها حافراً للأشهب

قال : وكان يظهر الميل على العلويين والهجاء لهم ، وجرت منيّته على يد رجل من أهل الكوفة من رماة الجلاهق ، وخرج معه من بغداد إلى آجام الكوفة للرمي ، فسمع الرامي منه كلاماً استحلَّ به دمه فقتله .

وهو القائل لموسى بن عبد الملك وكان دفع إليه توقيعاً بصلةٍ من المتوكل فدافعه موسى وماطله مدة ، فوقف له يوماً فلما ركب أنشده :

حتى متى نتبردْ وكم وكم أتردّدْ
موسى أدر لي كتابي بحقِّ ربك الاسودْ

يعني محمد بن علي بن موسى بن جعفر الصادق ، وكان محمد من أمة سوداء فنحلته سوادها ، فجزع موسى بن عبد الملك من قوله وسأله كَتْمَ الحالِ وقضى شغله .

وقال جحظة : اجتمعت أنا وجماعة من إخواننا مع أبي العبر في براح أراد أن يبنيه داراً ، فأقبلنا نقدّر البيوتَ وأين مواقعها ، فبينا نحن كذلك إذ ضرط بعض من كان معنا ، فقال أبو العبر : مهما شككنا فيه فما نشكّ أنَّ هذا الموضعَ الكنيف .

ـ 952 ـ

محمد بن أحمد بن محمد المغربي أبو الحسن راوية المتنبي : أحد الأئمة الأدباء والأعيان الشعراء ، خدم سيف الدولة ولقي المتنبي وصنف تصانيف حسنة ، وله

952 ـ ترجمة المغربي راوية المتنبي في الوافي 2 : 68 .

ذكر في مصر والعراق والجبل وما وراء النهر والشاش ، وجالس الصاحب ابن عباد ولقي أبا الفرج الأصبهاني وروى عنه وله معه أخبار .

ومن تصانيفه التي شاهدتها : كتاب الانتصار المنبي عن فضائل المتنبي . كتاب النبيه المنبي عن رذائل المتنبي . كتاب تحفة الكتّاب في الرسائل (مبوب) . كتاب تذكرة النديم (مجموع حسن جيد ممتع) . كتاب الرسالة الممتعة . وغير ذلك من الرسائل والكتب . كتاب بقية الانتصار المكثر للاختصار .

قال : وأخذت قول المتنبي[1] :

كفى بجسمي نحولاً أنني رجلٌ ... لولا مخاطبتي إياكَ لم ترني

فزدتُ عليه فلم أدع لغيري فيه زيادة وقلت من قصيدة :

عُدِمْتُ من النحولِ فلا بلمسٍ ... يكيّفني الوجودُ ولا عيانِ

ولولا أنني أذكى البرايا ... لكنتُ خفيتُ عنّي لا أراني

قال : واختفائي عني أبدع من اختفائي عن غيري وأبلغ في المعنى .

وله إلى بعض جلة الكتاب يستهديه عمامة :

أريدُ عمامةً حسناءَ عنها ... أعمّمك الجميلَ من الثناءِ

فوجّهْها وقد نَبُلَتْ [وَجَلَّت] ... بلبسك في صباحٍ أم مساء

معافىً نَشْرُها من كلِّ عابٍ ... يولد لونَهُ أيدي العناء

أدقُّ من الذكاء إذا اجتلتها ... على مَهَلٍ لواحظُ ذي ذكاء

وأضوى لحمةً وسدًى ولوناً ... من الشمس المنيرةِ في ضحاء

لو الغرقيءُ قاربها لأربتْ ... عليه في الصفاقةِ والصفاء

لبمٍّ[2] أو لنيسابور تُعْزَى ... فتصلحُ للمصيفِ وللشتاء

كعرضك إنه عرضٌ نقيٌّ ... عن الأدناس جمعاً في غطاء

تتوّجني بهاءً منه أكسى ... مدى لبسي لها حللَ البهاء

---

(1) ديوان المتنبي : 2 .

(2) بم : من أعيان مدن كرمان ، وتشتهر بالحياكة .

إذا ما مستُ فيها معجباً لا أفكّر مَنْ أمامي أو ورائي
يقول المبصروها أيّ تاجٍ به أصبحتَ فينا ذا رواء
وتعلم أن قول العرب حقٌّ بلا كذبٍ يدومُ ولا افتراء
عمائمنا لنا تيجانُ فخرٍ سناها قد أضيفَ إلى سناء

قرأت في « كتاب مذاكرة النديم » من تصنيف محمد بن أحمد المغربي هذا : قلت أصفُ رغيفاً أمرني بوصفه الصاحب الجليل أبو القاسم إسماعيل بن عباد وأنا معه على مائدته ، واقترحَ أن يكونَ وصفي له ارتجالاً فقلت :

ورغيفٍ كأنه الترسُ يحكي حمرةَ الشمس بالغدوّ احمرارُهْ
خفتُ أن يكتسي نهار مآقيّ به الليل مذ تبدّى نهاره
جَمَعَتْهُ أناملي ثم خلّته فسيّان طيُّهُ وانتشاره
لم تقعْ منه قطعةٌ لا ولا با ن للحظٍ شقيقُهُ وانكساره
ناعمٌ ليّنٌ كمبسم من قا م بعذري عند البرايا عذاره
لستُ أنسى به تنعُّمَ ضرسي إذ لجوعي وَهْجٌ توقّدُ ناره
كان أحظى إذ ذاك عندي من الوفْـ ـر إذا قرَّ في محلي قراره
يعلمُ اللّه أنني لستُ أنسا ه وإن شطَّ عن مزاري مزاره

فاستحسن الأبيات وتعجب من سرعة خاطري بها ثم قال لي مُداعباً نفاسة أخلاقٍ فيه : خُذْهُ صلةً لك ، فأخذته وتركته على رأسي إلى أن قمنا عن المائدة ، ثم خرجتُ مارًّا إلى منزلي ، وكنت أنزل بعيداً من منزله ، فعرف خروجي على تلك الحال فقال : ردّوه ، فرجعتُ فقال لي : عزمتَ أن تشقّ الأسواق والشوارعَ وهذا على رأسك ؟ فقلت : نعم لأسألَ فأقول : هذا صلة مولانا وأذكر الأبيات ، فضحك ثم قال : بعناه ، فقلت : قد بعته من مولانا بخمسمائة دينار ، فقال : أنقصنا واجعلها دراهم ، فقلت : قد فعلت ، فأمر لي بخمسمائة درهم وخلعة من ثياب جسده .

وقال في هذا الكتاب : ولي في وصف مَضيرةٍ وصفتها وأنا على مائدة أبي عبد الله ابن جيهان وزير صاحب خراسان :

نعم الغذاءُ إذا ما أينعَ العُشُبُ ... وراقتِ العينَ أبرادٌ له قُشُبُ

مضيرةٌ كاللجين السبك يُحْكِمُها ... معقودةً مصطفىً للطبخ منتخب

تخالها أرضَ بلُّورٍ وما حملتْ ... من الدسومةِ نقشاً حشوُهُ ذهب

أبْذَنْجُهَا أُكَرٌ سودٌ ملبَّسةٌ ... قباطياً عن قريبٍ سوف تُسْتَلَبُ[1]

ولحمها خُلَلٌ للزهرِ قد جُعِلَتْ ... من أبيض الثلج فيما بينها حُجُبُ

توافقُ الشيخَ والكهلَ اللذين هما ... من الرطوبةِ في حالٍ هي العطب

وللأبازير نفحٌ من دواخلها ... كالمسكِ لا بل إليها المسكُ ينتسب

يا حُسْنَهَا وهي بالأيدي تقادُ[2] بلا ... جُرْمٍ أتته وبالألحاظِ تُنْتَهَبُ

من حالفته فقد جلّتْ مواهبه ... ونال من دهره أضعافَ ما يجب

ـ 953 ـ

محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى الوشّاء أبو الطيب النحوي : من أهل الأدب حسن التصنيف مليح التأليف أخباريّ .

قال أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي في « تاريخه » : مات أبو الطيب الوشاء سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وله ابن يعرف بابن الوشاء ؛ حدث الوشاء عن أحمد بن عبيد بن ناصح والحارث بن [أبي] أسامة وثعلب والمبرد .

قال الخطيب : روت عنه منية جارية خلافة[3] أم ولد المعتمد .

قال ابن النديم : وكان نحوياً معلماً لمكتب العامة وكان يعرف بالأعرابي . وله من الكتب : كتاب مختصر في النحو . كتاب الجامع في النحو . كتاب في المقصور والممدود . كتاب المذكر والمؤنث . كتاب الفرق . كتاب خلق الانسان . كتاب خلق

953 ـ ترجمة الوشاء النحوي في الفهرست: 93 وتاريخ بغداد 1 : 253 والمنتظم 6 : 290 وإنباه الرواة 3 : 61 والوافي 2 : 32 ونزهة الألباء: 207 والبداية والنهاية 1 : 187 وبغية الوعاة 1 : 53 .

(1) م : تستكب .

(2) م : تغار .

(3) خلافة : كذا عند الخطيب (ولعلها : خلاّبة) .

الفرس . كتاب المثلث . كتاب أخبار صاحب الزنج . كتاب الزاهر في الأنوار والزهر[1] . كتاب السلوان . كتاب المُذْهَب . كتاب الموشح . كتاب سلسلة الذهب . كتاب أخبار المتظرفات . كتاب الحنين إلى الأوطان . كتاب حدود الطرف الكبير[2] . كتاب الموشّى[3] .

نقلت من خط أبي عمرو محمد بن أحمد النوقاتي أنشدني الشافعي أحمد بن محمد أنشدني أحمد بن محمد بن حفص ، أنشدني أبو الطيب الوشاء لنفسه :

لا صبرَ لي عنكَ سوى أنني   أرضى من الدهرِ بما يُقْدَرُ
من كان ذا صبرٍ فلا صبرَ لي   مثليَ عن مثلك لا يصبرُ

ومن خطّه وإسناده للوشاء :

يا مَنْ يقومُ مقامَ الروح في الجسدِ   لا تحسبنّي خليَّ البالِ من سُهُدِ
حاشاك من أرَقي حاشاك من قَلَقي   حاشاك من طولِ ما ألقى من الكمدِ
حُزْني عليك جَديدٌ لا نفادَ له   أوهى فؤادي وأوهى عُقْدَةَ الجلدِ
والصبرُ عنك قليلٌ مضرمٌ قلقاً   بين الضلوعِ كصبرِ الأُم عن ولدِ

ـ 954 ـ

محمد بن أحمد بن الحسين بن الأصبغ بن الحرون: ذكره محمد بن إسحاق النديم فقال : هو عالم فاضل[4] حسن التصنيف مليح التأليف كثير الأدب واسع الرواية[5] من أهل بغداد ومن أولاد الكتاب ، وله من الكتب : كتاب المطابق

954 ـ الفهرست: 165 .

(1) الانباه : كتاب الزاهر والأزهار .

(2) الانباه : كتاب الطب الكبير (ولعلها : الظرف) .

(3) طبع هذا الكتاب أول مرة بتحقيق رودلف برونه (ليدن 1886) ثم طبعه الخانجي بمصر بعنوان « الظرف والظرفاء » وأصدرته مكتبة الخانجي في طبعة ثانية (1953) بتحقيق كمال مصطفى .

(4) هو عالم فاضل : لم ترد في الفهرست .

(5) الفهرست : حسن التأليف والتصنيف مليح الأدب (هل هذا يعني أن ياقوتاً كان يملك من الفهرست نسخة مختلفة عما لدينا ؟) .

والمجانس . كتاب الحقائق كبير . كتاب الشعر والشعراء . كتاب الآداب . كتاب الرياض . كتاب الكتاب . كتاب المحاسن . كتاب مجالسة الرؤساء .

- 955 -

محمد بن أحمد بن مروان بن سبرة أبو مسهر النحوي : ذكره محمد بن اسحاق النديم ثم قال : وله من الكتب : كتاب الجامع في النحو . كتاب المختصر . كتاب أخبار أبي عيينة محمد بن أبي عيينة .

- 956 -

محمد بن أحمد المزني أبو الحسن وزيرُ نوح بن منصور الساماني : أحدُ أصحابِ البلاغةِ والرسائل ، شاع ذكرها في الآفاق ، وتناجَتْ بحسنها الرفاق .

- 957 -

محمد بن أحمد بن عبد الحميد الكاتب : ذكره محمد بن إسحاق النديم فقال : هو من أهل السير ، وله من الكتب : كتاب أخبار خلفاء بني العباس ، كبير .

- 958 -

محمد بن أحمد بن إبراهيم بن قريش الحكيمي أبو عبد الله : روى عن يموت بن المزرع ومحمد بن إسحاق الصاغاني وأحمد بن عبيد بن ناصح والحارث بن أبي أسامة ، روى عنه أبو عبد الله المرزباني وغيره .

ذكره محمد بن إسحاق النديم وقال : له من الكتب : كتاب حلية الأدباء يشتمل

955 - الفهرست : 93 وبغية الوعاة 1 : 47 .

956 - توفي نوح بن منصور سنة 387 وهذا يقرّب معرفة زمن المزني .

957 - الفهرست : 120 وكنيته أبو الفضل .

958 - ترجمة الحكيمي في الفهرست : 168 والوافي 2 : 40 ونشوار المحاضرة 8 : 10 - 11 .

على أخبار ومحاسن وأشعار . كتاب سفط الجوهر . كتاب الشباب . كتاب الفكاهة والدعابة .

حدث أبو علي قال حدثني ابن أبي قيراط قال أقرأني أبو عبد الله محمد بن أحمد الحكيمي كتاباً بخطّ علي بن عيسى الوزير ، وأخبرني أنه كتبه إليه في وزارته الأخيرة وهو يتقلد له طساسيج طريقِ خراسان يحثُّه فيه على حَمْلِ المال وضمَّنه :

قد كنتَ أكرمك الله بعيداً عن التقصير ، غنيّاً عن التنبيه والتبصير ، راغباً فيما خصَّك بالجمال ، وقدَّمك على نُظَرائك من العمال . واتصلتْ بك ثقتي ، وانصرفتْ إليك عنايتي ، ووردتُ الجليلَ من العمل إليك ، واعتمدتُ في المهمّ عليك ، ثم وضح لي من أثرك ، وصحَّ عندي من خبرك ، ما اقتضى استزادتك ، وَرَدَفَهُ ما استدعى استبطاءَكَ ولائمتك ، وأنت تعرفُ صورةَ الحال ، وتطلّعي مع شدة الضرورة إلى ورودِ المال ، وكان يجب أن تبعثك العناية ، على الجدّ في الجباية ، حتى تدرَّ حمولك وتتوفر ، ويتَّصِلَ ما يُتَوَقَّعُ ورودُهُ من جهتك ولا يتأخر . فنشدتك لما تجنبتَ مذاهبَ الإغفال والإهمال ، وقرنتُ الجوابَ عن كتابي هذا بمالٍ تثيره من سائر جهاته وتحصّله وتبادر به وتحمله ، فإن العين إليه ممدودة ، والساعات لوروده معدودة ، والعذرُ في تأخيره ضيّق ، وأنا عليك من سوء العاقبة مشفق ، والسلام .

ـ 959 ـ

محمد بن أحمد بن إبراهيم بن كيسان ، أبو الحسن النحوي ، وكيسان لقب واسمه إبراهيم : مات فيما ذكره الخطيب لثماني خلون من ذي القعدة سنة مائتين وتسع وتسعين في خلافة المقتدر .

قال أبو بكر الزبيدي : وليس هذا بالقديم الذي له في العروض والمعمَّى كتاب .

959 ـ ترجمة ابن كيسان في طبقات الزبيدي: 153 والفهرست: 89 ومراتب النحويين: 88 وتاريخ أبي المحاسن: 51 والمنتظم 6: 114 ونزهة الألباء: 162 وتاريخ بغداد 1: 335 وإنباه الرواة 3: 57 والبداية والنهاية 11: 117 ومرآة الجنان 2: 236 والوافي 2: 31 والشذرات 2: 232 والنجوم الزاهرة 3: 178 وبغية الوعاة 1: 18 وانظر نور القبس: 327 .

وقال الخطيب : [ذكر] ابن برهان أنَّ كيسان ليس باسم جده إنما هو لقب أبيه ؛ وكان يحفظ المذهبين الكوفي والبصري في النحو لأنه أخذ عن المبرد وثعلب ، وكان أبو بكر ابن مجاهد يقول: أبو الحسن ابن كيسان أنحى من الشيخين، يعني المبردَ وثعلباً.

قال المؤلف : وكان كما قال يعرف المذهبين إلا انه كان إلى البصريين أميل .

وحدث أبو الطيب اللغوي في « كتاب مراتب النحويين » قال : كان ابن كيسان يسألُ المبردَ عن مسائل فيجيبه ، فيعارضها بقول الكوفيين فيقول : في هذا على من يقوله كذا ويلزمه كذا ، فإذا رضي قال له : قد بقي عليك شيء ، لم لا تقول كذا ؟ فقال له يوماً وقد لزم قولاً للكوفيين ولجَّ فيه : أنت كما قال جرير[1] :

أسليكِ عن زيد لِتَسْلَيْ وقد أُرَى[2] بعينيكِ من زيدٍ قذىً غيرَ بارحِ

إذا ذكرتْ زيداً ترقرقَ دمعها بمذروفةِ العينين شوساءَ طامحِ[3]

تبكّي على زيدٍ ولم ترَ مثله بَراءً من الحمىَّ صحيحَ الجوانحِ

فان تقصدي فالقصدُ منكِ سجيّةٌ[4] وإن تجمحي تلقَيْ لجامَ الجوامحِ

وحدث أبو بكر محمد بن مبرمان قال : قصدت ابن كيسان لأقرأ عليه « كتاب سيبويه » فامتنع وقال : اذهب به إلى أهله ، يعني الزجّاج وابن السراج .

وكان أبو بكر ابن الانباري يتعصَّب عليه ويقول : خلط المذهبين فلم يضبط منهما شيئاً ، وكان يفضل الزجاج عليه جدًّا .

وله من الكتب : كتاب المهذب في النحو . كتاب غلط أدب الكاتب . كتاب اللامات . كتاب الحقائق . كتاب البرهان . كتاب مصابيح الكتاب . كتاب الهجاء والخط . كتاب غريب الحديث نحو أربعمائة ورقة . كتاب الوقف والابتداء . كتاب القراءات . كتاب التصاريف . كتاب الشاذاني في النحو . كتاب المذكر والمؤنث .

---

(1) الأبيات في ديوان جرير : 833 باختلاف في الترتيب ، قالها في جارية فركته وجعلت تبكي على فراق شخص تحبه اسمه زيد .

(2) الديوان : أعزيك عما تعلمين وقد أرى .

(3) الديوان : بمطروفة العينين ؛ الشوساء : الرافعة الرأس .

(4) الديوان : فالقصد مني خليقة .

كتاب المقصور والممدود . كتاب معاني القرآن . كتاب مختصر في النحو . كتاب المسائل على مذهب النحويين مما اختلف فيه الكوفيون والبصريون . كتاب الفاعل والمفعول به . كتاب المختار في علل النحو ثلاثة مجلدات أو أكثر .

قرأت بخط إبراهيم بن محمد بن بندار ، قرأت بخط أبي جعفر السعال في آخر العروض : « إلى هاهنا أملى عليّ ابن كيسان وأنا كنت أستمليه وفرغنا من العروض لخمس بقين من شوال سنة ثمان وتسعين ومائتين » .

وقال أبو حيان التوحيدي : وما رأيت مجلساً أكثر فائدة وأجمع لأصناف العلوم ، وخاصة ما يتعلق بالتحف والطرف والنتف ، من مجلس ابن كيسان ، فانه كان يبدأ بأخذ القرآن والقراءات ثم بأحاديث رسول الله ﷺ ، فإذا قرىء خبر غريب أو لفظة شاذة أبان عنها وتكلم عليها وسأل أصحابه عن معناها ، وكان يقرأ عليه « مجالسات ثعلب » في طرفي النهار ، وقد اجتمع على باب مسجده نحو مائة رأس من الدوابّ للرؤساء والكتاب والأشراف والأعيان الذين قصدوه ، وكان مع ذلك إقباله على صاحب المرقّعة الممزقة والعباء الخَلَق والطِّمْرِ البالي كاقباله على صاحب القَصَبِ والوشي والديباج والدابة والمركب والحاشية والغاشية . ويوماً من الأيام جرى في مجلسه ما امتعض منه وأنكره وقَضَى منه عجباً ، وأنشد في تلك الحالة من غرر الشعر والمقطعات الحسنة وغيرها ما ملأ السمع وحيَّر الألباب حتى قال الصابىء : هذا الرجلُ من الجن إلا انه في شكل إنسان ، ومن جملة ما أنشد في تلك الحال :

ما لي أرى الدهرَ لا تَفْنَى عجائبُهُ … أبقى لنا ذنباً واستُؤْصِلَ الراسُ
إنَّ الجديدين في طولِ اختلافهما … لا ينقصان ولكن ينقص الناسُ
أبقى لنا كلَّ محمولٍ وفجَّعنا … بالحاملين فهم أثواءُ أرماسِ
يرون أن كرامَ الناسِ ان بذلوا … حمقى وأنَّ لئامَ الناسِ أكياس

وتمثل أيضاً ببيتي أبي تمام :

قومٌ إذا خافوا عداوةَ حاسدٍ … سفكوا الدما بأسنة الأقلامِ
ولضربةٌ من كاتبٍ بمداده … أمضى وأنفذُ من رقيق حسامِ

قال المؤلف : هكذا حكى أبو حيان ، ولا أرى ابا حيان أدرك ابن كيسان هذا ،

إن صحَّتْ وفاته التي ذكرها الخطيب ، ولا يكون الصابىء أيضاً أدركه لأنَّ مولد الصابىء في سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة ، والذي ذكره الخطيب لا شك سهو فاني وجدت في « تاريخ أبي غالب همام بن الفضل بن المهذب المعري »[1] ان [ابن] كيسان مات في سنة عشرين وثلاثمائة .

ـ 960 ـ

محمد بن أحمد بن منصور أبو بكر بن الخياط النحوي : أصله من سمرقند وقدم بغداد ، ومات فيما ذكره أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني في سنة عشرين وثلاثمائة. قال: وكان قد انحدر مع البريديين لما غلبوا على البصرة وبها مات، وجرت بينه وبين الزجاج ببغداد مناظرة ، وكان يخلط المذهبين ، وقد قرأ عليه أبو علي الفارسي وكتب عنه شيئاً من علم العربية ، رأيت ذلك بخطٍّ أبي علي . وله مع أصحاب الخياط قصة قد ذكرت في أخبار أبي علي . وأخذ عنه أبو القاسم الزجاجي أيضاً ، وكان ابن الخياط جميل الأخلاق طيبَ العشرةِ محبوبَ الخلقة . وله من الكتب : كتاب معاني القرآن . كتاب النحو الكبير . كتاب الموجز في النحو . كتاب المقنع في النحو .

وقال أبو علي الفارسي في ضمن رقعةٍ كتبها إلى سيف الدولة جواباً عن رقعة وردت منه ذكرتها في أخبار أبي علي[2] : وأما قوله إني قلتُ إن ابنَ الخياط كان لا يعرفُ شيئاً فغلطٌ في الحكاية ، كيف أستجيزُ ذلك وقد كلمتُ ابنَ الخياط في مجالسَ كثيرةٍ ؟ ولكني قلت : إنه لا لقاءَ له لأنه دخل إلى بغداد بعد موت محمد بن يزيد ، وصادف أحمد بن يحيى وقد صُمَّ صمَماً شديداً لا يخرقُ الكلام سمعَه ، فلم يمكن

960 ـ ترجمته في إنباه الرواة 3: 54 ونزهة الألباء : 169 والوافي 2: 88 وطبقات الداودي 2: 84 وبغية الوعاة 1: 48 وانظر طبقات الزبيدي: 74 .

(1) م : المغربي ، وهو خطأ ، وإنما هو من معرة النعمان .
(2) انظر ترجمة أبي علي الفارسي رقم :304 .

تعلم النحو منه ، وإنما كان يقوله فيما كان يؤخذ عنه على ما يمليه دون ما كان يُقْرأ عليه ، وهذا أمر لا ينكره أهلُ هذا الشأن ومن يعرفهم .

ـ 961 ـ

محمد بن أحمد بن علي بن إبراهيم بن يزيد بن حاتم بن المهلب بن أبي صفرة المهلبي النحوي ، أبو يعقوب : مات بمصر سنة تسع وأربعين وثلاثمائة في خلافة المطيع ، وكان عالماً نحوياً لغوياً ذكره الزبيدي .

قال المؤلف : وعساه أن يكون أخا أبي الحسين علي بن أحمد المهلبي ، والله أعلم .

ـ 962 ـ

محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم : شاعر مفلق وعالم محقق شائع الشعر نبيه الذكر ، مولده بأصبهان وبها مات في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ، وله عقب كثير بأصفهان فيهم علماء وأدباء ونقباء ومشاهير ، وكان مذكوراً بالذكاء والفطنة وصفاء القريحة وصحة الذهن وجودة المقاصد معروفاً بذلك مشهوراً به . وهو مصنف كتاب عيار الشعر[1] . كتاب تهذيب الطبع . كتاب العروض لم يسبق إلى مثله . كتاب في المدخل في معرفة المعمى من الشعر . كتاب في تقريظ الدفاتر .

---

961 ـ بغية الوعاة 1 : 34 وإنباه الرواة 3 : 57 وتاريخ بغداد 1 : 320 ونزهة الألباء : 199 ويقول المؤلف ان الزبيدي ذكره ولكني لم أجد له ذكراً .

962 ـ ترجمة ابن طباطبا في الفهرست : 151 ومعجم المرزباني . 427 ويتيمة الدهر 4 . 130 والمحمدون : 9 ـ 10 ووفيات الأعيان 1 : 130 والوافي 2 . 79 ومعاهد التنصيص 2 . 29 .

(1) كانت قد استوقفتني نقول كثيرة عنه في البصائر للتوحيدي ثم نشره طه الحاجري وزغلول سلام ، ولهما الفضل في بعثه من مرقده (القاهرة 1956) وإن كان تحقيقهما سيئاً . ثم أعاد تحقيقه عبد العزيز بن ناصر المانع ، الرياض 1985 ، بعد أن فرى أديم المحققين السابقين في نعقه لطعنهما .

ذكر أبو عبد الله حمزة بن الحسن الأصبهاني قال : سمعت جماعة من رواةِ الأشعار ببغداد يتحدثون عن عبد الله بن المعتز أنه كان لَهِجاً بذكر أبي الحسن مقدّماً له على سائر أهله ويقول : ما أشبهه في أوصافه إلا محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك إلا أن أبا الحسن أكثرُ شعراً من المسلميّ ، وليس في ولد الحسن من يشبهه ، بل يقاربه علي بن محمد الأفوه.

قال : وحدثني أبو عبد الله ابن أبي عامر قال : كان أبو الحسن طولَ أيامه مشتاقاً إلى عبد الله بن المعتز متمنياً أن يلقاه أو يرى شعره ، فأما لقاؤه فلم يتفقْ له لأنه لم يفارق أصبهان قط ، وأما ظفره بشعره فانه اتفق له في آخر أيامه ، وله في ذلك قصة عجيبة : وذلك أنه دخل إلى دار معمر وقد حُمِلَتْ إليه من بغداد نسخةٌ من [ديوان] عبد الله بن المعتز فاستعارها فَسُوِّف بها فتمكّنَ عندهم من النظر فيها وخرج وعدل إليّ كالاًّ معيياً كأنه ناهضٌ بحملٍ ثقيلٍ ، فطلب محبرةً وكاغداً وأخذ يكتب عن ظهر قلبه مقطّعاتٍ من الشعر ، فسألته لمن هي فلم يجبني حتى فرغ من نسخها وملأ منها خمسَ ورقات من نصف المأموني ، وأحصيتُ الأبيات فبلغ عددها مائة وسبعة وثمانين بيتاً تحفّظها من شعر ابن المعتز في ذلك المجلس واختارها من بين سائرها .

وذكر عنه حكايات منها ما حدثني به أبو عبد الله ابن أبي عامر قال : مِنْ توسُّعِ أبي الحسن في أتِيِّ القولِ وَقَهْرِهِ لأبِيِّه أن أبا عبد اللّه فتى أبي الحسين محمد بن أحمد بن يحيى بن أبي البغل كانت به لُكْنَةٌ شديدة ، حتى كان لا يجري على لسانه حرفان من حروف المعجم الراء والكاف ، يكون مكان الراء غيناً ومكان الكاف همزة ، فكان إذا أراد أن يقول كركي يقول « أغ أي » وإذا أراد أن يقول كركرة يقول « أغ أغة » وينشد للأعشى :

قالت أَغَى غَجُلاً في أَفَه أَتِفٌ

يريد « قالت أرى رجلاً في كفّه كَتِفٌ » فعمل أبو الحسن قصيدة في مدح أبي الحسين حذف منها حرفي لكنة الحسين ولقّنه حتى رواها لأبيه أبي الحسين فَجُنَّ عليها ، وقال أبو الحسن والله أنا أقدرُ على أبِيِّ الكلام من واصل بن عطاء ، والقصيدة :

يا سيداً دانت له الساداتُ ... وتتابعت في فعله الحسناتُ
وتواصلتْ نعماؤُهُ عندي فلي ... منه هباتٌ خلفهن هباتُ
نِعَمٌ ثنتْ عني الزمانَ وخطبَهُ ... من بعدِ ما هِيبَتْ له غدواتُ
فأدلتُ من زمنٍ مُنيتُ بِغَشْمِهِ ... أيامَ للأيامِ بي سَطَواتُ
فَلِمَيْتِ آمالي لديه حياتُهُ ... ولحاسدي نُعْمَى يديه مماتُ
أوليتني مِنَناً تجلُّ وتعتلي ... عن أن يحيطَ بوصفهن صفاتُ
فإذا نُثِرْنَ بمنطقٍ من مادحٍ ... فالمدحُ مني والثناءُ صُماتُ
عُجْنا عن المِدَحِ التي استحققتها ... والله يعلمُ ما تعي النياتُ
يا ماجداً فِعْلُ المحامدِ دينه ... وسماحُهُ صومٌ له وصلاةُ
فيبيتُ يشفعُ راجياً بتطوّعٍ ... منه وقد غَشِيَ العيونَ سباتُ
فالجودُ مثلُ قيامِهِ وسجوده ... إنْ قِيسَ والتسبيحُ منه عِدَاتُ
ما زال يُلْفَى جائداً أو واعداً ... وعداً تضايَقُ دونَهُ الأوقاتُ
ليمينه بالنُّجْحِ عند عُفَاتِهِ ... في ليلِ ظنهم البهيم ثباتُ
ذو همةٍ علوية توفي على الـ ... ـجوزاءِ تسقطُ دونها الهماتُ
تنأى عن الأوهام إلا أنها ... تدنو إذا نيطتْ بها الحاجاتُ
وعزيمةٍ مثلِ الحسام مصونةٍ ... عن أن تُفَلَّ به الزمانَ شَبَاةُ
فإذا دها خطبٌ مهمّ آيدٌ ... خلّى العداةَ وجمعُهُمْ اشتاتُ
لأبي الحسين سماحةٌ لو أنها ... للغيث لم تجدبْ عليه فلاةُ
وله مساعٍ في العلا عددَ الحصى ... في طيءٍ من جلّها مسعاةُ
كحيا السحاب على البقاع سماته ... وله على عافي نداهُ سماتُ
يحيي بنائله نفوساً مثلما ... يحيا بجود الهاطلات نباتُ
شاد العلاءَ أبو الحسين وحازه ... عن سادةٍ هم شائدون بناةُ
سبّاقُ غاياتٍ تقطع دونها ... سباقها إن مُدَّتِ الحلباتُ
فإذا سَعَوْا نحو العلا وسعى لها ... متمهلاً حِيزَتْ له القصباتُ

مستوفزٌ عند السماح وإن تقسْ أحداً به في الحلم قلتَ حصاةُ
طودٌ يلوذُ به الزمانُ وعنده لجميع أحداثِ الزمان أداةُ
بيمينه قلمٌ إذا ما هزّه في أوْجُهِ الأيامِ قلتَ قناةُ
في سنه بأسُ السنانِ وهيبةُ الـ ـسيفِ الحسام وقد حوته دواةُ
سحبانَ عيًّا وهو عِيًّا باقلٌ عَجِلٌ إلى النجوى وفيه أناةُ
وَسْنانُ إلا أنه مُتَنَبِّهٌ يقظانُ منه الزهوُ والإخباتُ
لم يخطُ في ظلماتِ ليلِ مدادِهِ إلا انجلتْ عنا به الظلماتُ
وأبو علي أحمدُ بن محمد قد نُمِّقَتْ عنّي لديه هناتُ
فتقاعست دوني عوائدُ فضله وسعتْ سعاةٌ بيننا وعداةُ
فافتلْهُ عن طولِ العقوقِ وهزّهُ فله لدى فِعْلِ العلا هزاتُ
والله ما شاني المديح وبذلُهُ لمؤمّلٍ ليمينه نفحاتُ
إلا مجازاةً لمن أضحت له عندي يدٌ أُغْذَى بها وأقاتُ
والمسمعيّ له لديّ صنائعٌ أيامهن لطيها ساعاتُ
فاخالها عهدَ الشباب وحسنَهُ إذ طار لي في ظله اللذاتُ
خذها الغداةَ أبا الحسين قصيدةً ضِيْمَتْ بها الراءاتُ والكافاتُ
غُيِّبْنَ عنها ختلة اخواتها عند النشيد فما لها اخواتُ
ولو آنهن شهدْن لازدوجت لها الـ ـغينات [والهمزات] والألفاتُ
فاسعدْ أبا عبد الإله بها إذا شقيتْ بلثغةِ مُنْشدٍ أبياتُ
نقصت فتمّتْ في السماع والغيت منها التي هي بينها آفاتُ
صفّيتها مثلَ المدام له فما فيها لدى حُسْنِ السماع قذاةُ
معشوقةٌ تَسْبي العقولَ بحسنها ياقوتةٌ في اللين وهي صفاةُ
علوية حسنية مزهوّة تُزْهَى بحسن نشيدها اللهواتُ
ميزانها عند الخليلِ مُعَدّل متفاعلنْ متفاعلنْ فعلاتُ
لو واصلُ بنُ عطاءِ الباني لها تُليَتْ توهّم أنها آياتُ

لولا اجتنابي أن يُمَلّ سماعها لأطلتها ما خُطَّتِ التاءاتُ

وقال أيضاً في الفخر[1] :

حسودٌ مريضُ القلبِ يخفي أنينه ويضحي كئيبَ البال عندي حزينَهُ
يلومُ على أن رحتُ في العلم راغباً أجمّعُ من عند الرواة فنونه
وأملك أبكارَ الكلام وَعُونَهُ وأحفظ مما أستفيد عيونه
ويزعمُ أنّ العلمَ لا يجلبُ الغنى وَيُحْسِنُ بالجهلِ الذميم ظنونه
فيا لائمي دعني أغالي بقيمتي فقيمةُ كلِّ الناسِ ما يحسنونه
إذا عُدَّ أغنى الناس لم أكُ دونه وكنتُ أرى الفخر المسوَّد دونه
إذا ما رأى الراؤون نطقي وعيَّهُ رأوا حركاتي قد هتَكْنَ سكونه
وما ثَمَّ ريبٌ في حياتي وموتهِ فأعجِبْ بميْتٍ كيف لا يدفنونه
أبى اللّه لي من صنعه أن يكونني إذا ما ذكرنا فخرنا وأكونه

وجدت في « كتاب شعراء أصبهان » لحمزة الأصبهاني قال ، وجدت بخط أبي الحسن رحمه الله يعني ابن طباطبا أن أبا علي يحيى بن علي بن المهلب وصف له دعوةً لأبي الحسن أحمد بن محمد بن إبراهيم الكراريسي ذكر أنهم قربوا فيها مائدة عليها خيار وفي وسطها جامات عليها فطر بحسب[2]، فسميتها مسيحيةً لأنها أدم النصارى ، وأنهم قربوا بعد ذلك سكباجةً بعظام عارية فسميتها شطرنجية ، وأنهم قربوا بعدها مضيرة في غضائرَ بيضٍ فسميتها معتدّة وكانت بلا دسم ، والمعتدة لا تمسُّ الدهنَ والطيب ، وانهم قدموا بعدها زيرباجة قليلة الزعفران فسميتها عابدة تشبيهاً بلون العباد في الصفرة ، وأنهم قربوا بعدها لوناً فسميتها قُنْبية ، وأنهم قربوا بعدها زبيبية سوداء فسميتها موكبية ، وأنهم قربوا بعدها قليّةً بعظام الأضلاع فسميتها حسكية ، ثم قربوا بعدها فالوذجة بيضاء فسميتها صابونية ، وأنه اعتلّ على الجماعة بأنه عليل ،

(1) انظر الذخيرة 3 : 390 وفيه أن الأبيات تنسب إلى أحمد بن المعذل ، وقد وردت منها أبيات في محاضرات الراغب 1 : 32 (1 : 13) منسوبة لابن طباطبا ، وانظر تهذيب ابن عساكر 2 . 113

(2) كذا ، ولعلها « بخُسْتْ » أي بواكير الفطر .

فحوّلهم من منزله إلى باغ[1] قد طُبِّق بالكراث ، فهيأ المجلس هناك ، وأحضرهم جرةً مثلمة وكانوا يمزجون شرابهم منها ، فإذا أرادوا الغائط نقلوها معهم ، فكانت مرةً في المجلس ومرةً في المخرج ، وأن الباغبان[1] ربط بحذائهم عِجْلَةً كانت تخورُ عليهم خواراً مناسباً لقول القائل يا فاطمة ، فقلت في ذلك :

يا دعوةً مُغْبَرَّةً قاتمَهْ … كأنها من سَفَرٍ قادمَهْ
قد قَدَّموا فيها مسيحيةً … أضحت على أسلافها نادمه
نعم وشطرنجيةً لم تزلْ … أيدٍ وأيدٍ حولها حائمه
فلم نزل في لعبها ساعةً … ثم نفضناها على قائمه
وبعدها معتدةٌ أختها . … عابدةً قائمة صائمه
في حجرها أطرافُ موءودةٍ … قد قتلتها أمُّها ظالمه
والقُنَّبيات فلا تَنْسَها … فحيرتي في وصفها دائمه
أقِنَّبٌ ما امتدَّ في إصبعي … أم حيةٌ في وسطها نائمه
والموكبياتُ بسلطانها … قد تركتْ آنافنا راغمه
والحَسَكِيَّاتُ فلا تَنسَ في … خندقها أوتادَها القائمه
وجام صابونيةٍ بعدها … فافخر بها إذ كانت الخاتمه
ظلَّ الكراريسي مستعبراً … من عصبةٍ في داره طاعمه
وقال إنَّ ابني عليلٌ ولي … قيامةٌ من أجله قائمه
وولولتْ داياتُهُ حوله … وليس إلا عبرةٌ ساجمه

والقصيدة طويلة باردة نشبتُ في كتابتها فكتبتُ منها هذا .

ولـه :

لا تنكرنْ إهداءَنا لك منطقاً … منك استفدنا حُسْنَهُ ونظامَهُ
فالله عز وجل يشكرُ فعلَ من … يتلو عليه وَحْيَهُ وكلامه

---

(1) الباغ : البستان ؛ والباغبان : هو البستاني .

وقال وقد صادف على باب ابن رستم عثمانيين أسودين معتمين بعمامتين حمراوين ، فامتحنهما فوجدهما من الأدب خاليين ، فدخل إلى مجلس أبي علي وتناول الدواة والكاغد من بين يديه وكتب بديهة :

رأيتُ بابَ الدارِ أسودينِ ذوي عمامتينِ حمراوينِ
كجمرتين فوق فحمتين قد غادرا الرفض قريرَ العين
جدُّكما عثمانُ ذو النورين فما له أنسلَ ظلمتين
يا قبحَ شينٍ صادرٍ عن زين حدائدٌ تُطْبَعُ من لجين
ما أنتما إلا غرابا بَيْنِ طيرا فقد وقعتما بِلْحَيْنِ
زورا ذوي السنةِ في المصرين المظهرين الحبَّ للشيخين
وخليّا الشيعةَ للسبطين الحسنِ المرضيِّ والحسين
لا تبرما إبرامَ ربِّ الدين ستعطيان في مدى عامين

قال وقال لابن أبي عمر ابن عصام وكان ينتف لحيته :

يا من يزيلُ خلقةَ الـ ـرحمن عما خُلِقَتْ
تُبْ وخفِ اللّه على ما [...] اجترحت
هل لك عذرٌ عنده إذا الوحوشُ حُشِرَتْ
في لحيةٍ إنْ سُئِلَتْ بأيِّ ذنبٍ قتلت

وقال :

ما أنسَ لا أنسَ حتى الحشرِ مائدةً ظلْنا لديك بها في أشغلِ الشُّغُلِ
إذ أقبل الجديُ مكشوفاً ترائبُهُ كأنه متمطٍّ دائمُ الكسلِ
قد مدَّ كلتا يديه لي فذكّرني بيتاً تمثُّلُهُ من احسن المثلِ
« كأنه عاشقٌ قد مدَّ بسطته يومَ الفراقِ إلى توديع مرتحلِ »
وقد تردّى بأطمارِ الرقاقِ لنا مثلَ الفقيرِ إذا ما راح في سَمَلِ

وله :

لنا صديقٌ نفسُنا في مَقْتِهِ منهمكة

أبـردُ مـن سـكـونـه   وسطَ النـديِّ الحـركـه
وجُـذَرِيٌّ وَجْـهِـهِ   يحكيـه جلدُ السمكـهْ
أو جلدُ أفعى سُلِخَتْ   أو قـطعـةٌ من شبكـه
أو حَـلَقُ الـدرعِ إذا   أبصـرتهـا مشتبكـه
أو كَـدَرُ الـمـاء إذا   ما الريحُ أبدتْ حُبُكه
أو سَـفَنٌ مـحـبَّـب   أو كَـرِشٌ منفـركـه
أو منخـلٌ أو عُـرُضٌ   رقـيـقـة منـهـتـكـه
أو حَجَـرُ الحمَّـامِ كم   من وَسَـخٍ قـد دلكـه
أو كـورُ زنـبـورٍ إذا   أفـرخَ فـيـه تـركـه
أو سـلحـةٌ يـابـسـة   قـد نقرتهـا الـديكـة

ومن محاسن ابن طباطبا في أبي علي الرستمي يهجوه بالدعوة والبرص :

أنت أُعطيتَ من دلائلِ رُسْلِ اللّـ   ـه آيا بـهـا علوتَ الـرؤوسـا
جئـتَ فـرداً بـلا أبٍ وبيـمـنـا   كَ بيـاضٌ فـأنتَ عيسى ومـوسى

ـ 963 ـ

محمد بن أحمد بن نصر الجيهاني أبو عبد الله : قال السلامي في « تاريخ خراسان » وفي سنة إحدى وثلاثمائة في جمادى الآخرة ولي أبو الحسن نصر بن

963 ـ ذكر ابن النديم (الفهرست: 401) الجيهاني محمد بن أحمد في المتكلمين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الزندقة ، ولعله هو صاحب رسالة ذات نزعة شعوبية يحط فيها على العرب ، انظر الامتاع والمؤانسة 1 : 78 وما بعدها ، وما أورده الصفدي في الوافي 2: 80 ـ 81 إنما هو منقول عن ياقوت ، وعلق الصفدي على ذلك بقوله : هكذا أثبته ياقوت وجاء في الأحدين فقال أحمد بن محمد بن نصر الجيهاني وأظنه هذا ؛ (وأحمد بن محمد بن نصر قد مرت ترجمته عند ياقوت رقم: 149وكنيته أبو عبد الله وقد وزر لنصر بن أحمد بن نصر الساماني ، وهناك ما يوهم اللبس بينهما ، ولكن ابن النديم قد ميز بينهما في الفهرست ، فالجيهاني محمد قد صرف عن الوزارة سنة 367 وأحمد وزر سنة 301) .

أحمد بن إسماعيل وهو ابن ثمان سنين ، وتولى التدبير أبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني فأجرى الأسبابَ على وجوهها ، وكان حسن النظر لمن أمله وقصده ، معيناً لمن أمَّه واعتمده ، وكان مبتلًى بالمَذْهِب[1] فلم يكن يصافحُ أحداً إلا دون ثوبٍ أو كاغد ، ومرَّ يوماً بنخّاسٍ يعالجُ دابّة فتأفّف وأبرز يده من كمه وعلّقها إلى أن نزل وصبَّ عليها قماقمَ من الماء تقذراً مما فعله النخاس كأنه هو الذي تولّى ذلك ، ولم يكن يأذن في إمساك السنانير في دوره فكان الفأر يتعابثُ فيها ، وفيه يقول أبو الطيب الطاهري :

رأيتُ الوزيرَ على بابةٍ ... من المذهبِ الشائعِ المنتشرْ
يرى الفأر أنظفَ شيءٍ يدبُّ ... على ثوبه ويعافُ البشر
يبيتُ حفيّاً بها مُعْجَباً ... وَيُضْحِي عليها شديد الحذر
وإن سَغِبَتْ فهو في جُحْرِها ... يفتُّ لها يابسات الكسر
فلِمْ صار يستقذرُ المسلمين ... ويألفُ ما هو عينُ القذر

وله أيضاً فيه :

ما فيه من حَسَنٍ نُثْني عليه به ... إلا التصنعُ بالوسواسِ للناس
ليوهَمُوا شغفاً بالطهرِ منك فلا ... تُعَدّ فيمن يؤدِّي جزية الراس
يا لهفَ نفسي على دنيا حَظِيتَ بها ... عفواً بلا طولِ إبساسٍ وإيناس

وله أيضاً فيه :

قل للوزير الذي عجائبه ... يُضْرَبُ في سوقنا بها المثلُ
أنت إذا كنتَ طولَ دهرك بالـ ... ـمَخْرج عما سواه تشتغل
فأينَ ألقاكَ للحوائج أو ... في أي حين يهمّك العمل

وقال وكان هجّيرا الجيهاني يقول في أضعاف كلامه « بدواندرون » ، وهجيرا علي بن محمد العارض أن يقول « هزين » ، وفيهما يقول الطاهري :

وزيران أما بالمقدّم منهما ... فخَبْلٌ وبالثاني يقال جنونْ

---

(1) المذهب : الوسوسة .

إذا نحن كلمناهما فجوابنا بدواندرونٌ دائمٌ وهزين
متى تلقَ ذا أو تلقَ ذاك لحادثٍ تلاقِ مهيناً لا يكادُ يبين

ومعنى بدواندرون « اعدُ إلى داخل » ومعنى هزين « الفرار » .

وللطاهري فيهما :

إنّ الأمورَ إذا أضحت يدبِّرها طفلٌ رضيعٌ وسكرانٌ ومجنونُ
لمخبراتٌ بأنْ لن يستقيمَ بها لمن توسَّطها دنيا ولا دين

- 964 -

محمد بن أحمد أبو الندى الغندجاني اللغوي: رجلٌ واسعُ العلم راجحُ المعرفة باللغة وأخبار العرب وأشعارِها ، وما عرفتُ له شيخاً يُنْسَبُ إليه ولا تلميذاً يعوِّل عليه غير الحسن بن أحمد الأعرابي المعروف بالأسود صاحب التصانيف المشهورة التي تصدَّى فيها للأخذ على أعيان العلماء ، فإن روايته في كتبه كلِّها عن أبي الندى هذا . وأنا أرى أنَّ هذا الرجلَ خرج إلى الباديةِ واقتبس علومَهُ من العرب الذين يسكنون الخيم ، وقد وقع لي شيءٌ من خبره في ذلك أنا أورده ها هنا ليستدل به على ما ذهبت إليه كما استدللت أنا به .

وجدت بخط صديقنا كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة الحلبي الفقيه المدرس الكاتب الأديب ما أسنده إلى ليث الطويل قال : سألت أبا الندى ، وكان من أعلم من شاهدتُ بأخبار العرب : هل تعرفُ من شعر الذلفاءِ بنتِ الأبيض في ابن عمها نجدةَ بن الأسود ؟ قال : نعم ، كنت فيمن حضر جنازة نجدة حتى وضعناه في قبره وأهَلْنا عليه التراب ، وَصَدَرْنَا عنه غيرَ بعيد ، فأقبلن نسوةٌ يتهادين فيهنّ امرأةٌ قد فاقتهنّ طولاً ، كالغصن الرطب ، وإذا هي الذلفاء ، فأقبلتْ حتى أكَبَّتْ على القبر وبكت بكاءً محرقاً وأظهرت من وجدها ما خِفْنَ معه على نفسها ، فقلن لها : يا ذلفاء إنه قد مات السادات من قومك قبل نجدة ، فهل رأيتِ نساءهم قَتَلْنَ أنفسهنَّ

964 ـ ترجم له القفطي في إنباه الرواة 4 : 181 وانظر بغية الوعاة 1 : 52 ومعجم البلدان (غند جان) وهي بفتح الغين ، من كور الأهواز ؛ وانظر ترجمة الحسن بن أحمد الأعرابي شيخ أبي الندي في ما تقدم رقم : 305 .

عليهم ؟ فلم يزلن بها حتى قامت فانصرفت عن القبر ، فلما صارت منه غير بعيدٍ عَطَفَتْ بوجهها عليه وقالت :

سئمتُ حياتي حين فارقتُ قبره ... ورحتُ وماءُ العينِ ينهلُ هاملُهْ

وقالت نساءُ الحيِّ قد مات قبله ... شريفٌ فلم تَهْلِكْ عليه حلائله

صدقن لقد مات الرجالُ ولم يمت ... كنجدةَ من إخوانه من يعادله

فتىً لم يضقْ عن جسمه لحدُ قبره ... وقد وسع الأرضَ الفضاءَ فضائله

قال فقلت : أحسنتْ والله يا أبا الندى وأَحْسَنْتَ ، فهل تعرف من شعرها شيئاً آخر ؟ قال : نعم ، كنتُ ممن حضر قبر نجدةَ عند زيارتها إياه لتمام الحول فرأيتها أقبلتْ حتى أَكَبَّتْ على القبر وبكتْ بكاءً شديداً ثم أنشأت تقول :

يا قبرَ نجدةَ لم أهجرْكَ مَقْلِيةً ... ولا جفوتُكَ من صبري ولا جلدي

لكن بكيتُكَ حتى لم أجدْ مَدَداً ... من الدموع ولا عَوْناً من الكمد

وآيَسَتْنِي جفوني من مدامعها ... فقلتُ للعينِ فيضي من دمِ الكبد

فلم أزلْ بدمي أبكيكَ جاهدةً ... حتى بقيتُ بلا عينٍ ولا جسد

واللّهُ يعلمُ لولا اللّهُ ما رَضِيَتْ ... نفسي عليك سوى قتلٍ لها بيدي

قال فقلت : أحسنْتَ والله يا أبا الندى وأحْسَنْتْ ، فهل تعرفُ من شعرها شيئاً آخر ؟ قال : نعم ، حضرنا عيداً لنا في زَمَنِ الربيع ، ونحن في رياضٍ خضرةٍ مُعْشِبَةٍ ، فركب الفتيانُ وعقدوا العَذبَ الصُّفْرَ في القنا الحمر وجعلوا يتجاولون ، فلما أردنا الانصرافَ قال بعضنا لبعض : ألا تجعلون طريقكم على الذلفاء فلعلها إذا نظرت إليكم تسلَّتْ بمن بقي عمن هلك ؛ قال : فخرجنا نَؤُمُّها فأصبناها بارزةً من خبائها ، وهي كالشمس الطالعة إلا أنه يعلوها كسوفُ الحزن ، فسلَّمنا عليها وقلنا : يا ذلفاء إلى كم يكونُ هذا الوجدُ على نجدة ؟ أما آن لكِ أنْ تتسلَّيْ بمن بقي من بني عمك عمن هلك ؟ ها نحن ساداتُ قومك وفتيانُهم ونجومُهم ، وفينا السادة والذادة والبأس والنجدة ، فأطرقت ملياً ثم رفعتْ رأسها باكيةً تقول :

صدقتمْ إنكم لنجومُ قومي ... ليوثٌ عند مختلف العوالي

ولكن كـان نجدةُ بـدرَ قـومي وكهفَهمُ المنيفَ على الجبـال

فما حُسْنُ السماءِ بـلا نجومٍ ومـا حُسْنُ النجومِ بـلا هلال

ثم دخلت خباءها وأرسلت سترها فكان آخر العهد بها.

وقرأت بخط أبي سعد في « المذيل » : أنشدنا شافع بن علي الحمامي ، أنشدنا إسماعيل بن عبـد الغافـر الفارسي ، أنشـدني أبو حـرب رزماشـوب بن زياد الجيلي بشيراز ، أنشدنا أبو محمد الحسن بن علي الغندجاني الأديب ، أنشدنـا أبو محمـد الأسود الغندجاني الأديب ، أنشدنا أبو الندى قال : سمعت أعرابياً بالبصرة يقـال له الوليد بن عاصم ينشد لنفسه :

ومـا مُغْزِلٌ بـالغـورِ غـورِ تهـامـةٍ بـأوديـةٍ صـابَتْ عليهـا عُهُـودُهَـا

ترودُ الضحى أفنانَ ضـالٍ وتتقي ويخـرجُ من بين الأراكةِ جيـدهـا

بـأحسنَ من سلمى ولا ضوءُ درّةٍ تسمَّى إليهـا غـائص يستجيـدهـا

قـرأت في « كتاب اللقـائط » لأبي يعلى ابن الهبَّارية ، وقد ذكـر أبـا محمـد الأعرابي ، ووضع منه وانتصر للنمري الذي شرح « الحماسة » وغيره واستـدلَّ على صحة رواياتهم وإتقان علمهم ومقالاتهم ثم قال : فكيف نتركُ أمثـالَ هذه الـروايات لرواية مثل أبي الندى ، ولم يذكر لي من لقيتُهُ من شيوخ بلادِ فارسٍ من فَضْل أبي الندى إلا أنه غاب عن أهله مدة ، وأقام في البادية سنين عدة ، وعاد يَرْوي ويخبر ، وكان له ابنٌ فأخذ يطليه بالزيت وَيَقِفُهُ في شمس القيظ بالغندجان ، وهي حارة جداً ، ولم يزل يفعلُ به ذلك ليكونَ أسمر اللونِ كالعرب حتى مات ذلك المسكين .

ـ 965 ـ

محمد بن أحمد الأزهر بن طلحة بن نوح بن الأزهر بن نـوح بن حاتم بن سعيد بن عبد الرحمن الأزهري أبو منصور اللغوي الأديب الشافعي المذهب الهروي :

965 ـ ترجمة الأزهري في مقدمة كتاب التهذيب له: 5 ـ 12 ونزهة الألباء: 221 وابن خلكان 4: 324 وعبر الـذهبي 2: 356 وسير الـذهبي 16: 356 والـوافي 2: 45 ومـرآة الجنـان 2: 395 وطبقـات السـبكي 3: 63 والأسنوي 1: 49 والبلغة: 205 وبغيـة الوعـاة 1: 19 وطبقات الـداودي 2: 61 وطبقات ابن هداية الله: 94 والشذرات 3: 72 وإشارة التعيين: 294 .

مات فيما ذكره أبو النصر عبد الرحمن بن عبد الجبار بن أبي سعيد الفامي في « تاريخ هراة » في سنة سبعين وثلاثمائة ، ووافقه الحاكم أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين الكتبي الهروي في « كتاب الوفيات » له ، وزاد في ربيع الآخر ، قال الحاكم : ورأيت في « كتاب تاريخ السنين » تصنيف أبي يعقوب إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن الفرات الهروي الحافظ ، وأصله عندي بخطه في عشرة أجزاء ، أن مولد أبي منصور الأزهري في سنة اثنتين وثلاثمائة.

أخذ الأزهري عن أبي الفضل محمد بن أبي جعفر المنذري عن ثعلب وغيره فأكثر ، وعن أبي محمد المزني عن أبي خليفة الجمحي ، وعن أبي محمد عبد الله بن عبد الوهاب البغوي عن الربيع بن سليمان عن الشافعي ، وعن عبد الله بن محمد بن هاجك وأبي القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي.

ورد بغداد وأدرك ابن دريد فلم يرو عنه ، قال : ودخلت داره ببغداد غير [مرة] فألفيته على كِبَرِ سنٍ سكرانَ لا يكـادُ يستمرُّ لسـانه على الكـلام من سكره . وأخـذ الأزهريّ ببغداد عن أبي عبد الله إبراهيم بن عرفة نفطويه وعن ابن السراج.

وصنف : كتاب التهذيب في اللغة[1] . كتاب معرفة الصبح . كتاب التقريب في التفسير . كتاب تفسير ألفاظ كتاب المزني . كتاب علل القراءات . كتاب في الروح وما جاء فيه من القرآن والسنة . كتاب تفسير أسماء الله عز وجل . كتاب معاني شواهد غريب الحديث . كتاب الردّ على الليث . كتاب تفسير شواهد غريب الحديث . كتاب تفسير إصلاح المنطق . كتاب تفسير السبع الطوال . كتاب تفسير شعر أبي تمـام . كتاب الأدوات .

وذكر في مقدمة كتابه قال[2] : وكنت امتُحنتُ بالإسار سنة عارضت القرامطةُ الحاجَّ بالهبير ، وكان القوم الذين وقعتُ في سهمهم عرباً نشأوا بالبادية يتتبعون مساقطَ الغيث أيام النجع ويرجعون إلى أعداد المياه في محاضرهم زمن القيظ ، ويرعون النعم

(1) طبع التهذيب في 15 جزءاً على يد عدة من المحققين ، القاهرة 1964 ـ 1967 وعمل له فهارسه عبد السلام هارون رحمه الله ، القاهرة 1976 . وهناك مستدرك على الأجزاء 7 ـ 9 صنعه رشيد عبد الرحمن العبيدي ، القاهرة 1975 .

(2) التهذيب 1 : 7 .

ويعيشون بألبانها ، ويتكلمون بطباعهم البدوية وقرائحهم التي اعتادوها ، ولا يكاد [يقع] في منطقهم لحن أو خطأ فاحش ، فبقيت في إسارهم دهراً طويلاً ، وكنا نتشتّى الدهناء ونتربع الصمّان ونتقيظ الستارين ، واستفدت من مخاطباتهم ومحاورة بعضهم بعضاً ألفاظاً جمةً ونوادر كثيرة أوقعتُ أكثرها في الكتاب ، وستراها في مواضعها إذا أتت قراءتك عليها إن شاء الله تعالى .

وذكر في تضاعيف كتابه أنه أقام بالصمّان شتوتين ، ورأى ببغداد أبا إسحاق الزجاج وأبا بكر ابن الأنباري ولم يذكر أنه أخذ عنهم شيئاً .

قال المؤلف : كانت سنة الهبير هي سنة احدى عشرة وثلاثمائة وذكر بعضهم أنها كانت سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة ، عارضهم أبو طاهر الجنابي فقتل بعضهم واسترقّ بعضهم واستولى على جميع أموالهم ، وذلك في أيام المقتدر بالله ابن المعتضد .

ـ 966 ـ

محمد بن أحمد بن طالب الأخباري : قال الخطيب مات بعد سنة سبعين وثلاثمائة ، ويكنى أبا الحسن ، سكن الشام وحدث بطرابلس ، أنشد أبو الحسن محمد بن أحمد البغدادي قال : أنشدني أبو علي الأعرابي لنفسه :

كنتُ دهراً أُعَلِّلُ النفسَ بالوعـــدِ وأخلو مستأنساً بالأماني
فمضى الواعدون واقتطعتنا[1] عن فُضُول المنى صروفُ الزمان

ـ 967 ـ

محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن شنبوذ أبو الحسن المقرىء: مات

966 ـ تاريخ بغداد 1 : 310 وفيه أنه توفي سنة 370 لا بعدها ومصورة ابن عساكر 14 : 692 .

967 ـ ترجمة ابن شنبوذ في تاريخ بغداد 1 : 280 والفهرست: 34 ـ 35 والمنتظم 6 : 307 وابن خلكان 4 : 299 وعبر الذهبي 2 : 195 وسير الذهبي 15 : 264 ومعرفة القراء 1 : 221 والوافي 2 : 37 ومرآة الجنان 2 : 286 والبداية والنهاية 11 : 194 وطبقات ابن الجزري 2 : 52 والنجوم الزاهرة 3 : 267 والشذرات 2 : 313 .

(1) م: ثم اقتطعنا .

فيما ذكره الخطيب في سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة.

قال الخطيب: قد تخيَّر لنفسه حروفاً من شواذّ القراءات فقرأ بها فصنَّف أبو بكر الأنباري وغيره كتباً في الرد عليه.

قرأت بخط أبي علي ابن أبي إسحاق الصابىء، قال القاضي أبو سعيد السيرافي رحمه الله: كان ابن شنبوذ ـ واسمه محمد بن أحمد بن أيوب ـ كثيرَ اللحنِ قليلَ العلم، وكان ديناً وفيه سلامة وحمق ثم ذكر توبته كما ذكرنا بعد.

حدث إسماعيل بن علي الخطبي في «كتاب التاريخ» قال: واشتهر ببغداد أمرُ رجلٍ يعرف بابن شنبوذ يقرىء الناس ويقرأ في المحراب بحروفٍ يخالفُ فيها المصحف فيما يروي عن عبد الله بن مسعود وأُبيّ بن كعب وغيرهما مما كان يُقْرَأ به قبل المصحف الذي جمعه عثمان، ويتتبع الشواذَّ فيقرأ بها ويجادل حتى عظم أمره وفحش وأنكره الناس، فوجه السلطان وقبض عليه في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وحمل إلى دار الوزير محمد بن مقلة، وأحضر القضاة والفقهاء والقراء وناظره الوزير بحضرته، فأقام على ما ذكر عنه ونصره، واستنزله الوزير عن ذلك فأبى أن ينزل عنه أو يرجع عما يقرأ به من هذه الشواذ المنكرة التي تزيد على المصحف العثماني، فأنكر ذلك جميعُ مَنْ حضر المجلس وأشاروا بعقوبته ومعاملته بما يضطره الى الرجوع، فأمر بتجريده وإقامته بين الهنبازين، وأمر بضربه بالدرة على قفاه فضرب نحو العشرة ضرباً شديداً فلم يصبر واستغاث وأذعن بالرجوع والتوبة، فخلّي عنه وأعيدت عليه ثيابه واستتيب، وكتب عليه كتاب توبته، وأخذ فيه خطه بالتوبة، فتقوّلَ أصحابه أنه دعا على ابن مقلة بقطع اليد فاستجيب له.

قال المؤلف[1]: وهذا من عجيب الاتفاق إن صحَّ.

وذكره محمد بن اسحاق النديم فقال: كان ابن شنبوذ يناوىء أبا بكر ابن مجاهد ولا يعشره[2] وكان ديناً فيه سلامة وحمق؛ قال لي الشيخ أبو محمد يوسف بن السيرافي: إنه كان كثيرَ اللحن قليلَ العلم، وقد روى قراءات كثيرة وله كتب مصنفة في ذلك. وكان مما خالف فيه قراءة الجمهور (قال القاضي أبو يوسف: وسئل عنه بحضرة الوزير

(1) المؤلف يردد هنا قول النديم.

(2) يعشره: كذلك هو في الفهرست.

أبي علي ابن مقلة فاعترف به ولم ينكره ﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱمْضُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (الجمعة: 9) . وقرأ ﴿ وَكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَصْباً ﴾ (الكهف: 79) . وقرأ ﴿ كالصُّوفِ الْمَنْفُوشِ ﴾ (القارعة: 5) . وقرأ ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وقَدْ تَبَّ مَا أَغنَى ﴾ (المسد: 1) . وقرأ ﴿ ٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِيَدَيْكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ﴾ (يونس: 92) . وقرأ ﴿ وَتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ (الواقعة: 12) . وقرأ ﴿ وَٱللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى وَٱلذَّكَرِ وَٱلأُنْثَى ﴾ (الليل: 1) . وقرأ ﴿ وَقَدْ كَذَّبَ ٱلْكَافِرُونَ فَسَوْفَ يَكُونَ لِزَاماً ﴾ (الفرقان: 77) . وقرأ ﴿ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي ٱلأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ ﴾ (الأنفال: 73) إلى غير ذلك .

وله من التصانيف : كتاب ما خالف فيه ابن كثير أبا عمرو . كتاب قراءة علي عليه الصلاة والسلام. كتاب اختلاف القراء. كتاب شواذ القراءات. كتاب انفراداته.

وقرأت في كتاب ألفه القاضي أبو يوسف عبد السلام القزويني سماه « أفواج القراء » ، قال : كان ابن شنبوذ أحدَ القراءِ والمتنسكين ، وكان يرجع إلى ورع ولكنه كان يميل إلى الشواذ ويقرأ بها وربما أعلن ببعضها في بعض صلواته التي يجهر فيها بالقراءة وسمع ذلك منه وأنكر عليه فلم ينته للانكار ، فقام أبو بكر ابن مجاهد فيه حقَّ القيام وأشهر أمره ، ورفع حديثه إلى الوزير في ذلك الوقت وهو أبو علي ابن مقلة ، فأخذ وضرب أسواطاً زادت على العشرة ولم تبلغ العشرين ، وحبس واستتيب فتاب وقال : إني قد رجعتُ عما كنت أقرأ به ، ولا أخالفُ مصحفَ عثمان ولا أقرأ إلا بما فيه من القراءة المشهورة ، وكتب عليه بذلك الوزير أبو علي محضراً بما سمع من لفظه ، وأمره أن يكتب في آخره بخطه ، وكان المحضر بخط أبي الحسين أحمد بن محمد بن ميمون . وكان أبو بكر ابن مجاهد تجرد في كشفه ومناظرته فانتهى أمره إلى أن خاف على نفسه من القتل ، وقام أبو أيوب السمسار في إصلاح أمره ، وسأل الوزير أبا علي أن يطلقه وأن ينفذه إلى داره مع أعوانه بالليل خيفةً عليه لئلا يقتله العامة ، ففعل ذلك ، ووجه إلى المدائن سرًّا مدة شهرين ثم دخل بيته ببغداد مستخفياً من العامة .

ونسخة المحضر المعمول على ابن شنبوذ بخط ابن ميمون : يقول محمد بن أحمد بن أيوب المعروف بابن شنبوذ : قد كنت أقرأ حروفاً تخالفُ ما في مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه المجمع عليه والذي اتفق أصحابُ رسولِ الله ﷺ

ورضي عنهم على تلاوته ، ثم بان لي أنّ ذلك خطأ ، فأنا منه تائب وعنه مقلع وإلى الله عز وجل بريء ، إذ كان مصحف عثمان هو الحقّ الذي لا يجوزُ خلافه ولا أن يُقْرَأ بغير ما فيه .

نسخة خط ابن شنبوذ في هذا المحضر : يقولُ محمد بن أحمد بن أيوب بن شنبوذ : ما في هذه الرقعة صحيح وهو قولي واعتقادي ، وأشهد الله عز وجل وسائر من حضر على نفسي بذلك ، وكتب بخطه ، فمتى خالفتُ ذلك أو بان مني غيره فأمير المؤمنين أطال الله بقاءه في حلّ وسعةٍ من دمي ، وذلك في يوم الأحد لسبع خلون من ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة في مجلس الوزير أبي علي محمد بن علي أدام الله توفيقه ، وحسبي الله وحده وصلاته على سيدنا محمد وآله .

خط ابن مجاهد : اعترف ابن شنبوذ بما في هذه الرقعة ، وكتب ابن مجاهد بيده وذكر التاريخ .

خط ابن أبي موسى : اعترف المعروف بابن شنبوذ بما في هذه الرقعة بحضوري طوعاً ، وكتب محمد بن أبي موسى الهاشمي ، وذكر التاريخ .

شهادة أخرى : شهد محمد بن أحمد بن محمد على إقرار محمد بن أحمد بن أيوب المعروف بابن شنبوذ بجميع ما في هذا الكتاب ، وذكر التاريخ .

وقال ابن شنبوذ في المجلس إن رسول الله ﷺ وجماعة من أصحابه خالفوا بعض ما في هذا المصحف الذي في أيدينا ، وكان اعترافه به طوعاً ، شهد بذلك محمد بن أبي موسى ، وكتب بيده ، وشهد أحمد بن موسى بن مجاهد ، وكتب بيده .

قال القاضي أبو يوسف : كنت قد سمعتُ من مشايخنا بالري ثم ببغداد أن سبب الانكار على ابن شنبوذ أنه قرأ ، أو قرى عليه ، في آخر سورة المائدة عند حكاية قول عيسى ﴿ إِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ مِنَ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ .

ـ 968 ـ

محمد بن أحمد بن إبراهيم الشنبوذي أبو الفرج المقرىء ، يعرف بغلام ابن

968 ـ تاريخ بغداد 1 : 271 وطبقات ابن الجزري 2 : 50 والوافي 2 : 39 .

شنبوذ : مات سنة سبع وثمانين وثلاثمائة وقيل سنة ثمان ومولده في سنة ثلاثمائة .

قال الخطيب : روى عن أبي الحسن محمد بن أحمد بن شنبوذ وغيره كتباً في القراءات ، وتكلم الناس في رواياته ، وسئل الدارقطني عنه فأساء القول فيه والثناء عليه . قال : وسمعت عبيد الله الصيرفي يذكر أبا الفرج الشنبوذي فعظم أمره ووصف علمه بالقرآن وحفظ التفسير وقال : سمعته يقول : أحفظ خمسين ألف بيت من الشعر شواهد للقرآن .

وله من التصانيف : كتاب الشارة في تلطيف العبارة في علم القرآن . كتاب التفسير ولم يتم .

ـ 969 ـ

محمد بن أحمد المعمري أبو العباس النحوي : أحد شيوخ النحاة ومشهوريهم ، صحب الزجاج وأخذ عنه ، وكان أبو الفتح المراغي تلميذَهُ وصاحبَه ، وكان أكثر مقامه بالبصرة وبها توفي وأظنه من أهلها ، وله شعر صالح متوسط من أشعار الأدباء ، ومات فيما أحسب بين الخمسين والثلاثمائة ، والثلاثمائة ، قال ذلك ابن عبد الرحيم ، قال : وأنشدني أبو القاسم التنوخي عن أبيه له من قصيدة مدح بها جدَّه أبا القاسم أولها :

وجفونِ المضانيات[1] المراضِ ... والثنايا يَلُحْنَ بالإيماضِ

والعهودِ التي تلوحُ بها الصحـ ... ـفُ خلافَ الصدود والاعراض

لبرتني الخطوبُ حتى نضتني ... حَرَضاً بالياً من الأحراض

وجدتني والدهرُ سلمي سليمى ... لم ينلني بنابِهِ العضاض

بين بُرْدٍ من الشباب جديدٍ ... ورداءٍ من الصبا فضفاض

ومديرٍ عُرَى الأمورِ برأيٍ ... يقظِ الحزمِ مُبْرِمٍ نقَّاض

969 ـ بغية الوعاة 1 : 50 .

(1) كذا في م .

دقَّ معنًى وجل قدراً فجادت ... في معانيه نهيةُ الاغماض

وأنشد أيضاً له :

لو قد وجدتُ إلى شفائك منهجا ... جُبْتُ الصباحَ إليه أو حلَكَ الدجى

لكن رأيتُكَ لا يحيك العَتْبُ فيـ ... ـكَ ولا العتابُ ولا المديحُ ولا الهجا

فاذهب سدىً ما فيك شرٌّ يتّقى ... يوماً وليس لديك خيرٌ يرتجى

وإذا امرؤٌ كانت خلائقُ نفسِهِ ... هذي الخلائقَ فالنَّجا منه النجا

قال وحدثني أبو علي محمد بن وشاح ، قال حدثني أبي ، قال حدثني القاضي أبو تمام الحسن بن محمد الزينبي رحمه الله قال : جاءتني في بعض البكر رسالة محمد بن أحمد المعمري النحوي بالبصرة ، وكنت أغشى مجلسه دائماً وآخذ عنه ، أن أَدْرِكْني ، فبادرتُ إليه وتبعني جماعة من أصحابي ، فلما صرتُ إليه عرَّفني أن صبيةً مملوكة له مولدةً قد كنت أشاهدها في ولده قد هربت منه وتناولتْ صدراً مما كان في منزله ، وأنفذتُ أصحابي وبثثتهم في الجيران وبحيثُ يُظَنُّ بها الحصولُ فيه ، فما بَعُدَ أن أُحضرت وما أَخذَتْ ، فَسُرَّ المعمري وطابت نفسه ، فلما هممت بالانصراف أنشدني :

ما لأيري كَبَسَتْ عا ... ديةُ الدهرِ عمودَهْ

كان حرباءَ فأضحى ... لشقاءِ البختِ دوده

قال ابن وشاح : وحدثني أبي قال حدثني القاضي رحمه الله قال : كان رسمُ المعمريِّ أن يجلسَ لأهلِ العلم في يوم الأربعاء ، فبكرنا إليه في بعض الأيام فقال للجماعة : ليس لكم اليومَ عندي فائدة ولا مني حظٌ ، فلما هممنا بالانصراف قال :

إذا كان يومُ الاربعاء ولم أَنِكْ ... ولم أصطبحْ فالأربعاء مَشُومُ

فإن نكتُ فيه واصطبحتُ ولمته ... فإني ليومِ الأَربعاء ظلوم

انصرفوا مأجورين ، فانصرفنا .

قال : وكان شديدَ المحبة لشرب النبيذ ، كثيرَ التوفر عليه ، قاطعاً أكثر زمانه به .

ولما مات رثاه أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي صاحب « كتاب الموازنة » بقوله :

يا عينُ أذري الدموعَ وانسكبي ... أصبح تِرْبُ العلومِ في التُّرْبِ

لقيتُ بالمعمريِّ يومَ ثوى أولَ رزءٍ بآخرِ الأدب
كان عَلَى أعجميٌّ نسبته فضيلةٌ من فضائل العرب

وكتب أبو القاسم الآمدي إلى المعمري جوابَ أبياتٍ كتب بها إليه :

يا مُهْدِيَ الشعرِ إلى مَنْ يَرَى أنك تستعلي عن الشعرِ
أنت الذي تحكمُ فيه إذا أعيا على الباقعة[1] الحبر
وتكشفُ الغامضَ حتى يُرَى أوضحَ أسباباً من الفجر
بنتَ عن المثل ومن ذا الذي إلى مدىً تبلغُهُ يجري
كلٌّ إلى علمك ذو حاجةٍ كحاجةِ الأرضِ إلى القطر

ـ 970 ـ

محمد بن أحمد بن عبد الله بن زياد القطان ويعرف بالمتوثي ويكنى أبا سهل : أحد الشيوخ الفضلاء المقدمين سمع الحديث ورواه ، وكان ثقة جيدَ المعرفةِ بالعلوم ، ومات سنة تسع وأربعين وثلاثمائة ، وسمع كثيراً من كتب الأدب عن بشر بن موسى الأسدي ومحمد بن يونس الكديمي وأبي العيناء وثعلب والمبرد وغيرهم ، ولقي السكريَّ أبا سعيد وسمع عليه « أشعار اللصوص » من صنعه ، وسمعه منه الخالع أبو عبد الله الشاعر ، وفلج في آخر عمره ، وكان ينزل بدار القطن من غربي دار السلام بغداد ، وله بقية حال حسنة .

قال الخالع : وحكى لنا أنه كان في ابتداء أمره يتوكل لعلي بن عيسى بن الجراح الوزير وأنه صحبه حين نُفِيَ من بغداد وعاد بِعَوْدِهِ ، وأنهم نزلوا في بعض طريقهم بأحد

970 ـ الوافي 2 : 76 والمحمدون : 77 وقد ذكره المؤلف في معجم البلدان (4 : 414) باسم أحمد بن محمد وكذلك هو في سير الذهبي 15 : 521 وعبر الذهبي 2 : 285 وتاريخ الخطيب 5 : 45 والمنتظم 7 : 3 والوافي 8 : 34 والبداية والنهاية 11 : 238 والنجوم الزاهرة 3 : 328 والشذرات 3 : 2 .

(1) م : الباقلاني

أمراءِ الشام وأنه حَمَلَ على يده إلى علي بن عيسى سمكةً فضة وزنها زيادةٌ على خمسةِ آلاف درهم مبيتة للطيب ، وعليها جوهر وياقوت قد رُصِّعَتْ به ، فامتنع من قبولها على عادته في ذلك ، فرددتها إلى صاحبها فوهبها لي ولم أتجاسرْ على قَبولها إلا بعد استئذانه فاستأذنته فأذن لي فكانت أصلَ حالي .

قال الخالع : وكانت بضاعة أبي سهل جيدةً في العلم ، فكان يحفظ القرآن ويعرف القراءات ويرويها ، ويطلع على قطعة من اللغة ، ويعرف النحو ويحفظ الشعر ويقوله ، وكان يتشيع على مذهب الامامية ويظاهر به ، إلا أنه كان في الأصول على رأي المجبرة ، ولم يعقب ولداً ذكراً ، وكانت له ابنة بقيت إلى سنة أربعين وباعت كتبه . وله أشعار كثيرة ركيكة باردة ومن أصلحها :

غضبَ الصوليُّ لمّا كَسَرَ الضيفُ وسمّى
ثم عند المضغ منه كاد أن يتلفَ غمّا
قال للضيفِ ترفقْ شُمَّ ريحَ الخبزِ شَمَّا
واغتنمْ شكري فقال الـ ـضيفُ بل أكلاً وذمّا

- 971 -

محمد بن أحمد بن يونس الفسوي أبو عبد الله ، يعرف بخاطف : صاحب أبي بكر ابن السراج وروى عن ابن دريد وغيره .

- 972 -

محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني الخوارزمي ، وهذه النسبة معناها

971 - بغية الوعاة 1 : 50 (عن ياقوت) .

972 - ترجمة البيروني في الموسوعة الاسلامية (الطبعة الثانية) 1 : 1236 - 1238 وفيها ذكر لأهم الكتب والدراسات التي كتبت عنه ؛ وتجد له ترجمة في عيون الأنباء 2 : 20 ونزهة الأرواح 2 : 85 - 89 والبيهقي : 72 وبغية الوعاة 1 : 50 ومن كتبه المطبوعة : الآثار الباقية وتحقيق ما للهند من مقولة ، والتفهيم لأوائل صناعة التنجيم ، ورسائل البيروني والقانون المسعودي وغيرها .

البراني ، لأن بيرون بالفارسية معناه برًّا ، وسألت بعضَ الفضلاء عن ذلك فزعم أن مقامه بخوارزم كان قليلاً ، وأهل خوارزم يسمون الغريب بهذا الاسم ، كأنه لما طالت غربتُهُ عنهم صار غريباً ، وما أظنه يراد به إلا أنه من أهل الرستاق، يعني أنه من برًّا البلد . ومات السلطان محمود بن سبكتكين في سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة وأبو الريحان حيٌّ بغزنة ، وجدت « كتاب تقاسيم الأقاليم » تصنيفه وخطّه وقد كتبه في هذا العام .

ذكره محمد بن محمود النيسابوري فقال[1] : له في الرياضيات السبقُ الذي لم يشقّ المُحْضِرُونَ غباره ، ولم يلحق المضمّرون المجيدون مضماره ، وقد جعل الله الأقسام الأربعة له أرضاً خاشعة سخت[2] له لواقحُ مُزْنِها واهتزّت به يوانعُ نبتها[3] فكم مجموع له [رفرف] على روض النجوم ظله ، وترقرق[4] على كبد السماء طله . وبلغني أنه لما صنف « القانون المسعودي » أجازه السلطان بحمل فيل من نقده الفضي[5] [إليه] فرده إلى الخزانة بعذر الاستغناء عنه ، ورفض العادة في الاستغناء به ، وكان رحمه الله مع الفسحة في التعمير ، وجلالة الحال في عامة الأمور ، مكبًّا على تحصيل العلوم منصبًّا إلى تصنيفِ الكتب ، يفتح أبوابها ، ويحيط شواكلها وأقرابها ، ولا يكاد يفارقُ يَـدَهُ القلمُ وعينَهُ النظرُ وقلبَهُ الفكر إلا في يومي النيروز والمهرجان من السنة لإعداد ما تمسُّ إليه الحاجة في المعاش ، من بُلْغةِ الطعام وَعُلْقَةِ الرياش ، ثم هجّيراه في سائر الأيام من السنة علمٌ يسفرُ عن وجهه قناعَ الأشكال ويحسر عن ذراعيه كمامَ الاغلاق .

حدث القاضي كثير بن يعقوب البغدادي النحوي في الستور عن الفقيه أبي الحسن علي بن عيسى الولوالجي قال : دخلتُ على أبي الريحان وهو يجود بنفسه ، قد حشرج نَفَسُهُ وضاق به صدره ، فقال لي في تلك الحال : كيف قلتَ لي يوماً حسابَ

(1) نزهة الأرواح 2 : 85 .

(2) م : سمت ، والتصحيح عن نزهة الأرواح .

(3) نزهة : واهتدت به مواقع هتنها .

(4) م : ونرفرف .

(5) نزهة . من النقرة

الجذرات[1] الفاسدة ؟ فقلت له إشفاقاً عليه : أفي هذه الحالة ؟ قال لي : يا هذا أُوَدِّعُ الدنيا وأنا عالمٌ بهذه المسألة ، ألا يكونُ خيراً من أن أُخلّيها وأنا جاهلٌ بها ؟ فأعدت ذلك عليه وحفظ وعلمني ما وعد ، وخرجت من عنده وأنا في الطريق ، فسمعت الصراخ .

وأما[2] نباهةُ قدره وجلالةُ خَطَره عند الملوك فقد بلغني من حَظْوَته لديهم أن شمسَ المعالي قابوس بن وشمكير أراد أن يستخلصَهُ لصحبته ويرتبطه في داره على أن تكونَ له الإمرةُ المطاعةُ في جميع ما يحويه مِلْكه ، ويشتملَ عليه مُلكه ، فأبى عليه ولم يطاوعه ، ولما أسمحتْ قرونته بمثل ذلك لخوارزمشاه [آواه] في داره وأنزله معه في قصره ، ودخل خوارزمشاه يوماً وهو يشربُ على ظهر الدابة فأمر باستدعائه من الحجرة فأبطأ قليلاً فتصور الأمر على غير صورته ، وثنى العنانَ نحوه ورام النزولَ فسبقه أبو الريحان إلى البروز وناشده الله ألا يفعل ، فتمثل خوارزمشاه :

العلمُ من أشرفِ الولاياتِ   يأتيه كلُّ الورى ولا ياتي

ثم قال : لولا الرسوم الدنياوية لما استدعيتك فالعلمُ يعلو ولا يُعلَى . وكأنه سمع هذا في أخبار المعتضد فانه كان يوماً يطوفُ في البستان وهو آخذٌ بيد ثابتِ بن قُرَّة الحراني ، إذ جذبها دفعةً وخلّاها ، فقال ثابت : ما بدا يا أمير المؤمنين ؟ قال : كانت يدي فوق يدك والعلمُ يعلو ولا يعلى .

ولما استبقاه[3] السلطان الماضي لخاصّةِ أمره وَحَوْجاءِ صدره كان يفاوضه فيما يَسْنَحُ لخاطره من أمرِ السماءِ والنجوم ، فيحكى أنه ورد عليه رسولٌ من أقصى بلاد الترك ، وحدَّث بين يديه بما شاهد فيما وراء البحر نحو القطب الجنوبي من دور الشمس عليه ظاهرةً في كلِّ دورها فوق الأرض بحيث يبطل الليلُ ، فتسارع على عادته في التشدد في الدين إلى نسبة الرجل إلى الالحاد والقرمطة ، على براءة أولئك القوم عن هذه الآفات ، حتى قال أبو نصر ابن مشكان : إن هذا لا يذكر ذلك عن رأي

(1) م . الجدات .

(2) النقل مستمر عن نزهة الأرواح .

(3) النقل مستمر عن النزهة .

يرتأيه ، ولكن عن مشاهدة يحكيه ، وتلا قوله عز وجل ﴿ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجعَلْ لَهُمْ مِنْ دُوْنِهَا سِتراً ﴾ (الكهف: 90) فسأل أبا الريحان عنه فأخذ يصفُ له على وجه الاختصار ويقرّره على طريق الاقناع . وكان السلطان في بعض الأوقات يُحْسِنُ الإصغاءَ ويبذلُ الإنصافَ ، فقبل ذلك ، وانقطع الحديث بينه وبين السلطان وقتئذ .
وأما ابنه السلطان مسعود فقد كان فيه إقبال على علم النجوم ومحبة لحقائق العلوم ، ففاوضه يوماً في هذه المسألة وفي سبب اختلاف مقادير الليل والنهار في الأرض وأحبَّ أن يتّضح له برهانٌ ما لم يصحَّ له من ذلك بعيان ، فقال له أبو الريحان : أنت المنفرد اليوم بامتلاك الخافقين والمستحقّ بالحقيقة اسم ملك الأرض فأَخْلِقْ بهذه المرتبة إيثار الاطلاع على مجاري الأمور وتصاريف أحوال الليل والنهار ، ومقدارها في عامرها وغامرها ، وصنَّفَ له عند ذلك كتاباً في اعتبار مقدارِ الليل والنهار بطريقٍ تبعدُ عن مواضعاتِ المنجمين وألقابهم ، ويقرّبُ تصوُّرَهُمْ من فهم من لم يرتَضْ بها ولم يعتدْها ، وكان السلطان الشهيد قد مهر بالعربية فَسَهُلَ وقوفه عليه وأجزل إحسانه إليه .
وكذلك صنَّف كتابه « في لوازم الحركتين » بأمره ، وهو كتاب جليلٌ لا مزيدَ عليه مقتبسٌ أكثر كلماته عن آيات من كتاب اللّه عز وجل . وكتابه المترجم « بالقانون المسعودي » يعفِّي على أثر كلِّ كتابٍ صُنِّفَ في تنجيم أو حساب . وكتابه الآخر المعنون بالدستور الذي صنفه باسم شهاب الدولة أبي الفتح مودود بن السلطان الشهيد مستوفٍ أحاسن المحاسن .

قال مؤلف الكتاب : هذا ذكره محمد بن محمود ، وإنما ذكرته أنا هاهنا لأن الرجل كان أديباً أريباً لغوياً له تصانيف في ذلك رأيت أنا منها : كتاب شرح شعر أبي تمام رأيته بخطه لم يتمه . كتاب التعلل باجالة الوهم في معاني نظم أولي الفضل . كتاب تاريخ أيام السلطان محمود وأخبار أبيه . كتاب المسامرة في أخبار خوارزم . كتاب مختار الأشعار والآثار . وأما سائرُ كتبه في علوم النجوم والهيئة والمنطق والحكمة فانها تفوق الحصرَ ، رأيت فهرستها في وقف الجامع بمرو في نحو الستين ورقة بخط مكتنز .

وحدثني بعض أهل الفضل أن السبب في مصيره إلى غزنة أن السلطان محموداً لما استولى على خوارزم قبض عليه وعلى أستاذه عبد الصمد أول بن عبد الصمد

الحكيم واتهمه بالقرمطة والكفر ، فأذاقه الحمام ، وهمَّ أن يُلْحِقَ به أبا الريحان فساعده فُسْحَةُ الأمل بسببٍ خلَّصه من القتل ، وقيل له إنه إمامُ وقته في علم النجوم وإن الملوك لا يستغنون عن مثله ، فأخذه معه ، ودخل إلى بلاد الهند وأقام بينهم وتعلَّم لغتهم واقتبس علومهم ، ثم أقام بغزنة حتى مات بها أرى في حدود سنة ثلاث وأربعمائة عن سن عالية . وكان حَسَنَ المحاضرةِ طيِّب العشرةِ خليعاً في ألفاظه عفيفاً في أفعاله ، لم يأت الزمانُ بمثله علماً وفهماً ، وكان يقول شعراً إن لم يكن في الطبقة العليا فانه من مثله حَسَن ، منه في ذكر صحبة الملوك ويمدح أبا الفتح البستي، من « كتاب سر السرور » :

مضى أكثرُ الأيامِ في ظلِّ نعمةٍ ... على رُتَبٍ فيها علوتُ كراسيا
فآلُ عراقٍ قد غَذَوْني بدَرِّهم ... ومنصورُ منهم قد تولّى غراسيا
وشمسُ المعالي كان يرتادُ خدمتي ... على نفرةٍ مني وقد كان قاسيا
وأولادُ مأمونٍ ومنهم عليُّهُمْ ... تبدّى بصنعٍ صار للحال أسيا
وآخرهم مأمون رفّهَ حالتي ... ونَوَّهَ باسمي ثم رأس راسيا
ولم ينقبضْ محمودُ عني بنعمةٍ ... فأغنى وأقنى مغضياً عن مِكاسيا
عفا عن جهالاتي وأبدى تكرماً ... وطَرَّى بجاهٍ رونقي ولباسيا
عفاءٌ على دنياي بعد فراقهم ... وواحزني أن لم أزر قبل آسيا
ولما مضوا واعتضتُ منهم عصابةً ... دعوا بالتناسي فاغتنمتُ التناسيا
وخلِّفتُ في غزنين لحماً كمضغةٍ ... على وَضَمٍ للطيرِ للعلم ناسيا
فأبدلتُ أقواماً وليسوا كمثلهم ... معاذَ الهي أن يكونوا سواسيا
بجهدٍ شأوتُ الجالبين أئمة ... فما اقتبسوا في العلم مثلَ اقتباسيا
فما بركوا للبحثِ عند معالمٍ ... ولا احتبسوا في عقدة كاحتباسيا
فسائل بمقداري هنوداً بمشرقٍ ... وبالغرب من قد قاس قَدْرَ عماسيا
فلم ينهم عن شكرِ جهدي نفاسةٌ ... بل اعترفوا طراً وعافوا انتكاسيا
أبو الفتح في دنياي مالكُ ربقتي ... فهات بذكراه الحميدةِ كاسيا

فلا زالَ للدنيا وللدين عامراً ولا زال فيها للغواةِ مواسيا

ومن أقوم شعره قوله لشاعر اجتداه :

يا شاعراً جاءني يخرى على الأدبِ وافى ليمدحني والذمُّ من أدبي
وجدته ضارطاً في لحيتي سَفَهاً كلا فلحيتُهُ عثنونها ذنبي
وذاكراً في قوافي شعره حَسَبي ولستُ والله حقاً عارفاً نسبي
إذ لستُ أعرف جدّي حقَّ معرفةٍ وكيف أعرفُ جدي إذ جهلت أبي
إني أبو لهب شيخٌ بلا أدبٍ نعم ووالدتي حمالةُ الحطبِ
المدحُ والذمُّ عندي يا أبا حسنٍ سيّان مثلُ استواءِ الجِدِّ واللعبِ
فأعفني عنهما لا تشتغلْ بهما بالله لا توقعَنْ مفساك في تعبِ

وله :

ومن حام حول المجدِ غيرَ مجاهدٍ ثوى طاعماً للمكرماتِ وكاسيا
وباتَ قريرَ العينِ في ظلِّ راحةٍ ولكنه عن حلةِ المجد عاريا

وله في التجنيس :

فلا يغررْكَ مني لينُ مسٍّ تراه في دروسٍ واقتباسِ
فإني أسرعُ الثقلين طرًّا إلى خوضِ الردى في وقتِ باسِ

ومنه :

تنغصَ بالتباعدِ طيبُ عيشي فلا شيءٌ أمرُّ من الفراقِ
كتابك إذ هو الفرجُ المرجّى أطبُّ لما ألمَّ من آلفٍ راقِ

وله :

أتأذنون لصبٍّ في زيارتكمْ إن كان مجلسكم خلواً من الناسِ
فأنتم الناسُ لا أبغي بكم بدلاً وأنتم الراسُ والانسانُ بالراسِ
وكدُّكُمْ لمعالٍ تنهضون بها وغيركم طاعمٌ مسترجعٌ كاسي
فليس يعرفُ من أيام عيشته سوى التلهي بأيرٍ قام أو كاسِ
لدى المكايدِ إن راجت مكايده ينسَى الإلهَ وليس اللهُ بالناسي

- 973 -

محمد بن أحمد بن عبيد الله الكاتب المعروف بالمفجع صاحب ثعلب : كذا وجدتُ نسبه بخط الطبري المعروف بمضراب اللبن من أهل البصرة ، ويكنى أبا عبد الله ، ذكره ابن النديم فقال : إنه لقي ثعلباً وأخذ عنه وعن غيره ، وكان شاعراً شيعياً ، وله قصيدة يسميها بالأشباه يمدح فيها علياً عليه السلام ، وبينه وبين ابن دريد مهاجاة ، وذكره أبو منصور الثعالبي في « كتاب اليتيمة » فقال : المفجع البصري صاحب ابن دريد والقائم مقامه في التأليف والاملاء ، حدث ابن نصر قال حدثني بعض المشايخ البصريين قال : كان المفجع وشمال يتهاجيان ، وكان شمال سنياً والمفجع شيعياً ، فقال فيه المفجع :

دار شمالٍ في بني أصمعْ

فقال شمال : كذا هو ، فقال المفجع :

انظر إليها فهي في بَلْقَعْ

قال شمال : أيُّ شيءٍ ذنبي إذا خربت المحلة ؟ قال :

وهو خبيثُ النفسِ مستهترٌ ... بكلِّ أيرٍ قائم أصلعْ

فقال شمال : هو شيعي وكان يجبُ أن ينزه ذكر القائم والأصلع عن لفظ الهجاء ، قال :

وذا قبيحٌ أن يُرَى شاعرٌ ... يناك في السُرْم على أربعْ

قال شمال : وغير الشاعرِ أيضاً قبيح أن يُرى كذا .

ثم عمل فيه شمال يُعَرِّضُ به :

رجلٌ نازلٌ بدربِ سطيحٍ ... أيّ شخص بالليل يركبُ سَطْحَهْ

---

973 - ترجمة المفجع في إنباه الرواة 3 : 312 (محمد بن محمد) والفهرست : 91 (المفجع بن محمد) واليتيمة 2 : 363 ومعجم الشعراء : 429 والوافي 1 : 129 وبغية الوعاة 1 : 31 والمحمدون من الشعراء : 30 (وفيه وردت أكثر الأشعار التي ذكرها ياقوت) ومعجم الطوسي (كلكتا) : 270 - 271 (رقم : 594) .

أخــذ اللّه لابنِ عفــانَ منــه ولشيخيــه والـزبيــرِ وطلحــهْ

فلما سمعت ربيعةُ بذلك قصدت دار المفجع فهرب منها .

ومن شعر المفجع[1] :

لـي أيــرٌ أراحنـي اللّه منــهُ صار حزني به عريضاً طـويلا

نــام إذ زارني الحبيبُ عناداً ولعهـدي بـه ينيـكُ الـرسـولا

حُسِبَتْ زورةً عليَّ لِـحَيْـنـي وافتــرقنـا ومــا شفيتُ غليـلا

ووجدت له أيضاً فيما رواه الحميدي :

لنـا صديقٌ مليـحُ الـوجـهِ مقتبـلٌ وليس في وده نفــعٌ ولا بَــرَكَــهْ

شبهتــه بنهـار الصيفِ يـوسعنـا طـولاً ويمنعُ منّـا النومَ والحـركهْ

وقد هجاه بعض الشعراء فقال[2] :

إنَّ الـمـفــجــعَ ويــلـه شــرُّ الأوائــلِ والأواخــرْ

ومــن الـنــوادرِ أنــه يملي على النـاسِ النوادر

كأنه من قول أبي تمام :

ومـا لك بـالغـريبِ يـدٌ ولكنْ تعاطيك الغـريبَ من الغريبِ

قال المرزباني : لقب بالمفجع ببيت قاله ، وهو شاعر مكثر عالم أديب ، مات قبل الثلاثين وثلاثمائة . قال : وهو القائل في أبي الحسن محمد بن عبد الـوهاب الزينبي الهاشمي يمدحه[3] :

للزينبيِّ على جـلالةِ قَـدْرِهِ خُلُقٌ كـطعم الماءِ غيـرُ مُزَنَّـدِ

وشهامةٌ تُقْصِي الليوثَ إذا سطا ونـدى يغرِّق كـلَّ بحرٍ مـزبـدِ

يحتـلُّ بيتاً في ذؤابة هــاشمٍ طـالتْ دعائمه محـلَّ الفـرقـدِ

حرٌّ يروحُ المستميحُ ويغتدي بمـواهبٍ منه تـروحُ وتغتـدي

(1) اليتيمة : 363 والمحمدون: 31 .

(2) المحمدون : 31 .

(3) المحمدون : 30

فـإذا تحيَّفَ مـالَـهُ إعـطاؤه في يومه نهلكَ البقيةَ في غـد
بضيـاءِ سُنَّته المكـارمُ تهتدي وبجودِ راحته السحائبُ تقتدي
مقدارُ ما بيني ومـا بين الغنى مقـدارُ ما بيني وبين المـربـدِ

وقال الثعالبي : وأما شعره فقليلٌ كثيرُ الحلاوة يكاد يقطرُ منه ماءُ الظُّرف ، وفيه يقول اللحام[1] :

إن المفجَّـع فالعنـوه بزيتِ[2] نَغِلٌ يدينُ ببغضِ أهلِ البيت
يهـوى العلوقَ وإنمـا يهـواهمُ بـمؤخـرِ حـيٍّ وقلبِ ميـتِ

ومن شعره ويروى لابن لنكك[3] :

لـنـا سـراجٌ نـورُهُ ظـلمـةٌ ليس لـه ظـلٌّ على الأرضِ
كـأنـه شخصُ الإمـام الـذي يبغي الهدى منه أولو الرفضِ

وللمفجع تصانيف منها : كتاب الترجمان في الشعر ومعانيه يشتمل على ثلاثة عشر حداً وهي : حدّ الاعراب . حدّ المديح . حد البخل . حد الحلم والرأي . حد الغزل . حد المال . حد الاغتراب . حد المطايا . حد الخطوب . حد النبات . حد الحيوان . حد الهجاء . حد اللغز ، وهو آخر الكتاب . وله أيضاً كتـاب المنقذ في الإيمان ، يشبه « كتاب الملاحن » لابن دريد إلا أنه أكبر منه وأجـود وأتقن . كتاب أشعار الجواري لم يتم . كتاب عرائس المجالس . كتاب غـريب شعر زيـد الخيل الطائي . كتاب قصيدته في أهل البيت . ذكره أبو جعفر في مصنفي الإمامية .

ومما أنشده الثعالبي له في غلام يكنى أبا سعد[4] :

زفـراتٌ تعتـادني عنـد ذكـرا كَ وذكـراكَ مـا تـريـمُ فـؤادي
وسـروري قد غـاب عنيّ مذ غبـــتَ فهـل كنتمـا على ميـعـاد
حـاربتني الأيـام فيـك أبـا سعــدٍ بسيف الهوى وسَهْم البعـاد

(1) اليتيمة : 363 .
(2) اليتيمة : مؤنث .
(3) اليتيمة : 365 .
(4) اليتيمة : 363 والمحمدون : 31 ـ 32 .

ليس لي مَفْــزَعٌ سوى عَبَــراتٍ من جفونٍ مكحولــةٍ بـالسهـاد
في سهـادي لطول أنسي بـذكـرا ك اعتيـاضٌ من الكرى والـرقـاد
وبحسـبي من المصـائبِ أنـي فـي بـلادٍ وأنـتـمُ فـي بـلاد

وله[1] :

ألا يـا جـامـعَ البصر ةِ لا خَـرَّبَـكَ الـلّهُ
وسقَّى صحنـك الغيثُ مـن الـمـزنِ فـروَّاه
فكم من عـاشقٍ فيـك يـرى مـا يـتـمـنـاه
وكـم ظبيٍ من الانس مليـحٍ فيك مـرعـاه
نصبنـا الفخَّ بـالعلم لـه فيـكَ فصـدنـاه
بـقـرآنٍ قـرأنـاه وتـفـسـيـرٍ رويـنـاه
وكم من طـالبٍ للشعـــرِ بـالشعـر طلبنـاه
فمـا زالتْ يـدُ الأيـا م حـتـى لان مـتـنـاه
وحـتى ثـبت الـسـرجُ عـلـيـه وركـبـنـاه
ألا يـا طـالبَ الأمـرِ دِ كـذِّبْ مـا ذكـرنـاه
فـلا يَغْـرُرْكَ مـا قلنـا فمـا بـالجـدِّ قـلنـاه
ولـو كـان من البغض يُـزَنَّـى حيـن يلقـاه
فـردُّ الـدرهم الضـربَ الـيـه يـتـلقـاه
فـبـالـدرهم يُسْتَنْـزَ لُ مـا في الجـو مـأواه
وبـالـدرهم يُسْتَخْـرَ جُ مـا في القفـر مثـواه

قال أبو محمد عبد الله بن أبي القاسم عبد المجيد بن شيران بن إبراهيم بن العباس بن محمد بن العباس بن محمد بن جعفر في « تاريخه » قال[2] : وفيها يعني

(1) اليتيمة : 364 والمحمدون : 32 .

(2) المحمدون : 33 ـ 34 .

في سنة سبع وعشرين وثلاثمائة توفي أبو عبد الله محمد بن عبد الله المفجع الكاتب الشاعر ، وكان شاعر البصرة وأديبها ، وكان يجلس في الجامع بالبصرة فيكتب عنه ويقرأ عليه الشعر واللغة والمصنفات ، وامتنع من الجلوس مدةً لسبب لحقه من بعض من حضره ، فخوطب في ذلك فقال : لو استطعتُ أن أنسيهم أسماءهم لفعلت . وشعره مشهور ، فمنه وقد دامتِ الأمطار وقطعت عن الحرّكة :

يا خالقَ الخلق أجمعينا ... وواهبَ المالِ والبنينا

ورافعَ السبع فوق سبعٍ ... لم يستعنْ فيهما معينا

ومن إذا قال كُنْ لشيءٍ ... لم تقعِ النونُ أو يكونا

لا تسقنا العامَ صَوْبَ غيثٍ ... أكثرَ من ذا فقد روينا

وله يخاطب أبا عبد الله البريدي وقد أعاد عليه ذكر سبب[1] :

قل لمن كان قد عفا ... عن ذنوبِ المفجّعِ

لا تُعِدْ ذكرَ ما مضى ... مَنْ عفا لم يُقرِّعِ

وله وقد سأل بعض أصدقائه أيضاً رقعةً وشعراً له يهنئه في مهرجان الى بعضهم فقصر حتى مضى المهرجان[2] :

إن الكتاب وإن تضمَّنَ طيه ... كُنْهَ البلاغةِ كالفصيحِ الأخرسِ

فإذا أعانته عنايةُ حاملٍ ... فجوابه يأتي بنجحٍ مُنْفِسِ

وإذا الرسولُ وَنَى وقصَّرَ عامداً ... كان الكتابُ صحيفةَ المتلمسِ

قد فات يومُ المهرجانِ فذكره ... في الشعرِ أبردُ من سخاءِ المفلسِ

فسئل عن سخاء المفلس فقال : يَعِدُ في إفلاسه بما لا يفي به عند إمكانه .

قال[3] : دخل المفجع يوماً إلى القاضي أبي القاسم علي بن محمد التنوخي فوجده [يقرأ] معاني الشعر على العبيسي فأنشد :

---

(1) المحمدون : 34 .

(2) المحمدون : 34 .

(3) المحمدون : 34 ـ 35 .

قد قُدِّمَ العُجْبُ[1]على الرُّوَيْسِ وشارفَ الوهدُ أبا قبيس
وطاول البقلُ فروعَ المَيْسِ وهبَّتِ العنزُ لِقَرْعِ التيس
وادَّعتِ الرومُ أباً في قيس واختلط الناسُ اختلاطَ الحيس
إذ قرأ القاضي حليفُ الكيس معانيَ الشعر على العبيسي

وألقى ذلك الى التنوخي وانصرف .

وكان أبو عبد الله الأكفاني راويته وكتب لي بخطه من مليح شعره شيئاً كثيراً .

قال : ومدح أبا القاسم التنوخي فرأى منه جفاءً فكتب إليه[2] :

لو أعرض الناسُ كلهم وأَبَوْا لم يُنْقِصوا رزقيَ الذي قسما
كان ودادٌ فزال وانصرما وكان عهدٌ فبانَ وانهدما
وقد صحبنا في عصرنا أمماً وقد فقدنا من قبلهم أمما
فما هلكنا هُزْلاً ولا ساختِ الـ أرضُ ولم تقطرِ السماءُ دما
في اللّه من كلِّ هالكٍ خَلَفٌ لا يرهبُ الدهرَ من به اعتصما
حرٌّ ظننّا به الجميلَ فما حقّقَ ظنّا ولا رَعَى الذمما
فكان ما ذا ما كلُّ معتمدٍ عليه يَرْعَى الوفاءَ والكرما
غلطتُ والناسُ يغلطون وهل تعرفُ خلقاً من غلطةٍ سلما
من ذا إذا أُعْطِيَ السدادَ فلم يُعْرَفْ بذنبٍ ولم يزل قدما
شَلَّتْ يدي لم جلستُ عن تفهٍ أكتب شجوي وأمتطي القلما
يا ليتني قبلها خرستُ فلم أُعْمِلْ لساناً ولا فتحتُ فما
يا زلةً ما أقلتُ عثرتها أبقتْ على القلبِ والحشا ألما
من راعه بالهوانِ صاحبُهُ فعاد فيه فنفسَهُ ظلما

وله[3] :

(1) يريد عُجْبَ الذنب ، قدّم على الرأس .
(2) المحمدون : 35 .
(3) المحمدون : 36 .

أظهرتُ للرئم بعضَ وجدي ... وإنما الوجدُ ما سترتُهْ
وقلت حُبّيك قد براني ... فقال دَعْهُ بذا أمرتُهْ

وله[1] قصيدته ذات الأشباه ، وسميت بذات الأشباه لقصده فيما ذكره من الخبر الذي رواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة ، قال قال رسول الله ﷺ ، وهو في محفل من أصحابه ، إن تنظروا إلى آدم في علمه ، ونوح في همه[2]، وإبراهيم في خلقه، وموسى في مناجاته، وعيسى في سنه، ومحمد في هديه وحلمه ، فانظروا إلى هذا المقبل ، فتطاول الناسُ فإذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام ، فأورد المفجع ذلك في قصيدته ، وفيها مناقب كثيرة ، وأولها :

أيها اللائمي لحبي عليّا ... قم ذميماً إلى الجحيم خزيّا
أبخير الأنام عَرَّضتَ لا زلـ ... ـتَ مذوداً عن الهدى مزويّا
أشبهَ الأنبياء كهلاً وَزَوْلاً ... وفطيماً وراضعاً وغذيّا
كان في علمه كآدم إذ عُلِّـ ... ـمَ شرحَ الأسماءِ والمكنيّا
وكنوحٍ نَجّى من الهُلْكِ من سيـ ... ـيَّر في الفلك إذ علا الجوديّا
وجفا في رضى الإله أباه ... واجتواه وعدَّهُ أجنبيّا
كاعتزالِ الخليل آزرَ في اللّـ ... ـه وهجرانه أباه مليّا
ودعا قومه فآمن لوطٌ ... أقربُ الناسِ منه رحماً وريّا
وعليٌّ لما دعاه أخوه ... سبق الحاضرين والبدويّا
وله من أبيه ذي الأيد إسما ... عيل شِبْهٌ ما كان عني خفيّا
إنّه عاونَ الخليلَ على الكعـ ... ـبة إذا شاد ركنها المبنيّا
ولقد عاون الوصيُّ حبيبَ الـ ... ـله إذ يغسلان منها الصفيّا
رام حمل النبي كي يقطعَ الأصـ ... ـنامَ من سطحها المثول الخبيّا
فحناه ثقلُ النبوّةِ حتى ... كاد ينآد تحته مثنيّا

(1) المحمدون : (نفسه) .

(2) المحمدون : فهمه .

فـارتـقى مـنكـبَ النبـيّ عـليٌّ صنـوه مـا أجـلَّ ذا المـرتقيّـا

فـأماط الأوثـانَ عن ظاهـر الكعـــبةِ ينفي الـرجـاسَ عنهـا نفيّـا

ولـو آنّ الـوصيّ حـاول مسَّ النـــجم بـالكفِّ لم يجـده قصيّـا

أفـهـل تعـرفـون غيـرَ عـليٌّ وابنـه استرحـل النبي مـطيّـا

وشعر أبي عبد الله المفجع كثير حسن .

وكان[1] يوماً بالأهواز جالساً مع جماعة فاجتاز به غلامٌ لموسى بن الطيب نديم أبي عبد الله البريدي يقال له طريف ، وهو أمرد مليح ، فسأل المفجع عنه فقيل : هذا غلام نديم البريدي فقال :

اجتـاز بي اليـومَ في الـطريقِ فتىً يـختـالُ فـي مُـورقٍ من البـانِ

فـقلتُ مـن ذا فـقـال لـي خَـبـرٌ بـالأمـر هـذا غـلامُ صـفعـانِ

ولأبي[2] عبد الله في جماعة من كبار أهل الأهواز مدائح كثيرة وأهاجٍ ، ولـه قصيدة في أبي عبد الله ابن درستويه يرثيه فيها وهو حيّ يقول فيها ويلقبه بدُهْن الآجُرّ :

مات دُهن الآجُرّ فـاخضرَّتِ الأر ضُ وكـادتْ جبـالهـا لا تـزولُ

ويصف أشياء كثيرة فيها .

قال[3] : وكان المفجع يكثر عند والدي ويطيل المقام عنده ، وكنت أراه عنده وأنا صبي بالأهواز ، وله إليه مراسلات وله فيه مدائح كثيرة كنتُ جمعتها فضاعت أيام دخولِ ابن أبي ليلى الأهواز ونُهبت روزناماتها[4]، وكان منها قصيدة بخطّه عندي يقول فيها :

لـو قيل للجـودِ مَنْ مولاكَ قـال نَعَمْ عبـدُ المجيـد المغيـريّ بن شيـران

وأذكر له من قصيدة أخرى :

يـا من أطال يـدي إذ هاضني زمني وصرتُ في المصرِ مجفـوًّا ومطّرحـا

(1) المحمدون : 38 .

(2) المصدر السابق .

(3) المصدر نفسه .

(4) المحمدون : ونهبت دور الناس بها .

أنقذتني من أناسٍ عند دينهم قَتْلُ الأديبِ إذا ما علمه اتضحا

قال : وكانت وفاته قبل وفاة والدي بأيام يسيرة ، ومات والدي في يوم السبت لعشر خلون من شعبان سنة سبع وعشرين وثلاثمائة ، وفيها مات الحراوري الشاعر.

ومن ملحه[1] المشهورة قوله لانسان أهدى إليه طبقاً فيه قَصَبُ السكر والاترنج والنارنج ، وأراه أبا سعد غلامه :

إن شيطانك في الظَّر ف لشيطانٌ مَريدُ
فلهذا أنت فيه تبتدي ثم تعيد
قد أتتنا تحفةٌ منـ ـك على الحسن تزيد
طبقٌ فيه قدودٌ ونهودٌ وخدود

وأنشد الثعالبي له في غلام مغنٍ جدِّر فازداد حسناً وجمالاً[2] :

يا قمراً جُدِّر حتى استوى فزاده حسناً وزادتْ همومْ
كأنه غنَّى لشمس الضحى فنقطته طرباً بالنجومْ

وأنشد له أيضاً[3] :

فسا على قومٍ فقالوا له[4] إن لم تقم من بيننا قمنا
فقال لا عدتُ فقالوا له مِنْ نتن فيه ذا كما كنا

وأنشد له أيضاً[5] :

أداروها ولليلِ اعتكار فخلتُ الليلَ فاجأه النهارُ
فقلتُ لصاحبي والليلُ داجٍ ألاح الصبحُ أم بدتِ العقار
فقال هي العقار تداولوها مشعشعةً يطيرُ لها شرار
فلولا أنني أمتاحُ منها حلفتُ بأنها في الكاس نار

(1) اليتيمة : 364 والمحمدون : 37 .
(2) اليتيمة 2 : 365 .
(3) اليتيمة : 365 .
(4) م : جزنا . . . لنا .
(5) اليتيمة : 365 .

ـ 974 ـ

محمد بن أحمد بن سليمان بن أيوب بن غيثة النوقاتي ـ : بالتاء قبل ياء النسبة ـ ونوقات محلة بسجستان يقال لها نوها فعربت ؛ يكنى أبا عمر السجستاني ، وهو والد عمر وعثمان ، وصاحب التصانيف المشهورة ، ذكره أبو سعد السمعاني في «كتاب تاريخ مرو» فقال : دخل إلى خراسان ، وكتب بهراة ومرو وبلخ وما وراء النهر ، وسمع الكثير من الشيوخ وأكثر ، واشتغل بالتصنيف وبلغ فيها الغاية ، وكان مرزوقاً فيها محسناً ، جمع من كلّ جنس وفنّ ، وأحسن في كل التصانيف . سمع أبا عبد الله محمد بن إسحاق القرشي ثم ذكر خلقاً كثيراً منهم الحاكم أبو عبد الله محمد ابن عبد الله بن البيِّع الحافظ وأبو حاتم محمد بن حبّان البستي وأبو يعلى النسفي وأبو علي حامد بن محمد الرفّاء وأبو سليمان الخطابي . وروى عنه ابناه عمر وعثمان.

وله تصانيف كثيرة : منها كتاب آداب المسافرين . كتاب العتاب والاعتاب . كتاب فضل الرياحين . كتاب العلم . كتاب الشيب . كتاب محنة الظراف في أخبار العشاق . كتاب معاشرة الأهلين . وأنشد لنفسه في «كتاب محنة الظراف» :

نمّتْ دموعي على سرّي وكتماني وشرّد النومَ عن عينيَّ أحزاني
وأقلقتنيَ عما أستعينُ به على الهوى حسراتٌ منك تغشاني
يا من جفاني وأقصاني وغادرني صبّاً وأشمتَ بي مَنْ كان يلحاني
لا تنسَ أيامَ أُنسٍ قد مننتَ بها وداوِ غُلّةَ قلبٍ فيك أعياني

ومن «كتاب محنة الظراف» مما نسبه أبو عمر إلى نفسه ومن خطّه نقلت :

سأهجركم ما دمتمُ في حجابكم على الكره حتى تأمنوا الرقباءَ
مساعدةً منّي لكم لا تصبراً ولم يَصبرِ العطشانُ يبصرُ ماءَ

وأنشد أيضاً لنفسه :

أصابك عينٌ بعد فرطك في حبي أم آذنبتُ فاستحسنتَ يا سيدي ذنبي

---

974 ـ الوافي 2 : 90 .

أحين سلبتَ القلبَ مني صبابةً وصيرتني عبداً تجافيتَ عن قربي
سأصبرُ حتى تعجبوا من تصبّري وأنتظرُ الحسنى على ذاكَ من ربي

وأنشد السمعاني باسناد له رفعه إلى النوقاتي عن الحسين بن أحمد عن الصولي عن ثعلب عن أبي العالية :

أرى بصري في كلِّ يومٍ وليلةٍ يكلُّ وخطوي عن مدى الخطوِ يَقْصُرُ
ومن يصحبِ الأيام ستينَ حجةً يُغَيِّرْنَه والدهرُ لا يتغير
لعمري لئن أمسيتُ أمشي مقيّداً لما كنتُ أمشي مطلقَ القيدِ أكثر

قال : وحدث أبو عمر ابن النوقاتي في رجب سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة فيكون وفاته بعد هذا الشهر .

ـ 975 ـ

محمد بن أحمد بن عمر الخلال أبو الغنائم اللغوي : إمام عالم جيد الضبط صحيح الخط معتمدٌ عليه معتبر ، أخذ عن أبي سعيد السيرافي وأبي علي الفارسي وأبي الحسن الرماني وتلك الطبقة .

ـ 976 ـ

محمد بن أحمد بن طالب الفقيه الأديب الحلبي أبو الحسن : سمع ببغداد أبا بكر ابن دريد وأبا بكر ابن الأنباري وأبا علي ابن الحسين بن أحمد الكاتب المعروف بالكوكبي وأبا عبد الله نفطويه وأبا عيسى محمد بن أحمد بن قطن السمسار ، وبحلب أبا عبد الله أحمد بن جعفر بن أحمد بن ماست الحاضري الحلبي والقاضي أبا حصين. ومات بعد سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة ، قرىء عليه كتابه في هذه السنة ، وله « كتاب الشبان والشيب » أحسنَ فيه .

975 ـ بغية الوعاة 1 : 37 .

976 ـ لم أجد له ترجمة .

- 977 -

محمد بن أحمد بن محمد بن أشرس أبو الفتح النحوي اللغوي : أديب فاضل شاعر من أهل نيسابور ، كان من تلاميذ أبي بكر محمد بن العباس الخوارزمي بنيسابور ، وقدم بغداد فلقي بها جماعة من أصحاب أبي علي الفارسي كالربعي علي بن عيسى وأبي الحسن السمسمي وغيرهما ، ذكره الباخرزي في كتابه فقال : حدثني القاضي أبو جعفر البحاثي[1] قال ، حدثني الحاكم أبو سعد ابن دوست قال : كان أبو الفتح ابن أشرس من ناحية الرخّ[2]،وكان يؤدب بنيسابور ويختلف إلى أبي بكر الخوارزمي ، فلما نَزَف ما عنده ارتحل إلى مدينة السلام . قال : فرأيت كتاباً بخطّ يده ، وقد كتب به إلى بعض أصدقائه ، وذكر في أثنائه أن ليس اليوم بخراسان من يقومُ باختيار[3] « فصيح الكلام » لثعلب و« ألفاظ الكتبة » لعبد الرحمن بن عيسى . قال أبو سعد : وكان الخوارزمي يومئذ حياً يرزق ، والألسنةُ بفضله تطلق ، وهذان الكتابان من زَغَبِ فراخ الكتب ، وأنكر معرفة أهلِ خراسان بهما ، فما ظنُّكَ بالقشاعمِ اللقمانية من أمهاتها ؟! وأنشدني القاضي أبو جعفر ، قال أنشدني الحاكم أبو سعد ، قال أنشدني ابن الأشرس لنفسه في أبي الحسن الأهوازي يهجوه :

يا عجباً لشيخنا الأهوازي ... يُزْهَى علينا وهو في هَوَّازِ

قال الحاكم أبو سعد وأنشدني أيضاً لنفسه :

كأنما الأغصانُ لما علا ... فروعَها قطرُ الندى قطرا[4]

ولاحتِ الشمسُ عليها ضحىً ... زبرجدٌ قد أثمر الدرّا

نقد الحاكم أبو سعد على بيته فقال قوله : « قد أثمر الدر » لا يستقيم في النحو لأنه لا يقال أثمرت النخلة الثمر ، وإنما يقال أثمرت ثمراً بغير الألف واللام .

---

977 - ترجمة ابن أشرس في الوافي 2 : 117 وبغية الوعاة 1 : 41 ودمية القصر 3 : 1502 وإنباه الرواة 4 : 148 - 151 .

(1) هو محمد بن اسحاق البحّاثي .

(2) الرخّ : ربع من أرباع نيسابور .

(3) الدمية : بكتاب .

(4) يقترح إسعاف رحمه الله أن يقرأ : ثرّا .

وكتب ابن أشرس من بغداد إلى أبي الفتح الحداد بنيسابور :

رُبَّ غــلام صــار فــي   بغــدادَ إحــدى الفــتنِ
رقّــعْتُ خَــرْقَ ظهــره   بــرقعــةٍ مــن بــدنــي

قال الحاكم : في هذين البيتين خلل لأنه لا يمكن أن يُفَسَّرَ على وجه قبيحٍ لأن لحيته أيضاً من بدنه . قال القاضي البحّاثي : فقلت له وهذا التفسير أشبه لأن اللّحية أشبه بالرقعة من الفعل ، قال : نعم لأن اللحية ترقعُ وذاك يمزق ؛ هذا آخر ما ذكره الباخرزي في كتابه .

قال القاضي أبو المحاسن ابن مسعر المعري[1] في كتابه[2] : وممن قرأت عليه أبو الفتح محمد بن أشرس النيسابوري ، وكان ملازماً دار الخلافة ويأتي يوم الثلاثاء إلى قطيعة الملحم[3] فكنت أصل إليه في هذا الموضع ، وكان واسع العلم غزير الحفظ ، وكان حيًّا في سنة خمس عشرة وأربعمائة ، ولم تتجاوز وفاته سنة عشرين وأربعمائة وما لقيت أحداً من البغداديين يحقق لي وقتَ وفاته فأُثْبِتَهُ على الحقيقة .

ـ 978 ـ

محمد بن أحمد بن محمد ، أبو سعد العميدي : أديب نحوي لغوي مصنف سكن مصر .

قال أبو إسحاق الحبال : أبو سعد العميدي له أدبيات ، مات يوم الجمعة لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ، وكان العميدي يتولّى ديوانَ الترتيب وعُزِلَ عنه كما ذكر الروذباري في سنة ثلاث عشرة في أيام الظاهر ، ووليه ابن معشر ، ثم تولى ديوان الانشاء بمصر في أيام المستنصر ، استخدم فيه عوضاً من ولي

978 ـ ترجمة العميدي في إنباه الرواة 3 : 46 والوافي 2 : 75 وبغية الوعاة 1 : 47 والمقفي 5 : 294 . وله الابانة عن سرقات المتنبي (مصر 1961) .

(1) م : المغربي .
(2) هو كتاب تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم ، وإليه أشير في الحواشي بـ « تاريخ أبي المحاسن » : انظر ص : 22 من هذا الكتاب .
(3) لم يذكر ياقوت هذه القطيعة .

الدولة ابن خيران الكاتب في صفر سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة ، وتولى الديوانَ بعده أبو الفرج الدهلي في جمادى الآخرة من سنة ست وثلاثين وأربعمائة .

وله تصانيف في الأدب ، منها كتاب تنقيح البلاغة في عشر مجلدات ، رأيته بدمشق في خزانة الملك المعظم ، خلّد الله دولته ، وعليه خطه وقد قرىء عليه في شعبان سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة . كتاب الارشاد إلى حل المنظوم والهداية إلى نظم المنثور . كتاب انتزاعات القرآن . كتاب العروض . كتاب القوافي كبير .

قال علي بن مشرف : أنشدنا أبو الحسين محمد بن محمود بن الدليل الصواف بمصر قال أنشدنا أبو سعد محمد بن أحمد العميدي لنفسه :

إذا ما ضاق صدري لم أجدْ لي مقرٌّ عبادةٍ إلا القرافَهْ

لئن لم يرحمِ المولى اجتهادي وقلَّةَ ناصري لم ألقَ رافه

_ 979 _

محمد بن أحمد بن محمد بن سلمان بن كامل بن عبد الله بن عامر بن سنان البخاري المعروف بالغنجار الحافظ ، أبو عبد الله بن أبي بكر : لم يكن من أهل الأدب فيجب ذكره ، إنما ذكرته لأنه ألف كتاب « تاريخ بخارا » .

قال أبو سعد السمعاني : مات الغنجار البخاري سنة عشر وأربعمائة ومولده في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ، ودفن في مقبرة حوض الفدام ببخارا .

قال أحمد بن ماما الأصبهاني الحافظ فيما زاده على تاريخ غنجار ، بعد ذكر نسب غنجار كما ذكرنا ، قال : سُمي غنجاراً لتتبعه وجمعه في حال شبابه أحاديثَ أبي أحمد عيسى بن موسى غنجار البخاري ، قال : وأولُ من كَتَبَ عنه الحديث كثير عن أبي بكر محمد بن أحمد بن حبيب، ومشايخه أكثرهم مذكورون في تصنيفه لتاريخ بخارا، سمعته يقول ولدت سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة، ومات يوم الجمعة عند طلوع الشمس الثاني والعشرين من شهر شعبان سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة .

---

979 ـ ترجمة الغنجار في أنساب السمعاني 9 : 177 وتذكرة الحفاظ : 1052 وسير الذهبي 17 : 304 والوافي 2 : 60 وطبقات الحفاظ : 412 والشذرات 3 : 196 (وجعل الذهبي وفاته سنة 412) .

- 980 -

محمد بن أحمد بن علي المعمري أبو بكر الأديب : مات في محرم سنة ثمان وعشرين وأربعمائة. قال عبد الغافر : الأديب المعمري مشهور ثقة حدث عن جماعة من الشيوخ ، وكان يؤدب ، وتخرج عليه جماعة من أولاد المشايخ ، سمع أبا حفص محمد بن علي الفقيه إملاء ، روى عنه أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله الكريزي .

- 981 -

محمد بن أحمد بن سهل، يعرف بابن بشران وبشران جده لأمه، ويعرف بابن الخالة أيضاً، ويكنى أبا غالب: من أهل واسط أحد الأئمة المعروفين والعلماء المشهورين ، تجمّع فيه أشتات العلوم ، وقرن بين الرواية والدراية والفهم وشدة العناية ، صاحب نحو ولغة وحديث وأخبار ودين وصلاح ، وإليه كانت الرحلةُ في زمانه ، وهو عين وقته وأوانه ، وكان مع ذلك ثقة ضابطاً محرراً حافظاً إلا انه كان مجدوداً أخذ العلم عن خلقٍ لا يُحْصَوْنَ : منهم أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الرحمن بن دينار الكاتب صاحب أبي علي الفارسي .

وحدث أبو عبد الله الحميدي قال : كتب إليَّ أبو الحسن علي بن محمد بن محمد الجلّابي الواسطي صديقنا من واسط أن أبا غالب ابن بشران النحوي مات بواسط في خامس عشر رجب سنة اثنتين وستين وأربعمائة ومولده سنة ثمانين وثلاثمائة . قال الجلّابي : ودخلت إليه قبل موته ، وجاءه من أخبره أن القاضي وجماعة معه قد ختموا على كتبه حراسةً لها وخوفاً عليها فقال :

لئن كان الزمانُ عليَّ أنحى   بأحداثٍ غصصتُ لها بريقي

---

980 - انظر المنتخب الثاني من السياق ، الورقة 11 ب - 12/أ .

981 - ترجمة ابن بشران في إنباه الرواة 3: 44 والمحمدون : 89 والبداية والنهاية 12: 100 والجواهر المضية 2: 11 ولسان الميزان 5: 43 والمنتظم 8: 259 والوافي 2: 82 والنجوم الزاهرة 5: 85 والشذرات 3: 310 وبغية الوعاة 1: 26 والعبر 3: 250 وسير الذهبي 18: 235 وميزان الاعتدال 3: 459 ودمية القصر 1: 317 ، 349 وسؤالات الحافظ السلفي : 20 .

فقـد أسـدى إليَّ يـداً بـأني عـرفتُ بها عـدوّي من صـديقي

قال : وهذا آخر ما قاله من الشعر .

قال الحميدي : وما أظن البيتين إلا لغيره .

قال : وأنشدنا وقد انقطع الناسُ عن عيادته والدخول إليه :

مـا لي أرى الأبصـارَ بي جـافيـه لـم تلتـفتْ منّي إلى نـاحيـهْ

لا ينـظرُ الناسُ إلى الميت لا[1] وإنمـا النـاس مـع العـافيـه

وله حظّ وافر من الشعر في قوله وعلمه ، فمن شعره[2] :

لـولا تعرُّضُ ذكـرِ مَنْ سكنَ الغضـا مـا كـان قلبي للضنى متعـرضـا

لكن جفـا جفني الكـرى بجفـائهم وحشـا حشاي فـراقُهُمْ جمرَ الغضـا

ولـو آن ما بي بـالريـاح لمـا جَـرَتْ والبـرقُ لـو يُمْنَى بـه مـا أومضـا

يـا راكبـاً يـطوي الـدجنَّـة عيسُهُ فتريه رضـراضَ الحصى مترضـرضا

بـلّغْ رعـاكَ اللّه سـكـانَ الغـضـا عنّي التحيـة إنْ عَـرَضْتَ معـرّضـا

وقـل آنقضى عصـرُ الشبـاب وودُّنـا بـاقٍ على مـرِّ الليـالي مـا انقضى

إن كـان قد حكم الـزمـانُ ببعـدكم أبـداً فتسليمـاً لمـا حكم القضـا

ونضـا الشبـابُ قنـاعَـهُ لمـا رأى سيفَ المشيب على المفارقِ منتضى

قـد كنتُ ألقى الدهـرَ أبيضَ ناضـراً فـاسـودَّ لمـا صـار رأسي أبيضـا

لـولا اعترافي بـالـزمـانِ وريبـه مـا كنتُ ممن يرتضي غيـرَ الـرضى

ولـه[3] :

لا تغتـرر بهـوى المـلاح فـربمـا ظـهـرتْ خـلائقُ لـلمـلاح قبـاحُ

وكذا السيوفُ يـروقُ حُسْنُ صِقالهـا وبـحـدهـا تُـتَـخَـطَّفُ الأرواح

(1) الأغاني (15 : 111) إلى المبتلى (ونبّه إليه ش : النشاشيبي) والشعر لعلية بنت المهدي .

(2) بعضها في دمية القصر 1 : 318 .

(3) الوافي 2 : 83 .

ولـه :

هـوى النفسِ سكـرٌ والسلوُّ إفـاقـةٌ ... ولن يستبينَ الرشدَ ذو الرشدِ أو يصحو

فدع نصحَ من أعماه عن رشده الهوى ... فـإن سـواءٌ عنـده الغشُّ والنصـح

ولـه[1] :

ولمـا أثـاروا العيس للبـينَ بَـيَّنَتْ ... غـرامي لمن حـولي دمـوعٌ وأنفـاسُ

فقلت لهم لا بـأسَ بي فتعجبـوا ... وقـالـوا الـذي أبديتَـهُ كلُّهُ بـاس

تعوَّضْ بأنسِ الصبرِ من وحشةِ الأسى ... فقد فارق الأحبابَ من قبلك الناس

ولـه :

تـوهمـه قلبي فـأوحى ضميـره ... قَبـولاً فأحكمنـا الهوى بـالسرائـر

فلمـا التقينا شُبَّتِ الحـربَ بيننـا ... على السلمِ منـا مقلتاهُ ونـاظري

جرحتُ بلحظي وجنتيه فأقصدتْ ... لـواحـظُهُ قلبي بـأسهمِ ثـائـرِ

ولـه :

سقى اللّه ليـلاً بتُّ فيـه مغـازلاً ... غزالاً حكى لي وجهه طلعـة البدرِ

أصبتُ بـه من غرةِ الدهرِ فـرصـةً ... فبـادرتهـا علمـاً بعـاقبـة الـدهــر

ولـه :

أفدي الذي عارضا خَـدَّيهِ لم يـدعا ... إذ أعـرضـا جـوهراً مني ولا عـرضـا

ولم يـزل مُمْـرِضي تمـريضُ مقلتـه ... حتى ثناني على فرْشِ الضنى حَرَضـا

قـال الـوشـاةُ إلى كم ذا الغـرامُ بـه ... فقلتُ حتى أرى من حسنـه عـوضـا

قـالـوا فقـد كنتَ ذا صبـرٍ تعـوذُ بـه ... فقلتُ شَـرَّدهُ عني الهـوى فمضى

ولـه[2] :

إن قـدَّم الحظُّ قـومـاً مـا لهم قَـدَمٌ ... في فضـلِ علم ولا حـزمٍ ولا جلد

---

(1) المنتظم 8: 259 .

(2) الوافي : 83 .

فهكـذا الفلكُ العلويُّ أنجمـه تقـدّمَ الثـورُ فيهـا رتبـةَ الأسـد

ولـه :

لمـا بـدا يفتنُ الألبـابَ رؤيتـه أبديتُ من حبه مـا كنتُ أخفيـهِ

وبـان عـذري لعـذّالي فكلهـمُ إليّ معتـذرٌ مـن عَـذْلِـهِ فيـه

لكن سكـرتُ بـراحٍ من لـواحـظه فمـا أفقتُ بغيـرِ الـراحِ من فيـه

قال وقد سئل ابن بشران إجازة هذا البيت :

ليس يخفى عليك وجدي عليكا واشتكـائي شوقي إليـك إليكا

فقال :

ونـزولُ المشيب قبـل أوان الشـ ـيب في عـارضيَّ من عارضيكـا

وحيـاتي لديـك في قبضَةِ الأسْـ ـدِ فكنْ حـافظاً حيـاتي لـديكـا

وعليك اعتمدتُ في حفظِ عهدي فأرعَ لي حرمـةَ اعتمادي عليكـا

نـاظـري نـاظـرٌ إلى جنـةٍ منـ ـكَ وقلبي في النارِ من ناظريكا

نقلت من خط خميس الحوزي قال ، قال قاضي القضاة أبو الفرج محمد بن عبيد الله بن الحسن قاضي البصرة ، قال : اجتمعت مع أبي غالب ابن بشران في جمادى الأولى سنة ستين وأربعمائة بواسط ، فسألته أولاً عن سبب تجنبه الانتساب إلى ابن بشران وهو به مشهور فقال : هو جدّي لأمي ، وهو ابن عم ابن بشران المحدث الذي كان ببغداد ، فسألته عن مولده فقال : مولدي في سنة ثمانين وثلاثمائة .

قال الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن سلفة : وسألته ـ يعني خميس بـن علي الحوزي أبا الكرم عن أبي غالب النحوي فقال : هو محمد بن أحمد بن سهل ، يعرف بابن الخالة ، أصله من نهر سابس ، ينسب إلى خاله ابن بشران ، وكان أحد الأعيان قدم واسط فجالس ابن الجلاب وابن دينار وتخصص بابن كروان وقرأ عليه « كتاب سيبويه » ولازم حلقة أبي إسحاق الرفاعي صاحب السيرافي . وكان يقول : قرأت عليه من أشعار العرب ألف ديوان . وكان مكثراً حسنَ المحاضرة مليح العارضة إلا انه لم ينتفع به أحد بواسط ولم يبرع به أحد في الأدب ، وكان جيد الشعر مع ذلك ، رأينا في

كتبه بعدَهُ خطوطَ أشياخ عدة بكتبٍ كثيرة في الأدب وغيره إلا أنه كان معتزليًّا ، وشهد عند إسماعيل قاضي واسط في آخر شوطه وذكر وفاته كما تقدم .

ومن شعره في أمرد التحى :

قالوا التحى من قد براك صدودُهُ ... وَعمَّا قليلٍ سوف عنكَ يُفَرَّجُ

فقلتُ لهم إني تعشقتُ روضةً ... بها نرجسٌ غضٌّ وردٌ مضرَّجُ

وقد زاد فيها بعد ذاك بنفسجٌ ... أأتركها إذ زاد فيها بنفسجُ

وله :

طلبت صديقاً في البرية كلها ... فأعيا طلابي أن أصيبَ صديقا

بلى من تسمَّى بالصديق مجازةً ... ولم يكُ في حفظ الودادِ صدوقا

وطلَّقْتُ ودَّ العالمين صريمةً ... وأصبحتُ من أسرِ الحفاظِ طليقا

ومن مستحسن قوله في الشيب :

وقائلة إذ راعها شيبُ مفرقي ... وفوديَّ ما هذا جُعلتُ لك الفدا

تراه الذي خُبِّرْتُ قدماً بأنه ... يصيِّرُ أهلَ الودِّ في صورة العدا

لقد راعني حتى تخيلتُ أنه ... وحاشاك مما قلتُهُ حادثُ الردى

فقلتُ لها بل روضةٌ غاضَ ماؤها ... ونبتٌ أنيقٌ حال إذ بلغ المدى

وإن عشتِ لاقيتِ الذي قد لقيتُهُ ... وأيقنتِ أني لم أكن فيه أوحدا

وكل امرىءٍ ان عاش للشيب عرضةٌ ... وان عفَّ عنه اليومَ جاز به غدا

قال : وكان لابن بشران كتب حسنة كثيرة وقفها على مشهد أبي بكر الصدّيق فذهبت على طول المدى .

وسئل ابن بشران عن مقدّمةِ العسكر ومقدمة الكتاب فقال : أما مقدمة العسكر فلا خلاف فيه أنه بكسر الدال وأما مقدّمة الكتاب فيحتمل الوجهين ، والوجه حمله على مقدمة العسكر .

وله :

قل للوزير الذي ما في وزارته ... لمن يلوذُ به ظلٌّ ولا شَرَفُ

حتـامَ ويلي أنـا وقفٌ عليـكَ ولي ... إلى سـواكَ من الأمجـاد مُنْصَـرَفُ

كـأنني فَـرَسُ الشـطرنـج ليس لـه ... في ظـلِّ صـاحبـه مـاءٌ ولا عَلَفُ

ـ 982 ـ

محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن يزيد بن حاتم الباوردي النحوي أبو يعقوب : قال أحمد بن محمد بن مرزوق الأنماطي المصري : مات يوم الأربعاء لسبع وعشرين ليلة خلت من ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وأربعمائة .

ـ 983 ـ

محمـد بن أحمد بن محمـد الصفار أبـو بكر الأديب الأصبهـاني : ذكـره يحيى بن عبد الوهاب بن منده فقال : كان يختلف إلى [حَلَقِ] الحديث إلى ان مات وكان يعظ الناس مدة ثم اشتغل بالعلم إلى أن مات ، كان أديباً فاضلاً بارعاً في الأدب حسن الخلق مائلاً الى الخيرات . مات في شهر ربيع الأول سنة سبعين وأربعمائة .

ـ 984 ـ

محمد بن أحمد المعموري البيهقي الأديب الفيلسوف : مات مقتولاً في شهور سنة خمس وثمانين وأربعمائة، كذا ذكر البيهقي في «كتاب الوشاح» وقال: كان من علية الحكماء والأئمة ، وقد ألقت العلوم إليه أطرافَ الأزمة ، واتفق أنه انتقـل إلى اصبهان في خدمة تاج الملك الذي كان وزيراً بعد نظام الملك ، وكان قـد نظر في زايرجة طالعه فرأى من التسييرات إلى القواطع وشعاع النحوس ما يدل على الخوف

---

982 ـ بغية الوعاة 1 : 36 (عن ياقوت) .

983 ـ ترجمة الصفار في إنباه الرواة 3 : 47 .

984 ـ الأرجح أنه هو محمد بن أحمد المعموري الذي وردت ترجمته في تاريخ حكماء الاسلام : 163 ، وانه أخذ من مخبأه وأحرق حين جرى إحراق أصحاب الجبال والقلاع من الباطنية ، وذكر تفصيلات حول ذلك الحادث ؛ وانظر الوافي 2 : 75 (وهو لا يعدو ما أورده ياقوت) .

والوجل ، فأغلق بابَ داره عليه ، فأخرج وقتل واحرق على سبيل الغلط ، قضاء الله ليس له مردٌّ . ومن منظومه :

دعـاك الـربـيـعُ وأيـامُـهُ   ألا فـاستمعْ قـولَ داعٍ نصـوحْ
يـقـولُ اشـربِ الـراحَ ورديـةً   ففي الـراح يا صـاح رَوْحٌ ورُوحْ
وغنّى البـلابـلُ عنـد الصبـاح   لأهلِ الشراب: الصبوحَ الصبوحْ

قال ومن تصانيفه : كتاب في التصريف مُجَدْوَل . كتاب في النحو . كتاب في المخروطات والهندسة وغير ذلك .

- 985 -

محمد بن أحمد بن عبد الباقي بن منصور بن إبراهيم الدقاق أبو بكر المعروف بابن الخاضبة الحافظ العالم : مات فيما نقلت من « المذيل » بخط أبي سعد السمعاني في شهر ربيع الأول سنة تسع وثمانين وأربعمائة ودفن بمقبرة الأجمة المتصلة بباب أبرز .

قال أبو سعد : وكان حافظاً فهماً درس القرآن وتفقه زماناً وقرأ الحديث فأكثر ، وكان مفيدَ بغداد والمشار إليه في القراءة الصحيحة والنقل المستقيم ، وكان مع ذلك صالحاً ورعاً ديناً خيراً ، سمع بمكة والشام والعراق ، وأكثر ببغداد عن أبي بكر أحمد بن علي الخطيب وأصحاب أبي طاهر المخلص وأبي حفص الكتاني وعيسى بن علي الوزير وطبقتهم ، وأدركته المنية قبل وقت الرواية . سمع منه جماعة من مشايخنا ، وسمعوا بقراءته وإفادته الكثير ، ورأيتهم مجمعين على الثناء عليه والمدح له :

والناسُ أكيسُ من أن يمدحوا رجلاً   حتى يـروا عنـده آثـارَ إحسـانِ

قال السمعاني : سمعت أبا العلاء أحمد بن محمد بن الفضل الحافظ ، ذكر أبو

985 - ترجمة ابن الخاضبة في سؤالات الحافظ السلفي : 102 والمنتظم 9 : 101 وعبر الذهبي 3 : 325 وسير الذهبي 19 : 109 وميزان الاعتدال 3 : 465 وتذكرة الحفاظ 4 : 1224 والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد : 5 والوافي 2 : 89 ولسان الميزان 5 : 75 وطبقات الحفاظ : 448 والشذرات 3 : 393 .

الفضل محمد بن طاهر المقدسي ، سمعت أبا بكر محمد بن أحمد بن عبد الباقي الدقاق المعروف بابن الخاضبة يقول : لما كانت سنة الغرق[1] وقعت داري على قماشي وكتبي ، وكان لي عائلة الوالدة والزوجة والبنت ، فكنتُ أورِّقُ للناس وأنفقُ على الأهل ، فأعرفُ أنني كتبت « صحيح مسلم » في تلك السنة سبع مرات ، فلما كان ليلة من الليالي رأيتُ في المنام كأنَّ القيامةَ قد قامت ومنادٍ ينادي ابن الخاضبة ، فأُحْضِرْتُ فقيل لي ادخلِ الجنة ، فلما دخلتُ البابَ وصرتُ من داخل استلقيتُ على قفاي ووضعتُ إحدى رجليَّ على الأخرى وقلت : آه استرحتُ والله من النسخ .

قال السمعاني : وسمعت أبا المناقب محمد بن حمزة بن إسماعيل العلوي بهمذان مذاكرةً يقول : ذكر أبو بكر ابن الخاضبة رحمه الله أنه كان ليلةً من الليالي قاعداً ينسخُ شيئاً من الحديث بعد أن مضى قطعةٌ من الليل ، قال : وكنتُ ضيقَ اليد ، فخرجتْ فأرة كبيرةٌ وجعلت تعدو في البيت ، وإذا بعد ساعة قد خرجت أخرى ، وجعلا يلعبان بين يديّ ويتقافزان إلى أن دنوا من ضوء السراج ، وتقدمت إحداهما إليَّ وكانت بين يديَّ طاسة فأكببتها عليها ، فجاءت صاحبتها فدخل[2] سربه وإذا بعد ساعة قد خرج وفي فيه دينار صحيح وتركه بين يدي ، فنظرت إليه وسكت واشتغلتُ بالنسخ ، ومكث ساعةً ينظر إليّ ، فرجع وجاء بدينار آخر ومكث ساعةً أخرى ، وانا ساكت انظر وأنسخ ، فكان يمضي ويجيء إلى أن جاء بأربعة دنانير أو خمسة ، الشكُّ مني ، وقعد زماناً طويلاً أطولَ من كلّ نوبة ورجع ودخل سَرَبه وخرج ، وإذا في فيه جُلَيْدةٌ كانت فيها الدنانير وتركها فوق الدنانير ، فعرفتُ أنه ما بقي معه شيء ، فرفعتُ الطاسةَ فقفزا فدخلا البيت ، وأخذت الدنانير وأنفقتها في مهمّ لي ، وكان في كل دينار دينار وربع .

قال السمعاني : حكى أبو المناقب العلوي هذا أو معناه فاني كتبت من حفظي والعهدةُ عليه فيما حكى وروى . فإني ذاكرت بهذه الحكاية بعضَ أهل العلم بدمشق فنسبها إلى غير ابن الخاضبة ، والله أعلم .

قال : وسمعتُ أبا الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي السلامي يقول :

---

(1) يريد سنة 466 وقد قال ابن الأثير (10 : 90) وفي هذه السنة غرق الجانب الشرقي وبعض الجانب الغربي من بغداد ، وسببه أن دجلة زادت زيادة عظيمة . . الخ .

(2) هكذا تغير الضمير إلى التذكير في سائر النص .

سمعتُ أبا بكر ابن الخاضبة يحكي هذه الحكاية عن مؤدّبه أبي طالب المعروف بابن الدلو كان يسكنُ بنهر طابق وكان رجلاً صالحاً ، وحكى عنه حكاياتٍ أخر أيضاً في إجابة الدعاء ، ولم يحكها ابن الخاضبة عن نفسه ، فذهب على أبي المناقب ولم يكن ضابطاً ، كان متساهلاً في الرواية .

قال مؤلف هذا الكتاب : وهذه حكايةٌ على ما يُرى من الاستحالة ، وقد أوردتها أنا لثقة موردها وتحريه في الرواية ، فان صَحَّتْ فقد فزتَ بحظٍّ من العجب ، والا فاجعلها كالسمر تستمتع به .

قال السمعاني : وأنشدني أبو صالح عبد الصمد بن عبد الرحمن الحنوي ، أنشدنا محمد بن أحمد بن عبد الباقي الدقاق ، أنشدنا أبو علي إسماعيل بن قلية ببيت المقدس :

كتبتُ إليك إليَّ الكتاب وأودعته منك حسنَ الخطابْ

لتقرأه أنت لا بل أنا وينفذ مني إليَّ الجوابْ

قال مؤلف الكتاب : إنما ذكرت ابن الخاضبة في كتابي هذا وان لم يكن ممن اشتهر بالأدب لأشياء منها أنه كان قارئاً ورّاقاً ، وله حكايات ممتعة ، ولم يكن بالعاري من الأدب بالكلية .

ـ 986 ـ

محمد بن أحمد بن علي بن حامد الكركانجي أبو نصر المروزي : من أهل مرو ، صاحب أبي الحسين الدهان ، مات فيما ذكره السمعاني في « المذيل » عن ابنه عبد الرحمن الكركانجي قال : توفي الإمام الوالد في ثاني عشر ذي الحجة سنة أربع وثمانين وأربعمائة ، وهو ابن نيف وتسعين سنة . ومولده في حدود سنة تسعين وثلاثمائة بمرو .

---

986 ـ ترجمة الكركانجي في الأنساب 10 : 398 والمنتظم 9 : 60 ومعرفة القراء الكبار 1 : 354 وعبر الذهبي 3 : 305 وسير الذهبي 18 : 600 والوافي 2 : 88 والبداية والنهاية 12 : 138 وطبقات ابن الجزري 2 : 72 والنجوم الزاهرة 5 : 133 والشذرات 3 : 372 ومعجم البلدان (كركانج) .

قال : وكان إماماً فاضلاً في علوم القرآن ، صاحب التصانيف الحسنة فيها مثل : كتاب المعول . وكتاب التذكرة لأهل البصرة وغير ذلك . سافر الكثير إلى العراق والحجاز والجزيرة والشام والسواحل في طَلَبِ علم القرآن والقراءة على المشايخ إلى أن صار أوحدَ عصرِهِ وفريدَ دهره في فنه ، وكان مع فضله زاهداً ورعاً متديناً .

قال : حكى لي بعض المشايخ أن أبا نصر المقرىء المروزي قال : غرقتُ نوبةً في البحر وانكسر المركب ، فكنتُ أخوضُ في الماءِ وتلعبُ بي الأمواج ، فنظرتُ إلى الشمس وقد زالت ودخلِ وقتُ الظهر ، فغصتُ في الماء ونويت أداء فرض الظهر وأنا أنزل في الماء ، وشرعتُ في الصلاة على حسب الوقت ، فخلصني الله تعالى ببركة ذلك .

وقرأ القرآن على جماعة كثيرة : منهم بمرو على أستاذه أبي الحسين عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الدهان المقرىء ، وبنيسابور على أبي عبد الله محمد بن علي الخبازي وأبي عثمان سعيد بن محمد المعدل ، وببغداد على أبي الحسن علي بن أحمد بن عمر بن حفص بن الحمامي ، وذكر غير هؤلاء .

قال : سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الرزاق المقرىء بسرخس يقول : سمعت أستاذي أبا نصر محمد بن أحمد بن علي المقرىء الكركانجي بجيرنج يسأل ويقول : أين في القرآن كلمة متصلة عشرة أحرف ؟ فأفحمنا ، فقال : لَيَسْتَخْلِفَنَّكُمْ فِي الْأَرْضِ . ثم قال : فأين جاء في القرآن بين أربع كلمات ثمان نونات فلم نحر جواباً فقال ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْك ﴾ (يوسف: 2) .

وذكر السمعاني باسناد آخر أن أبا نصر الكركانجي قال : نصف القرآن في قوله تعالى ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً ﴾ (الكهف: 74) النون والكاف من النصف الأول والراء والألف من النصف الثاني .

قال : وسمعت المقرىء أبا عبد الله محمد بن عبد الرزاق الحداد بِسَرَخْسَ يقول : سمعتُ المقرىء أبا نصر محمد بن أحمد الكركانجي بجيرنج يقول : أردت أن أقرأ القرآن على بعض القراء بالشام برواية وقعت له عالية ، فامتنع عليَّ ، ثم قال لي : تقرأ عليَّ كلَّ يوم عَشراً وتدفع إليَّ مثقالا من الفضة ، فقبلت ذلك منه شئت أو أبيت ؛ قال : فلما وصلتُ إلى المفصَّل أُذِنَ لي كلَّ يوم في قراءة سورة كاملة ، وكنت أرسل

غلماني في التجارة إلى البلاد ، وأقمتُ عنده سنةً وخمسة أشهر أو سنة حتى ختمت ، واتفق أن لم يردَّ عليَّ في هذه الرواية خلافاً من جودة قراءتي ، فلما قرب أن أختم الكتابَ جمع أصحابه الذين قرؤوا عليه في البلاد القريبة منه وأمرهم أن يحملَ إليَّ كلُّ واحدٍ منهم شستكةً[1] قيمتها دينار أحمر وفيها من دينارين إلى خمسة ، وقال لهم المقرىء : آعلموا أنَّ هذا الشاب قرأ عليَّ الروايةَ الفلانية ولم أحتجْ أن أردَّ عليه ، ووزن في كلِّ يوم مثقالاً من الفضة ، وأردت أن أعرفَ حرصه في القراءة مع الجودة . وردَّ عليَّ ما كان أخذه مني ، ودفع إليَّ كلَّ ما حمله أصحابه من الشساتك والذهب ، فامتنعت ، فأظهر الكراهيةَ حتى أخذتُ ما أشار إليه وخرجتُ من تلك البلدة .

ـ 987 ـ

محمد بن أحمد الابيوردي الكوفني أحد قراء أبيورد : هو أبو المظفر محمد بن أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي العباس أحمد بن إسحاق بن أبي العباس محمد الإمام بن إسحاق بن الحسن أبي الفتيان بن أبي مرفوعة منصور بن معاوية الأصغر بن محمد بن أبي العباس عثمان بن عنبسة [بن] عتبة بن عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ؛ نقلت هذا النسب من تاريخ جمعه منوجهر بن اسفرسيان بن منوجهر ابتداءه فيما ذكر لي في أوله من بعد ما ذكره الوزير أبو شجاع فقال فيه عند ذكر الأبيوردي : حكي أنه كان من أبيورد ، ولم يعرف له هذا النسب ، وانه كان ببغداد في خدمة مؤيد الملك ابن نظام الملك ، فلما عادى مؤيد الملك عميد الدولة ابن جهير ألزمه أن يهجوه ففعل ، فسعى عميد الدولة إلى الخليفة بأنه قد هجاك ومدح صاحب مصر ، فأبيح دمه فهرب إلى همذان ، واختلق هذا النسب حتى ذهب عنه ما قُرِفَ به من مدح صاحب مصر ، وكان يكتب على كتبه

987 ـ ترجمة الأبيوردي في إنباه الرواة 3 : 49 والمنتظم 9 : 176 ومعجم البلدان (أبيورد) وابن خلكان 4 : 444 وعبر الذهبي 4 : 14 وسير الذهبي 19 : 283 وتذكرة الحفاظ : 1241 والوافي 2 : 91 ومرآة الزمان ، 29 ومرآة الجنان 3 : 196 وطبقات السبكي 6 : 81 والبداية والنهاية 12 : 176 والنجوم الزاهرة 5 : 206 وبغية الوعاة 1 : 40 والشذرات 4 : 18 .

(1) الشستكة : الكيس .

« المعاويّ » ، وكان فاضلاً في العربية والعلوم الأدبية نسابةً ليس مثله ، متكبراً عظيماً ، وسمع سنقر كفجك بخبره فأراد أن يجعله طُغْرائيَّ الملك أحمد ، فمات أحمد ، فرجع إلى أصفهان بحال سيئة ، وبقي سنين يعلم أولاد زين الملك برسق ، ثم شرح سنقر الكفجك للسلطان محمد ذلك وأعطاه إشراف المملكة ، وكان يدخل مع الخطير وأبي إسماعيل والمعين وشرف الدين ، فتوفي فجأة بأصفهان يوم الخميس العشرين من شهر ربيع الأول سنة سبع وخمسمائة ، وكذا ذكر ابن منده ، ويقال : بل سقاه الخطير، ودفن بباب دره[1]، وكان كبير النفس عظيم الهمة لم يسأل أحداً شيئاً قط مع الحاجة والمضايقة ، وكان من دعائه في الصلاة : اللهم ملكني مشارق الأرض ومغاربها . ورثى الحسين عليه السلام بقصيدة قال فيها ، ومن خطه نقلت[2] :

فجدّي وهو عَنْبَسةُ بنُ صخرٍ بريءٌ من يزيدَ ومن زيادِ

قال السمعاني ، قال شيرويه : سمع الأبيوردي إسماعيل بن مسعدة الجرجاني وعبد الوهاب [بن] محمد بن الشهيد وأبا بكر ابن خلف الشيرازي ، حديثاً واحداً ، وأبا محمد الحسن بن أحمد السمرقندي وعبد القاهر الجرجاني النحوي .

قال ابن طاهر المقدسي : عنبسة الأصغر بن عتبة الاشرف بن عثمان بن عنبسة الأكبر بن أبي سفيان . قال : ومعاوية الأصغر هو الذي ينتسب إليه الأبيوردي ، ومعاوية أول من تديّر كوفن ، وهي قصبة بين نسا وأبيورد ونقله إليها حيان بن حكيم العبدي[3] .

وكتب مرة قصة إلى الخليفة ، وكتب على رأسها الخادم المعاويّ يعني معاوية بن محمد بن عثمان لا معاوية بن أبي سفيان ، فكره الخليفةُ النسبةَ إلى معاوية واستبشعها ، فأمر بكشط الميم وردّ القصة فبقيت الخادم العاوي .

وحدث السمعاني عن أحمد بن سعد العجلي قال : كان السلطان نازلاً على باب همذان فرأيت الأديبَ الأبيورديَّ راجعاً من عندهم ، فقلت له : من أين ؟ فأنشأ يقول ارتجالاً[4] :

---

(1) لعله : باب تيره (أخبار أصفهان 1 : 15) .

(2) زاده في الديوان 2 : 153 (عن ياقوت) .

(3) م : حبان ... العابدي .

(4) زادهما في الديوان 2 : 153 (عن ياقوت وغيره) .

ركبتُ طِرفي فأذرى دَمْعَهُ أسفاً عند انصرافيَ منهم مضمرَ الياسِ
وقال حتامَ تؤذيني فإن سنحتْ حوائجُ لكَ فاركبني إلى الناس

وحدث أبو سعد السمعاني عن أبي علي أحمد بن سعيد العجلي المعروف بالبديع قال : سمعت الأبيوردي يقول في دعائه : اللهم ملكني مشارق الأرض ومغاربها ، فقلت له : أي شيء هذا الدعاء ؟ فكتب إليّ بهذه الأبيات[1] :

يعيّرني أخو عِجْلٍ إبائي على عُدْمي وتيهي واختيالي
ويعلم أنني فَرَطٌ لحيٍّ حَمَوْا خططَ المعالي بالعوالي
فلست لحاصنٍ إن لم أزرْها على نَهَلٍ شَبَا الأَسَلِ الطوال
وإن بلغ الرجالُ مدايَ فيما أحاوله فلستُ من الرجال

قال أبو علي العجلي : وكنتُ يوماً متكسراً فأردت أن أقوم فعضدني الأبيوردي وعاونني على القيام ، ثم قال : أموياً يعضد عجلياً ، كفى بذلك شرفاً .

وقد ولي الأبيوردي خزن خزانة دار الكتب بالنظامية التي ببغداد بعد القاضي أبي يوسف يعقوب بن سليمان الاسفرائني ، وكانت وفاة الاسفرائني هذا في رمضان سنة ثمان وتسعين وأربعمائة وكان أبو يوسف الاسفرائني أيضاً شاعراً أديباً ، وهو القائل في بهاء الدولة منصور بن مَزْيَد صاحب حلة بني مَزْيَد :

أيا شجراتِ النيل من يضمنُ القِرى إذا لم يكن جارَ الفراتِ ابنُ مَزْيَدِ
إذا غاب منصورٌ فلا النورُ ساطعٌ ولا الصبحُ بسّامٌ ولا النجم مهتدي

وحدث العماد محمد بن حامد الأصبهاني في « كتاب خريدة القصر » [أن] الأبيوردي تولى في آخر عمره إشرافَ مملكة السلطان محمد بن ملكشاه ، فسقوه السم وهو واقف عند سرير السلطان ، فخانته رجلاه فسقط وحمل إلى منزله ، فقال[2] :

وقفنا بحيثُ العدلُ مدَّ رواقَهُ وخيّم في أرجائِهِ الجودُ والباسُ

---

(1) من زيادات الديوان 2 : 154 ـ 155 .
(2) من زيادات الديوان 2 : 148 ـ 149 .

وفوق السرير ابنُ الملوكِ محمدٌ تخرُّ له من فرط هيبته الناس
فخامرني ما خانني قدمي له وإن ردَّ عني نفرةَ الجأشِ إيناس
وذاك مقامٌ لا نوفّيه حقَّه إذا لم ينبْ فيه عن القدم الراس
لئن عثرتْ رجلي فليس لمقولي عثارٌ وكم زلَّتْ أفاضلُ اكياس

قال العماد الأصبهاني : وكان رحمه الله عفيف الذيل ، غير طفيف الكيل ، صائم النهار قائم الليل ، متبحراً في الأدب ، خبيراً بعلم النسب ، وأورد له صاحب « وشاح الدمية » فيه[1] :

من أرتجي وإلى من ينتهي أربي ولم أطأ صهوات السبعةِ الشهبِ
يا دهرُ هبنيَ لا أشكو إلى أحدٍ ما ظلَّ منتهساً شلوي[2] من النوب
تركتني بين أيدي النائباتِ لقىً فلا على حَسَبي تُبْقي ولا نسبي
يريك وجهي بشاشاتِ الرضى كرماً والصدرُ مشتملٌ مني على الغضب
إن هزَّني اليسرُ لم أنهضْ على مَرَحٍ أو مسَّني الضرُّ لم أجثم على لغب[3]
حسبُ الفتى من غناه سدُّ جَوْعَتِهِ وكلُّ ما يقتنيه نُهْزَةُ العطب

وله[4] :

خليليَّ إن الحبَّ ما تعرفانه فلا تنكرا أنَّ الحنينَ من الوجدِ
أجنُّ وللانضاءِ بالغورِ حَنَّةٌ إذا ذَكَرَتْ أوطانها بربى نجد

وله[5] :

خطرتْ لذكرك يا أميمةُ خطرةٌ بالقلب تجلبُ عبرةَ المشتاقِ
وتذودُ عن قلبي سواكِ كما أبى دمعي جوازَ النومِ بالآماق

(1) الديوان 2 : 169 .
(2) م : شكوى .
(3) م : الكعب .
(4) الديوان 2 : 172 .
(5) الديوان 2 : 175 .

لم يُبْقِ منّي الحبُّ غيرَ حُشاشةٍ تشكو الصبابةَ فاذهبي بالباقي
أيُبِلُّ مَنْ جَلَبَ السقامَ طبيبُهُ ويفيقُ مَنْ سَحَرَتْهُ عينُ الراقي
إن كان طرفُكِ ذاق ريقَكِ فالذي ألقى من المسقيِّ فعلُ الساقي
نفسي فداؤك من ظلومٍ أعطيت رقَّ القلوبِ وطاعةَ الأحداق
فلقلةِ الأشباهِ فيما أوتيتْ أضحت تُدِلّ بكثرةِ العشاق

وله[1] :

علاقةٌ بفؤادي أعقبتْ كمداً لنظرةٍ بمنىً أرسلتها غَرَضا
وللحجيج ضجيجٌ في جوانبه يقضون ما أوجب الرحمنُ وافترضا
فاستنفض[2] القلبَ رعباً ما جنى نظري كالصقرِ نَدَّاهُ طلُّ الليل فانتفضا
وقد رمتني غداةَ الخيفِ غانيةٌ بناظرٍ إن رمى لم يخطىء الغرضا
لما رأى صاحبي ما بي بكى جزعاً ولم يجدْ بمنىً عن خُلّتي عوضا
وقال دع[3] يا فتى فهْرٍ فقلت له يا سعدُ أَوْدَعَ قلبي طرفُها مرضا
فبتُّ أشكو هواها وهو مرتفقٌ يشوقه البرقُ نجديًّا إذا ومضا
تبدو لوامعه كالسيف مختضباً شباهُ بالدم أو كالعرقِ إن نبضا
ولم يُطِقْ ما أعانيه فغادرني بين النقا والمصلّى عندها ومضى

وقرأت من خط تاج الاسلام اختلافاً في نسبه وهو : محمد بن أحمد بن محمد بن إسحاق بن الحسن بن منصور بن معاوية بن محمد بن عثمان بن عتبة بن عنبسة بن أبي سفيان صخر بن حرب الأموي العبشمي ، أوحد عصره وفريد دهره في معرفة اللغة والأنساب وغير ذلك ، وأليق ما وصف به بيت أبي العلاء المعري :

وإني وإن كنتُ الأخيرَ زمانُهُ لآتٍ بما لم تستطعه الأوائلُ

وله تصانيف كثيرة : منها كتاب تاريخ أبيورد ونسا . كتاب المختلف والمؤتلف .

---

(1) الديوان 2 : 181 .
(2) م : فاستيقظ .
(3) الديوان : رح .

كتاب قبسة العجلان في نسب آل أبي سفيان . كتاب نهزة الحافظ . كتاب المجتبى من المجتنى في رجال كتاب أبي عبد الرحمن النسائي في السنن المأثورة ، وشرح غريبه . كتاب ما اختلف وائتلف في أنساب العرب . كتاب طبقات العلم في كل فن . كتاب كبير في الأنساب . كتاب تعلّة المشتاق إلى ساكني العراق . كتاب كوكب المتأمل ، يصف فيه الخيل . كتاب تعلّة المقرور في وصف البرد والنيران وهمذان . كتاب الدرة الثمينة . كتاب صهلة القارح ردَّ فيه على المعري « سقط الزند » . وله في اللغة مصنفات ما سبق إليها .

وكان حسن السيرة جميل الأمر منظرانيًّا من الرجال ، سمع الحديث فأكثر ، ولقي عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي وأخذ عنه ، وروى عنه جماعة غير محصورة .

وقال السمعاني : سمعت أبا الفتح محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم النطنزي يقول : سمعت الأبيوردي يقول : كنت ببغداد عشرين سنة حتى أمرّنَ طبعي على العربية وبعد أنا أرتضخ لكنة .

قال : وقرأت بخط يحيى بن عبد الوهاب بن منده : سئل الأديب الأبيوردي عن أحاديث الصفات فقال نُقِرُّ ونُمِرُّ .

وأنشد السمعاني للأبيوردي بإسناد :

جدّي معاويةُ الأغرّ سَمَتْ به ... جرثومةٌ من طينها خُلِقَ النبي

وورثْتُهُ شرفاً رفعتُ مناره ... فبنو أميةَ يفخرون به وبي

وأنشد له[1] :

كُفِّي أميمةُ غَرْبَ اللومِ والعَذَلِ ... فليس عِرْضي على حالٍ بمبتذلِ

إن مسَّني العدمُ فاستبقي الحياءَ ولا ... تكلفيني سؤالَ العصبةِ السفلِ

فشعرُ مثلي وخيرُ القولِ أصدقه ... ما كان يفترّ عن فخر وعن غزل

أما الهجاءُ فلا أرضى به خلقاً ... والمدحُ إن قلته فالمجدُ يغضب لي

(1) أثبتها في زيادات الديوان 2 : 138 ـ 139 .

وكيف أمدحُ أقواماً أوائلهم ... كانوا لأسلافيَّ الماضين كالخول

وله أيضاً في مدح الأئمة الخمسة[1] :

زاهرُ العودِ رطيبُهْ ... ولياليه تُشيبُهْ

كلُّ يومٍ من مكانٍ ... يلبسُ الذلُّ غريبهْ

وهو يسعى طالباً للـ ... ـعلم والهمُّ يذيبُهْ

وطوى بُرْدَ صِباه ... قبل أن يَبْلَى قشيبه

واقتدى بالقوم يدعو ... هُ هواهُ فيجيبه

خمسةٌ لا يجدُ الحا ... سدُ فيهم ما يَعيبهْ

منهم الجعفيّ لا يُعْـ ... ـرَفُ في العلم ضريبه

وإذا اعتلَّ حديثٌ ... فالقشيريُّ طبيبه

وأخونا ابنُ شعيبٍ ... حازمُ الرأي صليبهْ

وأبو داودَ موفو ... رٌ من الفضل نصيبه

وأبو عيسى يرى الجهـ ... ـميّ منه ما يريبه

جادهم ذو زَجَلٍ يسـ ... ـتضحك الروضَ نحيبهْ

طار فيه البرقُ حتى ... خالط الماءَ لهيبه

وأنشد له[2] :

تنكَّرَ لي دهري ولم يدرِ أنني ... أعِزُّ وأحداثُ الزمانِ تهونُ

فبات يريني الخطبَ كيف اعتداؤه ... وبتُّ أريه الصبرَ كيف يكون

له في الغزل[3] :

أعَضرَ الحمى عُدْ فالمطايا مُناخةٌ ... بمنزلةٍ جرداءَ ضاحٍ مقيلها

---

(1) في الزيادات 2 : 152 ـ 153 .

(2) الديوان 2 : 55 .

(3) الديوان 2 : 216 .

لئن كانتِ الأيامُ فيكَ قصيرةً ... فكم حنةٍ لي بعدها أستطيلها

وله[1] :

رمتني غَداةَ الخيف ليلى بنظرةٍ ... على خَفَر والعيسُ صُعْرٌ خدودُهَا

شَكَتْ سقماً ألحاظها وهي صحةٌ ... فلست ترى إلا القلوبَ تعودها

وله[2] :

صِلِي يا أبنةَ الأشرافِ أروعَ ماجداً ... بعيدَ مَناطِ الهمِّ جمَّ المسالكِ

ولا تتركيه بين شاكٍ وشاكرٍ ... ومُطْرٍ ومغتابٍ وباكٍ وضاحكِ

فقد ذلَّ حتى كاد ترحمه العدى ... وما الحبُّ يا ظبياءُ إلا كذلك

ووجدت بعد ذلك رسالة كتبها إلى أمير المؤمنين المستظهر بالله يعتذر ، تدلُّ على صحة ما نُسِبَ إليه من الهرب من بغداد ، نسختها : إحسانُ المواقفِ المقدسة النبوية الامامية الطاهرة الزكية الممجدة العلية ، زاد الله في إشراق أنوارها ، وإعزاز أشياعها وأنصارها ، وجعل أعداءها حصائدَ نقمها ، ولا سَلَبَ أولياءَها قلائدَ نعمها ، شملَ الأنام ، وغمر الخاصَّ والعام ، وأحقُّ خدمها بها من انتهج المذاهبَ الرشيدةَ في الولاء الناصح ، والتزم الشاكلةَ الحميدةَ في الثناء المتتابع ، ولا خفاء باعتلاقِ الخادم أهدابَ الاخلاص ، واستيجابه مزايا الاجتباء والاختصاص ، لما أسلفه من شوافع الخِدَم ، ومهَّده من أواصرِ الذمم ، متوفراً على دعاءٍ يُصْدِرُهُ من خلوصِ اليقين ، ويعدُّ المواصلةَ به من مفترضاتِ الدين ، ولئن صدَّتِ الموانعُ عن المثول بالسدَّةِ المنيفة ، والاستذراءِ بالجناب الأكرم في الخدمة الشريفة ، فهو في حالتي دنوّه منها واقترابه ، وتارتي انتزاحِهِ عنها واغترابه ، على السَّنَنِ القاصد في المشايعة مقيم ، ولما يشمله من نَفَحاتِ الأيام الزاهرة مستديم . وقد علم اللّه سبحانه ، ولا يستشهده كاذباً ، إلا من كان لرداءِ الغيِّ جاذباً ، أنه مطويّ الجنانِ على الولاء ، منطلقُ اللسانِ بالشكر والدعاء ، يتَّشِحُ بهما الصبحَ كاشراً عن نابه ، ويدّرعهما الليلَ ناشراً سابغَ جلبابه ، وكان يغبّ

(1) الديوان 2 : 206 .

(2) الديوان 2 : 260 .

خِدَمَهُ اتقاءً لقومٍ يبغونه الغوائل ، وينصبون له الحبائل ، وتدعوهم العقائدُ المدخولةُ إلى تنفيره ، وَيُرَقُّونَ عنه غيرَ ما أجنَّه في ضميره ، ولا يرقبون في مؤمنٍ إلّاً ولا ذماماً ، ويزيدهم الاستدراجُ على الجرائم جرأةً وإقداماً ، حتى استشعر وجلاً ، فاتخذ الليلَ جملاً ، والتحف بناشئة الظلماء ، والفرار مما لا يُطَاقُ من سنن الأنبياء ، ولم يزلْ يستبطىءُ فيهم المقادير ، والأيام ترمزُ بما يُعْقِبُ التبديلَ والتغيير ، فحاق بهم مكرهم ، وانقضت شرتهم وشرهم :

عذرتُ الذرى لو خاطرتني قُرومُها فما بالُ أكارينَ فُدْعِ القوائمِ

وعاود الخادم المثابرةَ على الممادح الإمامية مطنباً ومطيلاً ، إذ وجد إلى مطالعة مقارِّ العزِّ والعظمة ومواقفِ الإمامة المكرمة بها سبيلاً ، وهذه فاتحة ما نظم ، وانتهز فرصة الامكان فيه واغتنم[1] :

لكَ من غليلِ صبابتي ما أُضمر وأُسِرُّ من ألمِ الغرامِ وأُظهرُ
وتذكّري زمنَ العُذَيبِ يَشفُّني والوجدُ ممنوٌّ به المتذكّر
إذ لِمَّتي سحماءُ مدٌّ على التقى أظلالُها ورقُ الشبابِ الأخضر
وَلِداتُكَ النشءُ الصغارُ وليس ما ألقاه فيك من الملاوم يَصْغُر[2]
هو ملعبٌ شَرِقَتْ بنا أرجاؤُهُ إذ نحن في حُلَلِ الشبيبةِ نخطر
فبحرُّ أنفاسي وصوبِ مدامعي أضحتْ معالمه تراحُ وَتُمْطَر
وأجيلُ في تلك المعاهدِ ناظري فالقلبُ يَعْرفها وطرفي ينكر
وأردُّ عبرتيَ الجموحَ لأنها بمقيل سرِّكَ في الجوانح تخبر
فأبيتُ محتضرَ الجوى قلقَ الحشا وأظلُّ أُعْذَلُ[3] في هواكَ وأُعذر
غضبتْ قريشٌ إذ ملكتَ مقادتي غضباً يكادُ السمُّ منه يقطر
وتعاورتْ عَذْلي فما أرْعَيْتُها سمعاً يقلُّ به الملامُ ويكثر

---

(1) هي القصيدة رقم : 30 في ديوانه 1 : 339 .

(2) سقط من المتن وزاده المحقق في الحاشية .

(3) م : أعذر .

ولقـد يهـونُ على العشيـرةِ أنـني أشكـو الغـرامَ فيـرقـدون وأسهـر
وبمهجتي هيفـاءُ يـرفـعُ جيـدَهـا رشـأٌ ويخفض نـاظِـرَيْـهـا جُؤْذر
طرقتْ وأجفانُ الـوشاةِ على الكـرى تُـطْوَى وأرديـةُ الغيـاهـبِ تُنْشَـر
والشُهْبُ في غَسَقِ الدجى[1] كأسنّةٍ زرقٍ يصـافحهـا العجـاجُ الأكـدر
فنجـادُ سيفي مسَّ ثِنْيَ وشـاحهـا بمضـاجـعٍ كَـرُمَتْ وعفَّ المئـزر
ثم افتـرقنـا والـرقيبُ يـروعُ بي أسـداً يـودّعـه غـزالٌ أحـور
والـدرُّ ينـظمُ حين تضحـكُ عِقْـدَهُ وإذا بكيتُ فمـن جفـوني ينـثـر
فـوطئتُ خـدَّ الليـلِ فـوق مـطهَّمٍ تسمـو لغـايتـه الـريـاحُ فتَحْسَرُ[2]
طَـرِبُ العنـانِ كـأنـه في حُضْـرِهِ نـارٌ بـمعتَـركِ الجيـادِ تَـسَعَّـرُ
والـعـزّ يُلحقني وشـائـعَ بُـرْدِهِ حلقُ الـدلاصِ وصـارمي والأشقـر
وعـلام أدّرِعُ الـهـوانَ ومـوئـلي خيرُ الخـلائقِ أحمـدُ المستـظهـر
هـو غُـرَّةُ الـزمنِ الكثيرِ شِيـاتُـهُ زُهِيَ الســريـرِ بـه وتـاه المنبـر
ولـه كمـا اطَّـردتْ أنـابيبُ القنـا شَـرَفٌ وعـرقٌ بـالنبـوةِ يـزخـر
وعـلًا تـرفُّ على التقى وسمـاحـةٌ عَلِقَ الـرجـاءُ بهـا وبأسٌ يُحـذر
لا تنفـعُ الصلواتُ مَنْ هـو سـاحبٌ ذيـلَ الـضـلالِ وعـن هـواهُ أزور
ولـو استميلت عنـه هـامـةُ مـارقٍ لـدعـا صـوارمَـهُ إليهـا المغفـر
واللّه يحـرسُ بـابنِ عمّ رسـولـه دينَ الهـدى وبـه يُعـانُ وينـصـر
فَعُفَـاتُـهُ حيثُ الغنى يسـعُ المنى وعـداتُـهُ حيثُ القنـا يتكسـر
وَبِسَيْبِـهِ وبسيفـه أعـمـارهـمْ في كـلِّ معضلةٍ تـطولُ وتـقصـر
وكـأنـه المنصـورُ في عَـزَمـاتِـهِ ومحمـدٌ في المكـرمـات وجعفـر
وإذا معـدٌّ حصّـلتْ أنسـابَـهـا فهم الـذرى والجـوهـرُ المتخيَّـر

(1) الديوان : تلمع في الدجى .
(2) لهذا الشطر رواية مختلفة في الديوان .

ولهم وقائعُ في العدى مذكورة ... تروي الذئابُ حديثَها والأَنْسُرُ
والسمرُ في اللباتِ راعفةٌ دماً ... والبيضُ يخضبها النجيعُ الأحمر
والقرنُ يركب رَدْعَهُ سَهْلَ الخطا ... والأعوجيّةُ بالجماجم تعثر
ودجا النهارُ من العجاج وأشرقتْ ... فيه الصوارمُ فهو ليلٌ مقمر
يا ابن الشفيع إلى الحيا ما لامرىءٍ ... طامنتَ نخوته المحلُّ الأكبر .
أنا عبدُ نعمتك[1] التي لا تجتَدى ... معها السحائبُ فهي منها أغزر
والنُّجْحُ يضمنه[2] لمن يرتادها ... منا الطلاقةُ والجبينُ الأزهر
ولقد عداني عن جَنابِكَ حادثٌ ... أنحى عليَّ به الزمانُ الأغبر[3]
وإن اقتربتُ أو اغتربتُ فإنني ... لَهِجٌ بشكرِ عوارفٍ لا تكفر
وعُلاكَ لي في ظلِّها ما أبتغي ... منها ومن كلمي لها ما يُذْخَر
يُنْشِدِي مديحَكَ هاجسي وينيرُهُ ... فكري وحظّي في امتداحك أوفر
بغدادُ أيتها المطيُّ فواصلي ... عَنَقاً تئنُّ له القلاصُ الضمَّر
إني وحقِّ المستجنِّ بطيبةٍ ... كلفٌ بها وإلى ذراها أَصْوَرُ[4]
وكأنني مما تُسَوِّلُهُ المنى ... والدارُ نازحةٌ إليها أنظر
أرضٌ تجرُّ بها الخلافةُ ذيلها ... وبها الجباهُ من الملوك تُعَفَّر
فكأنها جُلِّيَتْ[5] علينا جنةٌ ... وكأن دجلة فاض فيها الكوثر
وهواؤها أرِجُ النسيم وتُرْبُها ... مِسْكٌ تهاداه الغدائرُ أذفر
يقوى الضعيفُ بها ويأمنُ خائفٌ ... قلقتْ وسادتُهُ ويثري المقتر
فتركتها إذ صدَّ عني معشري[6] ... وبغى عليَّ من الأراذلِ معشر

(1) الديوان : أنا غرس أنعمك .
(2) م : يضمنها .
(3) البيت لم يرد في متن الديوان .
(4) أصور : مائل بشوقه إليها .
(5) الديوان : جليت .
(6) الديوان : فصدرت عنها إذ نبا بي (الديوان : نباني) معشري .

من كـلِّ ملتحفٍ بمـا يَصِمُ الفتى ... يـؤذي ويـظلمُ أو يجـورُ ويـغـدر
فنفضتُ منه يدي مخـافَة كيـدِهِ ... إنَّ الكـريمَ على الأذى لا يصبـر
والأبيضُ المأثور يخطمُ بالـردى ... من لا ينهنهـهُ القـطيـعُ الأسـمـر
فـارفضَّ شملهـمُ وكم من مَـوْرِدٍ ... لـلظالميـن وليس عنـه مَصْـدَر
وأبى لشعـريَ أن أُدنِّسَـهُ بـهـم ... حسبي وحسبُ ذوي الخنا أن يُحقروا
قـابلتُ سيِّءَ ما أتـوا بجميلِ مـا ... آتـي فـانـي بـالـمكـارم أجـدر
وإلـى أميـر الـمؤمـنين تـطلعتْ ... مِـدَحٌ كمـا ابتسم الـريـاضُ تُحَبَّـرُ
ويـقـيـم مـائـدَهُـنّ لـيـلٌ مـظلم ... ويـضمُّ شـاردَهُـنَّ صبـحٌ مـسفـر
فبمثـل طـاعتـه الهـدايـةُ تُبْتَغى ... وبفضـلِ نـائله الخصـاصـةُ تجبـر

وله(1) :

ألا ليت شعـري هـل تخبُّ مـطيتي ... بحيث الكثيبُ الفردُ والأجرعُ السهلُ
ألـذُّ بـه مسَّ الـثـرى ويـروقنـي ... حـواشي رُبًى يغذو أزاهيـرَها الـوبل
ولـولا دواعـي حُبِّ رملةَ لم أقُـلْ ... إذا زرتُ مغنـاهـا بـه سُقِيَ الـرمـل
فيـا حبـذا أثـلُ العقيقِ وَمَـنْ بـه ... وان رحلتْ عنه فـلا حَبّـذا الأثـل
ضعيفةُ رَجْعِ القولِ من تَرَفِ الصبا ... لهـا نظرةٌ تنسيـك ما يفعـلُ النصـل
وقـد بعثـتْ سـرّاً إليَّ رسـولـهـا ... لأهجرهـا والهجـرُ شيمـةُ من يسلو
تخـافُ عليَّ الحيَّ إذ نـذروا دمي ... سـأُرْخِصُـهُ فيهـا على أنـه يـغلو
أيمنعني خـوفُ الـردى أن أزورَهَـا ... وأَرْوَحُ من صبري على هجرها القتل
إذا رضـيتْ عـني فـلا بـات لـيلةً ... على غضبٍ إلا العـشيـرةُ والأهـل

وله(2) :

خـطوبٌ للقلوب بها وجيبُ ... تكـادُ لهـا مفـارقنـا تشيبُ

---

(1) أورده في الزيادات 2 : 154 .
(2) في الزيادات 2 : 151 .

نرى الأقدارَ جاريةً بأمرٍ … يَريبُ ذوي العقول بما يريب
فتنجحُ في مطالبها كلابٌ … وأسدُ الغاب ضاريةً تخيب
وتُقْسَمُ هذه الأرزاقُ فينا … فما ندري أتخطىء أم تصيب
ونخضعُ راغمين لها اضطراراً … وكيف يُلاطِمُ الإشفا لبيب

وله[1] :

وغادةٍ لو رأتها الشمسُ ما طلعتْ … والرئمُ أغضى وغصنُ البانِ لم يَمِسِ
عانقتها بِرداءِ الليلِ مشتملاً … حتى انتبهتُ بِبَرْدِ الحلي في الغلس
فظلْتُ أحميه خوفاً أن ينبهها … وأتقي أن أذيبَ العِقد بالنفس

وله[2] :

ومتّشحٍ باللؤم جاذبني العلا … فَقدَّمَهُ يُسْرٌ وأخّرني عسرُ
وطوقتُ أعناقَ المقادير ما أتى … به الدهر حتى ذلّ للعَجْزِ الصدر
ولو نيلت الأرزاقُ بالفضلِ والحجى … لما كان يرجو أن يثوبَ له وفر
فيا نفسُ صبراً إنَّ للهمِّ فُرْجَةً … فما لكِ الا العزّ عندي أو القبر
ولي حَسَبٌ يستوعبُ الأرضَ ذكرُهُ … على العُدْمِ والأحسابُ يدفنها الفقر

وله أيضاً وهو من جيد شعره[3] :

وعليلةِ الألحاظِ ترقدُ عن … صبٍّ يصافحُ جَفْنَهُ الأرقُ
وفؤاده كسوارها حَرِجٌ … ووسادُهُ كوشاحها قلق
عانقتها والشهبُ ناعسةٌ … والأفقُ بالظلماءِ منتطق
ولثمتها والليلُ من قِصَرٍ … قد كاد يَلْثِمُ فَجرهُ الشفق
بمعانقٍ[4] ألفَ العفافَ به … كَرمٌ بأذيالِ التقى علق

---

(1) الديوان 2 : 30 (رقم : 127) .
(2) الديوان 2 : 60 (رقم : 161) .
(3) الديوان 2 : 92 (رقم : 198) .
(4) الديوان : بمضاجع .

ثم افترقنا حين فاجأنا صبحٌ تقاسم ضوءه الحدق
وبنحرها من أدمعي بَلَلٌ وبراحتي من نشرها عبق

وله :

بيضاءُ إن نَطَقَتْ في الحيِّ أو نظرتْ تقاسَمَ السحرَ أسماعٌ وأبصارُ
والركبُ يسرونَ والظلماءُ عاكفةٌ كأنهم في ضميرِ القلبِ أسرار

وله[1] :

وقصائدٍ مثلِ الرياضِ أُضعتها في باخلٍ ضاعتْ به الأحسابُ
فإذا تناشدها الرواةُ وأبصروا الـ ـممدوحَ قالوا ساحرٌ كذاب

وله[2] :

ما للجبانِ ألانَ اللّه ساحتَهُ[3] ظنَّ الشجاعةَ مرقاةً إلى الأجلِ
وكم حياةٍ جَنَتْها[4] النفسُ من تَلَفٍ وربَّ أمنٍ حواهُ القلبُ من وَجَلِ
فقتَ الثناءَ فلم أبلغ مداك به حتى توهمتُ أن العجز من قِبَلي
والعيُّ أنْ يَصِفَ الورقاءَ مادِحُهَا بالطَّوقِ أو يمدحَ الأدماءَ بالكَحَلِ

وله[5] :

وقد سئمت مقامي بين شرذمةٍ إذا نظرتُ إليهم قَطَّبَتْ هممي
أراذلٌ ملكوا الدنيا وأوجههم لم يكشفِ الفقرَ عنها بهجةُ النعم

وله :

ألامُ على نجدٍ وأبكي صبابةً رويدكَ يا دمعي ويا عاذلي رفقا
فلي بالحمى من لا أطيقُ فراقَهُ به يَسْعَدُ الواشي ولكنّني أشقى

---

(1) في الزيادات 2 : 151 .

(2) الديوان 1 : 215 ، 223 .

(3) الديوان : جانبه .

(4) م : حبتها .

(5) في الزيادات 2 : 158 .

وأُكرمُ من جيرانه كلَّ طارىء يودُّ وداداً أنه من دمي يُسْقَى

اذا لم يدعْ مني نواهُ وحبُّهُ سوى رَمَقٍ يا أهلَ نجدٍ فكم يبقى

ولولا الهوى ما لان للدهر جانبي ولا رضيتْ مني قريشٌ بما ألقى

قرأت بخط محمد بن عبيد الله الشاعر المعروف بابن التعاويذي قال ، حدثني الشيخ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن الخشاب قال ، حدثني الشيخ أبو منصور ابن الجواليقي قال : كنت أقرأ على أبي زكريا شعر أبي دهبل الجمحي حتى وصلت إلى هذا البيت[1] :

يجولُ وشاحاها ويغربُ حجلها ويشبعُ منها وَقْفُ عاجٍ وَدُمْلُجُ

قال فقلت له : وصفها بقوله يجولُ وشاحاها بأنها هضيمة الحشا ، وبقوله ويشبع منها وقف عاج ودملج أنها عبلة الزند والعضد ، فما معنى قوله ويغربُ حجلها ؛ فقال : لا أدري ، وكان الأبيوردي حاضراً ، فلما قمتُ من عنده قال لي الأبيوردي : أتحبُّ أن تعرفَ معنى هذا البيت ؟ قلت : نعم ، فقال : اتبعني ، فمضيت معه إلى بيته فأجلسني وأخرج سلّة فيها جُزاز فجعل يطوفها إلى أن أخرجَ ورقة فنظر فيها وقال لي : إنه مدح امرأةً من آل أبي سفيان وهم يوصفون بأنهم سُتْهٌ حُمْشٌ ، والحمشُ دقّةُ الساقين .

ومن افتخاراته قوله[2] :

يا مَنْ يساجلني وليس بمدركٍ شأوي وأين له جلالةُ منصبي

لا تتعبنَّ فدون ما أمّلتَهُ خرطُ القتادةِ وامتطاءُ الكوكب

المجدُ يعلمُ أيّنا خيرٌ أباً فاسأله تعلم أيَّ ذي حسبٍ أبي

جدّي معاويةُ الأغرُّ سَمَتْ به جرثومةٌ من طينها خُلق النبي

وورثته شرفاً رفعتُ منارَهُ فبنو أمية يفخرون به وبي

قال عبد الله بن علي التيمي : ولقد حصل للأبيوردي بعد ما تراه من شكوى

(1) شعر أبي دهبل : 57 .

(2) في الزيادات 2 : 152 .

الزمان في أشعاره مما انتجعه بالشعر من ملوك خراسان ووزرائها وخلفاء العراق وأمرائها ما لم يحصل للمتنبي في عصره ولا ابن هانيء في مصره ، فمن ذلك ما حدثنيه القاضي أبو سعد محمد بن عبد الملك بن الحسن النديم أن أفضل الدولة الأبيوردي لما قدم الحلةَ على سيف الدولة صدقةَ ممتدحاً له ، ولم يكن قبلها اجتمع به قط ، خرج سيف الدولة لتلقيه . قال : وكنت فيمن خرج ، فشاهدت الأبيوردي راكباً في جماعة كثيرة من أتباعه منهم من المماليك الترك ثلاثون غلاماً ، ووراءه سيف مرفوع ، وبين يديه ثمان جنائب بالمراكب والسرفسارات[1] الذهب ، وعددنا ثقله فكان على أحد وعشرين بغلاً ، وكان مهيباً محترماً جليلاً معظماً لا يخاطب إلا بمولانا ، فرحب به سيف الدولة ، وأظهر له من البر والاكرام ما لم يُعْهَدْ مثلُهُ في تلقّي أحدٍ ممن كان يتلقاه ، وأمر بانزاله وإكرامه والتوفر على القيام بمهامّه ، وحمل إليه خمسمائة دينار وثلاثة حصن وثلاثة أعبد . وكان الأبيوردي قد عزم على إنشاد سيف الدولة قصيدته التي يقول فيها :

وفي أي عطفيك التفتُّ تعطَّفَتْ ... عليكَ به الشمسُ المنيرةُ والبدر

في يوم عيّنه ، ولم يكن سيف الدولة أعدَّ له بحسب ما كان في نفسه أن يلقاه به ويجيزه على شعره ، واعتذر إليه ووعده يوماً غير ذلك اليوم ليعدَّ ما يليق بمثله اجازته مما يحسن به بين الناس ذكره ، ويبقى على ممرّ الأيام أثره ، فاعتقد أفضل الدولة أنّ سيف الدولة قد دافعه عن سماعه منه استكباراً لما يريد أنْ يصله به ثانياً ، فأمر الأبيوردي أصحابه أن يُعْبِروا ثَقَلَهُ الفرات متفرقاً في دفعات ، وخرج من غير أن يعلم به أحد سوى ولد أبي طالب ابن حبش فانه سمعه ينشد على شاطىء الفرات حين عبوره :

أبابلُ لا واديكِ بالخيرِ مفعمٌ ... لراجٍ ولا ناديك بالرفدِ آهلُ

لئن ضقتِ عني فالبلادُ فسيحةٌ ... وحسبكِ عاراً أنني عنكِ راحلُ

فان كنتِ بالسحرِ الحرامِ مُدِلَّةً ... فعندي من السحر الحلالِ دلائلُ

قوافٍ تعيرُ الأعينَ النجلَ سحرها ... وكلُّ مكانٍ خَيَّمَتْ فيه بابلُ

فبادر ولد أبي طالب إلى سيف الدولة فقال له : رأيتُ على شاطىء الفرات فارساً

---

(1) السرفسار : اللجام .

يريدُ العبورَ إلى الشرق وهو ينشد هذه الأبيات ، فقال سيف الدولة : وأبيك ما هو إلا الأبيوردي ، فركب لوقته في قلٍّ من عسكره ، فلحقه فاعتذر وسأله الرجوع وعرَّفه عذره في امتناعه من سماع شعره ، وأمر بانزاله في داره معه ، وحمل إليه ألف دينار ومن الخيل والثياب ما يزيد على ذلك قيمة .

قال عبيد الله التيمي أنشدني أبو إسحاق يحيى بن إسماعيل المنشىء الطغرائي قال : سمعت والدي ينشد لنفسه مرثية للأبيوردي :

إنْ ساغَ بعدك لي ماءٌ على ظمأٍ ... فلا تجرعتُ غيرَ الصابِ والصَّبِرِ
أو إن نظرتُ من الدنيا إلى حَسَنٍ ... مذ غبتَ عنّي فلا مُتِّعْتُ بالنظرِ
صحبتني والشبابُ الغضُّ ثم مضى ... كما مضيتَ فما في العيشِ من وطرِ
هبني بلغتُ من الأعمار أطولها ... أو انتهيت إلى آماليَ الكُبَرِ
فكيف لي بشبابٍ لا ارتجاعَ له ... أم أين أنت فما لي منك من خبرِ
سبقتماني ولو خُيِّرت بعدكما ... لكنتُ أولَ لحّاقٍ على الأثرِ

ـ 988 ـ

محمد بن أحمد بن طاهر بن حمد أبو منصور الخازن لدار الكتب القديمة : من ساكني درب منصور بالكرخ ، مات في ثالث عشر شعبان سنة عشر وخمسمائة ، ذكر ذلك ابن الجوزي وقال : كان أديباً فاضلاً نحوياً ، وخطه موجود بأيدي الناس كثير يُرْغَبُ فيه ويعتمد غالباً عليه، وكان أبو السعادات ابن الشجري النحوي والنقيب حيدرة كثيراً ما يستكتبانه . سمع علي بن المحسن التنوخي وابن غيلان وغيرهما ، وكان فقيهاً على مذهب الشيعة ، ووجدت سماعه على كتاب بخطه في سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة .

988 ـ أبو منصور الخازن عرفه أبو العلاء لما زار بغداد وأرسل إليه الرسالة التاسعة عشرة من المجموعة التي نشرها مرغوليوث ، وله ترجمة في المنتظم 9: 189 وانظر الهفوات النادرة : 69 فقد أورد قصة تدل على غفلة هذا الخازن ، والقصة التي أوردها ياقوت جاءت في الكتاب نفسه . 143 .

وحدث غرس النعمة أبو الحسن محمد بن الصابىء في « كتاب الهفوات » قال : كان بدار العلم التي وقفها سابور بن أردشير الوزير خازن يعرف بأبي منصور ، واتفق بعد ذلك بسنين كثيرة من وفاة سابور أن آلت مراعاة الدار إلى المرتضى أبي القاسم علي بن الحسين الموسوي نقيب الطالبيين، فرتّبَ معه آخرَ يُعْـرَفُ بأبي عبد الله ابن حَمْدٍ مُشْرِفاً عليه ، وكان داهية ، فصمد لأبي منصور[1] كيداً ومكراً ، فصار يتلهى به دائماً ، فمن ذلك أنه قال له يوماً ، قد هلكت الكتب وذهب معظمها ، فقال له وانزعج ، بأي شيء ؟ قال : بالبراغيث وعيثهم فيها وعبثهم بها ، قال : فما نفعل في ذلك ؟ قال : تقصد الأجلَّ المرتضى وتطالعه بالحال وتسأله إخراجَ شيء من دوائهم المعدّ عنده لهم لننشره بين الورق ويؤمن الضرر . فمضى إلى المرتضى وخدمه وقال له بسكون ووقار ومن طريق النصح والاحتياط : يتقدمُ سيدنا إلى الخازن باخراج شيءٍ من دواءِ البراغيث فقد أشرفتِ الكتبُ على الهلاك بهم لنتدارك أمرهم بتعجيل إخراج الدواء المانع لهم المبعد لضررهم ، فقال المرتضى : البراغيث البراغيث ، مكرراً ، لعن الله ابنَ حمدٍ فأَمْرُهُ كله طَنْزٌ وَهَزْلٌ ، قم أيها الشيخ مصاحَباً ولا تسمعْ لابن حمد نصيحةً ولا قولاً .

قال المؤلف : هكذا وجدت هذا الخبر ، وقد وافق روايةَ ابن الجوزي في كون ابن حمد خازن الكتب بين السورين وفي مقاربة العصر وخالفه في الكنية ، ولا أدري هل هو هذا أو غيره أو قد غلط أحدهما في الكنية، والله أعلم .

ثم وقفت على « المذيل » الذي للسمعاني بخطه على حاشية ملحقة أنّ محمد بن عطاف الموصلي سأل أبا منصور بن حمد الخازن عن مولده فقال سنة ثماني عشرة وأربعمائة ، قال : وسأله غيري فقال سنة سبع عشرة وأربعمائة ، وهذا يدل على أن هذه الحكاية ليست عنه لأن المرتضى مات سنة ست وثلاثين وأربعمائة فيكون حينئذ قد كان ابن حمد ابن اثنتي عشرة سنة فيستحيل أن تكونَ الحكايةُ عنه وعساها عن أبيه ، والله عز وجل أعلم بالصواب .

---

(1) الهفوات : وضد أبي منصور .



محتويات الجزء الخامس

الموضوع | الصفحة

[تتمة تراجم العين]

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

[تراجم حرف القاف]

[تراجم حرف الكاف]

الموضوع	الصفحة

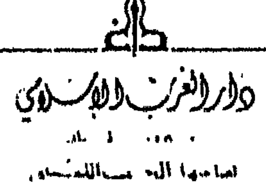
[تراجم حرف اللام]

[تراجم حرف الميم]

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة





شارع الصوراني (المعماري) الحمراء ، بناية الأسود

تلفون الإدارة : 340131/2 تلفون مباشر . 350331 [illegible]

DAR AL GHARB AL ISLAMI B.P.:113 5787 Beyrouth, LIBAN

الرقم	:	1993 - 6 - 2000 - 202
التنضيد	:	سامو برس - بيروت
الطباعة	:	دار صادر - بيروت







MUʿJAM AL-UDABĀʾ

Irshād al-Alibbāʾ ilā Maʿrifat al-Udabāʾ

By
Yāqūt al-Ḥamawī

Edited by
Iḥsān ʿAbbās